

حصاد دراساتي الفكرية والتربوية والثقافية

والإجتماعية

2016 – 2000

في المؤتمرات العالمية والمجلات العلمية المحكمة

من تأليف

فضيلة الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك

مستشار أكاديمي بمعهد تدريب قوات الدفاع الجوي الأميري القطري

وزارة الدفاع القطرية

(وكلية المجتمع بقطر، ووكلية الشريعة بجامعة قطر، ووكلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي، ووكلية المجتمع بجامعة طيبة بالمدينة المنورة، ووكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بكوالالمبور بماليزيا) سابقا.

2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِهْدَاء

- إلى المشتغلين والمشتغلات بالعلوم الدينية والفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية،،،
- إلى الباحثين والباحثات من حملة الأقلام في الدراسات الإسلامية
- إلى أرواح مشايخي وأساتذتي الذين علموني القرآن وحب الله ورسوله وحب المسلمين،،،
- إلى روح الوالدين الغاليين رحمهما الله وغفر لهما وأسكنهما فسيح جناته... آمين آمين آمين

إلى هؤلاء الأفاضل والأعزاء أهدي هذه الباقة العلمية الجديدة في الدراسات الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية

شكر وتقدير

- للأخ العزيز والغالي، فاعل خير في دوحة الخير والبركة،،،
- من كان له شرف الإقتراح لجمع هذه الأعمال في هذا المجلد وتقديمها للقراء الكرام محبي العلم والقرآن والمسلمين في مختلف بلاد العالم الإسلامي وغيره،،،

أنا لعمله شاكر وجهده المبارك مقدر، جعل الله هذا العمل في ميزان حسناته،،، آمين آمين آمين

المحتويات

الصفحة	
16	1. ماليزيا أسوة حسنة في التعليم المنشود في العصر الحديث ، كوالا لمبور - ماليزيا
28	2. الجاليات الإسلامية في أوربا الغربية و الشرقية - الواقع و الأمل، المنامة - البحرين
61	3. محاضرات منهجية هادفة في سيرة المصطفى صلى الله عليه و سلم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية
152	4. إشراقات فكرية تربوية دينية معاصرة - مقابلات شخصية ومقالات في الصحف البحرينية والكويتية
202	5. نحو منهج قرآني ونبوي في التعامل مع الآخر - ألبانيا والبحرين
219	6. أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية - ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل، جاكرتا - إندونيسيا
284	7. ثقافة المسلم المعاصر - تجربة شخصية في ضوء الآيات القرآنية - سلطنة بروناي وتركيا
355	8. بعض المعاني المنسية للوسطية الإسلامية في المدارس والجامعات العربية - مقارنة بالتجربة التعليمية اليابانية ، أوساكا - اليابان
418	9. التعصب وفقدان الحوار بين أتباع الأديان من كبرى العوامل لسقوط الدول - قراءة نقدية في جذور التعصب الصربي ضد المسلمين في يوغسلافيا السابقة، الشارقة - الإمارات
477	10. الإستخدام السيء لوسائل التواصل الاجتماعي - وآثاره السلبية على المجتمع القطري المسلم - رؤية قرآنية، الدوحة - قطر
554	11. التدخين والترجييلة وخطرهما على المجتمع القطري - دراسة تفسيرية تحليلية ميدانية، الدوحة - قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمتان خفيفتان وهامتان للقارئ الكريم،،

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،
واقتنى أثره وسار على هداه وبعد؛ فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته،،
أيها القراء الكرام؛ الشيوخ الأجلاء، الدكاترة والأساتذة المحترمين،
الباحثين الفضلاء، الطلاب الكرماء والطالبات الفضليات حفظكم الله
وسدد خطاكم ووفقنا وإياكم لخدمة كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
والمسلمين، اللهم آمين.

إنني أحمد الله إليكم أن حب إلي حب العلم والعلماء، وحب المطالعة
والقلم والكتابة. ثم إنني أثني لله كما يليق بجلال وجهه الكريم أن وفقني
وسخري لفقه وخدمة كتابه الكريم، فله الحمد جل وعلا ما دام الليل
والنهار. ثم إنني أثلثُ الحمد لله عز وجل أن وفقني لكتابة وإعداد بعض
الدراسات العلمية والتفسيرية والفكرية والتربوية والإجتماعية والثقافية وتقديم
تلك الدراسات في مؤتمرات عالمية في مختلف البلاد والجامعات العالمية. وما
كان لنا أن نوفق لذلك لو لا أن هدانا ووفقنا الله سبحانه لذلك.

وكان من تسخير الله عز وجل لنا أن سخر بعض المحسنين من عباده
المخلصين وأهل الخير والمحبين لكتابه الكريم والمسلمين من مختلف البلاد
العربية والإسلامية مثل دولة ماليزيا لطباعة هذه الأعمال التي كتبتها بالعربية

وترجمتها إلى اللغة الألبانية والإنكليزية والتركية، والحمد لله أولاً و آخراً، لقد تم طباعة بعض تلك الأعمال المباركة على نفقة هؤلاء المحسنين من ماليزيا في المدينة المنورة عام 2009 ثم طُبعت الترجمات في دولة مقدونيا وكوسوفا عام 2009 و 2013.

ولقد كان الهدف الرئيس أن ترى هذه الأعمال نور الطباعة والنشر أولاً، ثم أن لا تموت في أرشيف الملفات الشخصية ثانياً، وأن يستفيد طلاب العلم والمحبون للقرآن الكريم ثالثاً، وكانت نسخاً محدودة على شكل كتيبات ورسائل ذوات الصفحات المحدودة من 1 - 150 صفحة، تم إهداء أغلبها إلى المهتمين بالدراسات القرآنية والقضايا الفكرية والثقافية والتاريخية، وتم أيضاً إهداؤها إلى بعض المكتبات الجامعية في الجامعات المختلفة العالمية، ومنها مكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة وماليزيا وبروناي وقطر نيجريا وأستراليا وغيرها من الدول، إذ لم يمكن الهدف هو التكسب من وراء ترجمة وطباعة هذه الأعمال.

وهكذا مرت السنون والأيام وتراكت أعمال أخرى وبحوث جديدة والحمد لله، ولم يخطر على بالي أن تجمع هذه الأعمال مجدداً في سفر مستقل إتماماً للفائدة وجمعاً للمادة العلمية كلها في مكان واحد وفي مجلد مستقل. وأثناء هذه السنوات العشر قبل إصدار هذا الحصاد العلمي وفقني الله عز وجل أن أنشر هذه الدراسات القرآنية والفكرية والثقافية والتربوية المحكمة وتقديماً في مؤتمرات عالمية ونشرها في مجلات علمية محكمة خلال السنوات العشر الماضية، أي منذ عام 2004 - 2016 أمام السادة العلماء والباحثين والأساتذة والدكاترة الأجلاء من مختلف البلاد والجامعات

العالمية والخليجية والآسيوية، باللغة العربية والإنكليزية. وبحمد الله تبارك وتعالى وتوفيقه نالت استحسانهم واعجابهم وتم طباعتها ونشرها في ضمن أعمال المؤتمرات المطبوعة والإلكترونية.

ولقد آثرت أن أقسم هذه الأعمال والبحوث التي كتبتها إلى قسمين: قسم من الأعمال والبحوث له علاقة مباشرة بالقرآن الكريم والدراسات القرآنية والتفسير وعلوم القرآن، وقسم آخر له علاقة مباشرة بقضايا الفكر الإسلامي والحوار والثقافة والتربية والتعليم من وجهة النظر القرآنية والنبوية، وأرتأيت أن أسميها بـ: **حصاد دراساتي القرآنية في المؤتمرات والمجلات العلمية 2005 - 2016**، والقسم الثاني: **حصاد دراساتي الفكرية والإجتماعية والثقافية والتربوية في المؤتمرات والمجلات العلمية 2000 - 2016**

أيها الإخوة الكرام حفظكم الله وبارك فيكم،،،

هذا الحصاد بقسميه بهذه الصورة التي بين أيديكم اليوم جاء نتيجة واستجابة لأحد الفضلاء والمحسنين القطريين المجاورين لمنزلي بدوحة الخير والبركة في دولة قطر. تعرفنا على بعضنا في مسجد الحي الذي أصلي فيه الصلوات الخمس. أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يوفقه لما يحبه ويرضاه وأن يبارك له في حياته وماله وصحته وأولاده، وإنني شاكر له ومقدر لمبادرته الطيبة والمباركة حقاً. والله لقد تسبب هذا الأخ الفاضل والمحسن الكريم أن أقوم بالبحث والتنقيب مجدداً في جميع الملفات المحفوظة

لدي من مختلف الأماكن، ثم القيام بالجمع والترتيب والصيغة والتنسيق وإضافة الفوائد لهذه الأعمال مجددا والتي كنت قد خزنتها في جهازي الخاص منذ زمن بعيد، وتطلب الأمر مني جهدا وعنا كبيرا، وعكفت مدة زمنية طويلة ليل نهار أتصفح ملفاتي واحدة تلو الأخرى باحثا عن أعمالي ومقالاتي المنشورة والمترجمة والمحفوظة. وبعد أن تم جمعها وترتيبها أدركت الحكمة الإلهية والقدر الإلهي من وراء هذا العمل، وأنه جل وعلا عندما يريد أن يخلق شيئا أو يحدث شيئا هيا له أسبابه وظروفه! فله الحمد سبحانه، والله يعلم ونحن لا نعلم.

نعم، حقا وصدقا، لقد هيا الله لي تلك الأسباب والظروف وسخر هذا المحسن الآخر في دولة الخير والبركة في قطر الذي يقطر فيه الخير ليل نهار ويستفيد من هذا الخير كافة المسلمين في أرجاء المعمورة، بل وغير المسلمين أيضا، ليقوم بهذا العمل ويتسبب في إعادة طباعة هذه الأعمال في سفر ومجلد مستقل. فجزاه الله خيرا في الدنيا والآخرة، لقد قد كان مسببا لتحقيق هذا الخير الكبير. ولا أبالغ إن قلت إنه لو قدر لي أن أموت قبل أن أجمع هذه الأعمال لصعب جدا جدا على أحد من بعدي أو ورثتي أن يجمع أعمالي بهذه الصورة - لأنها كثيرة ومنتشرة في جهازي -، والحمد لله أولا وآخرا على الإنجاز والإتمام.

إنني أتضرع إلى الله سبحانه وأسأله تبارك وتعالى أن يتقبل منا ومنه هذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجزينا عنه بقدر تعبنا وإخلاصنا فيه إنه تعالى أكرم مسؤول وخير مأمول. ولا بد من الإشارة في هذا المقام بأني أثناء الترتيب وإعادة النظر لهذه الأعمال وتخفيفا للقارئ

الكريم وحجم المجلد، فقد قمت بحذف جميع المصادر والمراجع المثبتة في نهاية كل بحث لأنها مثبتة في الحواشي أصلا. كما أنني حاولت قصارى جهدي أن أرتبها حسب التسلسل الزمني التي تم كتابة ونشر هذه البحوث والمقالات في مختلف الدول العربية والخليجية إلى يومنا هذا.

ثم إن الله تبارك وتعالى بشرنا ببشرى عاجلة في الدنيا قبل الآخرة، حيث كانت هذه الأعمال سببا في الترقية الأكاديمية، والحمد لله تمت الترقية من درجة الأستاذ المساعد إلى درجة الأستاذ المشارك في الدراسات القرآنية والتفسيرية والثقافة الإسلامية يوم 20 مايو 2014. وإننا ماضون في طريقنا لكتابة وإعداد أعمال أخرى للوصول إلى درجة الأستاذية بحول الله تعالى.

منهجي الفكري والعقدي والثقافي والتربوي الذي أدين الله عز وجل به

وأخيرا أود أن أسجل هنا هذه الحقيقة العلمية والتاريخية والنفسية والعقدية والمنهجية التي اتبعتها وسرت عليها في خطبي وكتاباتي وبحوثي باللغة الألبانية أو الإنكليزية أو العربية منذ أن بدأت أدرس الإسلام 1983 - 2016 وهذا البيان يأتي لأول مرة بهذه الصورة - لله جل وعلا وللتاريخ فأقول وبالله التوفيق والهداية:

لقد حاولت قدر الإمكان أن أكون ملتزما بالموضوعية والنزاهة العلمية والفكرية في جميع البحوث والأعمال، كما أنني لم أتعصب إلى فريق أو شخص بعينه دون آخر. لم أكن يوما من الأيام منحرفا في أي حزب

سياسي؛ لا في دولتي كوسوفا أو خارجها، أو منتما لأي فكر ديني أو جماعي بعينه أو شخص بعينه، ولا أزال على هذه الحالة. في القضايا الفقهية فأنا حنفي المذهب، وأحيانا أقلد بعض المذاهب السنية الأخرى في بعض المسائل الفقهية نظرا لقوة أو رجحان الدليل الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أو من بوجود الحكمة الضالة، فأنا أتلقفها أينما أجدها ثم أضعها على الميزان القرآني والهدي النبوي الصحيح وهدى الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان من علماء والسلف والخلف؛ المشهود لهم بالعلم والتقوى وصلاح الحال.

لقد استفدت من العلماء والأئمة الكرام؛ الأحياء منهم والأموات، من السلف¹ والخلف وكنت ملتزما بمنهج الوسطية القرآنية والنبوية وأهل السنة والجماعة في كل المسائل العقدية الفكرية، ونبذت التطرف والتشدد بكل أشكاله وألوانه، متبعا أئمة السلف في كل المسائل العقدية والأسماء والصفات - وهذا واضح وبيّن ومنصوص عليه في رسالتي الدكتوراه في حديثي عن الاتجاهات الفكرية والدينية والعقدية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان -، وحاولت قدر الإمكان أن أبني جسور حسن التفاهم والتقارب وإزالة الغموض وسوء التفاهم وسوء التأويل بين علماء السلف والخلف من أئمتنا الكرام.

كما أن الجرح والطعن أو السب والشتم لم يكن من منهجي ولا من حُلُقي، لا في كتاباتي ولا في خطبي ولا محاضراتي في الجامعات حسب مبلغ

¹ لقد كتبت دراسة أخرى بعنوان: كتب وشخصيات استوقفتني في الدراسات القرآنية والفكرية من السلف والخلف، وقريبا جدا سيرى هذا الكتاب نور الطباعة إن شاء الله.

علمي؛ اللهم إلا ما كان وبدر مني سهوا دون علمي أو قصد مني؛ فالله غفور رحيم، إذ هذا لا يليق بمسلم عادي فضلا عن الأكاديمي والأستاذ الدكتور المرابي أو الشيخ الداعية أو الإمام والخطيب والحافظ لكتاب الله. لقد ركزت في كتاباتي وخطبي ومحاضراتي الدينية والتفسيرية أو الثقافية في قاعة المحاضرات مع طلابي وطالباتي في خمس جامعات عالمية التي تشرفت بالعمل والخدمة الإجتماعية والتربوية والدينية في دول الخليج وجنوب شرق آسيا، أقول: لقد ركزت على روح التجديد في الخطاب الديني وتبني الفكر الشمولي الواقعي الإنساني والإجتماعي الوسطي الرباني المعاصر، واضعا القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والحسنة نصب عيني، مستفيدا من جهود العلماء السابقين والمعاصرين، داعيا إلى ربط تعاليم الشريعة الإسلامية بحياتنا الواقعية في كل المجالات والمعاملات المالية والتربوية والإجتماعية والسياسية.

لقد التزمت في بحوثي ودراساتي بالمنهج الأكاديمي في مناقشة وعرض المسائل، تسهيلا للطلاب والطالبات والباحثين في المعاهد الثانوية والكليات والجامعات، التزمت بالوضوح والتيسير لما أكتبه وأقوله، وتجنبت من المصطلحات الفلسفية العقيمة والناشقة المعقدة، ولا أزعج الكمال والنضج الفكري والعلمي، وإنما نحن باحثون وطالبون للحكمة والحقيقة العلمية ما دمنا أحياء؛ إذ الكمال المطلق لله جل وعلا. وبالجملة فإن بحوثي وأعمالي هي أعمال منهجية فكرية مركزة في كل المجالات التي يحتاجها المسلم المعاصر.

وإني أشهدكم وأشهد الله عز وجل معكم، بأني كنت مفتخرا ومرتاحا
نفسيا وروحيا وعقديا بهذا المنهج وبما كتبتة أو قلته لحد الآن وإلى هذه
اللحظة وأنا أسطر هذه السطور؛ إذ لم تأتني أية ملحوظة طوال هذا العقد
الزمني الذي صدر هذا الحصاد العلمي والفكري؛ أقول إنه لم تأتني أية
ملحوظة دينية أو ثقافية أو نقد علمي أو منهجي لما كتبت أو قلته في
الجامعات أو المؤتمرات العالمية أو أكتبه الآن! لا مشافهة ولا مكتوبة، والله
الحمد والمنة. كل ذلك بفضل الله تبارك وتعالى وبركة دعاء الوالدين وبركة
دعوة طلابي وطالباتي في الجامعات والكليات، ولا نزكي أنفسنا والله
حسيننا. بل، كل ما جاءني منهم هو الإشادة والثناء العطر الوفير والشكر
التقدير والإعجاب بما قلته أو ذهبت إليه - فجزاهم الله خيرا وأنا مدين لهم
بالدعاء والشكر والتقدير أيضا -، هذا ظاهر أمر الناس والعلماء والمفكرين
والمربين معي في بلاد الحرمين والخليج وجنوب شرق آسيا وكوسوفا، وأما
الأسرار فنكل أمرها إلى الله جل وعلا. وعليه، فإنني أعاهد الله عز وجل
وإياكم أيها القراء الكرام بأني سأستمر على هذا النهج القويم والسليم ما
حييت، وأسأل الله تبارك وتعالى المزيد والتوفيق والسداد إنه جواد كريم.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي - دوحة الخير والبركة - قطر

16 ذي الحجة 1437 هـ الموافق ليوم السبت 2016/09/17

حصاد دراساتي الفكرية والتربوية
والثقافية والإجتماعية
2016 – 2000

في المؤتمرات العالمية والمجلات العلمية المحكمة

ماليزيا

أسوة حسنة في التعليم المنشود في العصر الحديث

Malaysian Educational Smart Schools

بقلم

الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ الدراسات القرآنية المساعد

جامعة طيبة - المدينة المنورة

المملكة العربية السعودية

2000

خيرالدين بافتي خوجه ، 1430هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

خوجه ، خيرالدين بافتي

ماليزيا: أسوة حسنة في التعليم المنشود في العصر الحديث / خيرالدين

بافتي خوجه

- المدينة المنورة ، 1430هـ

15 ص ؛ 21×14 سم

ردمك : 6-2405-00-603-978

1- التعليم - ماليزيا أ- العنوان

ديوي 379.595 1430/2578

رقم الإيداع : 1430/2578

ردمك : 6-2405-00-603-978

الطبعة الأولى : رجب 1430هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطابع الرشيد 920000789

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له أولياء من دونه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللهم صل و سلم وبارك عليه و على آله و أصحابه الطيبين الطاهرين و من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين. قال الله عز وجل في محكم تنزيله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، [طه: 114]، وقال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، [الأنبياء: 79] وقال تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، [المطففين: 26].

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا العلم والفهم الصحيح لديننا ودياننا، وأن يبصرنا بعيوننا وتقصيرنا في ديننا ودياننا وأن يرزقنا العمل الصالح الرشيد وحسن الاستفادة من تجارب الآخرين في مجال التعليم، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

طموحات ماليزيا

ماليزيا، وما أدراك ما ماليزيا ؟ بلد يقع في جنوب شرق آسيا، متعدد الأديان والثقافات والحضارات والأعراق. لقد قدّر الله عز جل لنا التعلم والتفقه في أمور ديننا ودينانا في مرحلة الدراسات العليا(الماجستير والدكتوراه) في هذا البلد الطيب المبارك-ماليزيا، وأن نعيش فترة من الزمن غير قصيرة، بين هذا الشعب المسلم المتحضر الذي جمع بين خيري الدنيا والآخرة، بين الأصالة والحداثة، بين مبادئ الدين الإسلامي الثابتة وأحكامها المرنة، وبين مستجدات الحياة المتطورة، فكانت بذلك أسوة حسنة للإسلام والمسلمين في كافة مجالاتها ومستوياتها التعليمية والاقتصادية والصناعية.

كانت ماليزيا تطمح نحو العلاء والازدهار القومي، والوطني، والصناعي، والتكنولوجي، والاقتصادي والتربوي أيضاً، وجاهدت لنيلها حق الجهاد حتى أتاها اليقين والتحرر من قبضة المستعمر البريطاني.

وبميلاد يوم الاستقلال القومي الوطني، عازمت ماليزيا على المضي قدماً في تجديد المنهج التعليمي المتوارث من الاستعمار البريطاني، حيث أن الأغلبية الساحقة في ماليزيا قبلت فكرة التجديد والإصلاح التربوي، كما أن كافة الأحزاب والأقطاب السياسية أيدت هذا المشروع العظيم على أساس الوحدة القومية (العرقية) في مراحل التعليم المختلفة، وعلى أمل أن التعليم سيمهد الطريق للتقدم والازدهار الاقتصادي الاجتماعي.

أنيطت هذه المسؤولية على عاتق وزارة التربية والتعليم في ماليزيا وأصبحت المسئولة الوحيدة عن غرس المبادئ التربوية الوطنية في قلوب الناشئين، منطلقين من الفكرة الوطنية عندهم المسماة بـ: Rukun Negara، أي طموحات ماليزيا نحو الوحدة والتقدم و الازدهار والتطور.

و أما مبادئ هذه الفكرة الوطنية التعليمية الماليزية فإنها بنيت على الدعائم و الأسس الآتية:

- 1- الإيمان بالله
- 2- الطاعة لله والولاء للمليك والوطن
- 3- التمسك بالدستور أو القانون
- 4- حكم القانون
- 5- السلوك و الخلق الحسن

وأما عن أهداف هذه الفكرة الوطنية المسماة بـ: Rukun Negara فيمكن تلخيصها في هذه الجوانب:

- إيجاد أمة موحدة أو شعب موحد في مجتمع متعدد الأعراق و الأديان.
- إيجاد مجتمع ديمقراطي من خلال البرلمان المنتخب قانونياً.
- إيجاد مجتمع عادل متساو في الحقوق.
- تطوير مجتمع ليبرالي حر، متعدد التقاليد و الثقافات و الحضارات.
- إيجاد مجتمع متطور متجه نحو العلم والتكنولوجيا.

وقبل الخوض في الحديث عن المدارس الرائدة والمثالية في ماليزيا، يحسن بنا في هذه العجالة أن نبين للقارئ الكريم بعضاً من المعلومات والإحصائيات التربوية الأساسية عن ماليزيا.

أولاً: إحصائيات عن المدارس و التلاميذ

1. يبلغ عدد المدارس الابتدائية المحلية في ماليزيا: (10.000) مدرسة.
2. يبلغ عدد التلاميذ في تلك المدارس: (2.870.667) تلميذاً.
3. يبلغ عدد المعلمين في تلك المدارس: (150.681) معلماً.
4. يبلغ عدد الفصول في تلك المدارس : (86.569) فصلاً.
5. أما عدد المدارس العالمية (الابتدائية و الثانوية) فعددتها: (40) مدرسة.
6. أما المناهج التعليمية العالمية في تلك المدارس فهي: مناهج إنكليزية، وأمريكية، ويابانية، وتايوانية، وإندونيسية، وسعودية وألمانية.

ثانياً: أما التعليم الثانوي العالي:

1. فعدد المدارس لهذا النوع من التعليم يبلغ: (1.538) مدرسة.
2. عدد التلاميذ في تلك المدارس يبلغ: (1.794.514) تلميذاً.
3. عدد المعلمين فيها يبلغ: (96.523) معلماً.
4. عدد الفصول وتبلغ: (50.661) فصلاً.

المدارس الرائدة أو المثالية في ماليزيا Smart Schools

الخلفية التاريخية

في بدايات عام 1996م شرعت وزارة التربية في ماليزيا في البحث عن إمكانية إحداث و إيجاد هذا النوع من المدارس في البلاد (البحث عن المبدأ و المضمون). وفي نهاية العام ذاته 1996م فإن فكرة المدارس المثالية أو الرائدة اتخذت مفهوماً أكبر وأوسع. وفي شهر يوليو عام 1997م فإن فكرة المدارس المثالية أو الرائدة خطت خطوة أخرى نحو التقدم، حيث قدمت بحوث و آراء وكتابات من المختصين في التربية و المعنيين بهذا الشأن حول تطبيق هذه الفكرة، وإخراجها من حيز النظرية إلى حيز التطبيق. و في 28 تموز من عام 1999م، فإن شركة الاتصالات الماليزية الكبرى Telekom وقعت اتفاقية مع الدولة على إنجاز هذا المشروع وتطبيقها في (90) مدرسة ماليزية في مختلف أنحاء البلاد، والمشروع كان من المتوقع أن ينجز مع نهاية عام 2002م.

هذه المدارس التسعون ستكون بمثابة نماذج مثالية على إعداد المقررات و المناهج الدراسية لبقية المدارس الرائدة التي ستفتتح فيما بعد. وبحلول عام 2010 فإن كافة المدارس الثانوية والابتدائية في ماليزيا البالغ عددها، 10.000 كما أسلفنا، سترتفع إلى مستوى المدارس الرائدة. وفي شهر يوليو من عام 2002م فإن المدرسة الرائدة الأولى التابعة لتلك الشركة الكبرى في ماليزيا وقعت على عقد تجاري مع الحكومة الماليزية

رسمياً على السماح لها بالتجارة عالمياً بأفكار ومناهج ومبادئ هذه المدرسة
الرائدة.

أهداف هذه المدارس المثالية أو الرائدة Objectives of the Smart Schools فيمكن تلخيصها في هذه المجالات:

- 1- التشجيع على تطوير كافة الجوانب الشخصية، سواء الجانب الفكري،
أو الجسمي، أو العاطفي أو الروحي.
- 2- منح فرصة للمواطنين، ذكوراً وإناثاً على تقوية و تطوير قدراتهم و
مهاراتهم الخاصة.
- 3- إيجاد قوة عاملة، مفكرة وعارفة بالتكنولوجيا الحديثة.
- 4- منح حق التعلم للجميع دون استثناء.
- 5- ضرورة مشاركة الأسرة والمجتمع في دفع عجلة عملية التعليم إلى الأمام.

أما رؤية هذه المدرسة الرائدة Vision of the Smart Schools

فيمكن تلخيصها في:

إن المدرسة الرائدة تهدف إلى إعطاء تجربة حقيقية وفعالة للتلميذ أو
الطالب في حياته. بدلاً من أن يحمل التلاميذ الماليزيون حقائب ثقيلة
ومليئة بالكتب، فإنهم سيحملون معهم إلى فصولهم أجهزة الكمبيوتر (

لاب توب (Lap Top) وبناء على تصريحات وزير التربية والتعليم السابق، و رئيس الوزراء ماليزيا الحالي (داتوك سري نجيب تون رزاق Datuk Seri Najib Tun Razak) فإن التلميذ سيكون بوسعه التوصل إلى المعلومات اللائهاائية و غير المحدودة من خلال أجهزة (لاب توب)، وأن الاختبارات ستكون بواسطة تلك الأجهزة، والتلاميذ الذين يمرضون ولا يستطيعون الحضور إلى الفصول سيتابعون دروسهم من بيوتهم خارج جدران المدارس عن طريق تلك الأجهزة.

ففكرة المدرسة الرائدة فكرة رحبت بها الجميع، وهو مشروع كبير الذي سيحدث تغييراً تعليمياً جذرياً في المستقبل، حيث سيتمكن التلاميذ من معرفة الإعلام التكنولوجي في كافة مجالات التعليم، المجال الإداري والفصلي.. الخ .

إن فلسفة التعليم في ماليزيا تنادي وترکز على إيجاد وإعداد الجيل المنشود المتوازن الشامل والمتكامل في المجال الفكري والروحي والعاطفي والجسمي، والمتناسق في عصر ثورة المعلومات التكنولوجية والصناعية. هذه المدرسة الرائدة تطمح إلى رفع مستوى مشاركة أولياء الأمور حتى يقوموا هم أيضاً بدورهم وواجبهم نحو تطوير المهارات المطلوبة لدى أبنائهم.

ففي الفصول الدراسية مثلاً ستكون هناك بجانب الكتب والأدوات المدرسية البرمجيات المختلفة على أقراص الليزر المصممة بكافة المعدات الهندسية.. الخ.

أما عن كيفية تنفيذ هذا البرنامج التعليمي الحديث فإنه يجب توفير حاسبات آلية مركزية فيها شبكة قاعدة البيانات والمعلومات والمستندات

الخاصة عن كافة المعلمين والتلاميذ. هذا الحاسبات الآلية ستكون مشبوكة و متصلة بمكتب الشؤون التربوية في وزارة التربية، ومن ثم سيكون بإمكان الطالب أن يتزود بالمقررات الدراسية وبالمعلومات المختلفة عن طريق الإنترنت. المعلمون أيضاً سيكون لهم إمكانية الوصول إلى المناهج والمقررات الدراسية ومستندات و ملفات التلاميذ من مكاتبهم. كما أنه سيكون هناك منسق خاص للقيام بإدارة كافة الوسائل الإعلامية والتكنولوجية المخصصة لهذه المدارس المثالية. إلى يومنا هذا فقد تم تدريب: (4.800) معلم وأستاذ للعمل في هذه المدارس الرائدة، كما أن المسؤولين والمنسقين في وزارة التربية سيقومون بمراقبة و تقويم هذه البرامجيات الحديثة في التعليم بين حين وآخر.

فالتنتيجة المترتبة من هذا المشروع التعليمي الحديث ستكون كبيرة، من حيث إعداد وإيجاد جيل متمكن من معرفة طرق استعمال التكنولوجيا الحديثة.

العقبات و الحلول

ونظراً للغلاء الفاحش لإعداد وإيجاد تلك المدارس المثالية بكافة معدادها ووسائلها، فإن الحكومة الماليزية طلبت وشجعت فكرة جمع تبرعات خاصة وعامة من المدارس الأخرى التي تريد أن تلتحق بركب تلك المدارس التسعون الرائدة والمختارة. كما أن الحكومة الماليزية شجعت الشركات الكبيرة على التبرع لأجل هذا الهدف. فمثلاً جمعية الاتحاد الصيني الماليزي قد خصصت مبالغ هائلة وضخمة لتحقيق هذا المشروع التعليمي الكبير

ل: (114) مدرسة صينية التي تمتلكها في كافة أنحاء ماليزيا. وأيضاً فإن شركة الاتصالات الماليزية الكبيرة (MIMOS) قد سلكت نفس المسلك ل: (50) مدرسة ماليزية مختارة.

نسأل الله عز جل أن يرزقنا التوفيق والإخلاص في القول والعمل وأن يبارك في جهود ولاة أمور المسلمين أينما كانوا، وأن يرزقنا حسن الاستفادة من تجربة ماليزيا، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من اعداد

الدكتور: خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

كوالا لمبور - ماليزيا 2000

drhafezi68@gmail.com

www.drhafezi.net

وتمت مراجعة الدراسة أيضا يوم السبت 16 من ذي الحجة 1438 هـ

الموافق

17 سبتمبر 2016 بدوحة الخير والبركة - قطر

الجاليات الإسلامية في أوربا الغربية و الشرقية الواقع و الأمل

ورقة علمية قدمت في

المؤتمر العالمي لنصرة النبي ﷺ

(البحرين 22-23 صفر 1427 هـ الموافق 22-23 مارس 2006)

بمناسبة الرسوم الدائريّة المسبّبة للرسول صلى الله عليه وسلم

من اعداد

الدكتور: خير الدين خوجة

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد - كلية المجتمع - جامعة طيبة

المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن سيدنا و نبيا محمداً عبده و رسوله، أدى الأمانة و بلغ الرسالة ونصح الأمة و جاهد في الله حق جهاده. اللهم صل و سلم و بارك على هذا النبي الأمي وعلى آله و أصحابه الكرام الطيبين الطاهرين و من نهج نهجهم إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

احمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون. الحمد لله الذي قال في كتابه: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ }، [الفتح:29]، وقال عز من قائل: { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }، [التوبة:40]، وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }، [الأنبياء:107].

الحمد لله الذي جمع شمل الأمة المحمدية لنصرة خير البرية، الحمد لله الذي دفع الصحوحة الإسلامية و العلماء الربانيين إلى بيان و نشر سنة سيد المرسلين. الحمد لله الذي ألهم مسؤولي الحكومات و الدول الإسلامية للتكاتف و التأزر فيما بينها والوقوف صفاً واحداً للدفاع عن المقدسات الإسلامية. اللهم بارك في تلك الجهود في هذا اليوم العظيم المشهود، ولا

تحرمتنا و إياهم من خيرك الموعود إنك يا مولانا خير مسؤول وأكرم مأمول.

إطالة على أوضاع المسلمين في أوروبا الغربية و الشرقية (رؤية في الواقع و الأمل)

تمهيد

يعود وجود الإسلام في الغرب إلى قرون سحيقة، تحديداً إلى سنة 711م عندما فتح المسلمون الأندلس و استقروا فيه. واستمر حكم الإسلام في الأندلس قرابة ثمانية قرون، من 711م – 1492م. و مع سقوط الدولة الإسلامية في اسبانيا و طرد المسلمين من تلك الجزيرة و مجيء الدولة العثمانية في الحكم، فإنها أخذت توسع و تمدد دائرة حكمها شيئاً فشيئاً إلى جزيرة البلقان في أوروبا الشرقية، و استمر حكم الدولة العثمانية إلى نهاية الحرب العالمية الأولى. في جزيرة البلقان يقطنها أعداد كبيرة من المسلمين في البوسنة و الهرسك، و المسلمين الألبان في مكدونيا و كوسوفا و ألبانيا، الدولة الوحيدة بالأغلبية المسلمة في أوروبا².

إن تواجد المسلمين في أوروبا الغربية تعد ظاهرة جديدة بعد الحرب العالمية الثانية، البعض جاء مهاجراً، و الآخرون جيء بهم من قبل الدول

² للمزيد حول أوضاع المسلمين و معاناتهم في جزيرة البلقان انظر المجلة الإسلامية في أمريكا الشمالية:

Abiva, Huseyin: *Muslim Minorities Face Increasing Hostility in the Balkans*, The International Message – North America's Magazine, September 1991, pp.21-22

المستعمرة إلى أوروبا لاستغلالهم وتشغيلهم، نظراً لحاجتهم إليهم و لسرعة النمو الاقتصادي في أوروبا. فالإنكليز مثلاً جاؤوا بالأيدي العاملة ذات أغلبية مسلمة من شبه القارة الهندية، و الفرنسيون جاؤوا بالأيدي العاملة من إفريقية الشمالية ذات أغلبية مسلمة، و الهولنديون جاؤوا بالعمال و المهاجرين المسلمين و غيرهم من إندونيسيا. بينما الألمان الذين لم يستعمروا أحداً فهؤلاء استعانوا بالعمال من تركيا. و أما بقية الدول غير المستعمرة، فالمسلمون دخلوا إلى بلادهم عن طريق الهجرة. يبلغ عدد المسلمين في الغرب قرابة خمسة عشر مليوناً؟. و لا شك أن هؤلاء المسلمين الجدد في الغرب لم يكونوا واعين و مدركين الثقافة الغربية تمام الإدراك.

و في الأمريكيتين لوحظ تواجد المسلمين بالكثرة في الستينات و السبعينات. و أما كندا، فإنها تبنت السماح بهجرة المسلمين ذوي الكفاءات و المهارات العالية. بينما سياسية الولايات المتحدة الأمريكية، لم تكن كسياسة كندا. الولايات المتحدة كانت تركز و تشدد على المهاجرين بتعلم و إجادة اللغة الإنكليزية، و فهم الدستور الأمريكي و الثقافة و التقاليد و الأعراف الأمريكية.

بينما المسلمين في جزيرة البلقان فكانوا يعانون من قسوة النظام الشيوعي، و التمزق العرقي و الطائفي. الشيوعيون المتعصبون كانوا يجيئون نزعاً الكره و الحقد على الدولة الإسلامية العثمانية بين أوساط الشعوب التي كانوا يحكمونها. النظام الشيوعي منع أتباع هذه الأديان من التفاهم و التحاور فيما بينها للوصول إلى نقطة مشتركة ترضي الجميع. محاولة

البوسنيين على إيجاد أرضية مشتركة، تتسم بالتسامح الديني بين المسلمين و الصرب و الكروات كانت فكرة غير مقبولة لدى الصرب و الكروات³ . إن قضية التعددية الدينية في أوروبا الغربية ما زالت شجرة و فكرة غير ناضجة. لأوروبا الغربية تاريخ ديني طويل مظلم و دام. أقرب مثال على ذلك حرب البوسنة و الهرسك مع الصرب و حرب مسلمي كوسوفا مع الصرب. ففي نظر كثير من المسلمين في الغرب تعد تلك الحرب حرباً بين الإسلام والغرب، و صورة هذه الحرب في البوسنة وكوسوفا هي الدبابات و المدافع و الرشاشات، بينما صورة الحرب بين الإسلام و الغرب في الغرب هي القوانين الصارمة و المشددة في حق المسلمين، تهميش الإسلام و المسلمين، الهجوم الإعلامي العنيف ضد القيم و المبادئ الإسلامية، الاتهام بالأصولية و التطرف و الإرهاب. تجدد في أوروبا الغربية من المتطرفين من ينادي بإرجاع المسلمين إلى أوطانهم، و أن محاولات الأطراف الدينية في إيجاد الحلول و السبل الموصلة للتفاهم و العيش تحت سقف واحد قد فشلت.

إن تدفق المسلمين المهاجرين بالكثرة إلى بريطانيا، أدى ذلك بالسلطات البريطانية إلى اتخاذ الإجراءات و القوانين الصارمة في حق هؤلاء المهاجرين

³ للمزيد عن أوضاع المسلمين في البلقان عموماً وأوضاع مسلمي البوسنة انظر المجلتين:

Lopasic , Alexander: *Islamization of the Balkans with Special Reference to Bosnia*, (Journal of Islamic Studies), 5:2, (1994), pp.163-182; Abid, Safet: *Europe's Endangered Species: Yugoslavia's Forgotten Muslims* (A Survey of the Indigenous Muslims of Bosnia and Herzegovina-Past History-Current Situation-Future Prospects,(The Message International), September 1991, pp.23-26

من المسلمين. لقد ألغوا حق دخول المسلمين إلا بالتأشيرة الرسمية، هذا التشدد في الإجراءات أدى ببعض السياسيين المحافظين مثل: Enoch Powell ، إلى توقع حرب أهلية بين أصحاب الثقافات المتعددة و المتنوعة تجري بسببها أثمار البلاد بالدماء، كما أدى هذا التخوف أيضاً برئيسة الوزراء السابق Mrs.Thatcher إلى إبداء قلقها إزاء تدفق المهاجرين إلى البلاد.

إذا كان بعض الباحثين يقسم أحوال المسلمين في الغرب إلى مرحلة ما قبل أزمة كتاب سلمان رشدي و المرحلة ما بعد صدور الكتاب، فإنه يحق لنا أن نقسم أيضاً أحوال المسلمين في الغرب و في العالم إلى مرحلة ما قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، و المرحلة التي تلت تلك المرحلة. بل، يمكن تقسيم أحوال المسلمين أيضاً إلى ما قبل أزمة الدنمارك و المرحلة ما بعد الأزمة الدانماركية.

المبحث الأول: نظرة الغربيين إلى الإسلام

يرى بعض المحللين أن النظرة الموضوعية و العالمية لعلاقة الغرب بالإسلام تكشف عن أن هناك في بلاد الغرب . إسلامين وليس إسلاماً واحداً. الأول: الإسلام الذي يبحث عنه المستشرقون في مراكز الأبحاث الأكاديمية أو في الجامعات، و يقضون أعمارهم في البحث لأغراض سياسية و اجتماعية و دينية واسـتـعمارية، أما النوع الثاني فيرى المحللون هو الإسلام كما يعرفه الرجل العادي في أوروبا وأميركا، وهو خاضع تماماً لوسائل الميديا التي تصوره شيطاناً مريداً وتحمله

مسئولية كل الموبقات التي قد تظهر اليوم أو غدا في العالم.. ولا تتورع عن إصاق التهم به صغيرها وكبيرها. وللأسف أن هذا الفهم المشوه للإسلام هو الذي يظهر في الساحة، و هو الذي يعاني منه المسلمون في الخارج، ويدفعون ثمناً لأخطاء لم يرتكبوها وتكون النتيجة أن يجد هؤلاء أنفسهم وراء القضبان. دون ذنب أو جريمة! ويرى المحللون أن حالياً هناك جدل في الغرب حول تقسيم الإسلام إلى قسمين آخرين أيضاً: الأول هو الإسلام في أوروبا، والثاني هو: إسلام أوروبا⁴.

القسم الأول يقصد به ما أوضحناه آنفاً من أن أبناء الجاليات الإسلامية نزحوا من بلدانهم الأصلية مهاجرين ليستوطنوا أوروبا في كانتونات، شبه مغلقة، وخطورة هذه الحال أن المسلمين في أوروبا يكونون معزولين طوال الوقت عن المجتمع الذي يعيشون فيه.

والقسم الثاني هو إسلام أوروبا، أي أن أوروبا جغرافياً وزمانياً لها صفات مختلفة عن صفات الحيز الجغرافي العربي أو الإسلامي، ومن ثم فمن حقها أن يصطبغ إسلامها بطابعها الخاص يتناسب مع واقعها و بيئتها وظروفها الاجتماعية والعرقية.

⁴ حول هذه المسألة العلمية الدينية كتب عدد من الباحثين المعاصرين، و أفضل من كتب حول هذه المسائل و المشاكل الأخرى التي يوجهها الأقليات المسلمة في الغرب، هو الباحث السويسري الأستاذ الدكتور طارق رمضان، عربي الأصل غربي النشأة. راجع كتابه بالإنكليزية بعنوان: *How to be a European Muslim*، (كيف تكون مسلماً أوروبياً) و لقد ترجمه إلى اللغة البوسنية الأستاذ الدكتور: فكريت كارتشش - العالم البوسني و مشرفي في الدكتوراه حفظه الله وشفاه الله.

ويبدو للباحث أنه لا ضرر ولا ضرار من هذا التقسيم، لأن الواقع العالمي الإسلامي يشهد بهذه الحقيقة الواقعية، كما هو الحال في إسلام إندونيسيا و ماليزيا و تركيا و البوسنة و الهرسك و كوسوفا⁵، و إسلام مصر، و إسلام الإمارات، و إسلام السودان و سوريا. تشير بعض البحوث و الدراسات أن المسلمين في الغرب هم هدف لليمين المتطرف، ومن الثابت أن الحرب قائمة بين يمين أوروبا ومسلميها. كما اشتهر في فرنسا زعيم حزب الجبهة الوطنية اليميني المتطرف على عدائه الدائم للعرب، ورفضه بناء مساجد لهم، ورفع شعار: فرنسا للفرنسيين، وليس للعرب أو المسلمين. ومن هذا الحزب في فرنسا خرجت جماعات أكثر تطرفاً مثل جماعة النازيين الجدد. إن هذه الكراهية لم يسلم منها حتى مسلمو بلجيكا إبان أحداث 11 من سبتمبر. فقد كانت هناك تهديدات بالقتل والحريق طرد أبناء⁶ الجالية الإسلامية في الليل والنهار، قد وفوجئ الجميع بشعارات وكلمات قاسية مكتوبة على جدران مسجد بروكسل تحث على كراهية العرب، وطرد المسلمين، مع أن الدستور البلجيكي ينص على السماح بحرية الأديان وحرية التعبير للأفراد.

و يرى بعض المحللين أن تلك التصرفات كانت فردية من عناصر يمينية متطرفة، التي تعادي الأجانب بصفة عامة، و أن أحداث سبتمبر

⁵ حول أوضاع المسلمين في أوروبا الغربية و البوسنة و كوسوفا في أوروبا الشرقية، راجع موقع الكشاف الإسلامي على الانترنت www.islammemo.cc ، مقالاً للرئيس البوسني الراحل رحمه الله علي عزت بيغوتش،

بعنوان: رؤية علي عزت بيغوتش لوضع المسلمين في أوروبا

⁶ انظر: النحوي، عدنان علي رضا، المسلمون بين الواقع و الأمل، ط1، 2003، دار النحوي للنشر والتوزيع

سببت ردود فعل سلبية على الجاليات العربية مدفوعة بالدعاية الأمريكية الصهيونية، بأن المسلمين وراء كل الأحداث الإرهابية. هذا الموقف جعل الدول الأوروبية تتشدد في التعامل مع المسلمين وتضع أنشطة الجاليات تحت الرقابة وتحجر على أموالها وتصادرها أو تجردها، وفي هذا خسارة كبيرة للمسلمين في أوروبا و في أمريكا، خاصة المنظمات التي لها توجهات خيرية في مساعدة وإنقاذ فقراء المسلمين في العالم والمنكوبين منهم.

يذكر أن عدد المساجد في بلجيكا هو 290 مسجد ودار عبادة، و أن إجمالي عدد المسلمين في دول الاتحاد الأوروبي كافة يبلغ حوالي عشرين أو خمسة و عشرين مليون مسلم، وهذا ويشكل الإسلام ثاني أكبر ديانة في بلجيكا متفوقا بذلك على الديانة اليهودية والبروتستانتية. ويتم تدريس مادة الإسلام في المدارس البلجيكية منذ عام 1975م، وذلك تأسياً بتدريس الديانات الأخرى، كما يقوم حوالي 700 مدرس ومدرسة من المسلمين المنتشرين في أرجاء البلاد بتعاليم الإسلام في المدارس الابتدائية والثانوية و لمدة ساعتين أسبوعياً، وبدورها تتولى الدولة دفع رواتب مدرسي الدين الإسلامي الذين يزيد عددهم عن سبعمائة معلّم ومعلمة⁷.

أما حال مسلمي أمريكا، فقد ذكرت مجلة (Us news and world report) أن الحكومة الأمريكية وضعت برنامجاً واسعاً لمراقبة نحو 120 مسجداً وموقعاً يرتاده مسلمون في الولايات المتحدة، وذلك بحثاً عما تعتبره الإدارة الأمريكية قنابل نووية محتملة. وأوضحت المجلة على موقعها الإلكتروني أن المواقع التي كانت تخضع للمراقبة تشمل مساجد

⁷ الكشف الإسلامي على الانترنت: www.islammemo.cc مقال بعنوان: المسلمون في بلجيكا

ومنازل ومتاجر ومستودعات ومواقع مماثلة يرتادها مسلمون أميركيون في العاصمة واشنطن وخمس مدن أخرى، بحجة مكافحة عمليات إرهابية محتملة، مع أن المحللين الإسلاميين يرون أنه لا يوجد دليل أو حتى جزء من دليل يجعل الإدارة تشك في مسلمي الولايات المتحدة ونزاهتهم، وأنهم جزء لا يتجزأ من الشعب الأميركي. واعتبر المحللون الإسلاميون أن هذا الأمر ستكون له انعكاسات سيئة جداً على العلاقة بين الجالية المسلمة والإدارة الأميركية، مشيراً إلى أن ذلك سيشكل أزمة لواشنطن في كسب عقول وقلوب المسلمين في العالم، بينما تسلب حرية المسلمين داخل الولايات المتحدة!.

لقد طالب رؤساء الجاليات الإسلامية الكونغرس بأن يمنح ضمانات ويقلص صلاحيات الحكومة الأميركية إذا كان هناك تجاوز للدستور في الإجراءات التي تتخذها في إطار تنفيذ قانون الوطنية [باتريوت آكت] الذي قال إنه لا يعطي الصلاحية لمراقبة ورصد الأماكن الخاصة⁸.

أما حال مسلمي فرنسا فهناك عندهم «الفوييا» من الإسلام التي سيطرت على الجميع، أصبح كل مسلم هو بالضرورة إرهابياً يجب التخلص منه بطريق أو بآخر. وأصبح أنظار الناس تتجه إلى مساجد المسلمين بهدف تطهيرها من دعاة العنف و أن على الدول الأوروبية ألا تقبل الوعاظ والمشايخ والأئمة القادمين من الدول الإسلامية ، و إنما يجب أن تنشأ لهم معاهد متخصصة في تخريج

⁸ الكشف الإسلامي على الانترنت: www.islammemo.cc، مقالاً بعنوان: كل مسلمي أمريكا تحت المراقبة

الأئمة والوعاظ. و العجيب في الأمر أن عدد مسلمي فرنسا يبلغ حوالي 4 ملايين ورغم ذلك لا صوت مسموعا لهم.. أما يهود فرنسا لا يزيد عددهم على 600 ألف شخص، فهم يملأون الساحة ضجيجا وتأثيراً، بل وقيمون الدنيا ولا يقعدونها⁹. أما في هولاندا فقد أصدرت وزارة الداخلية الهولندية قراراً يجبر دعاة الإسلام ووعاظه على تعلم اللغة الهولندية لكي يتاح لهم إلقاء الخطب بلغة أهل هولندا وليس باللغة العربية. والسبب من وراء هذا الإجبار هو أن يعرف المسئولون عن الأديان ماذا يقوله أئمة المسلمين في المساجد بعد أن حذرهم البعض من أن الخطب التي تلقى باللغة العربية قد تشمل تحريضاً على العنف وكراهية الآخر.

بينما لا تجد هذه الفروق و هذه الكراهية في دولة غربية أخرى مثل سويسرا. المسلمون في سويسرا يستغلون ظروف الحرية المتاحة ليطالبوا بالاعتراف بدينهم رسمياً وتسهيل إعطائهم الجنسية السويسرية. ويعيش نحو نصف مليون مسلم في سويسرا من جاليات ألبانية و تركية و بوسنية و عربية و آسيوية منذ عقدين من الزمن أو أكثر، و أن حالهم أفضل من حال المسلمين في بلدان غربية أخرى.

أما الأسباب لهذه الميزة، فلعل أولها أن سويسرا لم تكن يوماً ما دولة استعمارية. يقول المحللون الإسلاميون في سويسرا أنه: لا يستطيع مسلم في سويسرا أن يشكو من شيء، فنحن نتمتع هنا بحقوق وحرية وعدالة، لا نتمتع بها في أي بلد من بلداننا الأصلية. وتتعامل السلطات السويسرية مع

⁹ للمزيد راجع المصدر السابق: www.islammemo.cc، مقالاً بعنوان: كيف ينظر الغرب إلى

الجالية المسلمة بتسامح وتساهل وبكثير من المساواة¹⁰، و بخلاف بعض الحكومات الغربية، لا تحمل السلطات السويسرية المسلمين وزر أخطاء البعض منهم وما يرتكبونه من مخالفات أو جرائم.

أما عن ارتياحهم و استقرارهم النفسي و الفكري لمسلمي سويسرا فيرى بعض المسلمين أن من العناصر الايجابية التي حسنت صورة المسلمين في سويسرا ودفعت عملهم التنظيمي إلى الأمام، تدفق أعداد غير قليلة من اللاجئين السياسيين ذوي الثقافة العالية والوعي المعقد، فبعد أن كانوا يفكرون بعقلية السائح أو ابن السبيل المهجر باتوا الآن يفكرون بعقلية المواطن، و إن كان بشكل عام الشعب السويسري يحمل فكرة تضارب الحضارات أو صراع الحضارات، و ذلك بسبب تشويه صورة الإسلام من قبل الوسائل الإعلامية العالمية¹¹.

وفي أسبانيا حدثت سلسلة مواقف عنصرية ضد العرب والمسلمين و حرق فيها الأسباب حقول عدد من العرب و حطموا سياراتهم. والسبب هو كراهيتهم لكل ما هو عربي و مسلم وإصرارهم على طرد هؤلاء الغزاة كما يسـ

و يرى المحللون أن هناك رأياً من جانب دول عديدة في الغرب يصبر على تهميش أي دور لمسلمي أوروبا والسعي لتمزيقهم ليظلوا مفككين.

¹⁰ راجع الكشاف الإسلامي على الانترنت: www.islammemo.cc ، مقالاً بعنوان: المسلمون في

سويسرا

¹¹ نفس الموقع السابق و نفس المقال

المبحث الثالث: المسلمون في جزيرة البلقان – أوروبا الشرقية¹².

حول أوضاع المسلمين في البلقان و أوروبا الشرقية كتب كثير من الكتاب الغربيين وغيرهم، و لكن سمة و طابع تلك الدراسات هي أنها غير موضوعية و أحادية النظر، و كتبت لأهداف تنصيرية و تبشيرية، مما يجعل الباحث المسلم يتوقف أمام كثير من الحقائق التي ذكروها. فأفضل ما رأيت من تحدث عنهم هو الرئيس البوسني الراحل رحمه الله علي عزت بيغوفيتش Alija Izet Begovic رئيس جمهورية البوسنة والهرسك سابقاً في محاضرة له، و نحن سنقتبس قبسات من تلك المحاضرة، حيث قال رحمه الله: " أن هناك خمسة وعشرون مليون مسلم¹³ يعيشون في بلدان قارة أوروبا، وذلك بحسب تقديرات عام 1986م.. و أضاف بيغوفيتش أن المسلمين في البوسنة والهرسك وألبانيا¹⁴ – أي بلاد البوشناق والألبان – يختلفون في واقعهم عن مسلمي البلدان الأوروبية الأخرى، فهاتان الدولتان

¹² حول أحوال المسلمين في أوروبا الشرقية انظر مقال المستشرق الهنغاري:

Gyorgy Lederer, *Islam In Eastern Europe*, Journal Institute of Muslim Minority Affairs, Vol: 13:2, July, 1992, printed in Great Britain

¹³ ويلاحظ أن عدد المسلمين غير مضبوط في بلدان أوروبا، والسبب في ذلك أنه لا توجد إحصائيات رسمية دقيقة بين أيدي الناس، ولهذا يظنون في الأعداد تخميناً، ولا بد أن تكون الإحصاءات الدقيقة موجودة لدى الدول الأوروبية، ولكنها لا تعلنها على حقيقتها. اليوم عدد المسلمين في أوروبا الغربية والشرقية يتجاوز 60 مليون مسلم.. تم إضافة هذه المعلومة بيوم 17-8-2016 الدوحة – قطر أثناء المراجعة للبحث واعدادا له للنشر قريباً في كتاب مستقل كافة الأعمال التي قدمت في المؤتمرات العالمية.

¹⁴ عن الحركات الدينية الهدامة و جهود المبشرين و المنصرين في ألبانيا انظر مقال المستشرق الهنغاري:

Gyorgy Lederer, *Islam In Albania*, Central Asian Survey, Vol.13. No.3, pp,331-359, 1994, printed in Great Britain

لا يمثل المسلمون فيهما أقلية عرقية أو دينية. أما بالنسبة للجذور التاريخية لوضعهم، فأضاف رحمه الله: أنه يمكن القول إن هناك ثلاث مجموعات رئيسية من المسلمين في أوروبا، المجموعة الأكبر توجد في الجزء الأوروبي من الاتحاد السوفيتي السابق، وخاصة في الاتحاد الروسي، والثانية - وهي الأحدث - يعيش أفرادها في دول غرب أوروبا وهم من المهاجرين وأنجالهم والأوروبيين المتحولين إلى الإسلام... والثالثة وهي الأقدم وهي التي تعيش مجموعات في منطقة البلقان¹⁵. وأما بالنسبة للحقوق الدينية والحريات والحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فذكر رحمه الله: فإن المجموعة الأولى هي في الوضع الأصعب بلا شك، وذلك نتيجة لمرحلة الأيديولوجية الإلحادية والشوفينية الروسية وتدهور الاقتصاد، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي توسع مدى حقوقهم الدينية، ولكن وضعهم الفعلي لم يتغير... أما مسلمو غرب أوروبا فيمثلون عالم الشتات الإسلامي في أوروبا وتختلف أوضاعهم باختلاف أنظمة وثقافات البلدان التي يعيشون فيها، فالأسباب الاقتصادية هي من العوامل الحاسمة في هجرة المسلمين إلى أوروبا.

إن وضع مسلمي البلقان كونهم سكاناً أصليين في أوروبا يحظى بأهمية كبرى بالنسبة لوضع الإسلام في أوروبا، وعلاقة المسلمين مع أوروبا،

¹⁵ بل، و تزيد على عشرة ملايين، كما أشارت إلى ذلك بعض الدراسات، مثل مجلة (المجتمع) الكويتية ، لأن آخر تعداد لسكان دولة كوسوفا على سبيل المثال كان في سنة 1982 م، و أشاروا إلى أن عدد سكان كوسوفا في ذلك الوقت كان يبلغ مليوني نسمة، 98 % منهم مسلمون. و قد مضي عشرون عاماً و نيف على العدد المذكور، لا شك أن هذا العدد قد تضاعف والله أعلم.

وخاصة مع حرصهم على الحفاظ على التراث الإسلامي رغم الضغوط التي كادت أن تقضي عليهم في بعض الحالات كما حدث لمسلمي البوسنة والهرسك و لمسلمي بلغاريا¹⁶ ، و هنغاريا¹⁷ . وكوسوفا في الحرب الأخيرة عام 1997-1999 .

وفي ألبانيا¹⁸ ، حاول الملحد والدكتاتور الراحل أنور خوجة ثني الألبان عن الإسلام طوال نصف قرن من حكمه الجائر - وكما حاول الرئيس الصربي المجرم الذي هلك قبل بضعة أيام في زنزانه التي كان يقبع فيها في المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي، فقد حاول هو الآخر بكل ما أوتي من قوة عسكرية و إيديولوجية أرثوذكسية وحقد صليبي ضد الإسلام و المسلمين أن يطهر أرض كوسوفا تطهيراً عرقياً و دينياً، ولكن أبي الله عز وجل إلا أن يفشل هذا المجرم و أعوانه في هذه الخطة بفضل جيش تحرير

¹⁶ حول أحوال المسلمين في بلغاريا و ما عانوا من النظام الشيوعي البلغاري و الهجرة الجماعية إلى تركيا بسبب الضغوط و الممارسات القمعية من السلطات البلغارية على المسلمين الأتراك..انظر: *Documentation - The Turkish Minority in Bulgaria*, by: Thomas F. Michel, I.C.M.R... Vol.1.No.2.D; *Islam in Bulgaria: a Historical Reappraisal*, by: Petya Nitzova, Religion, State, and Society, Vol.22, No.1,1994

¹⁷ حول أوضاع المسلمين في هنغاريا انظر:

Gyorgy, Lederrer: *Islam In Hungary*, Central Asian Survey, Vol.11,No.1,pp:1-23, 1992, Printed in Great Britain

¹⁸ حول أوضاع الإسلام و أوضاع المسلمين الاجتماعية و الدينية و السياسية في الأراضي الألبانية في العصر الحديث راجع: خوجة، خيرالدين: *الاتجاهات الفكرية و الدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في العصر الحديث - (القرن 19 و 20)*، رسالة الدكتوراه، تحت الطبع، نوقشت في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2003، راجع الباب الأول،ص: 30-100

كوسوفا ثم بفضل تدخل قوات حلف الشمال الأطلسي ناتوا، لقصف المناطق والمدن و القوات الصربية، والحمد لله رب العالمين قطع دابر القوم المجرمين.

لقد أصبح العالم الحديث أكثر ترابطاً بسبب العلوم والتقنية الحديثة والاتصالات والسياسة والاقتصاد والرياضة والسياحة، وأصبح العالم يتقلص جغرافياً، ولكن مع كل أسف لم يؤد ذلك إلى تقليص الفجوة بين الأغنياء والفقراء أو بين مناطق العالم المتطورة وغير المتطورة، بل على العكس فقد أصبحت الفجوة أكبر، فبعد الإمبريالية العسكرية جاءت الإمبريالية الاقتصادية، ونحن الآن نشاهد الإمبريالية التقنية.

أما قضية وفكرة التعايش بين الثقافات، إن البعض ينظر إلى هذه الظاهرة بشكل مختلف، ويفسرها على أساس صراع بين الحضارات الغربية والإسلامية، وأشهر هؤلاء صموئيل هنتنغتون، ولكن اعتقد أن التاريخ يثبت عكس ذلك، فكثير من الثقافات عاشت جنباً إلى جنب، وتمازجت وتعاونت، واستمرت في العيش، ومع ذلك فهناك اعتقاد قوي بأن تاريخ العالم يتحرك من الشرق إلى الغرب وفق ملاحظة بعض المحللين..¹⁹.

أما عن الأوضاع الحالية الدينية و السياسية و الاجتماعية في البوسنة و الهرسك²⁰ كوسوفا²¹، فيرى المحللون المسلمون أن الأوضاع الراهنة ما

¹⁹ موقع الكشاف الإسلامي على الانترنت www.islammemo.cc ، مقالاً للرئيس البوسني الراحل

رحمه الله علي عزت بيغوتش، بعنوان: رؤية علي عزت بيغوتش لوضع المسلمين في أوروبا، بتصرف

²⁰ حول تاريخ البوسنة القديم و الحديث انظر الكتاب:

Malcolm, Noel; *Bosnia – a short history*, Macmilan, London, 1994

زالت متدهورة إلى حد بعيد جداً. فيرى الخبراء المسلمون أن كثرة الوعود التي قطعها المجتمع الدولي تجاه هاتين الدولتين، فإنهم قد حققوا الشيء اليسير منها. فهل استتب الأمن والاستقرار وهل عاد اللاجئون إلى ديارهم؟ وهل ردت الحقوق أو بعضها إلى أصحابها؟ أم أن وعود المجتمع الدولي بإعادة البناء والاستقرار وبضخ ملايين الدولارات التي صحبتها ضجة إعلامية كبيرة ما هي إلا جعجعة في فنجان ومسرحية للضحك على ذقون الضعفاء تكررت في البوسنة وكوسوفا ومقدونيا وصربيا وأفغانستان؟

لقد تورطت الشرطة الدولية و القوات المتعددة الجنسيات لحفظ الأمن و السلام في البوسنة و كوسوفا في فضائح الفساد والرشوة والرديلة، فكما أشارت صحيفة Washington Post، فقد أدينت تلك الشرطة بتهم كثيرة منها التلاعب والفساد والتورط في قضايا جنسية مما جعلها تعيد الكثير من هؤلاء المتورطين إلى بلادهم دون تحقيق، وقد حظيت أمريكا بالنصيب الأكبر من هؤلاء الفاسدين، وبلغ عدد الذين تم إرسالهم إلى بلادهم 1832 منهم 161 أمريكي، وإنهم في الحقيقة ليسوا هناك إلا للتمتع بأطيب الأوقات. فكيف يمكن لبعثة ينخر فيها الفساد القيام بحفظ الأمن وتدريب شرطة البوسنة والهرسك، وعلى ماذا ستدرجها يا ترى؟

من منا لا يتذكر الفظائع وجرائم الحرب التي ارتكبتها الجيش والمدنيون الصرب ضد المسلمين²² ، فقد اغتصبوا النساء وعذبوا الرجال ودفنوا

²¹ حول تاريخ كوسوفا العريق و الحديث انظر:

Malcolm, Noel; *Kosovo – a short history*, Macmilan, London, 1997

²² للتفاصيل حول الحرب المعلنة على الإسلام في البوسنة و الهرسك انظر:

عشرات الآلاف من مسلمي البوسنة والهرسك وألبانيا وكوسوفا أحياء، ولا تزال حتى اليوم تتم عمليات كشف لمقابر جماعية²³، وأن جنود هولندا تواطؤوا بالتستر على قوات الصرب، وأفسحوا لهم المجال لإسقاط مدينة سيربيرينيتشا المسلمة Srebrenica، واعترفت الحكومة الهولندية بجرائم أبنائها الذين شاركوا الصرب في التستر على مذبحه ضد المسلمين.

ماذا كسب مسلمو البوسنة والهرسك وكوسوفا من القبض على الرئيس اليوغسلافي السابق سلوبودان ميلوشوتش Slobodan Mioshevic ؟ و حتى الآن لم يتعاون المجتمع الغربي فيما بينه على قبض المجرمين الآخرين المطلوبين لدى المحكمة الجنائية، راتكو ملادتش Ratko Mladic و رادوفان كاراجيتش Radovan Karaxhic ، فأبي عدل هذا و أي نصرة لهذين الشعبين المظلومين في القرن العشرين !!²⁴.

نتيجة لهذه الإهمال الغربي المتعمد في إعطاء الحقوق السياسية و الإجتماعية و الدينية لمسلمي البوسنة و كوسوفا، فيرى المحللون أن الشعوب المسلمة في البوسنة وكوسوفا ومقدونيا راحت ضحية للظلم وهضم الحقوق مرتين، الأولى عبر جرائم الصرب، والثانية عبر تأمر الدول الكبرى داخل

Gyorgy Lederer, *War on Islam in Bosnia*, Journal Institute of Muslim Minority Affaires, Vol: 13:2, July, 1992.

²³ لقد أعلنت الوسائل الاعلامية العالمية، مثل قناة الجزيرة، و قناة Euro News قبل يومين فقط بتاريخ 15.03.2006 عن اكتشاف مقبرة جماعية جديدة في شرق البوسنة و الهرسك.

²⁴ حول التاريخ الماضي و الحاضر للبوسنة و الهرسك انظر: Malcolm, Noel: *A Short History of Bosnia*، وانظر أيضاً تقرير المشيخة الإسلامية البوسنية في سرايفو بعنوان: *Islamic Community of Bosnia & Herzegovina, Center for Islamic Architecture, Sarejevo, 1995*

منظومة المجتمع الدولي، التي هضمت حقوقها وعلقت مصيرها وعطلت كفاحها المشروع، وعاقبتها بسلسلة من الإجراءات البيروقراطية والمشاريع الوهمية وأدخلتها في متاهات من الوعود، فزادت معاناة الناس مما أدى بهم إلى اليأس والإحباط ولم يعد أمامه إلا خيارين: الهجرة أو خيار الانزلاق في عالم الجريمة التي انفتحت أبوابها وتهيأت ظروفها ..²⁵.
فهذه نظرة موجزة عن أوضاع الجاليات الإسلامية في الغرب، و الآن لننظر ما الذي يجب اتخاذه لضمان حقوقهم في الغرب.

²⁵ راجع موقع الكشاف الإسلامي على الانترنت: www.islammemo.cc مقالاً بعنوان: مسلمو

البوسنة إلى أي شيء وصلوا الآن.

المبحث الرابع: التوصيات والتشريعات المطلوبة تنفيذها لضمان حقوق الأقليات الإسلامية

للخروج من هذه الأزمة الفكرية والدينية والاجتماعية التي ألمت العالم الإسلامي والغربي معاً ينبغي للجاليات الإسلامية و المجتمع الغربي اتخاذ هذه الخطوات:

- 1- بذل مزيد من الجهود من قبل قادة الأديان على تعزيز و تقوية العلاقات الإنسانية عن طريق الحوار ومحاربة التمييز العنصري، و توحيد الجهود لمحاربة الفساد و الرذيلة و المخدرات و البطالة و الاهتمام بالبيئة و تطبيق القانون في البلد الذي يعيشون فيه...، ففي هذه المجالات يمكن التعاون فيها مع أهل الكتاب²⁶.
- 2- الاهتمام بمشاكل المسلمين الاجتماعية من قبل المؤسسات السياسية الغربية، ومعالجة قضاياهم و رفع شكواهم ومطالبهم واقترحاتهم إلى الجهات المعنية والمسؤولة، و الاعتراف بحقيقة تاريخية أن الغرب مدين للإسلام و المسلمين علمياً وحضارياً.
- 3- إعطاء حق التعليم المدرسي والجامعي لأبناء و بنات الجاليات المسلمة، و إبطال فكرة الأصولية الإسلامية التي يتخوفون

²⁶ لتقف على مزيد من الحلول و الإرشادات التي ينبغي اتخاذها راجع موقع الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي:

منها، و ذلك بتخصيص مدارس و مرافق تعليمية الخاصة بهم، كما فعلت هولاندا بتخصيص ست مدارس تحت الإشراف الحكومي المشدد، و كما لليهود و المسيحيين مدارسهم الخاصة.

4- يجب معاملة المسلمين بالتساوي، و عدم تشريع قوانين تمس الإسلام مقدسات المسلمين، كما هو الحال مع وزير التربية والتعليم في فرنسا الذي أجبر سبعمائة فتاة مسلمة على خلع و نزع حجابهن تحت نار التهديد بالفصل من المدارس.

5- عدم التعرض بالأذى للصحة الإسلامية المتزايدة بين الرجال و النساء و الشباب و الفتيات، والتي من مظاهرها التمسك بمبادئ الإسلام و ارتداء الحجاب و الذهاب إلى المساجد و المصليات، و إقامة الاجتماعات الدينية و الندوات العلمية و ممارسة النشاطات الدعوية، بشرط أن يتم ذلك ضمن القانون المسموح به في البلد الذي يعيشون فيه.

6- السماح للمسلمين بممارسة الحقوق السياسية و الانتخابات الحرة، وحق العضوية في البرلمان، حتى تتسنى لهم من خلالها مناقشة قضاياهم الإجتماعية والسياسية، و حتى يخرج المسلمون من هذه العزلة السياسية و الإجتماعية.

7- على الجاليات الإسلامية في الغرب أن يتحدثوا فيما بينهم و يوحدا صفوفهم على مبدأ الشورى، و ذلك باختيار ممثلين من

بينهم. بهذه الطريقة و بهذه الوحدة يكون لهم صوت مسموع لدى الجهات الحكومية التي ينتمون إليها.

8- على العلماء و المشايخ و الدعاة أن يفقهوا واقعهم المعيشي في الغرب، و أنهم ما داموا يشكلون أقلية في أعين هؤلاء الغربيين فإن عليهم أن يفهموا أنهم مطالبون باحترام قانون البلاد الذي يعيشون فيه، و أنه لا يجوز في حال من الأحوال التمرد على ذلك، و لا يكون الأمر كما حدث لبعض رجال الدين في هولاندا عندما أفتى بجرمة المشاركة في الانتخابات المحلية لكونهم لا يحملون جنسيات هولاندية و لأن أعضاء الأحزاب السياسية غير مسلمين!؟

9- توضيح و بيان حقيقة صورة الإسلام و نبي الإسلام و محاسن الإسلام و مزاياه للغربيين، لأنه هناك جهل كبير في أوساطهم و بين مثقفهم.

10- بجانب التوضيح و بيان الإسلام للغربيين، فإنه يجب توضيح وتوعية الأقليات الإسلامية بالفلسفة الغربية و تنوعها العرقي والثقافي و الديني، و أن فكرة الصراع الحتمي للحضارات والثقافات لصموئيل هنتنغتن Samuel Huntington يجب أن لا تقبل، و يجب أن ترفض جملة و تفصيلا، و أن الأمر كما راء بعض المحللين مثل بريان بدهم Brian

Beedham، أنه سيكون هناك بين المسلمين و النصارى

تعاون و تفاهم و تنسيق أكبر بكثير من ذي قبل ²⁷ .

11- علاوة على ما ذكر فإنه يجب على المسلمين عموماً و المسلمين

الذين يعيشون في الغرب على وجه الخصوص أن يقوموا بدور

فعال أكبر على إيجاد توفيق بين الإسلام و العلوم الاجتماعية

الحديثة و تطور الثورة التكنولوجية و الصناعية الحديثة، حتى يتم

من خلال هذا التوفيق و الحفاظ على الهوية الدينية و العرقية في

بيئة غير مستقرة علمياً و ثقافياً وتكنولوجياً و صناعياً.

12- هذا التوفيق بين الإسلام و العلوم الإنسانية الحديثة لا يتم دون

فتح باب الاجتهاد الجديد و تجديد الخطاب الديني ²⁸ ، في

هذا العصر و بالذات في الغرب، لمواجهة التحديات العصرية

الحديثة و التطورات الاجتماعية و الثقافية، و أن لا نكتفي

بالاجتهادات القديمة قبل مئات السنين.

13- المسلمون أدركوا الآن حقيقة شروح و تفاسير العلماء القدامى،

حيث أنهم صاغوا تلك الشروح و التفاسير لبيئات ذات أغلبية

إسلامية في أزمانهم، وليس كالأقلية بين أظهر غير المسلمين.

هناك حاجة ماسة للشروح و التفاسير التي ترشد المسلمين و

²⁷ كما يرى ذلك أيضاً الرئيس البوسني السابق علي عزت بيغوتش رحمه الله.

²⁸ حول أهمية و ضرورة تجديد الخطاب الديني انظر: تجديد الخطاب الديني (الأوراق التي قدمت لمؤتمر تجديد

الخطاب الديني، الذي انعقد في جامعة دمشق خلا الفترة: 10- 12 شباط 2004، فإن فيه فوائد عظيمة،

من اعداد: لجنة البحوث في مركز الدراسات الإسلامية بدمشق. و يمكن زيارة الموقع على الانترنت:

www.altajdeed.org ، وانظر مقالاً بعنوان: (الإسلام بين التجديد المطلوب و التبديل المرفوض)،

في موقع على الانترنت للشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي www.bouti.com .

تلي حاجاتهم كالأقلية، و بالطبع هذا لا يتم إلا باجتهادات جديدة من قبل العلماء و المفكرين، أهل الحل و العقد في هذا العصر²⁹.

- 14- نطالب الغرب بالاعتذار الفعلي، ومن مظاهر هذا الاعتدال: تغيير المناهج الدراسية التي تشوه صورة الإسلام في أهان الأطفال المسلمين وغيرهم في الغرب.
- 15- إيقاف سلسلة موجات الكراهية التي تدعو إلى الاستعداد الحضاري و الثقافي.
- 16- سن قوانين دولية و محلية تجرم كل من يتناول بالإساءة و الازدراء إلى الأديان.
- 17- لوقف موجة الغضب العالمي و الإسلامي في هذه الأزمة، فإنه يتوجب على الغربيين أن يكفوا أيديهم و ألسنتهم عن الظلم و التعسف تجاه المسلمين..
- 18- على الأطراف المعنية بالسلاام (المسلمون و الغربيون) أن يصبوا جل جهودهم و طاقتهم الفكرية و الدينية إلى صناعة و توليد الحب بين الناس، بدلاً من صناعة و توليد البغض والكراهية³⁰.

²⁹ للتفاصيل حول حقيقة حال المسلمين في الغرب راجع بحث الأستاذ زكي بدوي في مجلة (آفاق الإسلام):
Badawi, Zaki, *The Reality of the Situation of Muslims in the West*,
Afaq al- Islam, 2nd -March, 1995, p:32-43

³⁰ حول إيجاد بعض الحلول والاقترحات الأخرى راجع الموقع على الانترنت: www.amrkhaleed.net

19- إنشاء مواقع على الإنترنت متعددة اللغات، بغرض التعريف

عن حقيقة الإسلام و شخصية الرسول ﷺ.

20- غرس الحقيقة الدينية في قلوب الغربيين و الجاليات الإسلامية،

أن الإسلام ينظر إلى العالم على أنه أسرة بشرية واحدة، متعددة

الأعراق و اللغات، يجب التعايش السلمي و يجب قبول الآخر

و الحوار مع الآخر، فنحن و هؤلاء إخوة في الإنسانية، كما

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }،

[النساء:1]

كما قال الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ

وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات:13].

21- غرس المبدأ الإسلامي في نفوس الغربيين و الجاليات الإسلامية

في الغرب أن ديننا دين تسامح و عفو و صفح عن الآخر،

قدوتنا في ذلك القرآن الكريم و سيرة سيد المرسلين ﷺ.

22- غرس الفكرة الإسلامية في نفوس الغربيين و الجاليات الإسلامية

على حرمة سباب الآخر أو إهانته أو إذلاله، قال تعالى: { وَلَا

تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ

كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ }، [الأنعام:108].

- 23- لا بد من محاصرة الفتنة و إخماد نارها و تضييق إطارها، و لا سبيل إلى ذلك إلا بتعاون الطرفين عن طريق الحوار المتبادل.
- 24- اجتماع الجاليات الإسلامية و اتفاهم مع الغربيين على ضرورة نشر الأخلاق الفاضلة من صدق و أمانة و شرف و عزة و إيجابية و كرامة و حرية، و محاربة الأخلاق الذميمة من كذب و غش و سرقة و زنا و مخدرات. فهناك أرضية مشتركة مع هؤلاء القوم في المجالات المذكورة..
- 25- أيضاً يجمع الجاليات الإسلامية خاصة و المسلمين عامة مع الغربيين، الاتفاق على التبادل المادي و الثقافي و المعرفي و التجاري و الحضاري و العلمي..³¹.
- 26- لا نقبل أن يكون انتصارنا لبنينا محمد ع عن طريق العنف والحرق و التدمير لممتلكات الآخرين، و ندين الهجمات الأخيرة على سفارة الدانمرك و النرويج في بيروت و دمشق. و إنما السبيل إلى ذلك الإنكار علناً و الإدانة جهراً بكافة السبل و الوسائل الإعلامية، و الدفاع عن المقدسات الإسلامية بالطرق المشروعة ، مضمونة العواقب و مثمرة النتائج و ضمن و الضوابط الشرعية سلمياً.
- 27- للتخفيف عن آلام و أحزان و مشاعر المسلمين قاطبة و الجاليات الإسلامية خاصة، فإن على دولة الدانمرك و الدول

³¹موقع الأستاذ عمر خالد على الانترنت www.amrkhaled.net ، فإن فيه فوائد عظيمة حول هذه

الغربية الأخرى التي نهجت نهجها، أن تكون أكثر إيجابية و أكثر واقعية في التعامل مع الأزمة الراهنة، و أن لا تكفي فقط بالشجب و الإنكار، بل عليها أن تتخذ الخطوات الجادة و اللازمة في حق هؤلاء الذين أفسدوا أمن البلاد و كدروا صفاء الجو الثقافي والاجتماعي، وذلك بإجبارهم على تقديم الاعتذار الرسمي، و إلا فالعقوبات تكون صارمة وقاسية³².

28- بيان للغربيين و للأقليات الإسلامية في الغرب أن الشريعة الإسلامية الغراء بكل ما جاءت من أحكام و شرائع و قيم تنسجم و تتفق مع تطلعات الإنسان و تحمي حقوقه في كل مكان، أياً كان دينه و مذهبه، و لا يوجد هذا في بقية الشرائع العالمية..³³.

29- نقول للغربيين: يا أيها الغربيون لا تؤذوا الإسلام و المسلمين و لا تخافوا من الإسلام: " .. إن الإسلام الحقيقي ليس هو الخطر على الغرب أو الحضارة الغربية... إن الإسلام هو العلاج الذي يحمي الحضارة الغربية من الانهيار و يشفيها من الأمراض..

30- أيها الغربيون: إن الخطر الحقيقي الذي يترصد بكم و بحضارتكم هو الفساد ذاته الذي سرى إلى جسم الإمبراطورية

³² موقع الشيخ الدكتور سلمان العودة على الانترنت: www.islamtoday.net ، لتقف على مزيد من الحلول و السبل في كيفية مواجهة هذه الأزمة.

³³ راجع حوار الشيخ الدكتور وهبة الزحيلي مع جريدة الوطن في موقعه على الانترنت: www.zuhayli.net ، لتقف على مزيد من هذه الحقائق و مزايا الإسلام الأخرى.

الرومانية و قضى عليها. لقد انصرفتم كلياً في معاملتكم مع الكون إلى الآلة (المادة)، و نسيتم أن الآلة هي التي ينبغي أن تكون في خدمة الإنسان و ليس العكس... العلم يستوجب بالدرجة الأولى أن يتناول الإنسان من حيث ذاته: من هو؟ ما مصدره؟ و إلى أي شيء مآله؟ ما الغذاء الذي يجب أن يقدم لروحه ووجدانه؟ ما هي أهمية الأخلاق في حياته...؟ هذه المصيبة هي التي أورثت إنسان الحضارة الغربية فراغاً في فكره و فراغاً في وجدانه، و فراغاً في إدراكه لعلاقة ما بينه وبين الكون...الكبار منهم لديهم فراغ روحي و عاطفي، ولكنهم مستغرقون في الوظائف و الأعمال العلمية أو السياسية أو الاجتماعية أو المعيشية...إن الذي يشعر بهذا الفراغ الروحي الموحش و المخيف الجيل الجديد، لأنه لا يوجد ما يشغل وقته بتلك الوظائف المختلفة...ألا ترى كيف يفر أحدهم من نتائج هذا الفراغ الفكري و العاطفي إلى أسباب الذهول و النسيان المتمثلة في أنواع المخدرات و المسكرات و أنواع الشذوذ كلها، بدءاً من شذوذ الفكر، إلى شذوذ اللهو الجنوني، إلى شذوذ الجنس، فشذوذات الجريمة و القتل..وأن40% من المدارس الابتدائية في أمريكا يتم إخضاع تلاميذها لجرعات ممددة من المخدرات تحت إشراف أطباء متخصصين لضرورة توفير ما لا بد من التوازن الفكري لديهم..إذن هذا هو الخطر الذي يهدد الحضارة الغربية و ليس الإسلام. فما العلاج؟

- 31- العلاج أن يوجه الغرب اهتمامه إلى الإنسان أكثر في تكوينه الكلي و التعرف على أشواقه و حاجته الروحية و التي لا مجال لإنكارها، و العمل بجد على إجابة الأسئلة السابقة، ضمن مقاييس العلم المنضبط بعيداً عن الخرافات و الأوهام، التي يتقبلها الشباب الغربيون بسبب الفراغ الروحي.. إن الذي ينجدكم و يعرفكم على الحقيقة الكلية للإنسان هو الإسلام..
- 32- لا نقول لكم أيها الغربيون تعالوا و اعتنقوا الإسلام، و لكننا نقول لكم: تفهموا الإسلام بعيداً عن الخرافات و الأفكار الدخيلة، فلسوف تنسجم حقائقه مع تطوراتكم العلمية و تستأنسون به ولسوف تدركون أن الإسلام هو الملاذ للناشئة من الضياع..
- 33- المطلوب: هو التخلي عن نظرتكم إلى الإسلام على أنه خطر داهم، و النظر إليه على أنه صديق صدوق و ملاذ عند الحاجة، و ترك كل من يرغب في دراسته ثم اعتناقه دون أي تضيق..
- 34- فالإسلام هو العلاج لشيخوخة الحضارة الغربية قبل أن يدركها الموت.. " 34.
- 35- هناك: "... مسؤوليات للأقليات الإسلامية نحو المجتمع الذي يعيشون فيه. إن مبدأ الوفاء يقتضي أن يبادل المسلمون

³⁴ مقتطفات من المقال الطويل بعنوان: (نصيحتي إلى الغربيين الذين يتخوفون اليوم من الإسلام) للدكتور

محمد سعيد رمضان البوطي على الانترنت: www.bouti.com ، راجع المقال فإن فيه فوائد جسام.

المقيمون في الغرب ما قدمه الغرب إليهم من علم وتقنيات وغيرها، فيقدم المسلمون لهم بما يتوافر لديهم من مقومات الحضارة الإنسانية التي لا تتوافر لدى الغرب، والغرب بأشد الحاجة إليها.

36- إذا كان المسلمون يعانون من فقر في هذا الجانب، فإن الغرب أيضاً يعاني أبنائه من أمراض في أوضاعهم الاجتماعية وتصوراتهم الفكرية والإعتقادية، وفي مجال الصحة النفسية. لقد آن للإنسان المسلم أن يؤدي واجبه في إنقاذ المجتمع الإنساني عامة والغربي خاصة من هذه المعاناة التي يقاسي منها. وأن يسعى للتخفيف من الأرقام المخيفة التي تتفاقم يوماً بعد يوم.. " 35 .

37- إن على المسلم أن يقدم نفسه إلى المجتمعات التي يعيش فيها من خلال هويته الإسلامية بصورة صحيحة وصادقة، بحيث يترجم الإسلام الذي أنزله الله تعالى؛ ليتيح للمجتمعات التي يعيش فيها أن تتعرف على الإسلام الحقيقي، من خلال فكره وسلوكه وأخلاقه وعلاقاته. وعندئذ يتم تبادل الثقافات وحوار الحضارات بصورة واقعية، لا من خلال الدعوة الكلامية أو على الورق فقط.

³⁵ راجع موقع الكشاف الإسلامي على الانترنت www.islamemo.cc مقالاً بعنوان: الجاليات الإسلامية في الغرب و مسؤوليتها تجاه المجتمع الغربي..، لقد ذكر صاحب المقال أرقاماً خيالية لحالات الطلاق و الانتحار و ملاحئ النساء و العنف العائلي و قتل النساء و مرض الأيدز في المجتمع الغربي و الأمريكي..

38- إن واجب الجالية المسلمة في الغرب أن تكون مظهرًا للانسجام مع البيئة، ولكن ليس من خلال ذوبان الشخصية، وإنكار الأصل الذي انحدرت منه والهوية التي تنتسب إليها، بل من خلال الأخلاق التي تجعل الفرد من أبناء هذه الجالية موضع تقدير واحترام، وتجسد الصورة الصحيحة لهذا الدين.

39- إن على الجالية المسلمة أن تحترم النظم السائدة في المجتمع الذي تعيش فيه، بمقدار ما تكوّن هذه القوانين والنظم صورة حضارية تجسد كرامة الإنسان وإنسانيته، وبمقدار ما تكون سببًا للأمن والاستقرار في المجتمع الذي يعيشون فيه؛ لأن ذلك قاسم مشترك بين المبادئ الإسلامية وتلك النظم.

40- إن هذا يوجب على الجالية المسلمة أن تكون سفير صدق لدينها، ولن يتحقق ذلك إلا إذا كانوا صورة تجسد بصدق مبادئ هذا الدين وأخلاقه. عندئذ سيجدون أثر ذلك في هذا المجتمع الغربي وغيره يتجلى في أعظم مظاهر التقدير والاحترام..

41- إن أول مسؤول عن تشويه صورة الإسلام والمسلمين في نظر الآخرين هم المسلمون أنفسهم، عندما يتناقض كلامهم مع أفعالهم، ويحملون اسم الإسلام ولكنهم في تصرفاتهم وأخلاقهم على نقيض ذلك³⁶.

فهل يتم خلاص البشرية على أيدي المسلمين من جديد؟
و هل يكون المسلمون سببًا لسعادة البشرية وخلصها مرة أخرى ؟

³⁶ المرجع السابق، بتصرف

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

18.03.2006

المدينة المنورة

وقمت مراجعة الدراسة مجددا قبل النشر يوم السبت 16 من ذي الحجة
1437 هـ، الموافق 17 من سبتمبر 2016 بدوحة الخير والبركة - قطر

محاضرات³⁷ منهجية هادفة في سيرة المصطفى صلى الله عليه و سلم

- الدروس والعبر المستفادة -

ألقيتها على طلاب كلية المجتمع بجامعة طيبة بالمدينة المنورة
في مقرر (السيرة النبوية)

من اعداد

الدكتور: خير الدين خوجة

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المساعد

كلية المجتمع جامعة طيبة

2007

³⁷ هذه المحاضرات العلمية ألقيتها على طلابي بالمدينة المنورة في مقرر: السيرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولى: مدخل لدراسة السيرة النبوية، و يشتمل على:

1. التعريف

2. المميزات

3. الأهداف

4. المصادر

1 - التعريف بصاحب هذه السيرة المباركة

بإذن الواحد الأحد الفرد الصمد في هذه المحاضرة المباركة سنتكلم على سيد الأنبياء والرسول، و على سيد ولد آدم، على محمد الأمين و على أحمد الهادي، على نبي الرحمة و الهدى، المبعوث رحمة للعالمين و إلى الناس كافة أجمعين، عليه من الله عز وجل أزكى الصلاة و أتم التسليم..

سنتكلم على أكمل الناس صورة مع وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته، وحسن شمائله، وحلمه واحتماله وعفوه مع قدرته، وصبره وجوده وكرمه وسخائه وحيائه، وسماحته وشجاعته وصفاء

مودته، وحسن عشرته، وشفقته ورأفته بجميع الخلائق، وحرصه على إيمانهم، وتواضعه على جليل قدره، وأمانته و صدقه وعفته، وزهده في الدنيا، وخوفه من ربه وطاعته له وشدة عبادته.. فإنه صلى الله عليه وسلم جمع مكارم الأخلاق وفضائلها. كان خلقه القرآن³⁸، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه.

2 - ميزة هذا النبي العظيم عن غيره من الأنبياء و الرسل

فضل الله جل و علا هذا النبي العظيم عن غيره من الأنبياء و الرسل لحكم كثيرة يعلمها الله عز وجل. و من خلال استعراضنا لبعض الآيات القرآنية للمقارنة، سنرى ذلك الفضل العظيم الذي وهبه الله عز وجل لنبينا محمد صلى الله عليه و سلم.

- قال الله عز وجل في حق موسى عليه السلام، و هو من أولي العزم من الرسل: **﴿الْأَبَابِ ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾** [طه: من الآية84]، و بينما جاء في حق نبينا محمد صلى الله عليه و سلم قوله تعالى: **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾** [الضحى:5] و شتان بين المقامين

- و جاء في القرآن الكريم في حق موسى عليه السلام **﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾** [القصص:16] بينما نجد في القرآن الكريم قال في حق محمد صلى الله عليه و سلم: **﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا**

³⁸ أبو خليل، شوقي: أطلس السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق، سورية، ط4، 2005، ص:5-7

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿[الفتح:1-2]، و شتان بين المقامين

- جاء على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي
صَدْرِي﴾ [طه:25]، وجاء في حق المصطفى المختار: ﴿أَلَمْ
نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1]، شتان بين المقامين..

- و جاء في حق موسى عليه السلام: ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾
[طه:26] و نجد القرآن الكريم في حق محمد عليه السلام، ﴿
وَأُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى:8]، شتان بين المقامين

- من أسماء الله تعالى: الرؤوف، الرحيم، و قد وردت في القرآن الكريم
عشرات المرات، ذكر هذه الأسماء، و قد أعطى الله نبيه محمداً
اسمين من أسمائه، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾
[التوبة:128]

- جاء في القرآن الكريم القسم بحياة محمد صلى الله عليه و سلم،
وهذا يدل على أهمية حياة المقسم به، فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ
لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:72]

- جاء في القرآن نداء النبي صلى الله عليه و سلم بأحب الأسماء إليه،
فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَجُلِّ اللَّهُمَّ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ [الأعراف: 157] و
قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿
[لأنفال: 64]

- معجزات الأنبياء السابقين كانت آنية و لأوقات محددة، بينما
معجزة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم (القرآن الكريم) باقية
خالدة و دائمة، تولى الله عز وجل حفظها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿ [الحجر: 9]
- أثنى الله عز وجل على خلق³⁹ هذا النبي العظيم قائلاً: ﴿ وَإِنَّكَ
لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿ [القلم: 4]

3- الأهداف من دراسة السيرة النبوية، يمكن إجمالها كالآتي:

- 1 - فهم شخصية الرسول النبوية من خلال حياته و ظروفه التي
عاش فيها، للتأكد من أن محمداً صلى الله عليه و سلم لم يكن مجرد
عبقري..و لكنه قبل ذلك رسول أيده الله بوحى من عنده..
- 2 - أن يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى في كل شأن من
شؤون الحياة الفاضلة، كي يجعل منها دستوراً يتمسك به و يسير
عليه..و لذا جعله الله عز وجل قدوة للإنسانية كلها، إذ قال:
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

³⁹ المرجع السابق، 8-9، بتصرف

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴿ [الأحزاب: 21]

3 - أن يجد الإنسان في سيرته عليه الصلاة و السلام ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه و مقاصده، إذ إن كثيراً من آيات القرآن إنما تفسرهاة تجليها الأحداث التي مرت برسول الله صلى الله عليه و سلم..

4 - أن يتجمع لدى المسلم من خلال دراسة سيرته صلى الله عليه وسلم أكبر قدر من الثقافة و المعارف الإسلامية الصحيحة..

5 - أن يكون لدى المعلم و الداعية نموذج حي عن طرائق التربية والتعليم.

6 - أن حياته عليه الصلاة و السلام شاملة لكل النواحي الاجتماعية والإنسانية التي توجد في الإنسان.. فحياته عليه الصلاة و السلام تقدم إلينا نماذج سامية للشباب المستقيم في سلوكه، الأمين مع قومه و أصحابه، كما تقدم النموذج الرائع للإنسان الداعي إلى الله بالحكمة و الموعظة الحسنة.. و لرئيس الدولة الذي يسوس الأمور بحذق و حكمة بالغة، و للزوج المثالي في حسن معاملته، وللاب في عاطفته، و للقائد الحربي الماهر و السياسي الصادق المحنك..⁴⁰.

⁴⁰ البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر، دمشق،

سورية، ط 25، 2005، ص: 15-16

- 7 - " أن تكون السيرة النبوية شيئاً ينمي الإيمان، و يزكي الخلق، و يلهب الكفاح، و يغري باعتناق الحق و الوفاء له..
- 8 - أن يفهم المسلم أن الرسول صلى الله عليه و سلم يجب أن يعيش في قلبه و في ضميره، و في عمله و في تفكيره، و أن لا يكتفى فقط بتحريك لسانه بالصلاة والسلام عليه.. " 41 .

4- مصادر السيرة النبوية:

1. السيرة النبوية - للعلامة أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن هشام
2. الشفاء - للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
3. زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن القيم الجوزية
4. السيرة النبوية - للعلامة الحافظ عماد الدين بن كثير
5. السيرة الحلبية - للشيخ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي
6. المغازي - للعلامة محمد بن عمر الواقدي
7. الروض الأنف - للحافظ عبد الرحمن عبد الله بن السهلي المغربي
8. خاتم النبیین - للعلامة محمد أبو زهرة
9. عبقرية محمد - للأستاذ عباس محمود العقاد
10. السيرة النبوية - للعلامة أبو الحسن علي الحسيني الندوي
11. فقه السيرة - للشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
12. فقه السيرة - الشيخ العلامة محمد الغزالي

41 الغزالي، محمد: فقه السيرة النبوية، دار الشروق، ط2، 2003، ص:6-7

المحاضرة الثانية: العصر الجاهلي - نبذة مختصرة عن الوضع الديني في القرن السادس المسيحي

كما لا يخفى على طالب العلم و أولي الألباب أن الديانات السابقة و صحفها العتيقة و شرائعها القديمة وقعت فريسة للعابثين و المتلاعبين و المحرفين.

" و لو تقصينا تاريخ البشر على ضوء الإيمان بالله تعالى والاستعداد للقاءه، لوجدنا العالم أشبه بمخمور تزيد فترات سكره على فترات صحوه، أو بمحموم غاب عنه في سورة الأُم، رشدته، فهو يهذي و لا يدري... و كم سلخت الدنيا من عمرها قبل أن يظهر محمد صلى الله عليه وسلم... فماذا كان مصير الحضارات في مصر واليونان و في الهند و الصين، و في فارس و روما.. من ناحية العاطفة و العقل.. إن الوثنية الوضعية اغتالتها.. و أمسى - الإنسان - عبداً مسخراً لأدنى الأشياء... و ماذا بعد أن تقدس العجول والأبقار، و تعبد الأخشاب و الأحجار، و تطبق شعوب بأسرها على هذه الخرافة. إن الوثنية هوان يأتي من داخل النفس لا من خارج الحياة، فكما يفرض المخزون كآبته على ما حوله، و كما يتخيل المرعوب الأجسام القائمة أشباحاً جائمة، كذلك يفرض المرء الممسوخ صغار نفسه و غباء عقله على البيئة التي يحيى فيها فيؤله من جمادها و حيوانها ما يشاء... فلما جاء القرن السادس لميلاد

عيسى عليه السلام، كانت منارات الهدى قد انطفأت في مشارق
الأرض و مغاربها... فالجوسية في فارس طليعة عنيدة للشرك الفاشي
في الهند و الصين و بلاد العرب و سائر المجاهل...
[أتيت و الناس فوضى لا تمر بهم - إلا على صنم قد هام في صنم]
[فعاهل الروم يطغى في رعيته - وعاهل الفرس من كبر أصم أعمى ⁴²]

أولاً: اليهودية:

أصبحت اليهودية عبارة عن مجموعة من الطقوس و تقاليد لا روح
لها، لا تحمل للعالم رسالة و لا للأمة دعوة، تسربت إلى اليهودية
كثير من عقائد الأمم التي جاورها أو وقعوا تحت سيطرتها. يشهد
بذلك القاصي و الداني، و تشهد بذلك مؤلفاتهم.. " و قد قبلوا
معتقدات خرافية و مشركة، إن التلمود أيضاً يشهد بأن الوثنية
كانت فيها جاذبية خاصة لليهود.. " ⁴³.

و حتى تلمود و هو كتاب مقدس لدى اليهود و كان متداولاً في
القرن السادس المسيحي، قد كان زاخراً بالتماذج الغربية من خفة
العقل و سخف القول، و الاجترأ على الله، والعبث بالحقائق،

⁴² انظر: الغزالي، محمد: فقه السيرة، ص: 15- 18 بتصرف

⁴³ Jewish Encyclopedia, Vol-XII, p.568-569 ، نقلاً عن : السيرة النبوية لأبي

الحسن الندوي، ص: 24

والتلاعب بالدين والعقل.. مما يدل على الانحطاط العقلي وفساد
الذوق الديني⁴⁴.

ثانياً: المسيحية:

وأما الديانة المسيحية فقد أصيبت هي الأخرى بمصيبة تحريف
الغالين، وتأويل الجاهلين، ووثنية الرومان المنتصرين منذ عصرها
الأول. و أما كيفية تغلغل عقيدة التثليث إلى المجتمع المسيحي منذ
القرن الرابع الميلادي، فإنها جاءت من فكرة و عقيدة.. " بأن الإله
الواحد مركب من ثلاثة أرقام في أحشاء الحياة العالم المسيحي و
فكره منذ الربع الأخير من القرن الرابع، و دامت كعقيدة رسمية
مسلمة عليها الاعتماد في جميع أنحاء العالم المسيحي.. " ⁴⁵.

إن الوثنية تغلغت إلى الديانة المسيحية باسم المسيحية و في
ستارها... حتى أخذوا شهيداً من شهدائهم و لقبوه بأوصاف
الآلهة، ثم صنعوا له تماثلاً، و بهذه الطريقة انتقل الشرك و عبادة
الأوثان.. و لم ينته هذا القرن حتى عمت فيهم عبادة الأولياء
والشهداء. ثم ثم تكونت عقيدة جديدة و هي أن الأولياء يحملون
صفات الألوهية، و أن هؤلاء الأولياء و القديسين صاروا وسطاً

⁴⁴ المرجع السابق، ص: 24

⁴⁵ انظر: دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة، مقال التثليث المقدس، ج 14، ص: 295، نقلاً عن السيرة

النبوية، ص: 25

بين الله و الإنسان يحمل صفة الألوهية على أساس عقائد
الأريسيين..⁴⁶.

وجاء القرن السادس المسيحي و الحرب قائمة بين نصارى الشام
و العراق و مصر حول حقيقة المسيح وطبيعته..يكفر بعضهم بعضا
ويقتل بعضهم بعضاً..⁴⁷.

ثالثاً: أما المجوس

فإنهم عرفوا من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية، أعظمها
النار. فقد عكفوا على عبادتها و بنوا لها هياكل و معابد..مع
تعظيمهم و عبادتهم للنار فإنهم قدسوا الشمس، و أصبحت الديانة
عندهم عبارة عن طقوس و تقاليد يؤدونها في أمكنتهم الخاصة..و
أنه كان واجباً عليهم أن يعبدوا الشمس أربع مرات في اليوم، و
يضاف إلى ذلك عبادة القمر و النار و الماء... و كان أهل إيران
يستقبلون في صلاتهم النار، و قد حلق الملك يزيدجرد- آخر الملوك
الساسانيين- حلف بالشمس مرة، و قال: أحلف بالشمس التي
هي الإله الأكبر ، ثم إنهم دانوا بالثنوية في كل عصر و أصبح
ذلك شعراً لهم، و آمنوا بإلهين اثنين، أحدهما: النور أو إله الخير، و

Rev. James Houston Bzxter: **The History of Christianity in the** ⁴⁶

Light of Modern Knowledge, (Glasgow, 1959),p.407

⁴⁷ المرجع السابق، بتصرف، ص:25-26

يسمونه (آهور مزدا)، (يزدان)، و الثاني، الظلام أو إله الشر..⁴⁸.

رابعاً: البوذية:

فإنها الديانة المنتشرة في آسيا الوسطى و الهند، حيث تحمل معها الأصنام حيث سارت و تبني الهياكل و المعابد و تنصب تماثيل (بوذا)، و لم يزل العلماء يشكون في إيمان هذه الديانة بالإله الخالق للسموات و الأرض و الإنسان و لا يجدون ما يثبت ذلك... أما البرهمية - ديانة الهند الأصلية - فقد امتازت بكثرة المعبودات و الآلهة و الإلهات، حيث بلغ عدد الآلهة في القرن السادس 330 مليون، و عندهم كل شيء و كل شيء جميل و كل شيء نافع إلهاً يعبد. و في هذا العهد ازدهرت صناعة نحت التماثيل... و لا شك أن الوثنية كانت منتشرة في العالم المعاصر كله. لقد كانت الدنيا كلها من البحر الأطلسي إلى المحيط الهادي، و كأنما كانت المسيحية و الديانات السامية والديانة البوذية تتسابق في تقديس الأوثان..⁴⁹.

⁴⁸ المرجع السابق، نقلاً عن: إيران في عهد الساسانيين، ل: آرثر كرستن سين، ص: 155

⁴⁹ راجع: **The Discovery of India**, Jawahir Lal Nehru, p.2001-2002; C.V. Vaidya: **History of Mediaeval Hindu India**, Vol,I (Poona), 1921), p.101

خامساً: العرب

أما العرب الذين آمنوا بدين إبراهيم و قام في أرضهم بيت الله الحرام، و لبعدهم عهد من النبوية و الأنبياء و الانحصار في شبه جزيرتهم، ابتلوا في العصر الأخير بوثنية تشبه الوثنية البرهمية الهندية. حيث كانوا مشركين بالله و اتخذوا مع الله آلهة أخرى، اعتقدوا أن لهم مشاركة في تدبير الكون و النفع و الضر و الإيجاد و الإفناء، حتى أصبت لكل قبيلة و لكل بيت و لكل ناحية و لكل مدينة صنم. و كان في جوف الكعبة الذي بناه إبراهيم عليه السلام 360 صنماً، حيث كان يعبدون الحجر وكانت لهم آلهة من الملائكة و الجن و الكواكب، و كانوا يعتقدون بأن الملائكة هم بنات الله و أن الجن شركاء لله تعالى..⁵⁰.

العرب حين البعثة:

أما العرب فساءت أخلاقهم فأولعوا بشرب الخمر و لعب القمار وبلغت بهم القساوة المزعومة إلى واد البنات، و كانوا يغارون و يقطعون الطرق على القوافل، و سقطت منزلة المرأة، فكانوا يورثونها كما تورث المتاع أو الدابة. و أما من المأكولات فكان منها ما هو خاص بالذكور و محرم على الأزواج، وكان سائغاً للرجل ن يتزوج

⁵⁰ السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 30

ما يشاء من النساء دون تحديد، و منهم من كان يقتل أولاده خشية الفقر و خشية الإنفاق.

العصبيّة القبليّة كانت شديدة و دموية و أشربوا في قلوبهم حب الحرب، و كانت تدوم هذه الحروب أربعين سنة و يقتل فيها ألوف من الناس⁵¹

كان أهل مكة ضعاف التفكير أقوياء الشهوات، ولا صلة بين نضج الفكر و نضج الغريزة، و إن الإنسان ليرى في القرية التافهة و في القبيلة الساذجة من التنافس على المال و الظهور ما يراه في أرقى البيئات.. و قد تجد الشخص لا يحسن فهم مسألة و مع ذلك فإنك تجده يفهم أن لا يكون فلان أفضل منه، و منذ عهد نوح و الحياة تجمع أمثلة شتى لهذا الغباء وهذا العناد. تجد عند أهل مكة كفراً بالله تعالى واليوم الآخر و إقبالاً على نعيم الدنيا... رغبة عميقة في السيادة و العلو و نفاذ الكلمة... عصبيات طائشة تحارب و تسالم من أجل ذلك.. ووجد في هذه القرية من يسابق فرعون في عتوه و طغيانه... قال عمرو بن هشام -معللاً كفره برسالة محمد صلى الله عليه وسلم زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف... قالوا منا نبي يوحى إليه، و الله لا نؤمن به و لا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، و زعموا أن الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقاً لكنت أولاً بها منك، لأني أكبر منك سنناً و أكثر منك مالاً... ووسط هذه

⁵¹ المرجع السابق، ص: 39

الجهالات المركبة و العداوات المقصودة والمضللة و وسط هذه
النماذج التي لا حصر لها من الضلال و الغفلة، اخذ الإسلام رويداً
رويداً ينشر أشعته فأخرج أمة من الظلام إلى النور، بل جعلها
مصباحاً وهاجاً يضيء و يهدي، كما أن الإسلام رفع شعوباً و
قبائل من السفوح إلى القمم...⁵².

⁵² الغزالي، محمد، فقه السيرة، ص: 1-23 بتصرف

الماضرة الثالثة: سر اختيار الجزيرة العربية للرسالة

شاء الله عز وجل أن يختار الجزيرة العربية ليعث نبياً منها. و بمقارنة الجزيرة العربية بغيرها من الدول و القارات في عاداتها و تقاليدها و أديانها، سيظهر لنا سر اختيار الجزيرة العربية لحمل الرسالة الخالدة و الخاتمة إلى العالم.

أوروبا:

الأمم الأوروبية الساكنة في الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب، كانت تعيش في ظلام الجهل والامية والحروب الدامية و التمزق العائلي و الأسري، و كانت بعيدة كل البعد عن الحضارة الإنسانية و العلوم و الآداب، كانت أجسادهم قذرة ووسخة، و كانوا يزهدون في استخدام الماء و النظافة، و لا سيما الرهبان منهم، كانوا يغالون في تعذيب الأجسام، وكانوا يبحثون هل المرأة حيوان أم إنسان، هل لها روح خالدة أم ليست لها روح خالدة، و هل لها حق البيع و الشراء..و قد شبه بعض الباحثين حالة أوروبا منذ القرن الخامس إلى القرن العاشر بجملة حضارية قد تعفنت و انطمست معالمها، و كانوا يعيشون حياة همجية و يحكمها قانون الغابات..و قصارى القول إن القرن السادس المسيحي الذي كانت فيه البعثة الحمديّة كانت من أخط أدوار التاريخ و من أشدها ظلاماً و يأساً..هذا العصر كان اعصر العصبيّة و عدم التسامح و كانت الدولة الساسانية و البيزنطة بينهما حروب، و للفوضى السياسية والاجتماعية

كانت لهما دور كبير في القضاء على هذه الطبقة و كانت من أكبر العوامل على شلل الفكر الإنساني..⁵³.

الإمبراطورية الرومانية الشرقية

هي المعروفة بالإمبراطورية الرومانية البيزنطية، و يعرفها العرب بالروم، و كانت تحكم عدة دول و قارات، مثل يونان و بلقان و آسيا الصغرى و سورية و فلسطين و مصر و أفريقية الشمالية، كانت عاصمتها: القسطنطينية، اسطنبول، و بدأت هذه الإمبراطورية سنة 395م، و انتهت بغلبة الدولة العثمانية على القسطنطينية عام 1454م.

في هذه الدولة حدثت اضطرابات و ثورات كثيرة، و قد هلك عام 532م بسبب الاضطرابات و الثورات 30.000 (ثلاثون ألف شخص) في القسطنطينية.. و كانت هناك تناقض في حياتهم، رسخت في أذهانهم النزعة الدينية والرهبنة، كانوا حريصين جداً على اللهو و اللعب و الطرب والترف. و كانت هناك ميادين رياضية كبيرة يتفرجون على المصارعات الحرة بين الرجال و الرجال أحياناً، و بين الرجال و السباع تارة أخرى.. كانوا يحبون الجمال و يعشقون العنف و الهمجية و كانت ألعابهم دموية. و كانت عقوباتهم فظيعة تقشعر منها الجلود. أما كبرائهم و سادتهم كانت كانوا يعيشون حياة ماجنة و مترفة مليئة بالقبائح و العادات السيئة.. أما دولة مصر فكانت إحدى ولايات البيزنطة الغنية، ولكنها كانت تتعرض لاضطهاد ديني فظيع و استبداد سياسي، وكان البؤس و الشقاء مما يعاني

⁵³ انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، 39- 42 بتصرف

منه مصر، و الرومان اتخذوا مصر شاة حلوباً يحسنون حلبها و لكنهم يسيؤون علفها.. أما سوري فكانت هي ولاية أخرى للبيزنطة، و كان يحكمها الغرباء و كانوا يعتمدون على القوة و لا يظهر تعاطفاً مع شعب السوري المحكوم، و كان السوريون يبيعون أبناءهم لتسديد الديون التي كانت عليهم، و كثرت المظالم والرقيق..⁵⁴.

ويمكن أن نضيف أيضاً أن أرض اليونان أو الإغريق منذ القدم عرفت واشتهرت بأرض الفلاسفة والفلسفة مثل أرسطوطاليس وسقراط وأفلاطون وغيرهم كثير. فلو تم اختيار أرض اليونان للبعث والرسالة النبوية الأخيرة من السهل والمنطقي جدا أن يقال عن ذلك النبي الذي سيبعث أنه قد استقى نبوته وتعاليم رسالته من هؤلاء الأقطاب في الفلسفة!! ولكان من الصعب جدا اقناع الناس بوجود الخالق جل وعلا ونزول الملك بالرسالة والوحي عليه! فعلم الله عز و جل أن تلك الأراضي لا تصلح لبعث النبي فلم يختار منها شيئا، والحمد لله أولا وآخرا، والله يعلم حيث يجعل رسالته ونحن لا نعلم، وكان أمر الله قدرا مقدورا أن يختار آخر الأنبياء والرسول من الجزيرة العربية الخالية من الفلاسفة والعلماء، حتى يكون ذلك أقرب للقبول، والله أعلم.

الإمبراطورية الإيرانية

تأسست على يد (أردشير) سنة 224م و كانت تحكم فارس وأذربيجان وطبرستان وسرخس و جرجان و كرمان و بلخ و خراسان و خوارزم والعراق و اليمن من الجزيرة العربية و بعض ولايات الهند..الزردشتية خلفت

⁵⁴ المرجع السابق، 31-32

المزدائية ديانة إيران القديمة. الزرادشت ظهر في القرن السابع قبل الميلاد.. " اعتنق هذه الديانة ذوو السلطة الحاكمون، و كان من فلسفتها تفضيل زواج الرجل بأخ أو ابنته أو أخته، حتى إن يزدجرد الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بابنته.. " 55.

هذه الديانية منذ تأسيسها كانت تحارب فكرة الحرب القائمة بين النور و الظلام و بين روح الخير و روح الشر أو بين إله الخير و بين إله الشر..مجدد هذه الديانة (ماني) الذي جاء في القرن الثالث المسيحي، فقد كان يدعو إلى حياة العزوبة ظناً منهم أنه سيحسم الشر و الفساد من العالم، و يعلن أن امتزاج النور بالظلمة شر يجب الخلاص منه، فحرم النكاح استعجالاً للفناء و انتصاراً للنور على الظلمة، بقطع النسل و قضى أعواماً في النفي ثم عاد إلى إيران.. 56.

ثم ظهر ضال آخر في أوائل اقرن الخامس المسيحي، اسمه (مزدك)، كانوا يدعو إلى إباحة الأموال و النساء ز جعل الناس شركاء فيها و كان يدخلون على الرجل في داره و يغتصبون أمواله و ينتهكون عرضه.. و قد جاءت في وثيقة إيرانية تاريخية تعرف ب:(نامه تنسر)، جاء فيها: " وانتهكت الأعراض و عم خلع العذار، و نشأ جيل لا كرامة فيه و لا عمل، لم يكن له رصيد و لا ماض مجيد، و ليس هم لمصير الشعب و لا إشفاق عليه، و لا يتصف بكما و مهارة، و كانت تسيطر عليهم اللامبالاة و البطالة، و كانوا بارعين في النميمة و الخبث و الافتراء و

55 البوطي، محمد سعيد، فقه السيرة، ص: 30، و راجع: الملل و النحل للشهرستاني، ج2، 86-87

56 المصدر السابق، 33-34

البهتان، و اتخذوا ذلك وسيلة لكسب القوت و الوصول إلى الثروة
والجاه.."

ونتيجة لذلك انتشرت ثورات الفلاحين، و كان النهابون يدخلون في قصور
الأغنياء و ينهبون ما يجدون من أموال و أثاث و يلقون القبض على النساء
ويستولون على الأملاك و العقارات..

وفي عهد الساسانيين (عهد أفضل ملوك إيران - وكسرى كان من أفضل
ملوكهم) في القرن السادس الميلادي، كانت الأحوال سيئة جداً، كان
الشعب تحت رحمة الملوك الذين كانوا يحكمون بالوراثة و يرون لأنفسهم
فضلاً على غيرهم و أنهم فوق بني آدم، و كانوا يخاطبون بكلمة: (الإله)،
و تضاف إليهم الإلوهية بطريقة هينة..و كانت موارد البلاد كلها بيد هؤلاء
الملوك المترفين و المسرفين..و كان لملوكهم خدم و زوجات و جوار و غلمان
و طهارة مربين للطيور و السباع..التفاصيل الأسطورية مما يدهش لها
الإنسان..

و وصل الحال بملك (يزدجر) آخر ملوك إيران، أنه لما خرج من
عاصمته(المدائن) هارباً من الفتح الإسلامي العربي حتى ينجو بنفسه، أخذ
معه ألف طاه، و ألف مغن، و ألف قيم للنمور، و ألف قيم للبزة و
حاشية أخرى..

حصل هذا بجانب ما كان يعانيه الشعب من بؤس و شقاء و فقر و تعب
وعناء و تدمر و بكاء و جوع و ضرائب ثقيلة، يعيشون كالبهائم، بين المملكة

الساسانية الشرقية و المملكة الغربية البيزطية حروب، لا مصلحة للشعب و
لا رغبة..⁵⁷.

الهند:

أما الهند فبرز أهلها في العلوم الرياضية و علم الفلك و الطب و التعمق في
الفلسفة، اتفق المؤرخون على أن أحط أطوارها ديانة و خلقاً و اجتماعاً
كان في مستهل القرن السادس الميلادي. حيث انتشرت الخلاعة و الفجور
في المعابد و لا عيب فيها..و كانت المرأة لا قيمة لها و لا عصمة، و كان
الرجل يخسر امرأته في القمار، وإذا مات زوجها صارت كالميتة لا تتزوج و
لا تستحق احتراماً، و انتشرت عادة إحراق اليتامى نفوسهن بعد وفاة
أزواجهن خاصة في الطبقات الأريستوقراطية إظهاراً للوفاء و فراراً من
الشقاء، و لم تزُل إلا بعد الاحتلال الإنكليزي، و امتاز الهند بين جاراتها
بالتفاوت الفاحش بين طبقات الشعب والامتياز بين الإنسان و
الإنسان.. كان نظاماً قاسياً لا هوادة و لا مرونة، مدعماً بالدين والعقيدة،
و قسم المشرعون الهنديون في قانونهم المدني الذي كانت لهم صفة دينية
سكان الهند إلى أربعة طبقات:

1- طبقة الكهنة و رجال الدين، هم (البراهمة)

2- و رجال الحرب و الجندية، و هم (شترى)

3- و رجال الفلاحة و التجارة، و هم (ویش)

⁵⁷ المرجع السابق، ص: 35-36، بتصرف

4- و رجال الخدمة و هم (شودر)، و هم أحط الطبقات؟؟ و ليس لهذه الطبقة إلا خدمة الطبقات الثلاثة الأولى، و أن كفارة قتل الكلب القطة و الضفدع و الوزغ و الغراب و البومة و رجل من الطبقة المنبوذة سواء بسواء..

هذا القانون منح البراهمة مركزاً و مكاناً لا يشاركهم فيها (شودر)، الرجل البرهمي رجل مغفور له و لا يجوز فرض جباية عليه، و لا يعقب بالقتل في حال من الأحوال، أما (شودر) فليس لهم أن يقتنوا مالاً أو يدخروا كنزاً أو يجالسوا برهيمياً أو يمسه بأيديهم أو يتعلموا الكتب المقدسة.. و كانت تعيش في عزلة من العالم و يسيطر عليها الجمود و التزمت و العادات والتقاليد والتفاوت الطبقي و التعصب الدموي..⁵⁸.

سر اختيار جزيرة العرب

و قد اختار الله عز وجل العرب ليتلقوا هذه الدعوة أولاً ثم يبلغوها للآخرين للأسباب الآتية:

1- أن ألواح قلوبهم كانت صافية لم تكتب عليها كتابات دقيقة يصعب محوها وإزالتها، شأن الروم و الفرس و الهند، الذين كانت عندهم عقد نفسية و فكرية لم يكن من السهل حلها. أما العرب فلم تكن في نفوسهم إلا كتابات بسيطة سببها الجهل والبداءة و من السهل محوها وغسلها و رسم نقوش جديدة فيها.

⁵⁸ المصدر السابق، ص: 37-38

2- كانوا على الفطرة و أصحاب إرادة قوية، أحبوا الحق و ماتوا في سبيله..

3- كانوا جادين واقعيين، أصحاب صراحة و صرامة، لا يخدعون غيرهم و لا أنفسهم، اعتادوا القول السديد و العزم الأكيد.

4- كان العرب بمعزل عن الترف و البذخ التي يصعب علاجها..

5- كانوا أحاب صدق و أمانة و شجاعة، ليس النفاق من طبيعتهم..

6- كانوا مغاوير حرب و أحلاس خيل و أصحاب جلادة و تقشف في الحياة، وكانت تتمرس الفروسية هو الخلق البارز ع عندهم..

7- كانت قواهم العقلية و الفكرية مواهبهم الفطرية لم تستهلك في فلسفات خيالية وجدال عقيم بيزنطي، و حروب إقليمية سياسية.. فكانت أمة بكرةً دافقة بالحياة و النشاط و العزم و الحماس..

8- كانوا أمة نشأت على الحرية و المساواة و حب الطبيعة، و لم تخضع لحكومة أجنبية، و لم تتمرس الغطرسة الملوكية الإيرانية أو الرومنية و احتقارها للإنسان..

9- إذا قورن ذلك بما اعتاده العرب من الحرية و عزة النفس ة الاقتصاد في التعظيم والأدب قبل ظهور الإسلام ظهر فرق هائل بين طبيعة الأمتين ووضع العجمي والعربي..، فكان العرب يخاطبون ملكهم: أبيت اللعن، و عم صباحاً، حتى أن بعضهم امتنع عن الخضوع

لمطالب الأمراء و الملوك، كما في قصة الفرس الذي طلبه أحد الملوك من بني تميم في الجاهلية..

أبيت اللعن إن سكاب علق - نفيس لا تعار و لا تباغ،
فلا تطمع-أبيت اللعن-فيها - و منعكها بشيء يستطاع

10- كانت هذه الجزيرة بين قوتين متنافستين، قوة المسيحية وقوة

المجوسية و قوة و قوة الشرق، و ظلت رغم ذلك محتفظة بجزيرتها وشخصيتها ولم تخضع لتلك الدولتين إلا في قبائلها..⁵⁹

11- "كانت طبائعهم أشبه ما تكون بالمادة الخام التي لم

تنصهر بعد في أي بوتقة محولة، فكانت تترأى فيها الفطرة الإنسانية السليمة و النزعة القوية إلى الاتجاهات الإنسانية الحميدة، كالوفاء و النجدة و الكرم و الإباء و العفة. إلا أنهم كانت تعوزهم المعرفة التي تكشف لهم الطريق إلى ذلك..

12- " ثم إن الجزيرة العربية تقع بالنسبة لرقعتها الجغرافية في نقطة

الوسط بين هذه الأمم التي كانت تموج من حولها.. بين الحضارة الغرب المادية و بين حضارة الشرق الروحية الخيالية..."

13- "شاءت حكمة الله أن يكون الرسول المبعوث أمياً و أن

يكون القوم الذي أرسل إليهم أميين في غالبيتهم العظمى، كما قال تعالى: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي

⁵⁹ المصدر السابق، ص: 42-49

- ضلالٍ مُبينٍ}، [الجمعة:2] ، لا يتلو من كتاب و لا يخطه بيمينه حتى لا يرتاب الناس في نبوته صلى الله عليه وسلم و حتى لا تتكاثر لديهم أسباب الشك لدعوته صلى الله عليه وسلم.."
- 14- " أن الله عز وجل جعل البيت الحرام مثابة للناس و أمناً وهو أول بيت وضع للناس للعبادة و إقامة الشعائر الدينية، تحقيقاً و تمديداً لدعوة ملة إبراهيم حنيفاً، و ما كان من المشركين.."
- 15- اقتضت حكمة الله عز وجل أن تكون اللغة العربية هي لغة دعوة الإسلام وأن تكون هي لغة القرآن، نظراً لخصائصها ومميزاتها عن اللغات الأخرى، و الله أعلم، و الله أعلم حيث يجعل رسالته..⁶⁰

⁶⁰ البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة (النقاط 11- 15)، ص: 30-33

المحاضرة الرابعة: جزيرة العرب قبل البعثة

أولاً: طبقات العرب:

اتفق الرواة و أهل الأخبار على تقسيم العرب من حيث التقدم إلى:

1- عرب بائدة،

2-عرب عاربة،

3-و عرب مستعربة أو المتعربة،

و اتفقوا أيضاً على تقسيم العرب من حيث النسب إلى قسمين:

1- قحطانية، منازلهم الأولى في اليمن،

2- و عدنانية، منازلهم الأولى في الحجاز،

ويرى البعض أن القحطانية هم الأصل، و العدنانية هم الفرع، يرى بعض المحققين في هذا العصر أن العدنانيين هم الأصل، و كان بين القحطانية و العدنانية عداً شديداً ظل هذا العداً قرونًا طويلة..و إسماعيل هو الجد الأكبر للعرب المستعربة أو المتعربة، سمو بذلك لأن إسماعيل كان يتكلم السريانية أو العبرية، فلما نزلت قبيلة جرهم -من القحطانيين- إلى مكة سكنوا معه و مع أمه و تزوج منهم و تعلم هو و أبناؤه العربية، فسموا (العرب المستعربة).

ولكن هذا لا يصح، لأن عصر إبراهيم عليه السلام و ابنه هو عصر عربي قائم بذاته، فإبراهيم و ابنه إسماعيل ينتميان إلى القبائل الآرامية العربية القديمة، ليست له صلة بعصر اليهود، و قد أشار القرآن الكريم إلى هذه

الحقيقة: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }، [آل عمران:67]

لأن إبراهيم عليه السلام ولد بجنوبي العراق، و استقر في مدينة أور الكلدانية، و قرية كوئي هي قرية بالكوفة و فيها كانت فيها محاولة الإحراق لإبراهيم عليه السلام، ثم سار إلى حران شمال الجزيرة، ثم إلى فلسطين و معه زوجه سارة و ابن أخيه لوط عليه السلام، و من ثم انتقل مع ابن أخيه لوط إلى مصر..

ثم عاد مع لوط إلى جنوب فلسطين، ثم افترقا ليجد كل منهما سقاية و كلاً لماشيته، فسكن لوط في جنوب البحر الميت في بحيرة لوط، و سار إبراهيم مع زوجته الثانية(هاجر) إلى مكة المكرمة و معه ابنه إسماعيل عليه السلام، و تركهما في واد غير ذي زرع وتفجر ماء زمزم، ثم جاءت جرهم عن طريق (كداء) ..

مات إبراهيم عليه السلام و دفن في مدينة الخليل (حبرون) في فلسطين..⁶¹.

ثانياً: وحدة اللغة:

امتازت الجزيرة العربية على سعتها و امتدادها و تشتت قبائلها بوحدة اللغة بين أبناء الجزيرة العربية، حضرهم و بدوهم و القحطاني منهم و العدناني، على اختلاف لهجاتها و فروقها الإقليمية.. فاللغات تختلف في

⁶¹ انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، ص: 66-67، وانظر: أطلس السيرة النبوية، ص: 23-24

لهجاتها بمسافات طويلة أو قصيرة، و هذه الوحدة في اللغة يسرت الدعوة الإسلامية و سرعة انتشار الإسلام فيها..⁶².

ثالثاً: صلة الجزيرة العربية بالأديان السابقة

والجزيرة العربية مهد نبوات كثيرة، ومبعث عدد من الأنبياء، قال تعالى: {وَأذْكُرْ أَهْلَ عَادٍ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التُّدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}، [الأحقاف:21] ، و عاد من العرب الجبارين و العرب البائدة على قول المؤرخين، و كان موطنها الأحقاف، و الحقف كثيب مرتفع من الرمال، و كانت منازلهم في جنوب الجزيرة، في جنوب الربع الخالي قريباً من حضرموت، فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية، جلبت عليهم طوفاناً من الرمال..

و قوله تعالى: { وَقَدْ خَلَّتِ التُّدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ } ، دليل على أن هوداً عليه السلام سبقه و لحقه أنبياء..

وكذلك نبي الله صالح عليه السلام أرسل إلى ثمود، و ثمود كانت تسكن جزيرة العرب في (الحجر)، (مدائن صالح)، الذي بين الحجاز و تبوك، و قد أشار القرآن الكريم إلى هذا: { وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ. فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ [الحجر:80-83] ⁶³.

⁶² السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، ص:67

⁶³ المرجع السابق، 70-71

رابعاً: علاقة دعوة محمد بالدعوات السماوية السابقة

يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: [مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل يبنى بيتاً فأحسنه و أجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له و يقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة و أنا خاتم النبيين]، فدعوته قائم على أساس التأكيد و التتميم، كما يدل الحديث المذكور.

وبيان ذلك أن دعوة كل نبي تقوم على أساسين اثنين: 1- العقيدة، 2- التشريع و الأخلاق. أما العقيدة فلم تختلف مضمونها منذ بعثة آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين.. و كان كل نبي يأتي مصداقاً لدعوة من قبله من الرسل، هكذا تلاحقت بعثتهم إلى مختلف الأقسام لتحقيق العبودية و الدينونة لله عز وجل. و قد بين الله عز وجل هذا في القرآن الكريم: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } [الشورى:13]، و من غير المعقول أن تختلف دعوات الأنبياء في العقيدة، لأن أمور العقيدة من نوع الإخبار، فلا يمكن أن تختلف الأخبار من واحد إلى آخر، و لا يمكن أن يقول نبي إن الله ثالث ثلاثة، سبحانه عما يقولون، ثم يبعث نبي من بعد يقول إن الله واحد لا شريك له..

أما التشريع والأحكام فكانت تختلف في الكيف الكم من نبي لآخر، لأن التشريع من الإنشاء و ليس من نوع الإخبار، ومن المفروض أن يكون للتطور الزمني أثر في تطور التشريع واختلافه، لأن فكرة التشريع قائمة على أساس مصالح العباد، و أن بعثة كل نبي كانت خاصة بأمة معينة و لم تكن عامة لجميع الناس، فكانت الأحكام التشريعية محصورة في إطار ضيق حسبما تقتضيه مصالح تلك الأمة..

مثال على ذلك شريعة موسى.. كانت قائمة على أساس العزائم لا الرخص، شريعة شديدة.. و جاء عيس عليه السلام بعده بشريعة أسهل و أيسر.. قال تعالى: { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.. }، [آل عمران:3] و قال تعالى: { وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا }، [آل عمران:50] ، و بناء على هذا فإن بعثة كل رسول تتضمن عقيدة و تشريعاً، فالعقيدة تأكيد للعقيدة التي بعث بها الرسل، و أما التشريع، فإن شريعة كل رسول ناسخة للشريعة التي قبلها و التي سبقها..، إلا ما أيده التشريع المتأخر، أو سكت عنه..

و من هذا العرض يتضح أنه ليس هناك أديان سماوية متعددة، و إنما توجد شرائع سماوية متعددة، نسخ اللاحق منها السابق، إلى أن استقرت الشريعة الأخيرة التي قضت حكمة الله أن يبلغها خاتم الرسل والأنبياء، أم الدين الحق فواحد..

بهذا الدين بعث إبراهيم و إسماعيل و يعقوب، قال تعالى: { وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ

لَمِنَ الصَّالِحِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } [البقرة: 130-132] ..
 و به بعث موسى إلى بني إسرائيل، قال تعالى: { قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ.
 وَمَا نَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبِّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنا
 مُسْلِمِينَ }، [الأعراف: 125-126].

وبه بعث عيسى عليه السلام، قال تعالى: { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ
 وَاشْهَدَ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }، [آل عمران: 52]

فالأنبياء كلهم بعثوا بالإسلام الذي هو الدين عند الله، و أهل الكتب يعلمون وحدة الدين و يعلمون أن الأنبياء إنما جاؤوا ليصدق بعضهم بعضاً، ولكنهم اختلقوا على أنبيائهم ما لم يقولوه..⁶⁴ .

خامساً: الجاهلية و ما كان فيها من بقايا الحنيفية

هذه مقدمة هامة لا بد من دراستها قبل لخوض في مباحث السيرة النبوية. و خلاصة القول فيها أن الإسلام ما كان إلا امتداد للحنيفية السمحة التي بعث الله بها إبراهيم عليه السلام، وقد صرح الله عز وجل بذلك في القرآن الكريم قائلاً: { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

⁶⁴ البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، 34-36

وَأَثُوا الرِّكَاءَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ {
[الحج:78].

فلما امتد بهم الزمان و القرون أخذوا يخلطون الحق بالباطل، فدخل فيهم الشرك و اعتادوا عبادة الأصنام و تسربت إليهم العادات و التقاليد الفاحشة فابتعدوا هم التوحيد وعن منهج الحنيفية السمحة و عمت بينهم الجاهلية..و كان أول من أدخل فيهم الشرك و عبادة الأصنام عمر بن لحي بن قمعة جد خزاعة..فهو أول من غير دين إسماعيل عايه السلام فنصب الأوثان و بحر البحيرة و سيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي، و قد قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنه في الحديث الصحيح [رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قصبه في النار]، و قصته معروفة في كيفية إدخاله عبادة الأصنام في أرض العرب، لما خرج في بعض أسفاره من مكة إلى الشام ففي الطريق رأى ناساً يعبدون الأصنام فقال ما هذه الأصنام التي تعبدونها، فقالوا قالوا أصنام نعبدها نستمطر فتمطر، نستنصر فتنصرنا..صلة فقال لهم: أفلا تعطوني صنماً فأسير به إلى أرض العرب، فأعطوه صنماً يقال له هبل..فقدم مكة و أمر الناس بعبادته و تعظيمه، والقصة في سيرة ابن هشام، ج1، 76-77..

غير أنه بقيت منهم بقية من الناس ظلت متمسكة بعقيدة التوحيد سائرة على نهج الحنيفية السمحة، تصدق بالبعث و النشور و توقن ب، الله يثيب المطيع و يعقب العاصي، و اشتهر من هؤلاء كثيرون، منهم: قس بن ساعدة الإيادي، و رثاب الشني، و بجيرا الراهب..

كما أنه بقيت في عاداتهم بقايا من عهد إبراهيم و مبادئ الدين الحنيف وشعائره، مشوهة فاسدة، و ذلك كتعظيم البيت و الطواف الحج و العمرة و كالوقوف بعرفة..، فأصل هذا من عهد إبراهيم عليه السلام، و لكنهم كانوا يطبقون على غير وجهه و يقحمون فيه الكثير ما ليس منه..مثل إهلالهم بالحج و فيها ألفاظ شركية، مثل: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لبيك إلا شريك هو لك، تملكه و ما ملك..).⁶⁵ .

⁶⁵ البوطي، محمد سعيد، فقه السيرة، بتصرف

المحاضرة الخامسة: من الميلاد إلى البعثة العظيمة

- 1- نسبه الكريم صلى الله عليه وسلم: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، و يدعى شيبه الحمد، ابن هاشم بن عبد مناف و اسمه المغيرة، ابن قصي و يسمى زيداً، بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، و ينتهي نسب عدنان إلى سيدنا إسماعيل نبي الله بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام..و كان لعبد المطلب سيد قريش 10 أبناء، و عبد الله واسطة العقد، و تزوج بآمنة بنت وهب سيد بني زهرة. روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل و اصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش و اصطفاني من بني هاشم]
- 2- ولادته الكريمة: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين في الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل، الموافق: 570م، وقيل: 571/04/20م، و قيل في: 571/04/22م، فكان أسعد يوم طلعت فيه الشمس.
- 3- ولد الرسول صلى الله عليه وسلم يتيماً فقد مات أبوه عبد الله وأمه حامل به لشهرين، فعني به جده عبد المطلب، و استرضع له على

- عادة العرب امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها حليلة بنت أبي ذويب، و بقي عندها سنتين يرضع ثم فصلته...
- 4- و أثناء وجوده صلى الله عليه وسلم عند حليلة السعدية حصلن حادثه شق الصدر، فجاءه ملكان و شقا بطنه و استخرجان قلبه علقه سوداء فطرحاه، ثم غسل قلبه ورداه كما كان..
- 5- و لما أصبح له من العمر ست سنوات ماتت أمه آمنة في مكان بين مكة و المدينة، و انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كفالة جده عبد المطلب..
- 6- و لما بلغ من العمر ثمان سنوات مات جده عبد المطلب أيضاً، فذاق صلى الله عليه وسلم مرارة اليتيم مرة ثانية، فكفله عمه أبو طالب بعد وفاة جده..
- 7- و لما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم من العمر تسع سنين و قيل اثنا عشر سنة، خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام في التجارة. و في طريقهم إلى الشام نزلوا مدينة أو قرية بصرى، و مروا على راهب هناك اسمه (بحيرى) (سرجياس)، و كان عليماً بالإنجيل و النصرانية. و لما رأى الراهب آثار النبوة اهتم بهم و صنع لهم طعاماً على غير عادته، نبه أبا طالب على علو مكانته، و قال له: أرجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه من اليهود، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم.. و قد تكلم في صحة هذه القصة كثير من النقاد و المحدثين رواية و دراية، و لكن عامة كتب السيرة ذكروها، فهذا يعني أن لها وجهاً من الصحة و أنها متواترة..

8- ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل فترة الشباب من عمره فبدأ بالسعي للرزق وراح يشتغل برعي الغنم، وقال صلى الله عليه وسلم عن نفسه فيما بعد: [كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة..].

9- ولما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أربع أو خمس عشرة سنة كان حرب الفجار بين قريش و بين قيس و شهد الرسول صلى الله عليه وسلم أياماً و كان ينبل لأعمامه و فيه عرف الحرب و عرف الفروسية و الفتوة..

10- و لما بلغ صلى الله عليه وسلم خمساً و عشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد و هي من سيدات قريش و فضليات النساء، رجاحة عقل و كرم و أخلاق و سعة مال، وكانت أرملة، توفي زوجها أبو هالة و كان عمرها إذ ذاك أربعين سنة.. فلما بلغها عن صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم و أمانته أرسلت إليه ليخرج في مالها و معه غلامها ميسرة، فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا العرض و خرج إلى الشام، و عاد إلى خديجة بأرباح هائلة، فعرضت عليه نفسها و خطبها إليه عمه حمزة و خطب أبو طالب الخطبة فكان الزواج، و منها كان أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إبراهيم فإنه كان من مارية قبطية..

11- قصة بناء الكعبة: و لما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم خمساً و ثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنين الكعبة. فلما بلغ البنين موضع الركن اختصموا في الحجر الأسود، و أعدوا للقتال و قربت بنو عبد

الدار جفنة مملوءة دماً و تعاقدوا مع بني عدي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم..و مكثت قريش على ذلك أياماً ثم اتفقوا على أول داخل من باب الكعبة، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد.. إلى آخر القصة.

12- حلف الفضول: و شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف الفضول، و سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل أحد أشرف قريش فحبس عنه حقه، فاستعدى الزبيدي أشرف قريش و لكنهم أبو ، فهاجت الغيرة من ذوي المروءة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، فصنع لهم طعاماً و تعاقدوا و تعاهدوا بالله ليكونوا يداً واحدة مع المظلوم على الظالم، فسمت قريش ذلك بحلف الفضول، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانترعوا منه سلعة الزبيدي، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مغتبطاً بهذا الحلف متمسكاً به حتى بعد البعثة، فقال صلى الله عليه وسلم: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت..⁶⁶

العبر و العظات من هذه الأحداث:

1- فيما يتعلق بنسبه الشريف ففيه الدلالة على أن الله ميز العرب على سائر الناس وفضل قريشاً على سائر القبائل الأخرى، و

⁶⁶ انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 99-144، و انظر: فقه السيرة للبطي، ص: 44-59

يدل على ذلك ما رواه الإمام الترمذي، أنه صلى الله عليه وسلم قام على المنبر فقال: [من أنا ؟ فقالوا: أنت رسول الله عليك السلام، فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم في قبائل فجعلهم فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتناً فجعلني في خيرهم بيتاً و خيرهم نفساً..]

2- أن مقتضى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتضي محبة القوم الذين ظهر فيهم و القبيلة التي ولد فيها، لا من حيث الأفراد و الجنس بل من حيث الحقيقة المجردة..

3- ليس من قبيل المصادفة أن يولد الرسول صلى الله عليه وسلم يتيماً، ثم يفقد جده أيضاً، و فيها حكم باهرة، من أهمها أن لا يكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الريبة في القلوب و تشكيك الناس بأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد شرب منذ صباه إرشادات و توجيهات أبيه و جده..

4- رضاعته في حليلة السعدية كان له شأن كبير في حصول البركة على مزرعتها وماشيتها و ذلك بسبب علو شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لا عجب من ذلك فقد علمتنا شريعتنا عند انحباس المطر و القحط أن نستسقي ببركة الصالحين من الناس و من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم رجاء ان يستجيب الله لدعائنا..

5- تعد حادثة شق الصدر من إرهابات النبوة و دلائل اختيار الله له لأمر جليل، وليس المراد منه استئصال غدة الشر في جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأمك أن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية، و لكن يبدو أن الحكمة الإلهية هو إعلان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم و تهيؤه للعصمة و الوحي منذ صغره بوسائل مادية ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس و تصديقهم برسالته. إذن إنها عملية تطهير معنوي اتخذت هذا الشكل المادي الحسي..و ميزان قبولنا لهذه الحقيقة و ما أشبهها هو صحة الرواية و صدقها و ميزان دلالات اللغة العربية وأحكامها..

6- في حادثة بحيرى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو حديث رواه عامة علماء السيرة، على أن أهل الكتاب من يهود و نصارى، قد كان عندهم علم ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم و كان عندهم معرفة بعلاماته، و ذلك بواسطة ما جاء في التوراة و الإنجيل من خبر بعثته و علاماته..و أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس و الخزرج بقرب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، و أنهم سيقاتلون معه ضدهم، و قد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة: { وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } ، [البقرة:89]، . و لقد كان سبب إسلام سلمان الفارسي تتبع خبر النبي صلى الله عليه وسلم و صفاته من الإنجيل و الرهبان وعلماء الكتاب.

7- أما رعيه للغنم فقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أ، يرفع بعض التكاليف عن عمه أبي الطالب، ففيه ذوق رفيع عن الشكر و إن كان قليلاً، كما أن فيه إشارة إلى نوع الحياة التي يرتضيها الله عز وجل لعباده الصالحين في دار الدنيا، و كان على القدرة الإلهية أن يهيبئ له حياة الرفاهية، و لكن فيه إشارة أن خير مال الرجل هو ما يكسبه بكد يمينه و لقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه، و أن شر المال الذي يكسبه الإنسان و هو مستقل على ظهره دون أن يرى أي تعب في سبيله.. كما أن فيه حكمة أخرى بأن صاح أي دعوة، لن تكون لدعوته أي قيمة إذا كان كسبه و رزقه من وراء دعوته، فحتى يكون الإنسان حراً فلا بد له من مورد شريف خاص له حتى يستطيع أن يصدع بكلمة الحق غير خائف من أحد..

8- أما عمله صلى الله عليه وسلم في مال خديجة فهو استمرار لحياة الكدح التي بدأها برعي الأغنام. و أما فضل خديجة و منزلتها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ظلت في مكانة سامية عنده طول حياته، و قد ثبت في الصحيحين أنها خير نساء زمانها على الإطلاق لحديث علي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [خير نساءها مريم بنت عمران و خير نساءها خديجة بنت خويلد]، و روى البخاري و مسلم أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: [ما غرت علنساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة، و إني لم

أدركها، وقالت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا إلى أصدقاء خديجة، قالت: فأغضبته يوماً فقلت خديجة! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني قد رزقت حبها، و في الروايات الأخرى [... لا والله ما أبدلني الله خيراً منها : آمنت إذ كفرت الناس، و صدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء] .

9- وأما قصة زواجه منها فإن أول ما يدركه الإنسان من هذا الزواج هو عدم اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بأسباب المتعة الجسدية و مكملاتها.. و يتجلى لنا أنه صلى الله عليه وسلم إنما رغب منها لشرفها ونبلها بين جماعتها و قومها.. و ظل هذا الزواج إلى أن توفيت خديجة و عمرها خمس و ستون، و عمر النبي صلى الله عليه وسلم خمسون، و لم يفكر خلالها بالزواج بإمرأة أخرى.. و في هذا دليل كبير لكي نلجم أفواه المبشرين والمستشرقين و الذين يأكل الحق أفئدتهم على الإسلام و قوة سلطانه.. فقد حاولوا أن يصوروا الرسول صلى الله عليه وسلم بالرجل الشهواني الغارق في لذة الجسد العازف في معيشته المنزلية و رسالته العامة.. والمستشرقون و المبشرون هم الخصوم المحترفون للإسلام، يتخذون القدح في الدين صناعة يتكسبون منها..

10- أما قصة بناء الكعبة، ففيها أهمية و قداسة ذلك البيت الذي باشر تأسيسها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام بأمر من الله

لتكون أول بيت وضع للناس و مثابة و أمناء..و لكن ما قداستها
 فهي حجارة لا تضر و لا تنفع..و لكن الله لما بعث إبراهيم عليه
 السلام بتكسير الأصنام اقتضت حكمة الله أن يكون هناك
 شعار و بناء لتوحيد عبادة الله تعالى..فهو الشعار الذي يجسد
 وحدة المسلمين في أقطار الأرض، و هذا معنى قوله تعالى: { وَإِذْ
 جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ
 وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ
 وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [البقرة:125]

11- أما تاريخ بناء الكعبة، فعلى الصحيح من الأقوال فإنها بنيت أربع
 مرات خلال الدهر كله..الأولى: عندما بناه إبراهيم مع ابنه
 إسماعيل عليهما السلام كما قال تعالى..الآية..الثانية: فهي تلك
 التي بنتها قريش قبل الإسلام و اشترك في بنائها النبي صلى الله
 عليه وسلم، الثالثة: عندما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية
 حين غزتها جيوشه من الشام، و أنهم حاصروا عبد الله بن الزبير
 بمكة في سنة 36 هـ، و رموا البيت بالمنجنيق فتهدم واحترق،
 فانتظر بن الزبير حتى قدم الناس في الموسم فاستشارهم في بناء
 الكعبة.. فأشاروا بعدم الهدم و البناء من جديد، و إنما أن يصلح
 ما وهي منها، ثم قال ابن الزبير لو أن أحدكم احترق بيته ما
 رضي حتى يجده فكيف ببيت ربكم؟! إني مستخير ربي ثلاثاً ثم
 عازم على أمري..ثم باشر نقضه بعد ثلاثة أيام و رفعوا بناءه

وجعل له بابين أحدهما يدخل منه و الآخر يخرج منه..الرابعة:
بعد مقتل بن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره
بذلك..فكتب إليه عبد الملك بن مروان إنا لسنا من تلطبخ بن
الزبير في شيء..أما ما زاد في طوله فأقره، وأما ما زاد من الحجر
فرده إلى بنائه و سد الباب الذي فتحه، فنقضه و أعاده إلى
بنائه..قالوا و قد عزم هارون الرشيد أن ينقضه و يعيدها كما
بناها ابن الزبير، و لكت مالك بن أنس حمه الله قال أنشدك بالله
يا أمير المؤمنين لا تجعل هذا البين ملعبة للملوك بعدك..فتذهب
هييته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه.. و أما المرة الخامسة
فهنالك بعض الروايات الضعيفة أن الذي بناها هو آدم عليه
السلام و طاف به ثم نوح عليه السلام ثم إبراهيم عليه السلام
الذي رفع القواعد..

12- حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تهدئة قريش في
خلافهم حول الحجر الأسود، و لا شك أن هذا التصرف يظهر
ذكاء و دهاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، و لكن هذا
الذكاء و هذا الدهاء يأتي بناء على أساس كونه رسولاً ونبياً، ثم
تأتي المزايا الأخرى مبنية على الرسالة و النبوة..

13- مدى سمو منزلته بين رجال قريش على اختلاف طبقاتهم و
درجاتهم..فقد كان ملقباً بالأمين..و كان محبوباً منهم كلهم..

المحاضرة السادسة: اختلاؤه في غار حراء

ولما أخذ سنه صلى الله عليه وسلم يقترب نحو الأربعين نشأ لديه حب للعزلة بين الفترة والأخرى، وحب إليه الاختلاء، و حراء جبل يقع في الجانب الشمال الغربي من مكة، فكان يخلو فيه و يتعبد فيه الليالي ذوات العدد، فتارة عشرة و تارة أكثر من ذلك إلى شهر ثم يعود صلى الله عليه وسلم إلى بيته، فلا يكاد يمكث فيه قليلاً حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى و يعود إلى غار حراء، و هكذا إلى أن جاءه الوحي و هو في إحدى خلواته تلك..

الدروس و العبر و العظات:

لهذه الخلوة التي حبيت إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم دلالات عظيمة، لها أهمية كبرى في حياة المسلمين و الداعين إلى الله بصورة خاصة. و تظهر تلك الأهمية في هذه النقاط:

- 1- فهي توضح أن المسلم لا يكمل إيمانه مهما كان متحلياً بالفضائل حتى يجمع إلى ذلك ساعات من العزلة و الخلوة يحاسب فيها نفسه و يراقب الله و يفكر في مظاهر الكون. وهذا في حق أي مسلم، فكيف بمن يريد أن يضع نفسه موضع الداعي و المرشد إلى الله..

2- معالجة الأمراض القلبية مثل الكبر و الحسد و العجب و الرياء و حب الدنيا، فمحاسبة النفس على هذه الآفات تتم في نجوة من ضجيج الدنيا. و ليس لهذه الآفات علاج إلا أن يختلي صاحبها بن كل فترة و أخرى و يتأمل في حقيقتها وأسبابها ومدى حاجة العبد إلى التوفيق من الله، و يتأمل في مدى عظمة الله واليوم الآخر و في الحساب و طوله. فعند التفكير الطويل المتكرر في هذه الأمور تتساقط تلك الآفات و يحيا القلب بنور العرفان و الصفاء..

3- وشيء آخر له بالغ الأهمية في حياة المسلمين عامة و أرباب الدعوة خاصة، هو تربية محبة الله في القلب، فمحبة الله تعالى لا تأتي من مجرد الإيمان العقلي به، فالأمور العقلانية لا تؤثر وحدها في القلوب و العواطف، و لو كان كذلك لكان المستشرقون في مقدمة المؤمنين بالله و رسوله.. أو هل سمعت بأحد من العلماء ضحى بروحه إيماناً منه بقاعدة رياضية أو مسألة من مسائل الجبر..

4- إنما الوسيلة إلى محبة الله تعالى بعد الإيمان به سبحانه كثرة التفكير في آلائه ونعمه والتأمل في مدى جلاله تعالى وعظمته، ثم الإكثار من ذكره سبحانه بالقلب واللسان. كل هذا يتم بالابتعاد عن شواغل الدنيا و وضائها و العزلة و الخلوة، في فترات متقطعة و متكررة...

- 5- فإذا قام المسلم بذلك ينبت في قلبه محبة إلهية عارمة تجعله يستصغر كل عظيم ويحتقر كل مغربة من المغريات، و يستهين بكل إيذاء و عذاب..فهذه هي العدة الكبرى التي ينبغي أن يتسلح بها الدعوة إلى الله تعالى، و هذه هي العدة التي جهز الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ليقوم بأعباء الدعوة إلى الله..ذلك لأن الدوافع الوجدانية في القلب من خوف و رجاء تفعل ما لا يفعله الفهم العقلي المجرد..
- 6- واتخاذ الوسائل المختلفة لتحقيق هذه الدوافع الوجدانية في القلب مما أجمع عليه المسلمون و هو ما يسمى عند البعض بعلم السلوك لمعالجة أمراض القلوب كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام الإمام بن تيمية رحمه الله في الفتاوى في الجزء العاشر، و الاختلاء الذي كان يمارسه السول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت واحدة من هذه الوسائل..
- 7- لا ينبغي أن يفهم معنى الخلوة كما شذ البعض ففهموها بالانصراف الكلي عن الناس و اتخاذ الكهوف و الجبال موطناً لهم و اعتبروا ذلك فضيلة. فهذا مخالفة لهديه صلى الله عليه وسلم و لهدي صحابته، و هذا كالدواء لا ينبغي أن يؤخذ إلا عند اللزوم،و إلا انقلب إلى داء ينبغي التوقي منه، و إذا رآين في تراجم بعض الصالحين من استمر على ذلك فمرد ذلك إلى حاجة في نفسه، و عمله ليس حجة على الناس..

بدء الوحي:

روى الإمام البخاري في صحيحه عن السيدة عائشة رضي الله عنها تصف كيفية بدء الوحي و تقول: يرجع إلى الكتاب لقراءة الحديث..لطوله..

العبر و العظات:

- 1- حديث بدء الوحي هو الأساس الذي يترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته، و فهمه و اليقين به هما المدخل الذي لا بد منه إلى اليقين بسائر ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار غيبية وأوامر تشريعية..
- 2- من أجل ذلك يهتم محترفو التشكيك في الإسلام بمعالجة موضوع الوحي في حياته صلى الله عليه وسلم، و يبذلون جهداً فكرياً شاقاً من أجل التلبس بين الوحي و بين الإلهام و حديث النفس بل و حتى الصرع أحياناً..من أجل هذه الغاية أخذ محترفو الغزو الفكري يحاولون تأويل ظاهرة الوحي وتحريفها و إبعادها عن حقيقتها الظاهرة..
- 3- فمن متصور بأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يزل يفكر..إلى أن تكونت في نفسه بطريقة الكشف التدريجي عقيدة كان يراها أنها كفيلة بالقضاء على الوثنية، و هم يزعمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم القرآن و مبادئ الإسلام من بحيرا الراهب..
- 4- و منهم من يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عصبياً ومصاباً بداء الصرع..

- 5- لقد فوجئ صلى الله عليه وسلم و هو في غار حراء بجبريل أمامه يراه بعينه و هو يقول له: اقرأ، حتى نفهم من ذلك أن ظاهرة الوحي ليس أمراً ذاتياً داخلياً من حديث النفس، و إنما هو استقبال و تلق لحقيقة خارجية لا علاقة له بالنفس وداخل الذات..
- 6- و ضم الملك إياه ثم إرساله ثلاث مرات قائلاً في كل مرة: اقرأ.. كل هذا يعتبر تأكيداً لهذا التلقي الخارجي و مبالغة في نفي ما قد يتصور..
- 7- إن ظاهرة الوحي لم تأت منسجمة أو متممة لشيء ما قد يتصوره أو يخطر في باله.. فالرسول صلى الله عليه وسلم فوجئ به دون أي توقع سابق..
- 8- ثم شيئاً من حالات الإلهام أو حديث النفس أو الإشراق الروحي أو التأمّلات العلوية لا يستدعي الخوف و الرعب و تغيير اللون..
- 9- و يتجلى مزيد من صورة المفاجأة المخيفة لديه صلى الله عليه وسلم في توهمه بأن هذا الذي ضمه و غطه و كلمه في الغار أن يكون أتياً من الجن، عندما قال لخديجة بعد أن أخبرها الخير: لقد خشيت على نفسي أي من الجن.. و لكنها طمأنته بأنه صلى الله عليه وسلم ليس ممن يطولهم أذى الشياطين و الجن لما فيه من الأخلاق الفاضلة..

10- اقتضت الحكمة الإلهية إظهار الانفصال التام بين شخص الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة و بعدها، و بيان أن شيئاً من أركان العقيدة الإسلامية لم يطبخ في ذهن الرسول صلى الله عليه وسلم و لم يتصور الدعوة إليه سلفاً..

11- ثم ذهب خديجة رضي الله عنها بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل وعرض الأمر تأكيد من جانب آخر بأن هذا الذي فوجئ به الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو الوحي الإلهي الذي نزل على الأنبياء السابقين..

12- أما انقطاع الوحي عن الرسول صلى الله عليه وسلم اقتضت الحكمة الإلهية أن يحتجب الملك الذي رآه أول مرة، مدة طويلة حتى تكون في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم قلق بأن الله عز وجل ربما قللاه و تركه بعد أن أراد أن يشرفه بالوحي، فخشي الرسول صلى الله عليه وسلم أن سوءاً قد صدر منه وأنه بسببه امتنع الوحي، حتى أراد أن يلقي نفسه من أعلى جبل.. و في هذا رد قاطع على محترفي الغزو الفكري الذين يزعمون بأن الوحي هو حديث نفسي داخلي..

13- الرسول صلى الله عليه وسلم كان أمياً فلا يمكن أن يعلم الإنسان بطريق المكاشفة النفسية حقائق تاريخية، كقصة يوسف.. و أم موسى حينما أُلقت وليدها في اليم.. و قصة فرعون.. كما قال تعالى: { و ما كنت تتلوا من قبله من كتاب و لا تحطه بيمينك إذا لارتاب المبتلون }، العنكبوت: 48.

المحاضرة السابعة: مراحل الدعوة الإسلامية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

مرت الدعوة الإسلامية في حياته صلى الله عليه وسلم منذ بعثته إلى وفاته بأربع مراحل:

- 1- الدعوة سراً واستمرت ثلاث سنوات
- 2- الدعوة جهراً، و باللسان فقط واستمرت إلى الهجرة
- 3- الدعوة جهراً، مع قتال المعتدين و البادئين بالقتال، و استمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية..
- 4- الدعوة جهراً مع قتال كل من وقف في سبيل الدعوة أو امتنع عن الدخول في الإسلام من المشركين أو الملاحدة- بعد فترة الدعوة و الإعلام وهذه المرحلة هي التي استقرت عليها أمر الشريعة الإسلامية و قام عليها حكم الجهاد في الإسلام..

المرحلة الأولى: الدعوة سراً

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يستجيب لأمر الله فأخذ يدعو إلى عبادة الله وحده و ترك الأصنام، و لكنه كان يدعو سراً حذراً من قريش التي كانت متعصبة لشركها، فهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يظهر الدعوة في المجالس العامة لقريش خشية المواجهة، و كان يركز في دعوته على المقربين والذين كان يعرفهم سابقاً.

و كان من الأوائل الذين دخلوا في الإسلام:السيدة خديجة رضي الله عنها بنت خويلد، وعلي بن أبي طالب، و زيد بن حارثة مولاه صلى الله عليه وسلم و متبناه، و أبو بكر بن أبي قحافة و عثمان بن عفان و الزبير بن العوام و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبي وقاص..و غيرهم.. فهؤلاء كانوا يلتقون بالنبي صلى الله عليه وسلم سرّاً، و إذا أراد أحدهم ممارسة عبادة من العبادات كان يستخفي في شعاب مكة بعيداً عن أنظار قريش..

و عندما بلغ عدد الذين أسلموا قرابة أربعين، اختار لهم الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم ليلتقي بهم لحاجات الإرشاد والتعليم، و كان عامة الذين دخلوا في الإسلام من الفقراء..

العبر و العظات و الدروس من هذه الحادثة:

- 1- وجه السرية في بدء دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. لا شك أن كتمان الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه السنوات الأولى من الدعوة، فإنه لم يكن بسبب الخوف على نفسه، فهو صلى الله عليه وسلم عندما نزل عليه قوله تعالى: (يا أيها المدثر قم فأنذر)، علم أنه رسول الله إلى الناس، و علم وأيقن أن الله قادر على أن يعينه و يعصمه من الناس..
- 2- ولكن الله عز وجل ألهمه، و الإلهام نوع من الوحي إليه - أن يبدأ الدعوة سرّاً لحكمة عظيمة، و هي تعليم الدعاة و إرشاداً

- لهم أن يتخذوا بالأسباب الظاهرة و ما يقرره العقل و التفكير
السليم، و أن لا يتكلوا على الله وحده..
- 3- و من هنا تدرك أن أسلوب دعوته صلى الله عليه وسلم كان
من قبيل السياسة الشرعية بوصف كونه إماماً، و ليس من
أعماله التبليغية بوصف كونه نبياً..
- 4- و بناء على ذلك فإنه يجوز لأصحاب الدعوة الإسلامية أن
يستعملوا المرونة في كيفية الدعوة، من حيث التكتّم أو الجهر
أو اللين أو القوة حسب ما يقتضيه الظرف أو العصر الذي
يعيشون فيه، اعتماداً على سيرته صلى الله عليه وسلم ضمن
الأشكال الأربعة، على أن يكون النظر في ذلك مصلحة
المسلمين..
- 5- بناء عليه فقد أجمع العلماء على أن المسلمين إذا كانوا قلة
و غلي على ظنهم أنهم سيقتلون فينبغي هنا تقديم مصلحة
حفظ النفس، لأن مصلحة الدين هنا هي موهومة أو منفية
الوقوع..
- 6- و الخلاصة أنه يجب المسالمة أو الإسرار بالدعوة إذا كان الجهر
أو القتال بضر بها، و لا الإسرار بالدعوة إذا أمكن الجهر و
كان ذلك مفيداً، كما لا يجوز المسالمة مع الظالمين و المتربصين
بها إذا توفرت أسباب القوة و الدفاع، و لا يجوز القعود
عن جهاد الكافرين في عقر دارهم إذا ما توفرت وسائل ذلك و
أسبابه..

7- الأوائل الذين دخلوا في الإسلام و الحكمة من إسرعهم قبل غيرهم..عرفنا أن الذين دخلوا في الإسلام في هذه المرحلة كان خليطاً من الضعفاء و الفقراء والأرقاء، وهذه هي الثمرة الطبيعية من دعوة الأنبياء، الم تر إلى قوم نوح عندما قالوا لسيدنا نوح، كما قال تعالى: { فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ } ، [هود:27] ، و إلى ثمود الذين أرسل الله إليهم صالحاً، قال تعالى: { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ } ، [الأعراف:75]

8- و السر في ذلك أن حقيقة هذا الدين الذي بعث الله به عامة أنبيائه و رسله إنما هو الخروج من سلطان الناس و حكمهم إلى سلطان الله عز وجل و حكمه، هي حقيقة تخدش أولاً ألوهية المتألهين و حاكمية المتحكمين..و تناسب حالة المستضعفين و المستنذلين، فيكون رد الفعل من الدعوة هو العناد والمكابرة من هؤلاء المتحكمين و الاستجابة من هؤلاء المستضعفين.. و هذا يظهر جلياً في قصة رستم قائد الفرس والجندي السيط في جيش سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية..عندما قال له رستم: مالذي دعاكم إلى حربنا

والولوع بديارنا ؟ فقال: جئنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده..

9- من نا نعلم عظم الفرية التي يفتريها بعض محترفي الغزو الفكري في هذا العصر، حيث يزعمون بأن الدعوة التي قام بها محمد صلى الله عليه وسلم إنما هي من وحي بيئته العربية نفسها وأنها كانت تمثل حركة الفكر العربي !! فلو كان كذلك لما كان رصيد دعوته في بداية الأمر 40 رجلاً و امرأة معظمهم من الفقراء و الموالي و الأرقاء.. و أن بيئته هي التي أرغمته على الهجرة من بلاده و الخروج إلى الحبشة..⁶⁷.

المرحلة الثانية: الجهر بالدعوة

قال بن هشام: " ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال و النساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة و تحدث به، فأمر الله رسوله أن يصدع بما جاءه من الحق و أن ييادي الناس بأمره و أن يدعو إليه.. ثم قال الله له: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] و قال له: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]... و حينئذ بدأ رسول الله تنفيذ أمر ربه بأن صعد على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر و يا بني عدي حتى اجتمعوا... فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أريتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أمنتهم مصدقي ؟ قالوا ما جربنا عليك

⁶⁷ للتفاصيل انظر: البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة، 68-72

كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد: فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم.. ألهذا جمعتنا. فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] ثم جمع الرسول جميع ذويه و أهل قرابته و عشيرته، فقال: يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلها بيلالها.."

وما كان من قريش إلا أن يتنكروا لدعوته معتذرين بأنهم لا يستطيعون ترك دين آبائهم، ونبههم الرسول صلى الله عليه وسلم على ضرورة تحرير أفكارهم من عبودية التقليد و استعمال العقل و المنطق، وأخبرهم أن عكوفهم أما تلك الآلهة لا تفتيدهم و لا تضرهم شيئاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ هُمُ الْيَكْفُرُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، فلما عاب آهتهم ما كان منهم إلا أن يخالفوه..

العبر و الدروس و العظات:

- 1- أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فاجأهم حينما صدع الدعوة إلى الإسلام في قريش و عامة العرب، فاجأهم بما لم يكونوا يتوقعونه.. نجد ذلك واضحاً في كلام أبي لهب.. و في

هذه الحقيقة الرد القاطع على الذين يصورون دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ثمرة من ثمار القومية، و أن محمداً بدعوته كان يمثل آمال العرب و مطامحهم في ذلك الحين.. و هذه الدعوى المضحكة لا نحتاج الى الرد عليها، فكل من اطلع على سيرته صلى الله عليه وسلم يعلم سخفها..

2- ما الحكمة في خصوصية عشيرته الأقربين بالدعوة ؟ الجواب: أن فيه إلماحاً إلى درجات المسؤولية التي تتعلق بكل مسلم والدعاة خاصة. فأول درجة المسؤولية هو مسؤولية المسلم عن نفسه، ومن أجل إعطاء هذه الدرجة حقها استمرت فترة ابتداء الوحي تلك المدة الطويلة إلى أن يطمئن صلى الله عليه وسلم إلى أنه نبي مرسل و أن ما ينزل عليه إنما هو وحي من عند الله..

3- الدرجة الثانية فهي مسؤولية المسلم عن أهله و قرابته.. و ليس هناك من اختلاف من دعوة الرسل في قومه و دعوة المسلم في أسرته بين أقاربه.. فكما لا يجوز لنبي أو رسول أن يقعد عن تبليغ الدعوة فكذلك لا يجوز لرب الأسرة أن يقعد أن تبليغ أهله و أسرته، بل يجب أن يحملهم على اتباع ذلك و يلزمهم إلزاماً..

4- أما الدرجة الثالثة فهي مسؤولية العالم عن حيه أو بلده و مسؤولية الحاكم عن دولته و قومه، وكل منهما ينوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم:

العلماء ورثة الأنبياء، و لتسمية الإمام و الحاكم خليفة، أي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم..

5- إذن فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحمل المسؤولية عن نفسه بوصف كونه مكلفاً، و كان يتحمل المسؤولية تجاه أسرته و أهله بوصف كونه رب أسرة و ذا قرى، و كان يتحمل المسؤولية تجاه الناس كلهم، بوصف كونه نبياً و رسولاً من عند الله... فبشترك مع النبي في الأولى كل مكلف، و في الثانية كل صاحب أسرة، و في الثالثة: العلماء و الحكام..

6- عاب الرسول صلى الله عليه وسلم على قومه للتقاليد المورثة عن آبائهم و أجدادهم دون تفكر منهم.. و دعاهم إلى تحرير عقولهم من أسر الاتباع... و في هذا أن مبنى هذا الدين هو العقل و المنطق.. و لذلك كان من شروط الإيمان أن يقوم على أساس من اليقين و الفكر الحر دون أدنى تأثير بأي عرف أو تقليد.. كما قال صاحب جوهرة التوحيد في أرجوزته المعروفة:

(فكل من قلد في التوحيد - إيمانه لم يخل من ترديد) ..

7- و من هنا تعلم أن الدين جاء حرباً على التقاليد.. فجميع ما اعتاده الناس من مظاهر اللهو في أفراحهم و من أشكال الحداد في مآسيهم.. كل ذلك يسمى في اللغة و علم الاجتماع (تقاليد)..

- 8- إذا تبين هذا علمت مدى خطورة الخطيئة التي يطلقها بعض الناس كلمة (التقاليد الإسلامية)، على ما تضمنه الإسلام من العبادات و الأحكام التشريعية و الأخلاقية..
- 9- إن جميع ما أتى به الإسلام من نظم و تشريعات إنما هو مبادئ قائمة على أساس من التفكير و العقل، بهدف الوصول إلى مقصد معين.. و لا شذوذ فيها، لأن الذي شرعها هو خالق الأفكار و العقول.. و الحقيقة أن الإسلام لا تقاليد فيه.. إنه الدين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليخلص العقل من براثن التقليد.. و المبادئ هو الخط الذي ينبغي أن ينضبط به تطور الزمن.. و التقاليد هي مجموعة من الطفيليات التي تنبت وسط العقول الفكرية، فهي الحشائش الضارة لا بد من اجتثاثها..⁶⁸

⁶⁸ للمزيد انظر: المرجع السابق، 72-76، و انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 119 - 122،

و فقه السيرة للشيخ العلامة محمد الغزالي، ص: 71 - 77

المحاضرة الثامنة: الإيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم

لاقى الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش صنوفاً كثيرة من العذاب. روى عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في حجر إسماعيل عليه السلام فجاء عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه وخنقه خنقاً شديداً، حتى جاء أبو بكر ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله..

و روى عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي، حتى إذا سجد و حوله ناس من قريش فجاء عقبة بن معيط بسلا جزور حتى قذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم، حتى جاءت بنته فاطمة رضي الله عنها فأزالت من ظهره و دعت على من صنع ذلك..

و كان النبي صلى الله عليه وسلم يواجه من فنون الهزء و الغمز و اللمز كلما مشى بينهم أو مر في طرقاتهم.. و بعضهم عمد إلى قبضة من التراب فنثرها على رأس النبي صلى الله عليه وسلم و هو يسير في سكك مكة، وعاد إلى بيته و التراب على رأسه، فقامت إحدى بناته تغسل التراب وهي تبكي و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي فإن الله مانع أباك..

أما أصحابه رضوان الله عليهم فإنهم أيضاً لم يسلموا من العذاب، و مات منهم من مات و عمي من عمي، و لم يثنهم ذلك عن دين الله شيئاً..

وروى الإمام البخاري عن خباب بن الأرت أنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم و هو متوسد بردة في ظل الكعبة و قد لقينا من المشركين شدة، فقلت يا رسول الله ألا تدعو لنا؟ فقعد و هم محمر الوجه، فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذل عن دينه، و ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، و في رواية بزيادة: و الذئب على غنمه..

الدروس و العبر الدينية و الاجتماعية و الدعوية

1- إن أول ما يتبادر إلى الأذهان من هذه القصة ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه من صنوف العذاب، أن يتساءل الإنسان: لماذا هذا العذاب الذي لقيه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه و هم على الحق؟ و لماذا لم يعصمهم الله عز وجل و هم يجاهدون في سبيله؟

2- الجواب: أن الإنسان في هذه الدنيا مكلف، أي أنه مطالب من قبل الله عز وجل بحمل ما فيه كلفة و مشقة، و أمر الدعوة و الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته من أهم متعلقات التكليف، لأنه لا معنى للعبودية إن لم يكن هناك تكليف، و هذا استلزم تحمل المشاق و مجاهدة النفس و الأهواء..

3- و بناء عليه كان من واجب عباد الله في هذه الدنيا تحقيق أمرين اثنين: أولهما: التمسك بالإسلام و إقامة المجتمع الإسلامي الصحيح، ثانياً: سلوك السبل الشاقة و اقتحام المخاطر و بذل

المال من أجل تحقيق ذلك، أي أن الله عز وجل كلفنا بالإيمان بالغاية، و كلفنا بجانب ذلك سلوك الوسيلة الشاقة الطويلة لتحقيق هذه الغاية.

4- و لو شاء الله لجعل إقامة المجتمع الإسلامي سهلاً يسيراً، و لكن السير في هذه السبيل لا يدل على أنه باع حياته و ماله لله عز وجل يوم أن أعلن إيمانه.. و لأمكن أن يتساوى حينئذ المؤمن والمنافق و الصادق و الكاذب، فلا فرق بينهم..

إذن كل ما يلاقيه الدعوة إلى الله عز وجل و المجاهدون في سبيل إقامة المجتمع، هو سنة إلهية منذ فجر التاريخ، و هذه السنة تقتضيها حكم ثلاث:

أولاً: صفة العبودية الملازمة للإنسان لله عز وجل، و صدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

ثانياً: صفة التكليف المتفرعة عن صفة العبودية. فمن كان عاقلاً بالغاً إلا و هو مكلف من قبل الله بتحقيق شرعة الإسلام في نفسه و تحقيق النظام الإسلامي في مجتمعه، على أن يتحمل في سبيل ذلك كثيراً من الأذى و المشقة، حتى يتحقق معنى التكليف..

ثالثاً: إظهار صدق الصادقين و كذب الكاذبين، فلو ترك الناس لدعوى الإسلام فقط و محبة الله على ألسنتهم فقط، لاستوى الصادق و الصادق والكاذب، و لكن الفتنة و الابتلاء هما الميزان الذي يميز الصادق عن الكاذب، و صدق الله إذ يقول: ﴿أَحْسِبُ النَّاسَ أَنْ

يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿ العنكبوت: ٢ ﴾ وقال تعالى:
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ
الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]

5- و إذا كانت هذه سنة الله في عباده، فلن تجد لسنة الله تبديلاً حتى
مع أنبيائه وأصفياؤه، فمن أجل ذلك أودى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه و مات منهم من مات رغم عظيم قدرهم و
فضلهم عند الله..

6- فإذا أدركت طبيعة هذا العذاب الذي يلقيه المسلم في طريقه إلى
إقامة المجتمع الإسلامي، علمت أنه ليس هناك عقبات يصد
المسلم عن بلوغ غايته، كما قد يتوهم البعض، بل هو سلوك في
الطريق الطبيعي الذي خطه الله تعالى.. فلذا لا ينبغي للمسلم أن
ييأس إذا ما عانى شيئاً من المشقة أو المحنة، هذه المشقة منسجمة
مع طبيعة هذا الدين..

7- على المسلمين أن يستبشروا بالنصر كلما عانوا مزيداً من المشقة و
مزيداً من الضر والنكبات. و تأمل فإنك ستجد برهان ذلك في
قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾،
[البقرة: 214]، فقد كان جواب أولئك الذين لم يفهموا طبيعة
العمل الإسلامي، و توهموا أن هذا الذي يرونه من الأذى إنما هو

عنوان ابتعادهم عن النصر.. كان جواب هؤلاء: { أَلَا إِنَّ نَصْرَ
اللَّهِ قَرِيبٌ } ..

8- و هذا المعنى نفسه هو السر في أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه بأن الله سيفتح لهم بلاد الفرس والروم، و مع ذلك فإن هذه البلاد لم تفتح عليهم إلا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بزمن غير يسير، و كان من مقتضى محبة الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن تفتح تلك البلاد في حياته و بقيادته و تحت إشرافه.. لو لا أن النصر مرتبط بالقانون الذي ذكرناه، و لم يكن المسلمون في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قد دفعوا أقساط الثمن كله لانتصارهم في بلاد الشام، و لا بد قبل النصر من دفع الثمن كله، و لو كان رسول الله موجوداً بينهم، و لا ترتبط مسألة الفتوحات بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لكن المسألة أن يبرهن المسلمون صدق مبايعتهم لله عز وجل: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.. }،

[التوبة: 111]

المحاضرة التاسعة: سياسة المفاوضات

يُرجع إلى الكتاب **فقه السيرة** للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص: 80-82، لقراءة النص الذي رواها بن هشام، لطوله لم نذكره هنا...

الدروس و العبر الاجتماعية و الدينية المستفادة من هذه الحادثة

في هذا المشهد الذي عرض من سيرته صلى الله عليه وسلم ثلاث دلالات مهمة:

الدلالة الأولى:

توضح لنا حقيقة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم و تفصلها و توضح لنا الأهداف التي قد يخفيها في نفوسهم أرباب الدعوات الجديدة و المنادون بالإصلاح.. هل النبي صلى الله عليه وسلم يضمّر من وراء دعوته الوصول إلى ملك؟ أو لعله يخفي نفسه الوصول إلى مستوى رفيع من الزعامة والغنى.. كل هذه الاحتمالات هي بعض الوسائل التي يحاول من خلالها المشككون و محترفو الغزو الفكري.. و لكن الله قطع كل احتمال و كل وسواس التي يحاول من خلالها أن يشكك أعداء هذا الدين في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.. لقد زعم كريمة و فان و فلوتن أن دوافع محمد صلى الله عليه وسلم من وراء دعوته كانت السيادة و الملك، متناسين هذه الحقيقة التاريخية بأن محمداً لم يطمع في شيء من ذلك.. و يظهر هذا

واضحاً في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم لهم: ما جئت لما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم و لا الملك عليكم، و لكن الله بعثني إليكم رسولاً و أنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً و نذيراً...و يدل على نزاهة غرض الرسول صلى الله عليه وسلم:

1- أن معيشته الحياتية كانت مطابقة لكلامه صلى الله عليه وسلم، فهو لم يعرض عن الملك بلسانه فقط. كان صلى الله عليه وسلم بسيطاً في مأكله و مشربه مثل الفقراء و المساكين. قالت عائشة رضي الله عنها فيما يرويه البخاري: (لقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم و ما في ربي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في ربي فأكلت منه حتى طال عليّ)

2- كان بسيطاً في للغاية في ملبسه و أثاث بيته، يؤثر في جنبه الحصور و ما نام قط على شيء وثير، حتى إن نساءه صلى الله عليه وسلم جئن إليه مرة يشتكين الفاقة و يطالبنه بمزيد من النفقة كمثيلاًتها من نساء الصحابة، فأطرق مغضباً و لم يجب حتى نزل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً. وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً } [الأحزاب:29] فتلا الرسول صلى الله عليه وسلم هاتين الآيتين عليهن ثم خيرهن العيش معه على هذه الحالة أو الإصرار على مطالبهن من النفقة وزيادة الزينة و المال و حينئذ يفارقهن و يسرحهن سراحاً

جَمِلاً. فاخترن العيش معه معه على ما هو عليه. فكيف يشك العقل بعد هذا كله في صدق نبوته؟ و كيف يصح أن يتوهم الفكر بأنه قد يكون مدفوعاً برغبة الزعامة أو الطمع في المال؟

الدلالة الثانية :

1- إن الشريعة لإسلامية تعبدتنا بالوسائل كما تعبدتنا بالغايات، فليس لك أن تسلك إلى الغاية التي شرعها الله لك إلا الطريقة المعينة التي جعلها الله وسيلة إليها..فكان من الممكن في باب الحكمة و السياسة أن يرضى الرسول صلى الله عليه وسلم بالزعامة و الملك كوسيلة إلى تحقيق دعوة الإسلام فيما يعد، ولا سيما أن للسلطان و الملك وازع كبير في النفس، و هذا الذي يحرص عليه أرباب الدعوات في هذه الأيام ينتهزون فرصة الوصول إلى الحكم لكي يفرضوا مذاهبهم و دعوتهم على الناس..و لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرض سلوك هذه السياسة و الوسيلة إلى دعوته..لأن ذلك ينافي مبادئ الدعوة نفسها..و لو جاز هذا لاستوى الصادق و الكاذب في دعوته باسم السياسة و الحكمة.

2- إن فلسفة هذا الدين تقوم على عماد الشرف و الصدق في كل من الوسيلة والغاية، فكما أن الغاية يجب أن تكون مبنية على الصدق و الشرف و كلمة الحق، فكذلك الوسيلة يجب أن تكون مبنية على الصدق و الشرف و كلمة الحق..و من

هنا يحتاج أرباب الدعوة الإسلامية في معظم حالاتهم و ظروفهم إلى التضحية و الجهاد، لأن هذا السبيل لا يسمح لهم بالتعرج كثيراً ذات اليمين وذات الشمال..

3- ومن الخطأ أن تحسب أن مبدأ الحكمة إنما شرعت من أجل تسهيل عمل الداعي أو من تفادي المآسي و الأتعاب.. السر في مشروعية الحكمة في الدعوة هو سلوك أقرب الوسائل إلى عقول الناس.. و إذا قامت العثرات و العقبات أمام سبيل الدعوة، فالحكمة حينئذ الجهاد و التضحية بالنفس و المال.. الحكمة أن تضع الشيء في مكانه.. و هذا هو الفرق بين الحكمة و المخادعة... و قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع بعض زعماء قريش و عبد الله بن أم مكتوم شاهدة على هذه الحقيقة..

4- والخلاصة أنه ليس لأحد من الناس أن يغير شيئاً من أحكام الإسلام و مبادئه باسم اتباع الحكمة و النصيحة في الدعوة. إن الحكمة لا تعتبر حكمة إلا إذا كانت مقيدة و منضبطة ضمن حدود الشريعة الإسلامية.

الدلالة الثالثة:

1- موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من تلك المطالب التي طلبتها قريش شرطاً لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، و في هذا الموقف كما ذكر عامة المفسرين نزل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا

لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَاهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } ، [الإسراء: 90-93]. و ليس السبب في عدم استجابة الله لهم ما قد يظنه بعض الناس أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما أوتي معجزة إلا معجزة القرآن. وإنما السبب هو أن الله عز وجل علم أنهم يطالبون ذلك كفرًا و عناداً و استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم كما هو واضح في أسلوبهم. -2 و لو علم الله فيهم صدق الطلب و حسن النية لحقق لهم ذلك..

-3 و لكن أمر قريش مطابق لما وصفه الله عز وجل في آية أخرى: { وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ } [الحجر: 14-

[15

المحاضرة العاشرة: الحصار الإقتصادي

ورد بأسانيد مختلفة عن موسى بن عقبة، عن ابن إسحاق و عن غيرهما أجمعوا أمرهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم و كلموا في ذلك بني هاشم و بني المطلب، و لكنهم أبوا تسليمه صلى الله عليه وسلم إليهم.. و لتفاصيل الخبر يرجع إلى كتاب: **فقه السيرة** للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص: 86 – 87.

الدروس و العبر و العظات المستفادة من هذه الحادثة:

هذه القطعة الظالمة تصور قمة الشدة التي لقيها النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه خلال ثلاث سنوات. و قد رأينا أن بني هاشم و بني المطلب شاركوا المسلمين في تحملها و لم يرضوا أن يتخلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم..

- و السبب الذي دفع ببني هاشم و بني المطلب للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم هو حمية القرابة و إباء الذل بغض النظر عن العقيدة و الدين. فهؤلاء أثروا أن يجمعوا في قلوبهم بين شيئين اثنين: **الأولى:** الثبات على الشرك و الاستكبار على الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.. **الثانية:** الانصياع للحماية التي تدعو إلى حماية القريب من بطشة الغريب و ظلمه، بحق كان أو بباطل.. و المهم أن تعلم بأن حماية أقارب رسول الله صلى الله

عليه وسلم لم يكن حماية للرسالة التي بعث بها، وإنما كانت لشخصه من الغريب..

- أما المسلمون و على رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما صبرهم على ذلك الانصياع لأمر الله و إيثار الآخرة على الدنيا.. وفي هذا رد على الذين يتأولون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم و أصحابه على أنها ثورة يسار ضد يمين، أي ثورة الفقراء المضطهدين ضد الأغنياء المترفين؟؟
- و الرد على هؤلاء يكون بأن كل من تأمل في سلسلة حلقات التعذيب والإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم و للمسلمين فهو يستطيع أن يجيب على ضوئها بأنها لم تكن ثورة اقتصادية ألهبها الجوع و قادهما الحقد على تجار مكة..
- لقد عرض المشركون على محمد صلى الله عليه وسلم الملك و الثراء و الزعامة على أن يتخلى عن الدعوة إلى الإسلام.. فلماذا لم يرض صلى الله عليه وسلم بذلك؟ و هل يطمع أصحاب الثورة اليسارية بشيء أكثر من الحكم يكون في أيديهم و المال في جيوبهم.. ففي هذه الحقيقة التاريخية فيها رد قاطع على محترفي الغزو الفكري..
- و رد آخر، نقول لهم لقد قوطع محمد صلى الله عليه وسلم و معه أصحابه المسلمون عن سبيل كل معايشة اقتصادية و اجتماعية مع بني قومه.. فلم تترك سلعة تتسلل إلى أيديهم و لم يترك طعام يدخل بيوتهم، حتى راحوا يأكلون أوراق الشجر و هم على ذلك صابرون.. أفهكذا يصنع أصحاب الثورة من أجل لقمة العيش!!؟

- و رد آخر، نقول لهم أنه عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة هو و أصحابه، تركوا المال و الأرض و الممتلكات و تجردوا من كل ما يتعلق به الطامعون في المال، لا يبتغون عن إيمانهم بالله بديلاً، و لا يقيمون وزناً لدنيا و ملك أدبر.. أفهذا هو الدليل على أنها ثورة يسارية قامت من أجل لقمة طعام؟!!!
- إذا كان المسلمون قد تمكنوا من فتح بلاد الروم و الفرس في حقبة يسيرة من الزمن بعد أن صدقوا الله في إسلامهم، أفكيف ذلك دليلاً على أنهم ما أسلموا إلا طمعاً بعرش الروم و الفرس؟! لو أنهم أرادوا من وراء إسلامهم الوصول إلى شهوات الدنيا لما تحقق لهم و لا الجزء اليسير من معجزة ذلك الفتح..
- و لو كان الحلم الذي يراود المسلمين في معركة القادسية الوصول إلى الثروة، لما دخل ربيعي بن عامر رضي الله عنه قصر رستم و لما قال له: إن دخلتم الإسلام تركناكم وأرضكم و أموالكم.. أهكذا يقول من جاء ليستلب الملك و الأرض و المال..
- لقد أكرمهم الله تعالى بطيبات الدنيا لأنهم لم يكونوا يفكرون بها، و إنما كان تفكيرهم منصرفاً إلى مرضاة الله عز وجل..
- و المسألة بما فيها ليس إلا تحقيقاً للقانون الإلهي الذي يقول: { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ } ، [القصص:5] ⁶⁹.

⁶⁹ انظر للتفصيل: فقه السيرة، د.محمد سعيد رمضان البوطي، ص: 87 - 90

المحاضرة الحادية عشرة: أول هجرة في الإسلام

يرجع إلى كتاب **فقه السيرة النبوية** ل:د. محمد لقراءة نص السيرة، ص:

91 – 92

العبر و العظات و الدروس المستفادة من هذه الحادثة

نأخذ من هجرة المسلمين إلى الحبشة ثلاث دلالات:

الدلالة الأولى:

● إن التمسك بالدين و إقامة دعائه أساس و مصدر لكل قوة، وهو السياج لحفظ كل حق من مال و أرض و حرية و كرامة، ومن أجل هذا كان واجب الدعوة والمسلمين أن يجندوا كل إمكاناتهم لحماية هذا الدين، و أن يضحوا بالوطن والأرض والمال والحياة لحفظ العقيدة، لأنه إذا فقد الدين أو غلب لم يغن من ورائه الوطن والمال و الأرض، بل سرعان ما يذهب كل ذلك أيضاً. و أما إذا قوي شأنه وقامت في المجتمع دعائه فإن كل ما كان قد ذهب يعود أقوى من ذي قبل حيث يجرسه سياج من الكرامة و القوة..

● وقد جرت سنة الله في الكون على مر التاريخ، تكون القوي المعنوية هي الحافظة للمكاسب و القوى المادية. فإذا كانت الأمة غنية في خلقها و عقيدتها السليمة ومبادئها الاجتماعية

- الصحيحة، فإن سلطانها المادي يغدو أكثر تماسكاً و أرسخ بقاء. و إذا كانت فقيرة في خلقها، مضطربة في عقيدتها، تائهة في نظمها، فإن سلطانها المادي يغدو أقرب إلى الاضمحلال والزوال.
- و قد تجد أمة تائهة في عقيدتها و عن جادة الصواب، منحطة في مستواها الخلقي والاجتماعي -كأمريكا و أوروبا- و هي مع ذلك هي واقفة على قدميها من حيث القوة و السلطان المادي، و لكنها في الحقيقة تمر بسرعة نحو الهاوية..
- والسبب في أنك لا تحس بحركة هذا المرور و سرعته هو قصر عمر الإنسان أمام طول عمر التاريخ و الأحقاب. و مثل هذه الحركة تبصرها عن التاريخ الساهر ، لا عين الإنسان الغافل..
- وقد تجد أمة مجردة من كل المقومات المادية من ثروة و وطن و مال في سبيل الحفاظ على العقيدة الصحيحة و في سبيل بناء النظام الاجتماعي السليم، ولكن بعد فترة قصيرة تجد أرباب هذه العقيدة الصحيحة بسبب تمسكها بالخلق و النظام الاجتماعي السليم قد استرجعت وطنها المسلوب و مالها المغصوب..
- وأنت لن تجد صورة صحيحة عن الكون و الحياة إلا في عقيدة الإسلام الذي هو دين الله لعباده، و لن تجد نظاماً اجتماعياً أعدل من نظام الإسلام..
- فلذلك كان من أسس الإسلام التضحية بالمال و الوطن و الحياة في سبيل حفظ ذلك النظام، و من أجل ذلك شرع مبدأ الهجرة

في الإسلام و أشار الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالخروج من الوطن..

● والهجرة نفسها ضرب آخر من ضروب العذاب و الألم في سبيل الدين، فهي ليست هرباً من الأذى و الراحة، و لكنها تبديل للمحنة إلى أن يأتي الفرج..

● و مكة في ذلك الوقت لم يكن دار إسلام، حتى لا يقول قائل كيف ترك الصحابة دار الإسلام و اتجهوا إلى دار الكفر، فمكة والحبشة و غيرها في ذلك الوقت كانت سواء..

● أما حكم الهجرة، فهو بين الحرمة و الجواز و الوجوب. أما الوجوب فيكون عند عدم تمكن المسلم من القيام بالشعائر الإسلامية كالصلاة و الصيام و الحج والأذان..و أما الجواز فيكون عندما يصيبه بلاء يضيق به، فيجوز له أن يخرج إلى بلاد إسلامية أخرى - أو حتى غير إسلامية بشرط التمكن من أداء الشعائر الدينية والتعبدية -، أما الحرمة فتكون عندما تستلزم هجرته إهمال واجب من الواجبات الإسلامية..⁷⁰

الدلالة الثانية:

● نأخذ منها حقيقة العلاقة القائمة بين ما جاء به عيسى عليه السلام و سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . النجاشي كان على

⁷⁰ للمزيد عن أحكام الهجرة انظر تفسير القرطبي، ج5، ص: 35، و أحكام القرآن لابن العربي، ج2، ص:

دين عيس عليه السلام و كان مخلصاً في نصرانيتها، و كان من مقتضى هذا الإخلاص أن لا ينتصر لمن تختلف عقيدتهم. فلو صحت تقولات النصارى القائلين بأن عيسى هو بن الله و أنه ثالث ثلاثة، لتمسك بها النجاشي، و هو من أخلص النصارى، ولكنه علم بطلان ذلك، فلأجل ذلك لم يرد على المسلمين كلامهم، و لم ينتصر لمطالب قريش..

● ولكننا سمعنا النجاشي يقول عندما سمع القرآن وما سمعه من حياة عيسى بن مريم: إن هذا و الذي جاء به عيسى بن مريم ليخرج من مشكاة واحدة.. يقول ذلم على مسمع من بطارقة و علماء الكتاب الذين من حوله..

● وهذا يؤكد ما هو ثابت بديهياً، من أن الأنبياء جاؤوا بعقيدة واحدة لم يختلفوا حولها قيد شعرة، ويؤكد لنا أن اختلاف أهل الكتاب فيما بينهم ليس إلا من بعد ما جاءهم العلم بينهم، كما قال الله تعالى.

الدلالة الثالثة:

● أنه يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء أكان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي، أم كان مشركاً كأولئك الذين عاد المسلمون إليهم في مكة في حمايتهم عندما رجعوا من الحبشة، كأبي طالب عم رسول الله صلى

الله عليه وسلم و كالمطعم بن عدي الذي دخل الرسول صلى الله عليه وسلم في حمايته عندما رجع من الطائف..

- و هذا مشروط بحكم البدهة بأن لا يستلزم من هذه الحماية أضراراً بالدعوة الإسلامية أو تغييراً لبعض أحكام الدين أو سكوتاً على اقتراف بعض المحرمات. ودليل ذلك عندما طلب أبو طالب من النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يتحدث عن آلهة المشركين بسوء، فقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرج من حماية عمه أبي طالب - و الله يا عم لو وضعوا الشمس... - و أبي أن لا يسكت عن شئ يجب إيضاحه أو بيانه..⁷¹

⁷¹ انظر: فقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ص: 91-94

الخاصرة الثانية عشرة: أول وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يراجع كتاب فقه السيرة النبوية للبوطي ص: 90-96 لقراءة نص السيرة

العبر و الدلالات و الدروس

يجب أن يسترعي انتباهنا خبر هذا الوفد أمران اثنان:

- أنه في قدوم هذا الوفد إلى مكة للقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم و التعرف على الإسلام في الوقت الذي كان يعاني منه المسلمون من عذاب و إيذاء و تضيق، دلالة باهرة على أن ما قد يلاقيه أرباب الدعوة الإسلامية في طريقهم إلى الله من المصائب والآلام لا يعني بحال من الأحوال الخيبة و الإخفاق، و لا يستلزم التخاذل أو اليأس..
- أما العذاب فهو طريق لا بد من سلوكها للوصول إلى النجاح والنصر..
- لقد جاء هذا الوفد و كان عددهم ثلاثين و قيل أربعين رجلاً من النصارى من تلك الدولة البعيدة و عبروا البحر ليعلنوا الولاء للدعوة الجديدة، و ليعلنوا بلسان الحال أن أعداء الدعوة الإسلامية مهما ضيقوا عليهم و مهما زادوا في ألوان العذاب، فهؤلاء لن يستطيعوا أن يمنعوا هذه الدعوة من أن تعطي ثمارها ولن يستطيعوا أن يمنعوا من انتشارها في مشارق الأرض و مغاربها.

و أبو جهل علم بهذه الحقيقة، ولأجل ذلك ظهرت آثار ذلك على لسانه بالكلمات الحاقدة..

● ما هي نوعية الإيمان الذي آمن به أفراد هذا الوفد؟ و هل هو إيمان الذي يخرج من الظلمات إلى النور؟ الواقع أن إيمانهم كان مجرد استمرار لإيمانهم السابق. فقد كان هؤلاء على حد تعبير رواة السير أهل إنجيل يؤمنون به و يسيرون على هديه، و الإنجيل كان يأمرهم باتباع الرسول الذي يأتي بعد عيسى عليه السلام، و كان الإنجيل يتحدث عن صفات و مميزات هذا النبي، فكان من مقتضيات ذلك الإيمان بهذا النبي و هو محمد صلى الله عليه وسلم.

● فإيمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عملية انتقال من دين إلى دين بسبب تفضيل أحدهما على الآخر، و إنما كان استمراراً لحقيقة الإيمان بعيسى عليه السلام و ما أنزل إليه. و هذا معنى قولهم فيما تحكيه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّآ كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٣] أي كنا مسلمين و مؤمنين بهذا الذي يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم من قبل بعثته، لأنه مما يدعو الإنجيل إلى الإيمان به.

● و هذا هو شأن كل من تمسك تمسكاً حقيقياً بما جا به موسى وعيسى عليهما السلام، لأن الإيمان بالتوراة و الإنجيل يستدعي الإيمان بالقرآن و محمد عليه السلام..

- ولذلك أمر الله رسوله محمداً أن يكتفي بدعوة أهل الكتاب إلى الإسلام بمجرد مطالبتهم بتطبيق ما قي التوراة أو الإنجيل، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨] وهذا يقتضي تأكيد ما بيناه أكثر من مرة أن الدين الحق واحد لم يتعدد منذ خلق آدم عليه السلام إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، و أن كلمة (الأديان السماوية التي يستعملها بعض الناس)، لا معنى لها.
- نعم هناك شرائع سماوية متعددة، كل شريعة سماوية ناسخة للشريعة التي قبلها، و ينبغي أن لا نخلط بين (الدين) الذي هو العقيدة، وبين (الشريعة) التي هي الأحكام السلوكية المتعلقة بالأحكام والعبادات..⁷².

⁷² راجع للمزيد: فقه السيرة النبوية، د/محمد سعيد رمضان البوطي، ص: 95- 96

المحاضرة الثالثة عشرة: عام الحزن

وهو العام العاشر من بعثته صلى الله عليه وسلم فقد توفيت فيه زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، و توفي فيه عمه أبو طالب، و يقول بن سعد في طبقاته: " و كان بين وفاة خديجة و أبي طالب شهر و خمسة أيام ".

و قد كانت خديجة رضي الله عنها كما قال بن هشام وزير صدق على الإسلام، يشكو الرسول صلى الله عليه وسلم إليها و يجد عندها أنسه وسلواه. أما أبو طالب ، فقد كان عضداً و حرزاً في أمره، و كان ناصرأ له على قومه.

يقول ابن هشام: " فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، و دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته و التراب على رأسه، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب و هي تبكي، و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك ".

ولقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم على هذا العام اسم عام الحزن، لشدة ما كابد فيه من الشدائد في سبيل الدعوة.

العبر و العظات و الدروس:

ترى، ما الحكمة في أن يتعجل قضاء الله عز وجل في استلاب أبي طالب من الحياة قبل أن يشتد ساعد المسلمين في مكة، ومعلوم أنه كان يحمي الرسول صلى الله عليه وسلم قد الإمكان من كثير من المصائب والشدائد؟ وكذلك ما الحكمة في أن يتعجل قضاء الله عز وجل في استلاب زوجته خديجة رضي الله عنها و قد كان يجد عندها أنسه و سلواه؟؟

الجواب على هذين السؤالين هو و الله أعلم:

1- فلو بقي أبو طالب على قيد الحياة يحمي ابن أخيه إلى أن تقوم الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، لكان في ذلك ما يتوهم أن أبا طالب كان من وراء هذه الدعوة، ولتوهم أنه هو الذي كان يدفعها إلى الإمام و يحميها بمكانته العالية و سلطانه الكبير، و إن كان لم يعلن إيمانه، و ربما جاء من يطيل و يتكلم و يبين الحظ الحسن الذي تهيأ له الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، بسبب حماية عنه له، بينما لم يتهيأ هذا الحظ لغيره من المسلمين، لأنهم أوذوا وهو محفوظ الجانب و مستريح البال. و لقد اقتضت حكمة الله عز وجل في فقد الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب وزوجته خديجة أن تتجلى حقيقتان هامتان:

2- أن الحماية و النصر إنما يأتي كل ذلك من عند الله عز وجل. ولقد تعهد الله عز وجل أن يعصم رسوله من المشركين و الأعداء، فسواء

أوجد هناك من يحميه أم لم يوجد فهو صلى الله عليه وسلم معصوم من الناس و ستبلغ دعوته من النصر والتوفيق..

3- و ليس معنى العصمة من الناس أن لا يرى منهم إيذاء أو عذاباً أو اضطهاداً، و عندما معنى العصمة التي ذكرها الله عز وجل في القرآن ﴿وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، هو العصمة من القتل، و أي صد أو عدوان من شأنه إيقاف الدعوة الإسلامية. وقد قضت حكمة الله عز وجل أن يذوق الأنبياء من ذلك قدراً غير يسير، و ذلك لا ينافي العصمة التي ذكرها الله عز وجل، و قد قال الله عز وجل لنبيه: { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ } ، [الحجر: 97-98].

4- و أيضاً اقتضت حكمة الله عز وجل أن يلاقي الرسول هذه الشدائد و هذه المحن، ليكون أسوة من بعده لأرباب الدعوة الإسلامية بالصبر و تحمل الأذى. فلو استراح الرسول صلى الله عليه وسلم و لولم يصبه شيء من هذه الشدائد، لطمع أرباب الدعوة الإسلامية أن يستريحوا كما استراح الرسول صلى الله عليه وسلم.

5- و هذا الشعور يخفف طريق المحنة التي يسير عليها المسلمون، لأنهم يذوقون ما ذاقه الرسول صلى الله عليه وسلم في طريق الدعوة، و

أوذوا كما أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمهما أصاب المسلمين من ألم السخرية و الإهانة، فهم قد رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم قد القي التراب على رأسه في وسط السوق و يذهب إلى البيت و تقوم إحدى بناته فتغسل التراب عن رأسه. كما سيتضح ذلك جلياً في هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف.

6- بعض الناس يحسبون أن تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا العام بعام الحزن، هو مجرد لفقد الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه و زوجته، وربما وجدوا في ذلك ذريعة إلى إقامة علامات للحزن و الحداد على موتاهم مدة طويلة؟! و الواقع أن هذا خطأ في الفهم و التقدير .

7- الجواب على ذلك: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحزن على فراق عمه و زوجه ذلك الحزن الشديد، و لم يطلق على تلك السنة عام مجرد أنه فقدهما. و إنما سبب ذلك بسبب انغلاق معظم أبواب الدعوة الإسلامية في وجهه، فعمه كان يفتح مجالات كثيرة للدعوة و الإرشاد و التعليم. أما بعد وفاته فقد سدت تلك الأبواب و المجالات. فمهما حاول في نشر الدعوة فقد كان يجد الصد و العدوان، و لم يكن يأت بالنتيجة من الوظيفة التي كلفه الله بها، فكان يحزن جداً لعدم إيمانهم بالحق الذي جاء به، و كان يذهب نفسه عليهم حسرات لعدم استجابتهم، فلأجل سمي هذا العام بعام الحزن.. - و يبدو لي و الله أعلم، أن الرسول صلى الله عليه

وسلم كان يحزن بجانب ذلك جداً، أيضاً بسبب فقد عمه و زوجته، و لا نستطيع الجزم بأن حزنه صلى الله عليه وسلم كان فقد لعدم استجابتهم للدعوة، لأنه بشر مثلنا صلى الله عليه وسلم-
 8- و لعل هذه الآيات القرآنية تجلي لنا هذه الحقيقة التاريخية. قال تعالى: { قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ. وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ } [الأنعام:33-35] والله أعلم⁷³

⁷³ للمزيد راجع: فقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ص: 97 - 99، كذلك كتاب: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 140 - 141، و أيضاً كتاب: فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، 95
 97-

المحاضرة الرابعة عشرة: هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

يرجع إلى كتاب فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص:

107- 100

الدروس و العبر المستفادة من الحادثة

إذا تأملنا في هذه الهجرة التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم و ما انطوت عليه من العذاب الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم نستخلص هذه الأمور التالية:

- 1- إن كل ما كان يلاقه النبي صلى الله عليه وسلم من مختلف ألوان المحنة إنما يعتبر ذلك من جملة أعماله التبليغية للناس.. فهو صلى الله عليه وسلم كما جاء ليخبرنا عن العقيدة الصحيحة و عن الكون و عن خالقه و عن أحكام العبادات و الأخلاق و المعاملات، فهو صلى الله عليه وسلم كذلك جاء ليبلغ الناس عن الصبر و المصابرة و كيفية تطبيقهما، الذين أمر الله عز وجل بهما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وأيضاً النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال لنا و لأصحابه (خذوا عني مناسككم)، فكأنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يقول للدعاة من بعده: (اصبروا كما رأيتموني أصبر). فالرسول صلى الله

عليه وسلم كان يعلم أصحابه و أمته فن الصبر على جميع الشدائد و المكاره في سبيل الله عز و جل، و أنه صلى الله عليه وسلم لم ينتقم من هؤلاء السفهاء الذين آذوه، و قد كان بوسعه أن يفعل ذلك عندما جاءه جبريل عليه الصلاة و السلام بملك الجبال لكي ينتقم منهم، و لكنه صلى الله عليه وسلم رفض ذلك قائلاً: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده بلا يشرك به شيئاً..

2- أما شكواه صلى الله عليه وسلم إلى ربه عز وجل لا تدل على الملل و الضجر، لأن الشكوى إلى الله عز وجل نوع من التعب و التضرع إلى الله تعالى، و للمحن و المصائب حكم كثيرة، منها أنها تسوق صاحبها و تدفعه إلى باب الله تعالى و تلبسه جلاب العبودية، فليس بين الصبر على المكاره و الشكوى إلى الله تعالى أي تعارض، فالرسول صلى الله عليه وسلم علمنا كلا الأمرين. إن النفس البشرية مهما تسامت فهي لا تتجاوز دائرة بشريتها، فهو مجبول في أصل فطرته على الإحساس والشعور بلذة النعيم و ألم العذاب، فهو يركن إلى الأول و يفرح من الثاني، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فكان يفضل الثاني أي العذاب على النعيم إرضاء لوجه ربه و أداء لحق العبودية عليه، و لا شك أننا هو مناط الحصول على الثواب و ظهور معنى التكليف عليه..

3- إذا تأملنا هذا المشهد من سيرته صلى الله عليه وسلم نجد أنه
الله عز وجل لم يرد أن يترك نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصيبه
الملل و اليأس بسبب التألم والضرر.. فبعد أن لقي من
سفهائهم ألواناً من العذاب، فإننا نجد ذلك الرجل النصراني
(عداس) نوعاً من التسلية و التبشير الإلهي عندما جاءه يقبل
رأسه ويديه و رجله و جاء بطبق من العنب، و ذلك عندما
أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه نبي مثل نبي الله يونس بن
متى.. و كذلك ابنا ربيعة بن عتبة كانا من ألد أعداء الإسلام،
ولكنهما وافقا أخيراً على تقديم طبق من العنب له صلى الله
عليه وسلم.

4- إن ما كان يفعله زيد صلى الله عليه وسلم بن حارثة رضي الله
عنه من وقاية للرسول صلى الله عليه وسلم نموذج لما ينبغي أن
يكون عليه حال المسلم بالنسبة لقائد الدعوة من حمايته له
بنفسه و دفاعه عنه و إن اقتضى ذلك التضحية بحياته. و بناء
على ذلك فإنه ينبغي أن يكون هنالك قادة للدعوة الإسلامية
في كل عصر و زمن، يخلفون قيادة النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعوة، فعلى المسلمين كلهم أن يكونوا من حولهم جنوداً و
حراساً مخلصين لهم، يقدونه بالأموال و الأنفس كما كان شأن
المسلمين مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

5- إن قصة استماع نفر من الجن و هو يصلي في جوف الليل أو
صلاة الفجر دليل على وجود الجن و أنهم مكلفون و أن منهم

من آمن بالله و رسوله و مهم من كفر و لم يؤمن. وهذا خبر قطعي قد تحدثت نصوص القرآن عنها في صدر سورة الجن و سورة الأحقاف 29-31. و على المسلم أن يؤمن بوجود الجن و بأنهم كائنات حية كلفهم الله تعالى بعبادته كما كلفنا، ولكن الله عز وجل جعل وجودهم غير خاضع للطاقة البشرية التي بثها في أعيننا، و معلوم أن أعيننا تبصر أنواعاً معينة من الموجودات بقدر معين و بشروط معينة. و أجمع المسلمون على أن إنكار الجن أو الشك في وجودهم يستلزم الردة و الخروج عن الإسلام، لأنه إنكار لشيء علم من الدين بالضرورة.

6- و في عودته صلى الله عليه وسلم إلى مكة و عندما سأله زيد متعجباً كيف تعود يا رسول الله إلى مكة و هم أخرجوك؟! فقد أجابه النبي صلى الله عليه وسلم بثقة و اطمئنان: (يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً و مخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه). فكل ما عاناه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسوة والشدة لم يكن له أي تأثير على ثقته بالله تعالى أو على قوة العزيمة الإيجابية في نفسه، و هذه العزيمة ليست عزيمة بشر أوتي طبعه مزيداً من التحمل، و لكنها يقين النبوة كان ثابتاً في قلب النبي صلى الله عليه وسلم.. فيجب علينا أن لا تصدنا العقبات و المحن في طريق الدعوة الإسلامية عن السير، و يجب أن لا تبث فينا روح الكسل و الدعة ما دما نسير على هدى الإيمان بالله تعالى، لأن من استمد قوة الإيمان من الله جدير أن لا

يعرف اليأس و الكسل، فما دام الله عز وجل هو الأمر فلا شك أنه هو الناصر أيضاً. و إنما يأتي الكسل واليأس من من المبادئ الأخرى التي لم يأمر الله به، لأن العاملين في مثل هذه الأحوال يعتمدون على قوتهم الخاصة و جهودهم الشخصية، و هذا معلوم بأن للجهود البشرية قدرة محدودة معينة فمن الطبيعي أن ينقلب كل من القوة و التصميم بسبب المعاناة و المحن إلى يأس و تخاذل نظراً لمقياس القوة البشرية..⁷⁴

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المدينة المنورة 01.05.2006

وتم مراجعة هذه الدراسة مرة أخرى ضحوة يوم السبت 3 ذي الحجة 1436 هـ

والموافق 2014/09/27 - الدوحة - قطر

وأسأل الله أن يتقبلها مني إنه تعالى سميع قريب و آخر دعوانا أن الحمد لله رب

العالمين

خادم القرآن والمسلمين

الدكتور خير الدين خوجة الكوسوفي

الأستاذ المشارك للتفسير وعلوم القرآن

كلية المجتمع - الدوحة - قطر

و كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر سابقا

⁷⁴ للمزيد انظر المرجع السابق، ص: 100-107، و انظر فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص: 97-99،

وانظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص: 141-146

إشراقات فكرية تربوية دينية ثقافية معاصرة⁷⁵

بقلم

الدكتور خير الدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية بكلية المجتمع - قطر

(وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

وجامعة طيبة - بالمدينة المنورة، وجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية

بسلطنة بروناي، والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (سابقا)

2008

⁷⁵ باقة من المقالات والمقابلات الشخصية والحوارات الفكرية والدينية والثقافية نشرت في بعض الصحف والمجلات العربية في الكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية وماليزيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله و على آله وأصحابه و من
والاه. اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم وأكرمنا بنور الفهم واجعلنا ممن
يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أما بعد؛

فهذه باقة من المقالات والمقابلات الشخصية والحوارات الفكرية
والدينية والثقافية نشرت في بعض الصحف والمجلات العربية في الكويت
 والبحرين والمملكة العربية السعودية. تناولت فيها بعض القضايا الراهنة
 والمهمة في عصرنا الحاضر من وجهة النظر الإسلامية والتعددية الفكرية
 والثقافية. هذه المقالات و الحوارات ناقشت موضوع الحوار و العولمة
 والإرهاب و والتشدد والوسطية والتعليم والتربية ودور الإسلام في حماية
 الحضارة الغربية من الانهيار والشيخوخة والزوال، كما أنها تطرقت إلى معاناة
 المسلمين الألبان في كوسوفا والبوسنيين في الجزيرة البلقانية في ظل النظام
 الشيوعي اليوغسلافي والمسلمين عموما في العالم. لا شك أن هذه
 الموضوعات تحتاج إلى تسليط مزيد من الأضواء، إلا أنه يمكن القول بأنها
 تعتبر أطروحات ونظرات جديدة من وجهة النظر الإسلامية من باحث
 عايش و واجه تلك التحديات والثقافات عن قرب. أسأل الله تبارك وتعالى
 أن يجعل هذا الكتاب في ميزان حسناتي و أن ينال إعجاب واستحسان
 القراء، إنه تعالى سميع قريب مجيب و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

و كتبه. د/خير الدين خوجة

المدينة المنورة 1430/4/3 هـ الموافق 2009/03/31

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة
العدد 718 - الجمعة غرة صفر 1429 هـ - 8 فبراير 2008

«إشراقات»

الباحث اليوغسلافي خير الدين خوجة في حوار مع «الوقت»:
العملة آخر نماذج استعباد البشريّة ويجب رفضها

(3-1)

الوقت - نادر المتروك:

يتوافق الدكتور خير الدين خوجة، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة طيبة في المملكة العربية السعودية، مع القول بأن العملة تهدف إلى إنتاج مجتمع جاهلي، وهو يتحرك "ككائن عضوي، تندفع أعضاؤه، بطبيعة وجوده وتكوينه، للدفاع الذاتي عن وجوده وكيانه"، وبناءً عليه يذهب خوجة إلى أنه "لا يملك الإسلام أن يواجههم إلا في صورة مجتمع آخر له ذات الخصائص، ولكن بدرجة أعمق وأمتن وأقوى". وإذ يُحدّد جملة من المواصفات التي تجعله يرفض مصطلح العملة جملةً وتفصيلاً؛ فإن خوجة يطرح الإسلام خياراً بديلاً عن كلّ الطروحات القائمة، مؤكداً على أن "الإسلام يغيّر حالة الأفراد عندما يصدقون في التعامل معه، ويغير حالة

المجتمعات عندما تصدق في تطبيق أحكامه"، وفي خصوص تهديدات العولمة لهوية المسلمين يرى بأنه كي "نثبت أمام الثقافات الواردة والهدامة، لا بد من توحيد الجهود المبذولة من مراكز التوجيه والتأثير في الأمة ومؤسساتها كافة، ولا يمكن في التغيير الإسلامي نحو الأفضل أن يدعو واحد إلى الخير ويدعو عشرة إلى الشر".؟

يواجه العالم الإسلامي اليوم مخاطر حقيقية على مستوى هويته الثقافية والحضارية، حيث تتهدده العولمة في صميم وعيه الديني ومحتويات نموذج الكوني.

ما هو أولاً تشخيصكم الموجز لأوضاع المسلمين في العالم الإسلامي؟

بسم الله الرحمن الرحيم

إن مما لا شك فيه، أن العالم الإسلامي والمسلمين قاطبة يمرون بحقبة تاريخية سوداء، صعبة ومخرجة للغاية، وأنهم حقاً قد أصابهم وهن شديد، بحيث يصبح اللبيب حيران على وصف هذه الحقبة وبيان حالتها المأساوية. حيث الابتعاد عن تعاليم الإسلام وقيمه، والتمزق والتفرق والتشردم بين المسلمين، وحيث التخلف والرجعية والجمود في الصناعة والإنتاج، وانتشار الفقر المدقع والبطالة في صفوف المسلمين، وحيث الذل والهوان المهيمن على الدول الإسلامية عموماً، والمؤسسات الدينية والعلمية خصوصاً، وحيث الاستعمار والاستبداد في الأراضي الإسلامية، وحيث النهب

والسرقة للثروات وممتلكات المسلمين، وحيث السجن والقتل والقصف والتشريد ومطاردة وملاحقة للمسلمين أينما حلوا وارتحلوا، وحيث الهجوم الشرس على القرآن ونبي الإسلام من قبل وسائل الإعلام الغربية، المرئية والمسموعة والمقروءة، وحيث الاستخفاف والسخرية بمقدسات الإسلام والمسلمين.. أقول أصبحت هذه الظواهر في عصر العولمة أو الجاهلية الرأهنة، للأسف الشديد، إحدى أشهر سمات المسلمين والعالم الإسلامي في العصر الحديث. هل فعلاً يمكن النظر إلى العولمة على أنها تحدٍ حقيقي في هذا الإطار؟ أي جاهلية جديدة كما تعبّرون؟. يقول الله عزّ وجل في كتابه الكريم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢] ويقول سبحانه أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]. وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله؛ أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: (أنتم يومئذ كثير، ولكنكم تكونون غثاء كغثاء السيل، تنزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن) قال: وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا، وكرهية الموت).

وللعلماء والمفسرين في تفسير الآيات السابقة، ولاسيما تفسير آية الأنفال التي سبق ذكرها كلام جميل، أرى من الأهمية بمكان اقتباس بعض الفقرات من تفاسيرهم حتى نكون على بينة من الأمر في كيفية مواجهة تحدي العولمة أو الجاهلية الحديثة المتطورة، ومن ثم بيان السبل الكفيلة والمحافظة للهوية الإسلامية. قال العلماء: إن المنهج الحركي لهذا الدين يواجه الواقع دائماً بوسائل مكافئة، وهو منهج متحرك مرن، ولكنه متين واضح، والذين يلتمسون فيه ما يواجهون به الواقع في كل حالة لن يضطروا إلى لي أعناق النصوص وتأويلها وتأويلات تأباها! وإنما المطلوب هو تقوى الله، والتخرج من تطويع دينه لواقع الشر الجاهلي، والهزيمة به والوقوف به موقف الدفاع.. ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في «نظرية» مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية، ورد الناس إلى الله مرة أخرى، لا يجوز - ولا يجدي شيئاً - أن تتمثل في «نظرية» مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعل والمتمثلة في تجمع حركي عضوي، فضلاً على أن تكون متفوقة عليها.. بل لا بد لهذه المحاولة الجديدة أن تتمثل في تجمع عضوي حركي أقوى في قواعده النظرية والتنظيمية، وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك التجمع الجاهلي القائم فعلاً.. لأن وجود المجتمع المسلم لا يتحقق إلا بهذا. لا يتحقق بمجرد قيام القاعدة النظرية في قلوب أفراد مهما تبلغ كثرتهم؛ لا يتمثلون في تجمع عضوي متناسق متعاون؛ له وجود ذاتي مستقل، يعمل أعضاؤه عملاً عضويًا - كأعضاء الكائن الحي - على تأصيل وجوده وتعميقه وتوسيعه؛ وعلى الدفاع عن كيانه ضد العوامل التي تهاجم وجوده وكيانه.. ولم يوجد

قط في صورة «نظرية» مجردة عن هذا الوجود الفعلي.. وهكذا يمكن أن يوجد الإسلام مرة أخرى.. ولا سبيل لإعادة نشأته في ظل المجتمع الجاهلي في أي زمان وفي أي مكان، بغير الفقه الضروري لطبيعة نشأته العضوية الحركية.. وكما أن المجتمع المسلم مجتمع عضوي حركي متناسق متكافل متعاون يتجمع في ولاء واحد، فكذلك المجتمع الجاهلي: والذين كفروا بعضهم أولياء بعض.

موافقتكم على هذا التوصيف للعمولة يتطلب توضيحاً فكرياً أعمق للعمولة. ما هو مفهومها الفلسفي وبنيتها التاريخية في نظركم؟

بالفعل، ونحن أمام هذا التيار الثقافي الديني الفكري الجارف، أو الجاهلية بثوبها الجديد؛ يحسن بنا أن نبين معنى ثقافة العمولة والمراد من ذلك المصطلح الفضفاض، والذي انجّر وراءه كثير من المفكرين والمثقفين، داعين إلى قبوله واعتناقه جملة وتفصيلاً، دون أن يعرفوا حقيقتها وأبعادها. يقول بعض العلماء والمفكرين: إن كلمة العمولة لفظ ومصطلح جديد في القاموس الاقتصادي والسياسي، وهي منسوبة إلى (العالم) وليس إلى (العلم)، وهذا الكلام لا يسلم له جملة وتفصيلاً، كما سنرى بعد قليل. ولهذا توصف العمولة بأنها: نظام جديد يُراد به توحيد العالم في إطار جديد واحد، وهي تشمل السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع والتربية، بل وحتى الدين، وأنها تتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية بين الدول، وأنها ستجعل العالم في عصر القرية الكونية الموعودة، وربما أنها تكون إمبراطورية جديدة، في ثوب

واسم جديد. إن أسس وقوائم ثقافة العولمة هي: العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للقيم والحضارات والقيم والأنظمة والثقافات والحدود الجغرافية والسياسية. وكما رأينا أن العولمة هي صيغة جديدة من صيغ المواجهة الحضارية يخوضها الغرب ضد هويات الشعوب وثقافات الأمم وحضارتهم، وعلى رأس تلك الأمم والشعوب؛ المسلمون، وأنهم هم المستهدفون بالدرجة الأولى في هذه المواجهة، حتى يفرض الغرب هيمنة ثقافية واحدة ويخضع العالم لها. وهذه الثقافة، أي ثقافة العولمة بهذا المفهوم تتعارض تعارضا تاما مع الإسلام، فضلاً عن قواعد القانون الدولي ومع طبيعة العلاقات الدولية ومع الاقتصاد الوطني والسيادة الوطنية، وأيضاً مع قانون التعددية الدينية والتنوع الثقافي والفكري. إن هذه الثقافة الغربية والأمريكية إذا سارت بهذا الاتجاه، هي إنذار ومؤشر بانحيار وشيك للاستقرار العالمي عامة، والعالم الإسلامي على وجه الخصوص.

وإن نظرة فاحصة وثاقبة على الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية والثقافية في العالم الحاضر، هو خير دليل وأقوى شاهد على تحقق ذلك الإنذار والمؤشر. كل ذلك بسبب التقليد الأعمى والاتباع المطلق لهذا النظام العالمي الجديد دون أدنى تحفظ منه.

بعض الباحثين يحرص على التفريق بين العالمية وبين العولمة، فهل تذهبون إلى ذلك أيضاً؟

صحيح هذه مسألة مهمة ذكرها العلماء، فإن هناك فرقاً شاسعاً بين مفهوم العالمية أو الكونية **Universalism**، والتي تمثل طموحاً نحو الارتقاء والازدهار والتقدم والنهضة بالخصوصية إلى مستوى عالمي، وقبول وأخذ كل ما هو طيب وحلال وعالمي وكوني، وبين العولمة **Globalization**، والتي تعني القمع والإقصاء والسلب لكل ما هو خصوصي. إذن فالعالمية **Universalism** تعني الانفتاح على الآخر ورغبة في الأخذ والعطاء، وهذا هو المطلوب، ولكن بشروط وضوابط، بينما العولمة **Globalization** تعني اختراق وسلب وتدمير لخصوصية الآخر. وبناء على المفهوم الأول **Universalism** أي العالمية، فالإسلام أمرنا بالانفتاح نحو الآخر والأخذ والاستفادة منه، ما لم يتعارض ذلك مع قرآنا وسنة نبينا محمد (ص). وهذا الموقف أيضاً يتفق من خصائص الإسلام، حيث تتصف دعوته بالعالمية لكل أجناس البشر في العالم من دون استثناء، كما أن مبادئه وقيمه تتصف بالشمولية للجوانب الحياتية كافة دون استثناء جانب. وبناء على المفهوم الثاني، أي العولمة **Globalization**، نقول إن هذه الثقافة تتعارض مع المبادئ الإسلامية والقواعد الشرعية والآيات القرآنية، التي اعتبرت التعددية اللسانية واللونية والعرقية آية من آيات الله، حيث خلقهم الله عز وجل من ذكر وأنثى وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارف الناس فيما بينهم وأن يجتمعوا على

صعيد واحد تحت راية التوحيد، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ما هي أهداف العولمة، خصوصاً بالنظر إلى وجهها الثقافي السلبي؟

هناك عدد من الأهداف لثقافة العولمة، وهذه مسألة تزداد، كما يراها العلماء والمحللون، ونذكر منها على سبيل المثال: الهيمنة على اقتصاد العالم من قبل أميركا وأوروبا، والتحكم في القرار السياسي وصناعته لخدمة المصالح الأميركية والأوروبية، إلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي للشعوب، وتدمير الهويات الدينية والثقافات القومية والفكرية والحضارية للشعوب، وزيادة الدول الغنية غنى ونهضة وتطوراً، بينما تزداد الدول الفقيرة فقراً وبؤساً وتخلّفاً. كما أن من أهدافها القيام بتفتيت بعض الدول والكيانات والحضارات والمؤسسات الثقافية والدينية، وفرض السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية بقصد استغلال الدول ونهب خيراتها. وإذا علمنا أن الولايات المتحدة الأميركية والولايات المتحدة الأوروبية قد أدركت حقيقة تطلع المسلمين إلى الصحة والنهضة لإيجاد كيان دولي لهم يقوم على أساس الإسلام، يحفظ حقوقهم وكرامتهم وأموالهم، فإن تلك الولايات قد أعدت العدة للقضاء على الإسلام والمسلمين بشتى الطرق والوسائل، ابتداءً بالغزو العسكري وانتهاءً بالغزو الفكري والثقافي، وجّهت حملة ضارية ضد الإسلام ومصالح المسلمين، من خلال هذه الركائز: أولاً وزنها

الدولي ونفوذها في العالم الإسلامي، وثانياً زعامتها للدول الرأسمالية التي تحرص على اشتراكها بالحملة ضد الإسلام، وثالثاً الشرعية الدولية المتمثلة بالأمم المتحدة وميثاقها والمؤسسات التابعة لها والواقعة تحت هيمنتها، ورابعاً مراكز السلطة والنفوذ في الدول ومن سخرتهم من المنافقين والنفيعين. وتتجلى هذه الحملة الأميركية والأوروبية بشعارات أربعة: أ- الديمقراطية، والتي هي في حقيقتها حكم الشعب للشعب وليس حكم الله عز وجل، ب- والتعددية السياسية وتعدد الأحزاب والفرق، ج- حقوق الإنسان، ويراد منها حقوق الإنسان الغربي والأميركي فقط، د- سياسات السوق العالمية والتحكم فيه.

في مقابل رفضكم للعملة التي طرحتم مفهومكم لها، ما هو البديل.. ما هو خياركم البديل؟

باختصار شديد نقول: البديل هو الإسلام، إذ إنه الخيار الوحيد الذي يجب التسليم بصحته وفاعليته، والذي يجرم على المسلم استبدال الأديني بالذي هو خير؛ لأنه عقيدة ونظام حياة، فيه كل الحلول والمعالجات الربانية، كما قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)، وكما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وبناء على ما ذكر، وبهذا المفهوم الذي ذكرناه،

فإنه يجب رفض العولمة رفضاً تاماً باعتبارها آخر صيغة ونموذج للاستعمار الحديث والاستبداد السياسي والطغيان الاجتماعي والعودة بالناس إلى العبودية، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ بعد كل ذلك، ما هي السبل الكفيلة في رأيكم للمحافظة على جوهر الهوية الإسلامية في ظل الاختراقات غير المحدودة للثقافات العولمية؟. إذا كانت أمتنا في هذا العصر تواجه غزواً فكرياً خطيراً، على الجبهات والمجالات كافة، وإذا كان الأعداء يريدون تغيير ثوابت وقيم ومبادئ الأمة الإسلامية وتغريبها عن دينها، وإذا ما أصيب كثير من أبناء الأمة الإسلامية بالتلوث الفكري الغربي، فإنه لا ينقذهم مما أصابهم ويزيل ما علق بهم ويبدل حياتهم نحو الأفضل والأحسن.. إلا الإسلام. لا بد من محاربة الجهل المطبق بالإسلام ومبادئه وقيمه وثقافته، وملء الفراغ الروحي والفكري والثقافي الكبير لدى المسلمين عامة والشباب خاصة. ومن الضروري محاربة "إسلاموفوبيا"، وهو النفور والتخوف من الإسلام وكراهية مبادئه وقيمه وأحكامه وتشريعاته، وتحييه إلى الناس كافة، من خلال إحياء سننه وآدابه وفضائله، وإحياء شمائله ومناقب نبينا محمد (ص). وليس من سبيل لاعتناق الأفكار والفلسفات والثقافات الغربية المطلقة، وإنما نختار منها ما طاب ووافق ديننا، ونرفض ما خبث وتعارض مع إسلامنا، ولا بد من وزن الثقافات الغربية والأمريكية بميزان الحق والعدل، وردها إلى شهادة المركز **Criteria of Center** القرآن والسنة، والتاريخ الإسلامي وسيرة سلفنا الصالح.

كيف ترسم العلاقات أو حدود التعاطي إذن مع الغرب أو مع الثقافات القادمة من الغرب؟

لابد من المحافظة على المجتمع المسلم من الإصابة بالعقد والأمراض النفسية والغريبة، كالقلق والإحباط والشعور بالعدمية والعبثية والأنانية والذاتية، وذلك من خلال المؤتمرات والندوات والمحاضرات والمخيمات والزيارات.. وعدم ممارسة الحياة على الطريقة الغربية بشروها ومفاسدها وانحرافات ورذائلها، وحلها ومرها، وعدم تقليدهم في الجانب السلبي، وإنما علينا التركيز على الجانب الإيجابي فقط. كل ما هو طيب وحلال ومفيد قبلناه، إذ الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها، وكل ما هو ضار وخبيث رفضناه. ولذلك لابد من نقض الأفكار والنظريات الجاهلية الباطلة، التي يؤمن بها الكافرون، وبيان زيفها وخطئها، واستخدام المنطق الجدلي البرهاني العلمي في ذلك لدحض شبهاتهم وأباطيلهم. وبالتالي الدعوة لعامة الناس إلى التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل، وتكليف كل مسلم بواجب النصح والتذكير، ونشر النافع الخير من الثقافات والقيم.

فمن الضروري إذن تحصين أبناء المسلمين أمام الغزو الفكري المعادي وتثيبتهم أمام حقائق الإسلام، ليحسنوا الوقوف أمام الثقافات الوافدة ولا يأخذوا منها أباطيلها.

ولكي يتحقق ذلك.. ما هي المتطلبات على المستوى الذاتي، على مستوى المسلمين أنفسهم؟

أولاً عدم انسلاخنا من ماضيها وتاريخنا المشرق، وسير علمائنا المصلحين، وعدم فقدان الهوية الذاتية، وعدم ضياع الأصالة المميزة، والتي ميزنا الله عز وجل وفضلنا بهذا الإسلام عن العالمين. والسعي إلى تحسين صورة مجتمعات المسلمين المشوهة، ونشر جمال الإسلام وعظمته من خلال الكتب والرسائل والقنوات والمواقع الالكترونية. والسعي من قبل المسلمين إلى التعرف على منهج الإسلام في التغيير الثقافي الإيجابي وليس السلبي، أي من الأسوأ نحو الأفضل والأحسن، وليس العكس، وذلك من خلال تقديم العقيدة الصحيحة، الخالية من الخلافات والمسائل التي لا تمت إلى واقعنا بصلة، وينبغي توضيح مسائلها ومباحثها وخطاب الكيان الإنساني كله بها، وليس تقديم العقيدة على أنها معلومات نظرية، أو مباحث فلسفية، أو تصورات فكرية، وإنما تقديمها على أنها (حقائق) حياتية معاشة منظمة، يعيشها المسلم في حياته عملياً، فمن وضحت له عقيدته وأثرت في كيانه، فإنها تغير له كل شيء في حياته.

* رابط المقال :

<http://www.alwaqt.com/art.php?aid=97857>

© 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

الوقت

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 739 الجمعة 21 صفر 1429 هـ - 29 فبراير 2008

«إشراقات»

الباحث الإسلامي خير الدين خوجة في حوار مع «الوقت»:
الفتاوى تخضع للخصوصيات.. وما يصلح للشرق قد لا يصلح للغرب

3-2

الوقت - نادر المتروك:

يذهب الدكتور خير الدين خوجة إلى أن المسلمين في جزيرة البلقان كانوا يعانون من قسوة النظام الشيوعي، والتمزق العرقي والطائفي"، ذاهباً إلى الشيوعيين "كانوا باستمرار يحيون نزعة الكره والحقد ويشعلون فتيلة البغض على الدولة الإسلامية العثمانية بين أوساط الشعوب التي كانوا يحكمونها، ولاسيما الشعب الألباني والبوسني، والنظام الشيوعي منع أتباع هذه الأديان من التفاهم والتحاور فيما بينهم للتوصل إلى السلام والوثام وإلى نقاط مشتركة ترضي الجميع". وفي الوقت الذي يحلّ فيه أوضاع

المسلمين في الغرب، فإن خوجة ينصح المسلمين هناك إلى ضرورة التعايش في تلك البلدان على قاعدة الثابت والمتغير في الإسلام، وتحديد هذه القاعدة، كما يقول، ليس مشكلة في الإسلام " ولم يتم ذلك بثورة ومعركة وصراع.. وإنما تم ذلك بتقرير تشريعي رباني في القرآن الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم " فالثبات في الإسلام ليس مطلقاً، وإنما هو في حقائق وقواعد معينة"، وكذلك التغير في الإسلام ليس مطلقاً شاملاً، وإنما هو في فرعيات لا بد من تغييرها".

يتحدّث البعض عن تقدّم مذهل للوجود الإسلامي في الغرب، ويرى هؤلاء بأنّ هناك ازدهاراً مقبلاً للإسلام في بلدان الغرب، وهو ما يشعر به المترصّون شراً للإسلام ويحدّرون منه. هل يمكن أن تقدّموا إطلالة موجزة على أوضاع المسلمين في أوروبا الغربيّة والشرقيّة؟

يعود وجود الإسلام في الغرب إلى قرون سحيقة، وبالتحديد إلى سنة 711م عندما فتح المسلمون الأندلس واستقروا فيه. استمرّ حكم الإسلام في الأندلس قرابة ثمانية قرون، ومع سقوط الدولة الإسلامية في اسبانيا، وصل العثمانيون إلى الحكم، والدولة العثمانية أخذت تُمدّد دائرة حكمها شيئاً فشيئاً إلى جزيرة البلقان في أوروبا الشرقية وإلى إفريقيا الشمالية، واستمر حكم الدولة العثمانية خمسة قرون ونيّف، وبالتحديد إلى نهاية الحرب العالمية الأولى. جزيرة البلقان تقع في أوروبا الشرقية حيث يقطنها أعداد كبيرة من المسلمين ولاسيما في يوغسلافيا السابقة، وبالذات في جمهورية البوسنة

والهرسك، حيث يقدر عدد المسلمين 65-70 % مسلمون بوسنيون، ومقدونيا 35-40 % مسلمون ألبان وأتراك وبوسنيون، وكوسوفا 98% مسلمون ألبان (الغالبية العظمى)، وأتراك وبوسنيون، وفي شمال صربيا في وادي بريشيوو 90 % مسلمون ألبان. كما أن هناك مسلمين في بلغاريا ورومانيا واليونان، ولكنهم أقلية. المسلمون في ألبانيا هم أغلبية 70-75 %، كلهم من الألبان. وأما عن تواجد المسلمين في أوروبا الغربية، فإنها تعد ظاهرة جديدة بعد الحرب العالمية الثانية.

البعض جاء إليها مهاجراً، والآخرين جيء بهم من قبل الدول المستعمرة لاستغلالهم وتشغيلهم نظراً لحاجة الأوربيين إليهم. ويبلغ عدد المسلمين في الغرب حسب بعض الإحصائيات الأخيرة قرابة 53 مليوناً، وأما في الأمريكيتين (الشمالية والجنوبية) فيبلغ عددهم قرابة 9 ملايين، ولوحظ تواجد المسلمين بكثرة في الستينات والسبعينات.

وأما كندا، فإنها تبنت السماح بهجرة المسلمين ذوي الكفاءات والمهارات العالية، بينما سياسية الولايات المتحدة الأمريكية، لم تكن كذلك، حيث كانت تشدد على المهاجرين بتعلم وإجادة اللغة الإنجليزية، وفهم الدستور الأمريكي والثقافة والتقاليد والأعراف الأمريكية.

التعددية الدينية في الغرب زائفة! وكيف هو واقع التعددية الدينية في الغرب، وذلك بالنظر إلى تاريخ الأقليات الدينية هناك؟

إن الاعتراف بحقيقة التعددية الدينية في أوروبا الغربية والشرقية مازالت شجرة غير يانعة وفكرة غير ناضجة. لأوروبا الغربية والشرقية مع الأقليات الإسلامية تاريخ ديني طويل أسود ودام، مليء بالخرافات والأكاذيب التي سطرها المستشرقون الأوروبيون بغرض تشويه الإسلام وتشكيك الناس فيه، بخلاف تاريخ أميركا مع المسلمين، فلم يثبت تاريخياً حروب صليبية أميركية ضد الإسلام والمسلمين، ولم نجد هذه الحملة العشوائية من قبل المستشرقين الأميركيين ضد الإسلام والمسلمين، إلا ما حدث من بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، فالأجل هذه الحقيقة التاريخية فإن ما يُتوقع من الشعب الأميركي في المستقبل القريب لصالح الإسلام والمسلمين أكثر وأكبر مما يُتوقع من شعب أوروبا الغربية. وأقرب مثال على تلك الحقيقة التاريخية المذابح والمجازر على أيدي القوات الصربية في حق مسلمي البوسنة والهرسك، وحق مسلمي كوسوفا. حيث تجد في أوروبا الغربية من المتطرفين الغربيين من ينادي بإرجاع المسلمين إلى أوطانهم، وأن محاولات بعض الأطراف الدينية في إيجاد الحلول الموصلة للتفاهم والعيش تحت سقف واحد مشترك وآمن؛ قد باءت بالفشل. إن تدفق المسلمين المهاجرين بكثرة إلى بريطانيا، أدى بالسلطات البريطانية إلى اتخاذ الإجراءات الصارمة في حق هؤلاء المهاجرين المسلمين، هذا التشدد أدى ببعض السياسيين المحافظين مثل Enoch Powell إلى توقع حرب أهلية بين أصحاب الثقافات

المتعددة والمتنوعة، كما أدى هذا التخوف أيضاً برئيسة الوزراء السابق
Mrs.Margaret Thatcher إلى إبداء قلقها إزاء تدفق المهاجرين
إلى البلاد.

إسلام أوروبا وإلغاء الخصوصية حالياً، كيف هي أوضاع المسلمين في
الغرب، وخصوصاً بملاحظة كلامكم السابق الذي ينبئ بملامح سلبية
جداً؟

إذا كان بعض الباحثين يقسم أحوال المسلمين في الغرب إلى مرحلة ما
قبل أزمة كتاب سلمان رشدي ومرحلة ما بعد صدور الكتاب؛ فإنه يحق لنا
أن نقسم أيضاً أحوال المسلمين هناك وفي العالم بأسره إلى مرحلة ما قبل
أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والمرحلة التي تلت تلك المرحلة. بل
ويجب تقسيم أحوال المسلمين أيضاً إلى ما قبل أزمة الدنمارك وما بعدها.
فكل من له إلمام واهتمام بأوضاع المسلمين في العالم يلاحظ ذلك
بالوضوح، حيث إن أوضاع المسلمين في الغرب وأميركا قد استاءت للغاية؛
من حيث ازدياد البغض والكره تجاه المسلمين، وتشديد القوانين والعقوبات
الصارمة بحقهم، وتهميش أوضاعهم وحقوقهم الوطنية والدينية والإنسانية،
بحجة التطرف والإرهاب. فمثلاً تشير بعض المصادر الإحصائية أن كراهية
الأميركان تجاه المسلمين ازدادت بعد أحداث 9/11 أكثر من 900% ،
فقد ذكرت مجلة (US news and world report) أن الحكومة

الأميركية وضعت برنامجاً واسعاً لمراقبة نحو 120 مسجداً وموقعاً يرتاده مسلمون في الولايات المتحدة، وذلك بحثاً عما تعتبره الإدارة الأميركية قنابل "نووية" محتملة. كما تشير المصادر أن أوضاع المسلمين في الغرب ازدادت تدهوراً وسوءاً للغاية، حيث المعتقلات العشوائية والتهم المصطنعة في حق الأبرياء من المسلمين، وتطاول وسائل الإعلام في حق مقدسات الإسلام والمسلمين، والاستهزاء بالقرآن الكريم ونبي الإسلام، كما حدث في الأسابيع القليلة الماضية وللمرة الثالثة من قبل بعض إعلاميين الدانماركيين في إعادة نشر الرسوم المسيئة في حق نبينا ورسولنا محمد عليه الصلاة والسلام مرة أخرى، وكما حدث للموسوعة العالمية الحرة في الإنترنت ويكيبيديا Wikipedia أن تنشر رسومات للرسول صلى الله عليه وسلم، وكما هو الحال أيضاً مع بعض الإعلاميين الهولانديين في نشر وعرض بعض الأفلام المسيئة للقرآن والإسلام. فلا أدري متى سيصحو الغربيون من غفلتهم ويتوقفون عن هذه الحماقات في حق إخوانهم المسلمين!؟

البعض يرى أن الظاهرة الإسلامية في الغرب هي ظاهرة مختلفة تماماً عن النموذج القائم في بلدان المسلمين، ويرى أن هناك " إسلاماً أوروبياً " يجمع بين القيم العليا للإسلام والثقافة الأوروبية. ما رأيكم في هذه الآراء؟ وكيف تقيّمون الوجود الإسلامي في الغرب اليوم وغدا؟

يرى بعض المحللين أن النظرة الموضوعية والعالمية لعلاقة الغرب بالإسلام تكشف أن هناك في بلاد الغرب إسلامين وليس إسلاماً واحداً. الأول: الإسلام الذي يبحث عنه المستشرقون في مراكز الأبحاث الأكاديمية أو في الجامعات، ويقضون أعمارهم في البحث لأغراض سياسية واجتماعية ودينية واستعمارية. والثاني؛ هو الإسلام المشوّه الذي يعرفه الرجل العادي في أوروبا وأميركا، وهو خاضع تماماً لوسائل الإعلام التي تصوّر الإسلام شيطانا مريداً، وإرهابياً مدمراً، وتحمله مسؤولية كلّ المشكلات التي قد تظهر اليوم أو غدا في العالم، ولا تتورّع عن إصاق التهم به صغيرها وكبيرها. وللأسف أن هذا الفهم المشوّه للإسلام هو الذي يظهر في الساحة، وهو الذي يعاني منه المسلمون في الخارج، ويدفعون ثمناً لأخطاء لم يرتكبوها وتكون النتيجة أن يجد هؤلاء أنفسهم وراء القضبان دون ذنب أو جريمة! ويرى المحللون أن هناك جدلاً في الغرب بشأن تقسيم الإسلام إلى قسمين آخرين أيضاً: الأول هو الإسلام في أوروبا، والثاني هو: إسلام أوروبا. القسم الأول يقصد به ما أوضحناه آنفاً من أن أبناء الجاليات الإسلامية نزحوا من بلدانهم الأصلية مهاجرين ليستوطنوا أوروبا في كانتونات ومحافظات شبه مغلقة. وخطورة هذه الحال أن المسلمين في أوروبا يكونون معزولين طوال الوقت

عن المجتمع الذي يعيشون فيه، حيث تسكنهم الحكومات في الضواحي النائية. والقسم الثاني هو إسلام أوروبا، أي أن أوروبا جغرافياً وزمانياً لها صفات مختلفة عن صفات الحيز الجغرافي العربي أو الإسلامي، ومن ثم فمن حقها أن يصطبغ إسلامها بطابعها الخاص يتناسب مع واقعها وبيئتها وظروفها الاجتماعية والعرقية. ويبدو لي والله أعلم، أنه لا ضرر ولا حرج من هذا التقسيم، لأن حاضر العالم الإسلامي يشهد بهذه الحقيقة الواقعية، كما هو الحال مع إسلام المسلمين في إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وتايلاند وفلبين والهند.. وإسلام مصر، وإسلام الإمارات.. الخ. فتجد المسلمين في تلك البلاد الشرقية والغربية متفقيين ومحافظين على الأصول والقيم العليا الدينية والفروض الإسلامية. بينما تجد هؤلاء المسلمين مختلفين في الفروع والعادات والتقاليد والأعراف وأنماط الحياة العامة والخاصة، وهذا لا حرج منه، بل لا يجوز فرض عادات وأعراف أقوام ما على أقوام آخرين، لأن لكل خصوصيته، فلا يجوز إلغاء تلك الخصوصية التي فطرهم الله عز وجل عليها، لأن الإسلام أقر من عادات العرب ما توافقت مع الإسلام وألغى تلك التي خالفت الإسلام، وهذا من عظمة تشريع الإسلام وحسن سياسته. إذن يجب علينا أن نفرّق بين الثقافة العامة لشعب ما وبين الدين الإسلامي الذي هو شرع الله ومنهاجه، كما أنه ينبغي علينا أن نعرف ما هو الثابت وما هو المتغير في الإسلام.

الحركة داخل دائرة الثوابت

هذا الأمر يبدو مهمّاً بالنسبة للمسلمين المهاجرين إلى الغرب،
فما الذي يمكنكم توجيهه في خصوص متطلبات التعايش من غير أن
يؤدي ذلك إلى انسحاق الثوابت؟

استغل هذا المنبر المبارك لكي أوجّه دعوة إلى جميع المسلمين في أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية، بأن أدّكرهم ببعض الحقائق ذكرها العلماء والمفكرون، فأقول: ينبغي عليكم أيها المسلمون أن تعرفوا قانون ضبط المتغير بالثابت في الإسلام، وأن لا تخلطوا بين الاثنين، وهذا القانون هو: (الحركة داخل إطار ثابت وحول محور ثابت) وأن هناك ثباتاً في مقومات التصور الإسلامي الأساسية وقيمه الذاتية، فهي لا تتغير حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية، فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور، ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة، ولكنه يقتضي السماح لها بالحركة ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت. مثلاً لباس المرأة المسلمة، ما هو الثابت والمتغير فيه؟ إن الثابت بالنسبة للباس المرأة هو: 1- أن يستر اللباس عورة المرأة، ومعلوم أن جميع بدن المرأة عورة ما عدا الوجه والكفين، على الراجح من أقوال العلماء، 2- ومعنى ستر اللباس للعورة أن لا يكون شفافاً بحيث يرى جسمها من خلاله، وأن لا يكون مجسماً يصف بدن المرأة ويحدده، 3- أن لا يكون هذا اللباس كلباس الرجال، فلا يجوز للمرأة

أن تتشبه بالرجل في لباسه، وأن تلبس الملابس الخاصة للرجل، 4- أن لا يكون هذا اللباس لافتاً لأنظار الرجال بألوانه المثيرة أو شكله اللافت للنظر، أو العطر عليه الذي يشمه الرجال ويلتفتون حوله.. هذه الأسس الأربعة الثابتة في لباس المرأة التي لا تتغير بتغير الزمان أو المكان، سواء عاش الناس في البادية أو المدينة أو أوروبا أو أميركا أو في أي مكان آخر. وأما التغير في لباس المرأة، فالإسلام ترك للمرأة حرية الاختيار في شكل لباسها ولونه وكيفية تفصيله وخياطته، بشرط أن لا تخرج عن تلك الأسس الأربعة السابقة. فالغرب لا يحتاج إلى العادات والتقاليد والأعراف الشرقية أو العربية.. ما دامت ليست من صلب عقيدة الإسلام وشرعه، وإنما هي أمور فرعية وقضايا جزئية. فالنساء المسلمات المتحجبات في الغرب لا ينبغي عليهن أن يلبسن الحجاب ذا اللون الأسود، مثلاً، لأن هذا اللون مثير ولافت لأنظار الغربيين مقارنة بالألوان الأخرى، فما دام الأمر فيه سعة، فالأولى في حقهن أن يخترن ألوان أخرى التي تتماشى مع العادات والتقاليد الغربية. وبهذا الفتوى أفتى كبار العلماء في السعودية من أمثال الشيخ بن باز رحمه الله، عندما قال إن شكل ولون حجاب المرأة الشرقية تختلف عن لون وشكل حجاب المرأة المغربية، أو التركية... الخ. وأيضاً ينبغي أن ندرك قضية أخرى مهمة تتعلق بأوضاع المسلمين في الغرب أو أميركا، بأن الفتاوى يجب أن لا تتحول إلى طيور مهاجرة من بلد لآخر، وإنما لكل بلد ولكل منطقة فتواها الخاصة بها، كما أنه يجب أن لا تعمم الفتاوى في حق جميع الأشخاص. فما يصلح للشرق قد لا يصلح للغرب، إذ إن لكل خصوصيته وحالته الخاصة.

هل تدعو إذن إلى التعايش التام في دول الغرب، خصوصا على المستويين القانوني والإجرائي؟

إنني أدعو إلى تكيف المسلمين العائشين في الغرب أو أميركا بالأجواء الثقافية الغربية أو الأميركية، من غير انصهار ولا ذوبان للهوية الدينية الإسلامية، ولا ضياع للقيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية، وهذا أضحى من الواجبات المحتمة والمسلمه بها، لأنهم ما داموا محافظين على أركان الإيمان الستة، و متمسكين بأركان الإسلام الخمسة.. وما داموا واعين بأن القرآن الكريم والسنة النبوية هما الأساس في حياة المسلمين والعقل تابع لهما.. وما داموا متحلين و متمسكين بالقواعد الثابتة والأصول الدينية والمقاصد الإسلامية والمقررات الشرعية.. وما داموا ممتنعين عن المحرمات اليقينية والتي ثبتت حرمتها بالأدلة القطعية.. نقول لهؤلاء هنيئاً لكم بتلك الديار ودمتم طيبين ومباركين فيها، فأنتم سفراء الإسلام المخلصون إن شاء الله في تلك البلاد. إذا اتضحت هذه الحقيقة العلمية فإن شئت بعد ذلك أن تقول عنهم إن إسلامهم أوروبي، أو إن شئت أن تقول عنهم إنهم مسلمو أوروبا؛ فقل ما شئت.. وإنما العبرة بالحقائق وليست بالمسميات والظواهر.

* رابط المقال :

<http://www.alwaqt.com/art.php?aid=101363>

© 2006 - 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

الوقت

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 746 الجمعة 29 صفر 1429 هـ - 7 مارس 2008

«إشراقات»

الدكتور خير الدين خوجة في حوار مع «الوقت»

الإسلام يحمي الحضارة الغربية من الانهيار (3-3)

الوقت - نادر المتروك:

في الجزء الأخير من الحوار مع الدكتور خير الدين خوجة، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة طيبة السعودية، نستطلع معه أوضاع المسلمين في الغرب، في الضفة الغربية والشرقية منه، واضعاً صورة إجمالية للتطورات القائمة للمسلمين هناك، وما يحيط بهم من تحديات كثيرة. ومن جهة أخرى يضع خوجة تصوراتته بشأن الأقليات الإسلامية في الغرب، والتي يجب، بحسبه، أن تلتزم بالقوانين القائمة هناك في الوقت الذي تمارس فيه دينها وعقائدها وأخلاقياتها، ويعترض في المقابل على الثقافات المعادية والتضليلية التي تسود في الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، مخاطباً الغربيين بأن " تؤذوا الإسلام والمسلمين ولا تخافوا من الإسلام.. إن الإسلام الحقيقي

ليس هو الخطر على الغرب أو الحضارة الغربية.. إن الإسلام هو العلاج الذي يحمي الحضارة الغربية من الانهيار ويشفيها من الأمراض " مضيفاً أن "الخطر الحقيقي الذي يتربص بكم وبحضارتكم هو الفساد ذاته الذي سرى إلى جسم الإمبراطورية الرومانية وقضى عليها. لقد انصرفتم كلياً في معاملتكم مع الكون إلى الآلة (المادة)، ونسيتم أن الآلة هي التي ينبغي أن تكون في خدمة الإنسان وليس العكس"، والعلاج هو "أن يوجه الغرب اهتمامه إلى الإنسان أكثر في تكوينه الكلي".

باعتباركم تنتمون، جغرافياً، إلى العالم الغربي، فإنه من المناسب تقديم صورة عن موقف الغربيين من المسلمين هناك. فما هي طبيعة الأوضاع التي تحيط بالمسلمين اليوم في أوروبا. ولنبدأ بأوروبا الغربية؟

تشير بعض البحوث والدراسات إلى أن المسلمين في الغرب هم هدفٌ لليمين المتطرف، ومن الثابت أن الحرب قائمة بين يمين أوروبا ومسلميها. كما اشتهر في فرنسا زعيم حزب الجبهة الوطنية اليميني المتطرف على عدائه الدائم للعرب، ورفضه بناء مساجدهم، ورفع شعار: فرنسا للفرنسيين، وليس للعرب أو المسلمين. ومن هذا الحزب في فرنسا خرجت جماعات أكثر تطرفاً مثل جماعة النازيين الجدد. إن هذه الكراهية لم يسلم منها حتى مسلمي بلجيكا إبان أحداث 11 من سبتمبر 2011.

ويرى بعض المحللين أن تلك التصرفات كانت فردية من عناصر يمينية متطرفة، التي تعادي الأجانب بصفة عامة، وأن أحداث سبتمبر سببت

ردود فعل سلبية على الجاليات العربية مدفوعة بالدعاية الأمريكية الصهيونية بأن المسلمين وراء كل الحوادث الإرهابية. هذا الموقف جعل الدول الأوروبية تتشدد في التعامل مع المسلمين وتضع أنشطة الجاليات تحت الرقابة، وفي هذا خسارة كبيرة للمسلمين في أوروبا وفي أميركا، خصوصا المنظمات التي لها توجهات خيرية في مساعدة وإنقاذ فقراء المسلمين في العالم والمنكوبين منهم. أما حال مسلمي فرنسا فهناك عندهم "الفوبيا" من الإسلام التي سيطرت على الجميع، فأصبح كل مسلم هو بالضرورة إرهابياً يجب التخلص منه بطريق أو بآخر! وأصبحت أنظار الناس تتجه إلى مساجد المسلمين بهدف تطهيرها من دعاة العنف وأن على الدول الأوروبية ألا تقبل الوعاظ والمشايخ والأئمة القادمين من الدول الإسلامية، وإنما يجب أن تنشئ لهم معاهد متخصصة في تخريج الأئمة والوعاظ. أما في هولندا فقد أصدرت وزارة الداخلية الهولندية قراراً يجبر دعاة الإسلام ووعاظه على تعلم اللغة الهولندية لكي يتاح لهم إلقاء الخطب بلغة أهل هولندا وليس باللغة العربية، والسبب هو أن يعرف المسئولون عن الأديان ماذا يقوله أئمة المسلمين في المساجد بعد أن حذرهم البعض من أن الخطب التي تلقى باللغة العربية قد تشمل تحريضاً على العنف وكرهية الآخر. وفي أسبانيا حدثت سلسلة مواقف عنصرية ضد العرب والمسلمين وحرقت فيها الأسبان حقول عدد من العرب وحطموا سياراتهم. والسبب هو كراهيتهم لكل ما هو عربي ومسلم وإصرارهم على طرد هؤلاء الغزاة كما يسمونهم.

هل تعاني كل الدول الأوروبية من هذه الظاهرة السلبية تجاه المسلمين؟ ألا يوجد نموذج أفضل أو أقل سوءاً من هذه النماذج؟

نعم.. لا تلاحظ تلك الفروق والكراهية علناً في دولة غربية مثل سويسرا. المسلمون هناك يستغلون ظروف الحرية المتاحة ليطلبوا بالاعتراف بدينهم رسمياً وتسهيل إعطائهم الجنسية السويسرية، حيث يعيش نحو نصف مليون مسلم من جاليات ألبانية وتركية وبوسنية وعربية وآسيوية منذ عقدين من الزمن أو أكثر، وحالهم أفضل من حال المسلمين في بلدان غربية أخرى. أما عن ارتياحهم واستقرارهم النفسي والفكري، فيرى بعض المسلمين أن من العناصر الإيجابية التي حسنت صورة المسلمين في سويسرا ودفعت عملهم التنظيمي إلى الأمام؛ هو تدفق أعداد غير قليلة من اللاجئين السياسيين ذوي الثقافة العالية والوعي العميق، فبعد أن كانوا يفكرون بعقلية السائح أو ابن السبيل المهجر باتوا الآن يفكرون بعقلية المواطن، وإن كان الشعب السويسري عموماً يحمل فكرة تضارب الحضارات أو صراع الحضارات، وذلك بسبب تشويه صورة الإسلام من قبل الوسائل الإعلامية العالمية.

خصوصية المسلمين في البلقان

تحدثتم بشأن أوضاع المسلمين في أوروبا الغربية، وبما أنكم تنتمون إلى أوروبا الشرقية فمن المفيد الاطلاع بشكل عام على وضعية المسلمين هناك لاسيما وأن هذه المنطقة شهدت الكثير من التغيرات الجيوبوليتكية التي ألفت بظلالها على واقع المسلمين وثقافتهم الدينية والحضارية

بشأن أوضاع المسلمين في البلقان وأوروبا الشرقية كتب كثير من الكتاب الغربيين وغيرهم، ولكن سمة تلك الدراسات هي أنها غير موضوعية وأحادية النظر، وكُتبت لأهداف تبشيرية، مما يجعل الباحث المسلم حائراً أمام كثير من الحقائق التي ذكروها. فقد ذكر الرئيس البوسني الراحل علي عزت بيغوفيتش **Alija Izet** أن المسلمين في البوسنة والهرسك وألبانيا - أي بلاد البوشناق والألبان - يختلفون في واقعهم عن مسلمي البلدان الأوروبية الأخرى، فهاتان الدولتان لا يمثل المسلمون فيهما أقليات عرقية أو دينية، بل هم غالبية عظمى في تلك البلاد. أما مسلمو غرب أوروبا فيمثلون عالم الشتات الإسلامي في أوروبا وتختلف أوضاعهم باختلاف أنظمة وثقافات البلدان التي يعيشون فيها. إن وضع مسلمي البلقان كونهم سكاناً أصليين في أوروبا يحظى بأهمية كبرى بالنسبة لوضع الإسلام

في أوروبا، وعلاقة المسلمين مع أوروبا، وخصوصاً مع حرصهم على الحفاظ على التراث الإسلامي رغم الضغوط التي كادت أن تقضي عليهم في بعض الحالات كما حدث لمسلمي البوسنة والمهرسك ولمسلمي بلغاريا وهنغاريا.

وفي ألبانيا حاول النظام الشيوعي ثني الألبان عن الإسلام طوال نصف قرن من حكمه الجائر - وكما حاول الرئيس الصربي سلوبودان ميلوشوتش Sllobodan Miloshevic بكل ما أوتي من قوة عسكرية وإيديولوجية أرثوذكسية ضد الإسلام والمسلمين؛ أن يُطهر أرض كوسوفا تطهيراً عرقياً ودينياً.

إقامة الاجتماعات الدينية ضمن القانون الغربي

بالنظر إلى الأزمة الفكرية والدينية والاجتماعية التي ألمت العالم الإسلامي والغربي معاً، ما الذي ينبغي على الجاليات الإسلامية والمجتمع الغربي معاً اتخاذه لضمان وجودهم الإسلامي السليم؟

لابد من بذل مزيد من الجهود من قبل قادة الأديان لأجل تعزيز وتقوية العلاقات الإنسانية عن طريق الحوار ومحاربة التمييز العنصري، والتعاون فيها مع أهل الكتاب. ومن المهم الاهتمام بمشكلات المسلمين الاجتماعية، من قبل المؤسسات السياسية الغربية، ومعالجة قضاياهم ورفع

شكاويهم ومطالبهم واقتراحاتهم إلى الجهات المعنية والمسؤولة، والاعتراف بحقيقة تاريخية أن الغرب مدين للإسلام والمسلمين علمياً وحضارياً. وفي هذا الصدد، يجب إعطاء حق التعليم المدرسي والجامعي لأبناء وبنات الجاليات المسلمة، وإبطال فكرة الأصولية الإسلامية التي يتخوفون منها، وذلك بتخصيص مدارس ومرافق تعليمية خاصة بهم. وعليه يجب معاملة المسلمين بالتساوي، وعدم تشريع قوانين تمس الإسلام ومقدسات المسلمين، كما هو الحال مع وزير التربية والتعليم في فرنسا الذي أجبر سبعمائة فتاة مسلمة على خلع حجابهن تحت نار التهديد بالفصل من المدارس.

لا يجوز التعرض بالأذى للصحة الإسلامية المتزايدة والتي من مظاهرها التمسك بمبادئ الإسلام وارتداء الحجاب والذهاب إلى المساجد والمصليات، وإقامة الاجتماعات الدينية والندوات العلمية وممارسة النشاطات الدعوية، بشرط أن يتم ذلك ضمن القانون المسموح به في البلد الذي يعيشون فيه.

من الواضح أن الجاليات الإسلامية والقوى الدعوية في متزايد، فما هي نصائحكم لها من أجل تقوية وجودها وتحقيق أهدافها الدينية؟

على الجاليات الإسلامية في الغرب أن يتحدوا فيما بينهم، ويوحدوا صفوفهم على مبدأ الشورى، وذلك باختيار ممثلين من بينهم لتوصيل

مشكلاتهم وتبليغ أصواتهم إلى السلطات والمعنيين بالأمر. بهذه الطريقة وبهذه الوحدة يكون لهم صوت مسموع لدى الجهات الحكومية التي ينتمون إليها. كما على العلماء والمشايخ والدعاة أن يفقهوا واقعهم المعيشي في الغرب، وأنهم ما داموا يشكلون أقلية في أعين هؤلاء الغربيين فإن عليهم أن يفهموا أنهم مطالبون باحترام قانون البلاد الذي يعيشون فيه، وأنه لا يجوز في حال من الأحوال التمرد على ذلك، ولا يكون الأمر كما حدث لبعض رجال الدين في هولندا عندما أفتى بجرمة المشاركة في الانتخابات المحلية لكونهم لا يحملون جنسيات هولندية ولأن أعضاء الأحزاب السياسية غير مسلمين؟! وبجانب التوضيح وبيان الإسلام للغربيين، فإنه يجب توضيح وتوعية الأقليات الإسلامية بالفلسفة الغربية وتنوعها العرقي والثقافي والديني، وإن فكرة الصراع الحتمي للحضارات والثقافات لصموئيل هنتنغتن Huntington Samuel يجب ألا تقبل، بل يجب رفضها جملة وتفصيلاً، وأن الأمر كما رأى بعض المحللين مثل بريان بدهم Brian Beedham وغيره، أنه سيكون هناك بين المسلمين والنصارى تعاون وتفاهم وتنسيق أكبر بكثير من ذي قبل.

هناك مشكلة في تقديم الإسلام في الغرب بالنظر إلى التقدم المعرفي الغربي، ففي حين يستمر الخطاب الديني التقليدي، فإننا نجد هوة معرفية يعاني منها المسلمون هناك عندما يفتحون على المعرفة الغربية في المؤسسات الإعلامية والتربوية والأكاديمية. ما تعليقكم على ذلك؟

علاوة على ما ذُكر؛ فإنه يجب على المسلمين عموماً والمسلمين الذين يعيشون في الغرب على وجه الخصوص أن يقوموا بدور فعال أكبر على إيجاد توفيق بين الإسلام والعلوم الاجتماعية الحديثة وتطور الثورة التكنولوجية والصناعية الحديثة، بعملية إسلامية العلوم والمعارف الإنسانية **Islamization of Knowledge** حتى يتم من خلال هذا التوفيق؛ الحفاظ على الهوية الدينية والعرقية في بيئة غير مستقرة علمياً وثقافياً وتكنولوجياً وصناعياً. هذا التوفيق بين الإسلام والعلوم الإنسانية الحديثة لا يتم دون فتح باب الاجتهاد الجديد وتجديد الخطاب الديني في هذا العصر وبالذات في الغرب، لمواجهة التحديات العصرية الحديثة والتطورات الاجتماعية والثقافية، وألا نكتفي بالاجتهادات القديمة قبل مئات السنين. لقد أدرك المسلمون الآن حقيقة شروح وتفسير العلماء القدامى، حيث إنهم صاغوا تلك الشروح والتفسير لبيئات ذات أغلبية إسلامية في أزمانهم، وليس كالأقلية بين أظهر غير المسلمين. هناك حاجة ماسة للشروح والتفسير التي ترشد المسلمين وتلبي حاجاتهم كالأقلية، وبالطبع هذا لا يتم إلا باجتهادات جديدة من قبل العلماء والمفكرين، أهل الحل والعقد في هذا العصر.

البعض يتحدث عن ثقافة عارمة في الغرب يُطلق عليها ثقافة الكراهية، وهي ثقافة متبادلة بين المسلمين في الغرب والآخرين. فكيف يمكن مواجهة هذه الثقافة؟

على الأطراف المعنية بالسلام (المسلمون والغربيون) أن يصبوا جل جهودهم وطاقاتهم الفكرية والدينية إلى صناعة وتوليد الحب بين الناس، بدلاً من صناعة وتوليد البغض والكرهية. ولكن ذلك لا يمنع من العمل على غرس الحقيقة الدينية في قلوب الغربيين والجاليات الإسلامية، فالإسلام ينظر إلى العالم على أنه أسرة بشرية واحدة، متعددة الأعراق واللغات، يجب التعايش السلمي ويجب قبول الآخر والحوار مع الآخر، فنحن وهؤلاء إخوة في الإنسانية، نفرح كما يفرحون ونحزن كما يحزنون، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ ، وكما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. من هنا علينا العمل على غرس المبدأ الإسلامي في نفوس الغربيين والجاليات الإسلامية في الغرب وأن ديننا دين تسامح وعفو وصفح عن الآخر، وحرمة سباب الآخر أو إهانتته أو إذلاله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

من هنا يمكن اجتماع الجاليات الإسلامية واتفاقهم مع الغربيين على ضرورة نشر الأخلاق الفاضلة ومحاربة الأخلاق الذميمة. فهناك أرضية مشتركة مع هؤلاء القوم في المجالات المذكورة.

مسؤوليات الأقليات المسلمة في الغرب

في الختام، ما هي أهم المسؤوليات التي ترونها على عاتق الأقليات الإسلامية نحو المجتمع الغربي الذي يعيشون فيه؟

هناك مسؤوليات كثيرة. إن مبدأ الوفاء يقتضي أن يبادل المسلمون المقيمون في الغرب ما قدمه الغرب إليهم من علم وتقنيات وغيرها، فيقدم المسلمون لهم بما يتوافر لديهم من مقومات الحضارة الإنسانية التي لا تتوافر لدى الغرب، والغرب بأشد الحاجة إليها. وإذا كان المسلمون يعانون من فقر في هذا الجانب، فإن الغرب أيضا يعاني أبنائه من أمراض في أوضاعهم الاجتماعية وتصوراتهم الفكرية والعقدية، وفي مجال الصحة النفسية. لقد آن للإنسان المسلم أن يؤدي واجبه في إنقاذ المجتمع الإنساني عموما والغربي خصوصا من هذه المعاناة التي يقاسي منها. وأن يسعى للتخفيف من الأرقام المخيفة التي تتفاقم يوما بعد يوم. إن على المسلم أن يقدم نفسه إلى المجتمعات التي يعيش فيها من خلال هويته الإسلامية بصورة صحيحة وصادقة، بحيث يترجم الإسلام الذي أنزله الله تعالى؛ ليتيح للمجتمعات التي يعيش فيها أن تتعرف على الإسلام الحقيقي، من خلال فكره وسلوكه وأخلاقه وعلاقاته. وعندئذ يتم تبادل الثقافات وحوار الحضارات بصورة واقعية لا من خلال الدعوة الكلامية أو على الورق فقط. إن واجب الجالية المسلمة في الغرب أن تكون مظهرا للانسجام مع البيئة، ولكن ليس من خلال ذوبان الشخصية، وإنكار الأصل الذي انحدرت منه والهوية التي

تنتسب إليها، بل من خلال الأخلاق التي تجعل الفرد من أبناء هذه الجالية موضع تقدير واحترام، وتجسد الصورة الصحيحة لهذا الدين. إن على الجالية المسلمة أن تحترم النظم السائدة في المجتمع الذي تعيش فيه، بمقدار ما تكون هذه القوانين والنظم صورة حضارية تجسد كرامة الإنسان وإنسانيته، وبمقدار ما تكون سببا للأمن والاستقرار في المجتمع الذي يعيشون فيه؛ لأن ذلك قاسم مشترك بين المبادئ الإسلامية وتلك النظم.

* رابط المقال :

<http://www.alwaqt.com/art.php?aid=102237>

© 2006 - 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

الوقت

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 760 الجمعة 13 ربيع الأول 1429 هـ - 21 مارس 2008

« إشارات »

نحو منهج حركي تطبيقي في تفسير القرآن الكريم

سيد قطب نموذجاً

الدكتور خير الدين خوجة⁷⁶:

لقد مرّ التفسير منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا بعدة مراحل، مما أدى ذلك إلى تحوّل مسار التفسير وظهور اتجاهات ومنهج عدة وقراءات معاصرة في تفسير القرآن الكريم توافق أرباب المذاهب والعلوم المختلفة لدى بعض المعاصرين من أبناء جلدتنا. وتعني هذه القراءات الجديدة والمعاصرة استخدام النظريات الجديدة في تأويل وتفسير القرآن الكريم، والتي تؤدي إلى تحريف المعاني القرآنية وتناقضها مع الحقائق الشرعية وتعارضها مع المقاصد الإسلامية العليا. والسبب في ظهور هذه الأفكار والمذاهب الهدّامة؛ هو تلوث أصحابها بالمنهج الفكرية الغربية

76 * باحث إسلامي من كوسوفا - يوغسلافيا السابقة

وعدم احترامهم لقدسية القرآن الكريم وخصوصياته البلاغية والبيانية واللغوية، واعتباره كسائر النصوص البشرية. أصحاب هذه القراءة المعاصرة دعوا إلى "أُنْسَنَةِ وَعَقْلَنَةِ وَأَرْحَنَةِ" النص القرآني، ليصلوا في النهاية إلى ربط آيات القرآن الكريم بالظروف الزمنية، وعلى أنه نصّ تاريخي بشري! واستخدموا مصطلحات جديدة خلاف المصطلحات الشرعية، مثل: الأبيستمولوجية، الأمبريقية، الإسلاموية، السلفوية، الماضوية، الأنطولوجية، البلشفية، الديالكتيكية، الزمكانية الميكانيكية، الهرمونوطيقية، والديماغوجية.. الخ، وأطلقوا على القرآن الكريم عبارة (المدونة الكبرى)، وعلى الآية كلمة (العبارة)، وعلى نزول القرآن وصفوه بـ (الواقعة القرآنية).. ظلمات بعضها فوق بعض! القراءات المعاصرة آيلة للسقوط. ولا شك أن هذه المدرسة ما هي إلا امتداد لمدارس أساتذتهم من المستشرقين الذين قالوا بأن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما هي إلا امتداد لليهودية والنصرانية. ومنهج هذه المدرسة هو التحكّم في النص القرآني وتأويله وفق أدوات منهجية وألسنية غريبة مغايرة للقواعد والأساليب العربية. ومن الذين حملوا راية هذه القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في هذا العصر من بني جنسنا وأبناء جلدتنا نذكرهم لغرض العبرة والتحذير؛ محمد أركون العلماني الجزائري، محمد شحرور الماركسي السوري، محمد عابد الجابري الاشتراكي، أستاذ الفلسفة على الفكر الاعترالي حسن حنفي المصري، عبدالمجيد الشرفي التونسي، وجلال صادق العظم معاصر شيوعي سوري من أصل تركي.

إن الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى تفسير يُعيد صياغتها الفكرية من جديد، ويُخرجها من التفكك الذاتي، ويُحرّر ويفجر طاقتها الكامنة من أسر الجمود والتخلف، ويُجدّد فيها روح رسالة الاستخلاف وعمارة الكون.

فالتفسير المطلوب هو ذلك التفسير الذي يخرج الأمة عن واقع التخلف ويلحقها بركب التنمية الحضارية والصناعية والإبداعية. مما لا شك فيه أن هذه القراءات المعاصرة آيلة إلى الفشل والسقوط بسبب جهلها للقرآن الكريم وخصائصه اللغوية وأساليبه البيانية ومدلولاته البلاغية ومناهجه التفسيرية الصحيحة. إن المنهج الحركي التطبيقي الذي ندعو إليه، لجدير في هذا العصر بأن يُنعمَ النظر فيه وأن يُبنى في تفسير القرآن الكريم وفهمه وتدبره وقراءته، حتى تخرج الأمة الإسلامية من أزمتها الفكرية والنفسية والتربوية والأخلاقية والاقتصادية والدينية، والذي سمّاه سيد قطب: بالمنهج الحركي أو الديناميكي. أما طبيعة ومفهوم هذا المنهج التطبيقي الحركي، فقد بيّنه رحمه الله في مواطن عدة من تفسيره ومؤلفاته قائلاً:

".. إن - المسألة في إدراك مدلولات هذا القرآن وإيجاءاته.. إنما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب، تشابه المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعترك.. معترك الجهاد، جهاد النفس وجهاد الناس.. جهاد الشهوات وجهاد الأعداء.. جو مكة والدعوة الناشئة، والقلة والضعف، والغربة بين الناس.. جو الشّعَب والحصار، والجوع والخوف والاضطهاد والمطاردة، والانقطاع إلا عن الله.. ثم جو المدينة: جو النشأة

الأولى للمجتمع المسلم بين الكيد والنفاق.. في هذا الجو الذي تنزلت فيه آيات القرآن حية نابضة واقعية.. كان للكلمات وللعبارات دلالاتها وإجاءاتها.. إن طبيعة هذا الدين ترفض اختزال المعارف الباردة في ثلاثيات الأذهان الجامدة!.. إن "المعرفة" في هذا الدين تتحول لتوَّها إلى "حركة"، وإلا ليست من جنس هذا الدين!.. ومن ذلك تنزلت الأحكام التشريعية كلها في المدينة كحركة في المجتمع المسلم الذي قام هناك، ولم ينزل حكم واحد منها في مكة ليختزن - كمعرفة مجردة - حتى يجيء وقت التنفيذ في المدينة! إن المعرفة للمعرفة ليست منهجاً إسلامياً. في الإسلام المعرفة للحركة، والعلم للعمل، والعقيدة للحياة.. وطبيعة المنهج الحركي الإسلامي أن يقابل هذا الواقع البشري بحركة مكافئة له ومتفوقة عليه، في مراحل متعددة ذات وسائل متجددة.. ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في "نظرية" مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية، ورد الناس إلى الله مرة أخرى، لا يجوز - ولا يجدي شيئاً - أن تتمثل في "نظرية" مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي.. إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرَّج الأجيال التي تليه..". فرحم الله أستاذنا رحمة واسعة، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين.

رابط المقال :

<http://www.alwaqt.com/art.php?aid=104648>

© 2006 - 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

مجلة المجتمع الكويتية : المجتمع الثقافي

تاريخ: 2008/03/22

د. خير الدين خوجة

أستاذ بجامعة طيبة المدينة المنورة

"ثقافة العولمة" وكيفية مواجهتها؟

واجه العالم الإسلامي اليوم أخطاراً حقيقية على مستوى هويته الثقافية والحضارية، حيث تتهدده العولمة في صميم وعيه الديني ومحتويات نموذج الكوني. فمما لا شك فيه، أن المسلمين يمرون بحقبة تاريخية سوداء؛ فقد أصابهم وهن شديد، حيث تسبب ابتعادهم عن تعاليم الإسلام في حالة من التمزق والتفرق، والتخلف والجمود، والذل والهوان. كما أسهم الاستعمار بالتعاون مع الاستبداد في نهب وسرقة ثروات وممتلكات المسلمين، وأسرف في السجن والقتل والتشريد والمطاردة لإخضاع المسلمين. أضف إلى ذلك الهجوم الشرس على القرآن ونبي الإسلام من قبل وسائل الإعلام الغربية، والاستخفاف والسخرية بمقدسات الإسلام والمسلمين.. الخ، أقول: أصبحت هذه الظواهر في عصر

العولمة أو الجاهلية الراهنة، للأسف الشديد، إحدى أشهر سمات المسلمين والعالم الإسلامي في العصر الحديث. ما سبل المحافظة على جوهر الهوية الإسلامية في ظلّ الاختراقات غير المحدودة للثقافات العولميّة

العلاج الرباني:

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣]، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان {، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها" قال: قلنا: يا رسول الله؛ أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: "أنتم يومئذ كثير، ولكنكم تكونون غثاء كغثاء السيل، تنزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن" قالوا: وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا، وكرهية الموت". (رواه الإمام أحمد في مسنده: ج5، ص: 278).

وللعلماء والمفسرين في تفسير الآية السابقة، كلام جميل، نقبس منه بعض الفقرات:

"... إن المنهج الحركي لهذا الدين يواجه الواقع دائماً بوسائل مكافئة.. ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في "نظرية" مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة رد الناس إلى الله مرة أخرى،

لا يجوز ولا يجدي شيئاً أن تتمثل في " نظرية " مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي، فضلاً على أن تكون متفوقة عليها... وكما أن المجتمع المسلم مجتمع عضوي حركي متناسق متكافل متعاون يتجمع في ولاء واحد، فكذلك المجتمع الجاهلي: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾...، إن الأمور بطبيعتها كذلك.. إن المجتمع الجاهلي لا يتحرك كأفراد؛ إنما يتحرك ككائن عضوي، بعضهم أولياء بعض طبعاً وحكماً؛ ومن ثم لا يملك الإسلام أن يواجههم إلا في صورة مجتمع آخر له ذات الخصائص. فأما إذا لم يواجههم بمجتمع ولاؤه بعضه لبعض فستقع الفتنة لأفراده من المجتمع الجاهلي. وهو أفسد الفساد ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، (ا.هـ)

حقيقة الجاهلية الحديثة وكيفية مواجهتها

إن كلمة العولمة مصطلح جديد. فهي نظام يراد به تكوين إمبراطورية تهيمن على باقي الشعوب، دون اعتبار للقيم والحضارات والثقافات والحدود الجغرافية والسياسية. فالعولمة صيغة جديدة من صيغ المواجهة الحضارية يخوضها الغرب ضد هويات الشعوب وثقافات الأمم وحضارتهم، وعلى رأس تلك الأمم والشعوب: المسلمون، فهم المستهدفون بالدرجة الأولى في هذه المواجهة، وهذه الثقافة بهذا المفهوم تتعارض تعارضاً تاماً مع الإسلام، فضلاً عن قواعد القانون الدولي ومع طبيعة العلاقات الدولية ومع الاقتصاد الوطني والسيادة الوطنية، وأيضاً مع قانون

التعددية الدينية والتنوع الثقافي والفكري. إن هذه الثقافة الغربية والأمريكية إذا سارت بهذا الاتجاه، فهي إنذار ومؤشر بانحيار وشيك للاستقرار العالمي عامة، والعالم الإسلامي على وجه الخصوص.

العولمة والعالمية

هناك فرق شاسع بين مفهوم العالمية والكونية **Universalism** ، والتي تعني طموحاً نحو الارتقاء والازدهار والتقدم والنهضة بالخصوصية إلى مستوى عالمي، وقبول وأخذ كل ما هو طيب وحلال وعالمي وكوني، وبين العولمة **Globalization** ، والتي تعني القمع والإقصاء والسلب لكل ما هو خصوصي. إذن فالعالمية **Universalism** تعني الانفتاح على الآخر ورغبة في الأخذ والعطاء، وهذا هو المطلوب، ولكن بشروط وضوابط، بينما العولمة **Globalization** تعني اختراق وسلب وتدمير لخصوصية الآخر. والإسلام الذي أمرنا بالانفتاح والاستفادة من الآخر، ما لم يتعارض ذلك مع القرآن والسنة، يتفق مع العالمية بمقدار ما يختلف مع العولمة التي تسعى إلى فرض نموذجها الحضاري الذي لا يخفي تطلعه إلى الهيمنة على اقتصاد العالم، والتحكم في القرار السياسي وصناعته لخدمة المصالح الأمريكية والأوروبية، وإلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي، وتدمير الهويات الدينية والثقافات القومية والفكرية والحضارية للشعوب، وزيادة الدول الغنية غنى ونهضة وتطوراً، بينما تزداد الدول الفقيرة فقراً وبؤساً وتخلفاً. كما أن من أهدافها القيام بتفتيت بعض الدول والكيانات

والحضارات والمؤسسات الثقافية والدينية، وفرض السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية بقصد استغلال الدول ونهب خيراتها. وإذا علمنا أن الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا قد أدركت حقيقة تطلع المسلمين إلى الصحو والنهضة لإيجاد كيان دولي يحفظ حقوقهم وكرامتهم وأموالهم، فإنها قد أعدت العدة للقضاء على الإسلام والمسلمين بشتى الطرق والوسائل، ابتداء بالغزو العسكري وانتهاء بالغزو الفكري والغزو الثقافي، وجهاز حملة ضارية ضد الإسلام ومصالح المسلمين، تحت عناوين مضللة وشعارات زائفة منها:

أ الديمقراطية.

ب والتعددية السياسية.

ج حقوق الإنسان (ويراد منها حقوق الإنسان الغربي فقط).

د سياسات السوق العالمية والتحكم فيه.

الخيار البديل

للاعتبارات السابقة واعتبارات أخرى غيرها نود أن نطرح الخيار البديل، باختصار شديد نقول: البديل هو الإسلام، الذي آمنا بصحته وفاعليته، والذي يحرم على المسلم استبدال الأدنى بالذي هو خير، كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، لذلك يتحتم علينا اعتبار العولمة آخر صيغة للاستعمار الحديث، والعودة بالناس إلى

العبودية، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. وفيما يلي بعض الخطوات والسبل للحفاظ على الهوية الإسلامية ومنعها من الذوبان والانصهار في أحضان ثقافة العولمة المدمرة.

- 1- محاربة الجهل المطبق بالإسلام.
- 2- ملء الفراغ الروحي والفكري والثقافي لدى المسلمين.
- 3- محاربة الإسلاموفوبيا وهو النفور والتخوف من الإسلام وكراهية مبادئه.
- 4- عدم الاستسلام للفلسفات والثقافات الغربية؛ بل نختار منها ما وافق ديننا، وبقدر حاجتنا.
- 5- المحافظة على المجتمع من الإصابة بالعقد والأمراض النفسية الغربية، كالقلق والإحباط والشعور بالعدمية والعبثية والأنانية والذاتية.
- 6- عدم ممارسة الحياة على الطريقة الغربية بشروطها ومفاسدها وانحرافات ورذائلها، وحلوها ومرها، وعدم تقليدهم في الجانب السلبي؛ وإنما علينا التركيز على الجانب الإيجابي فقط. كل ما هو طيب وحلال ومفيد قبلناه؛ إذ الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها، وكل ما هو ضار وخبيث رفضناه.
- 7- الاعتزاز بتاريخنا المشرق، وسير علمائنا المصلحين، وعدم فقدان الهوية الذاتية.
- 8- السعي إلى تحسين صورة مجتمعات المسلمين المشوهة، ونشر جمال الإسلام وعظمته.

- 9- معرفة منهج الإسلام في التغيير الثقافي الإيجابي، من الأسوأ إلى الأفضل.
- 10- توثيق الصلة بالله وتحقيق العبودية. وصدق الإخلاص له.
- 11- الانطلاق من القرآن والسنة في الفهم والعلم والتدبر والتفكير.
- 12- نقض الأفكار والمبادئ والنظريات الجاهلية الباطلة، وبيان زيفها وخطئها، واستخدام المنطق العلمي لدحض شبهاتهم وأباطيلهم.
- 13- دعوة الناس إلى التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.
- 14- تكوين المجتمع الإسلامي الذي ينشأ المسلمون في رحابه، ويعيشون قيمه وسلوكياته.
- 15- إصلاح مناهج التعليم ووسائل الإعلام والتوجيه، وتحريرها من المسلسلات والأفلام الهابطة التي تهدم ولا تبني.
- 16- تحصين أبناء المسلمين أمام الغزو الفكري المعادي، وتمكينهم من الوقوف أمام الثقافات الهدامة.
- 17- لا بد لكل فرد في الأمة أن يقوم بدور إيجابي في الحفاظ على الهوية الإسلامية، فلا يكفي جهد الحاكم وحده، ولا جهد الأب والمدرس فقط، وإنما يقوم به كل مسلم على حدة، مهما كان موقعه ويتحمل هو أيضاً جزءاً من المسؤولية.

نحو منهج قرآنيّ ونبويّ في التعامل مع الآخر

ورقة علمية قدمت لـ:

دورة تدريبية إقليمية للأئمة و الخطباء

من منطقة البلقان في مجال نشر قيم الحوار و الاعتدال والوسطية

تيرانا - ألبانيا: من 5 حتى 8 نوفمبر 2009 م.

بقلم

د/خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ التفسير والدراسات القرآنية المساعد - جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية

كلية أصول الدين - سلطنة بروناي دار السلام

وأستاذ التفسير والدراسات الإسلامية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة سابقاً

2010

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.. أما بعد:

يقول الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] ، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]

إن رسولنا صلى الله عليه و سلم إمام و قدوة، جعله الله عز وجل إماماً و قدوة و نبراساً لهداية الخلق أجمعين. أرسله الله عز وجل رحمة للعالمين. ونحن في هذه الأيام أحوج ما نكون إلى هديه وإلى النموذج العملي لحل قضايانا و مشاكلنا الاجتماعية و الدينية.

وبادئ ذي بدء فإنه يمكن تقريره في خضم هذه الأمواج العاتية الاجتماعية المتدهورة، بأن مستقبل البشرية و مصيرها مرتبطان بأمرين مهمين هما: علاقة الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

وقد قدم الرسول صلى الله عليه و سلم النموذج العملي الرائع في الأمرين معاً. ففي جنب الله كان صلى الله عليه و سلم على درجة عالية

من التبعّد والإيمان والإخلاص والتقوى والخشية والإنابة والوقوف عند حدوده.

وأما في جانب علاقة الإنسان بأخيه الإنسان فقد ضرب لنا أروع نموذج وأحسن المثل. فسيرته العطرة مليئة بالشواهد وناطقة بهذه الحقائق. فقد كان صلى الله عليه و سلم مضرب مثل في تعامله مع الآخر، وفي رحمته بالضعيف وإحسانه إلى البعيد والقريب ولطفه مع الشريف والفقير، سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين. وبناء على هذه الأخلاق النبوية السامية فإن على المسلم أيضاً أن يقف موقفاً يتلاءم مع عقيدته و مع أخلاق الإسلام وآدابه.

ويحسن بنا في هذا المقام أن نطرق إلى استجلاء بعض الحقائق من خلال رجوعنا إلى بعض الأحاديث النبوية و سيرته العطرة صلى الله عليه و سلم لنفهم موقف الإسلام تجاه هذه القضية الراهنة والتي أشغلت بال كثير من الدعاة و المفكرين.

أولاً: من الآخر؟

كثيراً ما نسمع في هذه الأيام كلمة (الآخر)، وكثيراً ما يستخدمه الكتاب والمفكرون، وما هي أسباب شيوع هذه اللفظة؟

نقول في الجواب:

كما يقول بعض العلماء إن كل واحد منا بالنسبة إلى غيره هو آخر: فالزوجة آخر، والأب آخر، والابن آخر، والصديق آخر، والعدو المحارب

هو آخر، والمناسف في اللعبة آخري؁ والمسلم آخري؁ واليهودي آخ والنصراني آخري.. الخ

ولكن غلب استعمال هذه الكلمة (الآخري) لدى مثقفي اليوم وغيرهم؁ على (الغرب) أو على (غير المسلمين) من اليهود والنصارى؁ نظراً لتدهور العلاقات السياسية والدبلوماسية والدينية؁ وأيضاً نظراً للتاريخ الماضي الدامي بين المسلمين والصليبيين.

ثانياً: ما موقف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تجاه الآخريين الذين ذكرنا بعضاً منهم؟

يمكن أن نصنف مواقف النبي صلى الله عليه وسلم من خلال تعرفنا على هذه الجوانب الإنسانية من حياته:

1- احترام النفس البشرية:

علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس مهما اختلفوا في لغاتهم وألوانهم وأجناسهم وأديانهم؁ وحتى يخففوا التوتر الذي بينهم؁ فإنه يمكن لهم أن يجتمعوا على أرضية مشتركة ومظلة واحدة وعلى صعيد واحد؁ وذلك من خلال الاحترام والإكرام المتبادل فيما بينهم؁ كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

فالله عز وجل أكرم بني آدم على حد سواء بالعقل والإدراك والتمييز وأرسل إليه الرسل وأنزل عليه الكتب وسخر له ما في الكون. وفي هذا

التكريم العام يشترك فيه كل بني آدم على اختلاف مللهم. وفي سلوك النبي صلى الله عليه وسلم تأكيد لهذا المعنى الذي نرمي إليه. فقد أخرج الإمام البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رأيتم جنازة فقوموا حتى تخلفكم. فمرت به يوماً جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفساً؟). ففي هذا الحديث فيه معنى جليل وكبير كيف أن أعظم الناس قدراً يقف مدة من الزمن حتى تتجاوز جنازة شخص من غير ملته و دينه.

2- مد جسور الثقة والتعاون:

قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠ ، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢]

كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على بناء وتقوية العلاقة والتواصل مع الآخر وتوليد المشاعر الإيجابية فيما بينهم. ومن خلال سيرته العطرة نستخلص هذه الحقيقة. فحين أراد النبي صلى الله عليه وسلم الهجرة إلى المدينة فقد استعان برجل مشرك وهو عبد الله بن أريقط الليثي ليدله على الطريق الخفي للهجرة حتى يسلم من أذى قريش. والعملية كانت في منتهى الخطورة بسبب أن قريشاً خصصت مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة

لمن يعيد محمداً إليهم ومائة ناقة بمن يعيد الصديق إليهم ؟ ولكن منهجية النبي صلى الله عليه وسلم في الانفتاح على الآخر وتأسيس نوع من الثقة المتبادلة دفعته إلى تحمل تلك المخاطرة.

والقصة الأخرى أشد عجباً وغرابة من الأولى، أن قريشاً قبل الهجرة كانت تؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لكنها كانت تثق به وتودع ما لديها من الأمانات والأموال، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يقبل ذلك. فهذا التصرف من إمام الدعوة انطلق من حسه وشعوره بضرورة بناء الثقة من أجل كسر المفاصلة ومن أجل كسب قلوب الأفراد الجدد للدعوة.

ومما يدل على هذا البعد الذي كان يتمتع به النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان غلام يهودي يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه النبي فقعده عند رأسه، فقال له: أسلم. فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار).

فقد يتعجب اليوم كثير من المسلمين في هذا الزمان من هذه الحادثة، ولكن الأمر في ذلك الوقت كانت على هذه الصورة، فقد شكل انفتاح المجتمع المسلم على المجموعات والأقليات والديانات الأخرى يشكل دوراً كبيراً في التعريف بالإسلام ورسالته وأخلاقياته.

إن ما نراه اليوم في كثير من بلاد المسلمين من جفاء وتباعد بين المسلمين وغيرهم من الملل فهذا ليس نابغاً من التوجيهات والآداب

الشرعية، بقدر ما هو نابع من بعض المشاعر النفسية والأعراف الاجتماعية المبنية على الخوف والشك. الإسلام أجاز لنا عيادة الذمي و نصحه والإحسان إليه ودفع الظلم عنه. وهناك فرق شاسع بين كافر يقيم في أوساط المسلمين مسالماً، يساهم في تنمية المجتمع و بنائه، وبين كافر يجارهم و يظاهر أعداءهم عليهم.

- ومما يدل على علاقة النبي صلى الله عليه و سلم والصلات التجارية والمالية والتجارية مع غير المسلمين، ما ذكره الإمام البخاري في قصة يهود الخيبر، فقد أعطى لهم النبي صلى الله عليه وسلم الأراضي والمزارع أن يعملوا فيها و يزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها.

- وكذلك ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير. وقد أهدى النبي صلى الله عليه و سلم إلى عمر بن الخطاب حلة، فأرسل بها عمر رضي الله عنه إلى أخ له بمكة قبل أن يسلم.

إن هذا التهادي كان يحمل في طياته بعضاً من معاني المواطنة أو العيش على أرض مشتركة ووطن واحد. وفي هذه التصرفات النبوية تتفق مع قول الله عز وجل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

وهذا البر لهم يكون كما قال بعض العلماء الرفق بضعيفهم وسد حاجة فقيرهم وإطعام جائعهم وكساء عاريهم و لين القول لهم على سبيل التلطف لهم و الرحمة لا على سبيل الخوف و الذلة.

3 - استيعاب الآخر:

وقد تحدث الخلافات والخصومات بسبب التباين والاختلاف بين الطرفين، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد علمنا كيف نستوعب التباينات الموجودة بيننا، وذلك باهتمامه بجوهر القضايا والابتعاد عن الشكليات. قال تعالى: **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴿[الأنفال: ٦١] .

والتأمل في أسلوبه صلى الله عليه وسلم مع المخالفين من الكفار والمنافقين يجد هذه المعاني جليلة أمامه. وبدل على ذلك قصة صلح الحديبية، عندما اعترض له سهيل بن عمرو على بعض الألفاظ في الوثيقة. فعندما كتب علي بن أبي طالب: **بسم الله الرحمن الرحيم**، قال له سهيل: أما الرحمن فو الله لا ندري ما هو؟ ولكن اكتب **باسمك اللهم**. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً أن يكتب ذلك. ثم أملى عليه: هذا ما صلح عليه **محمد رسول الله**. فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب **محمد بن عبد الله**. فقال عليه الصلاة والسلام: إني و الله رسول الله وإن كذبتُموني، وأمر علياً أن يكتب محمد بن عبد الله وأن يححو لفظ رسول الله، فأبى علي أن يححو هذا اللفظ، فمحا صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة.

ففي هذه الحادثة فيها دروس وإشارات إلى المسلمين والدعاة خاصة بأن يمتلكوا من القدرة على المرونة والتفهم لإمكانية التواصل بمن نختلف معه، وأن لا نقف عند الشكليات والظواهر، وإنما علينا التركيز على حقائق

الأشياء وجواهرها، فالنبي صلى الله عليه و سلم كان واثقاً بنصر الله ووعدده سبحانه إياه بدخول مكة، فلأجل ذلك لم يبال مع المشركين في التنازل عن بعض الشكليات، والتي تبدو في بادئ الأمر كبيرة، ولكنها عند التحقيق وإمعان النظر ليست كذلك، و الله أعلم.

4- التريث و عدم العجلة في إصدار الأحكام:

والعجلة شيء أصيل في نفوس البشر، فقد جرت العادة أن نحكم بالضلال والخطأ والفسق والتبديع، بل وربما الكفر والعياذ بالله، كما هو الحال للأسف الشديد في بعض المدن في كوسوفا ومقدونيا وألبانيا وغيرها من بلدان العالم، وكما بلغني ممن أثق به من أن هذه الظاهرة بدأت تستشري في بلاد البلقان. وإذا لا يتداركنا الله عز ودل بلطفه ومنه وكرمه، وإذا لا نقوم بواجب الأمر بالمعروف والتشاور والتناصح ودعوة الناس والأئمة والدعاة وطلبة العلم المتحمسين إلى جادة الوسطية القرآنية التي دعانا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وإذا لا نجتمع مع هؤلاء الفتية والشباب والأئمة على طاولة الحوار وعلى مثل هذه الدورات العلمية المباركة لتوعيتهم وإرشادهم و تثقيفهم بالثقافة الإسلامية الأصيلة المبنية على القصد والوسطية، والتي نسأل الله عز وجل أن يجزي جميع القائمين عليها خير الجزاء.. أقول إذا لا نستدرك الأمر قبل تفاقمه، نخشى من أن يصيبنا الله عز وجل بعذاب من عنده، نسأل الله العافية.

والنبي صلى الله عليه و سلم يرشد أمته بعدم المسارعة في تكوين التصورات والانطباعات النهائية عن الآخرين، ولا سيما أهل الكتاب من

اليهود و النصرى، فيقول لأتمته: (إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم و لا تكذبوهم و قولوا آمنا بالله و كتبه و رسله ...)، لأن عندهم إرثاً من الأنبياء.

5- الإستفادة من الآخر:

قد يكون لدى هذا الآخر حلاً لبعض المشكلات التي لدينا، وقد يكون عنده شيء من الصواب وشيء من الخبرة فنحتاجه إليها، و كما جاء في الأ من أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها. و كما أشار إلى هذه الحقيقة العلمية أحد كبار المفسرين في العصر الحديث رحمه الله، الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان)، من أن موقف المسلم من الثقافات الأخرى له أربعة مواقف لا خامسة لها: 1- إما أن يترك الحضارة الغربية نافعها وضارها، 2- إما أخذها ضارها ونافعها، 3- وإما أخذ ضارها و ترك نافعها، 4- وإما أخذ نافعها ترك ضارها.. ثم يواصل الشيخ رحمه الله كلامه قائلاً: " الموقف الطبيعي للإسلام و المسلمين من الحضارة الغربية، هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية، ويجذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا فتصلح لهم الدنا والآخرة، ومن المؤسف أن أغلبهم يعكسون القضية فيأخذون منها الانحطاط الأخلاقي والانسلاخ من الدين والتباعد من طاعة خالق الكون، ولا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين " 77.

انظر: تفسير أضواء البيان، ص 826⁷⁷

و كما ذكر شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى.. " فإن ذكر ما لا يتعلق بالدين مثل مسائل الطب والحساب المحض التي يذكرون فيها ذلك الانتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا فهذا جائز... فاخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه بل هذا أحسن؛ لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة و ليس هناك حاجة إلى أحد منهم الخيانة، بل هو مجرد انتفاع بآثارهم، كالملابس و المساكن و المزارع و السلاح و نحو ذلك.. " 78

ويدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: (لقد هممت أن أنهي عن القبيلة حتى ذكرت أن فارس و الروم يصنعون ذلك، ولا يضر أولادهم) - والقبيلة أن يجامع الرجل زوجته وهي ترضع أو تحمل زوجته وهي مرضع - . فالعداء مهما يكن لا يكون مسوغاً من عدم الاستفادة من خبرة الآخرين. فالنبي صلى الله عليه و سلم استفاد من تجارب الفرس والروم في هذه المسألة. وكذلك من تأمل سيرة الخلفاء الراشدين، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه واتخاذ نظام الدواوين والسجلات الإدارية و المالية لبيت مال المسلمين، وأن هذا النظام لم يكن من عادات وأعراف العرب، وإنما كان من عادات و أعراف الأعاجم.

78 مجموع الفتاوى، (ج4، ص 114-115)

6- الوفاء بالعهود:

وهذا من أعظم أخلاق النبوة في علاقته صلى الله عليه وسلم وتعامله مع الآخرين المعاندين والمخارين. قال الله تبارك و تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: ١] ، وقال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفُسُوكُمْ شَيْئًا وَمَ يَظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤] ، وقال تعالى ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧]

ذكر الإمام مسلم قصة حذيفة بن اليمان أنه قال: ما منعي أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي سحيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا إنكم تريدون محمداً؟ قلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله و ميثاقه لنصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم و أخبرناه الخبر، فقال: (انصرفا، نفي لهم بعهدهم و نستعين الله عليهم)..

والقصة الأخرى في صلح الحديبية، أن إحدى بنوده كانت أن من جاء النبي صلى الله عليه و سلم من قريش رده عليهم، ومن جاء قريشاً من المسلمين لم يردوه عليهم.

7 - السماحة و العفو:

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ حُذِرِ الْعَفْوُ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ، وقال تعالى: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

ويدل على ذلك قصة ذهاب الرسول صلى الله عليه و سلم إلى الطائف وما تعرض له من ألوان العذاب على أيدي غلمانهم وسفهاءهم، وعندما نزل عليه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال، الذي نادى النبي صلى الله عليه و سلم و سلم عليه، ثم قال: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال الرسول صلى الله عليه و سلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً.. و كذلك قصة فتح مكة أكبر شاهد على هذا الخلق الرباني الذي تحلى به النبي صلى الله عليه و سلم. و كذلك حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم ما ضرب شيئاً قط بيده و لا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، و ما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل.

هذا ما يحتاجه إليه العالم إليه اليوم في كل مكان، و هذا ما تحتاجه أمة

الإسلام.

8- موقفنا من اليهود والنصارى:

إن القرآن الكريم قد بين لنا أن موقف أهل الكتاب من المسلمين لن يكون كموقف المسلمين تجاه أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]

فالتباين أو الاختلاف الذي يقع بيننا وبينهم ليس بسبب الأحكام الشرعية التي عندنا، ولكن بسبب سياسات الاعتداء والظلم والاستغلال الذي يواجهها المسلمون من خصومهم. فعداوة اليهود للمسلمين ليست بسبب المستوى العقدي، ولكن بسبب ما لديهم من الأحقاد والضغائن. فنحن على الرغم ما يفعله اليهود والنصارى ومن نصح نهم في فلسطين والعراق وباكستان وأفغانستان وغيرها من البلاد الإسلامية فإننا لم نحدث أي تغيير في موقفنا الفقهي تجاههم، كما أننا ليست عندنا أحكام تميز النصارى منهم. و لكن إذا ما تحول النصراني أو اليهودي أو البوذي إلى (محارب)، فإن موقفنا يتغير منهم بدون أي تفریق بينهم، و ذلك قياماً بواجب الدفاع عن النفس والمقدسات الدينية الإسلامية.

فالتوتر الحاصل بيننا وبينهم ليس قائماً على الاختلاف العقدي وإنما على التعامل والمواقف. ونحن نأمل أن يتفهم الغرب (أمريكا و أوروبا) هذا المعنى وأن يسعى إلى تحسين علاقاته مع المسلمين، ونحن في هذا الصدد و في هذه الدورة المباركة نشيد بجهود الرئيس الأمريكي بارك أوباما

في تحسن العلاقات مع المسلمين في العالم وفتح صفحة جديدة للإدارة الأمريكية في علاقاتهم الخارجية مع المسلمين و العالم، وخطاب الرئيس أوباما في القاهرة وغيرها من المناسبات ما هي إلا بدايات جديدة وكلام على الورق، الأمة الإسلامية تنتظر تحقيق تلك النداءات والدعوات والمبادرات على حيز الواقع، و الايام القادمة ستصدق تلك النداءات والدعوات أو ستكذبها، و نرجو أن تكون تلك التغييرات عن طريق تغيير عقائدهم وتشويه صورة الإسلام وني الإسلام محمد صلى الله عليه و سلم، كما فعل بعض الحاقدين والمتطرفين من دولة الدانمارك وهولاندا والولايات المتحدة الأمريكية في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وإنما الواجب عليهم تغيير سياساتهم ال عدوانية تجاه المسلمين وكف أذاهم عنهم.

كما أننا يجب أن نفرق بين موقف حكومات العالم وشعوبه، حيث أن أغلب مشكلاتنا مع الغرب تنبع في الأساس من سوء السياسات التي تنتهجها حكوماتهم وقادتهم، وشعوبهم بريئة منها، كما أن للشعوب أيضاً دور لا يخفى في تأجيج الأزمة و توتر العلاقات.

اقترح :

كما لا تفوتني في هذه المناسبة المباركة أن أتوجه بالاقترح على المشيخات الإسلامية في مقدونيا وكوسوفا وألبانيا وكافة الدول البلقانية، وذلك مراعاة للنصوص القرآنية والنبوية والقواعد الدينية من باب فقه الواقع المعيش وحسن التعامل مع الظروف المستجدة والبيئة المحيطة بالدعاة وطلبة العلم القادمين من البلاد العربية، بأن لا يُسمح لطلبة العلم الخرجين

بممارسة مهنة الإمامة والخطابة والنشاط الدعوي رسمياً إلا بعد حضورهم في مثل هذه الدورات العلمية والدينية المكثفة لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر، حتى ينسجموا مع البيئة التي هم فيها، لأن غيابهم عن الوطن بسبب الدراسة شكل فجوة كبيرة، فلا غرابة أن تقع المشاكل والمواجهات فيما بين هؤلاء الطلبة الجدد القادمين والمتحمسين وبين الوزارات الدينية والدوائر الحكومية والمشايخات الإسلامية وتنتشر ثقافة التكفير والتفسيق والتبديع والتضليل فيم بينهم، و الله أعلم.

وأخيراً بما أن النبي صلى الله عليه و سلم، أرسل رحمة للعالمين، فإن أهم ما ينبغي أن يتجلى في حياتنا هو معاني الرحمة والشفقة والتسامح والرفق وإشاعة الخير ومحاولة تفهم الآخرين والتفاعل معهم على نحو يساعدهم للاهتمام إلى النور المبين الذي نعيش فيه، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

2.11.2009

وكتبه محبكم

د/خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية

ضبط المفهوم والهدف في ضوء الوحي والعقل

بقلم

ورقة علمية قدمت في الندوة العالمية بعنوان:

" أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية من منظور متعدد "

والتي يعقدها مركز الدراسات الإسلامية والعربية

بالتنسيق

مع جامعة الشافعية للعلوم الإسلامية

بجاكرتا - إندونيسيا

بتاريخ 14-16 يوليو 2012

الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

دكتوراه في التفسير والدراسات القرآنية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

2012

ملخص البحث

إنه مما لا يتنازع عليه اثنان أن الأمة الإسلامية تعيش في حالة من التمزق والاختلاف مما يندى له الجبين، ووا أسفاه! حيث التخلف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والفكري رغم امتلاك هذه الأمة الإسلامية أكبر وأضخم مقومات التقدم والازدهار من موارد بشرية وطبيعية ودينية. وما ذلك إلا بسبب هجر المسلمين لتعاليم القرآن الكريم وتعاليم السنة النبوية المطهرة، وهذا جزاء من جنس العمل، وصدق الله العظيم: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤] فهل إلى الخروج من هذه الأزمة من سبيل؟ إن مفكري الأمة الإسلامية وعلماءها ذهبوا مذاهب شتى في البحث عن السبل والوسائل والحلول للخروج من هذه الأزمة. فمنهم من رأى أن سبب تخلف وتمزق الأمة تكمن في ضعف عقيدتها وضعف تمسكها بكتاب ربها وسنة نبيها. ومنهم من رأى أن سبب تخلفها تكمن في منظومتها الفكرية والمنهجية في ريتها بأن هنالك تعارضاً وتناقضاً بين العلوم الإسلامية المنبثقة من الوحي الإلهي - القرآن والسنة الصحيحة - والعلوم الإنسانية أو الاجتماعية - ذات الأسس والقيم والصبغة الغربية، لأنه لا يمكن الانسجام معها ولا التوافق بينها، فتنظرية إسلامية المعارف أو أسلمة العلوم من منظور هؤلاء لا تعدو أن تكون إلا ضرباً من الخيال ومحال المنال. والذي يبدوا لنا أن العلاج الصحيح لحال الأمة الإسلامية يبدأ من الجانب العقدي لتقوية

الوازع الديني الدافع إلى الالتزام بالأحكام الدينية، كما أنه ينبغي التركيز على معالجة الجانب الفكري والمنهجي وبيان الحكمة والأبعاد للأحكام الدينية الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان. فحتى تعود الأمة الإسلامية إلى رشدها وعزها، أرى لزماً علينا، معاصر المفكرين والدعاة أن نشرع في معالجة هذه الأمراض التي ألمت بأمتنا الإسلامية، ابتداءً بإصلاح مسارها العقدي أولاً، ثم الفكري ثانياً، وذلك من خلال الاستفادة من تجارب الآخرين وعلومهم المختلفة. لقد اصطلح العلماء على هذه العملية الإصلاحية العقيدية والفكرية ب: عملية إسلامية أو أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتي تعني القيام بالنشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتحريراً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان لهضم جميع ما أنجزه الفكر الغربي في بُعديه الحضاري المادي والثقافي المعنوي ضمن مفاهيم فلسفية، ومادية وإلحادية، وذلك بإعادة تفسيرها وربطها بإطار قيمي إسلامي، لأنه إذا صلحت العقيدة في القلب انعكست آثارها إلى صلاح الفكر والمنهج، وبذلك تصلح حال حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها، وإذا فسد مسار العقيدة فسد مسار الفكر والمنهج، وبذلك تفسد حال الأمة الإسلامية، حاضراً ومستقبلاً. هذه الورقة ستلقي الضوء على هذه القضايا الفكرية والمنهجية من خلال مفهوم الوحي الإلهي ووظيفته والله الموفق.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، جاعل الدنيا دار غرور لا دار سرور، ومطية عمل لا مطية كسل، ومنزل عبور لا متنزه حبور، ومحل تجارة لا مسكن عمارة، ومتجر بضاعتها الطاعة، وريحها الفوز يوم تقوم الساعة، والصلاة وأزكى والسلام على البشير النذير بين يدي الساعة محمد بن عبد الله صاحب الشفاعة، وعلى الأطهار أولي الإحسان والطاعة ومن سار على هديهم واقتفى أثرهم إلى أن تقوم الساعة، أما بعد:

فهذا بحث أعدته لتقديمه إن شاء الله في الندوة العالمية حول (أسلمة العلوم الإنسانية والاجتماعية من منظور متعدد)، والذي يعقده مركز الدراسات العربية والإسلامية بجامعة الشافعية في جاكرتا - إندونيسيا. أرجو من الله عز وجل أن يعينني على إنجازه في ظل ظروف وضغوط أكاديمية مكثفة بجامعة قطر، حيث الاختبارات النهائية على الأبواب متزامنة مع أزمة اعداد الملف الأكاديمي لعضو هيئة التدريس، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

إن هذا المشروع؛ "مشروع أسلمة أو إسلامية العلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية" أو "مشروع التوجيه القرآني والنبوي للعلوم الإنسانية والاجتماعية"، يهدف إلى مواكبة قدرة العقل والفكر والمنهج السليم وحاجة الأمة والتحديات التي تواجهها، وأن تقدم لها الطاقة والزاد الفكري والرؤية والمناهج الفكرية والحضارية اللازمة، - و لا يعني هذا المشروع بحال

من الأحوال تناقضاً أو إلغاء لجهود كافة المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية في المجالات الحياتية المختلفة، بل يعني التكامل والتكاتف معها. إن حقيقة مشروع إسلامية العلوم الإنسانية عبارة عن عمل أو اجتهاد مؤسسي جماعي منهجي موضوعي في ظل التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، يتم فيه غربلة وتنقيح وتهذيب وتحليل ومراجعة وتنقية وتصفية العلوم الإنسانية والاجتماعية وتطهيرها من الأفكار والاتجاهات الكفرية أو الشركية أو الإلحادية أو العلمانية أو الشيوعية أو الماركسية واللينينية أو الديموقراطية أو الغربية الحديثة، والتي تتعارض مع مبادئ ديننا الحنيف جملة أو تفصيلاً، وبعد هذه المراجعة والتحليل يتم إضفاء الصبغة والبدائل الإسلامية عليها وإخراجها بحلة جديدة تسر الناظرين والمؤمنين وترضي الله رب العالمين.

سبب اختيار البحث

هذا، ويعود سبب اختياري لهذا البحث إلى رؤيتي لفئة من المثقفين والمفكرين المعاصرين المشككين لمسألة أو مشروع " الأسلمة للعلوم الإنسانية والاجتماعية" من حيث نشأة هذا الفكر الجديد والهدف الذي يصبو إليه لتحقيقه. بينما تبين لي من خلال الدراسة والمطالعة خلاف ما زعم هؤلاء، فعزمت البيان والتوضيح من خلال هذه الصفحات بأنه لا تعارض ولا تناقض بين دلالات الوحي الإلهي المتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة ودلالات وقرارات العقل السليم المتمثل في الاكتشافات - الحقائق - العلمية والمعارف الإنسانية.

أهمية البحث

أقول إنه يجب أن يكون واضحاً في أذهاننا، نحن رجال الفكر والدعوة، أن قضية إسلامية العلوم أو التأصيل الإسلامي للعلوم، هي قضية ذات شأن عظيم ومسؤولية كبيرة، وهو واجب ديني كبير أنيط على أعناقنا لإنقاذ هذه الأمة المحمدية من هذا التخلف العلمي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي، فأهمية المشروع يظهر في الآتي:

- أ- أنه يهتم بتحقيق جانب أساسي وأولي في بناء الأمة الإسلامية يختص بالفكر والتصور والمحتوى الإنساني القيمي والفلسفي.
- ب- أنه يعني منهجية إسلامية قويمية شاملة تلتزم توجيه الوحي ولا تعطل دور العقل، وأن الوحي هو مرشد العقل والفرد والمجتمع الإنساني.
- ت- أنه يركز على معرفة تصدر عن قيم الوحي وغايات الرسالة وتتصل بكل صحيح ونفيس من تراث الأمة وفكر علمائها ومفكرها على مر العصور و القرون.
- ث- أنه يأتي على رأس سلم أولويات الأمة، التي تستهدف تطوير منهجية الفكر الإسلامي وتطهيره مما اعتراه على مر العصور إلى يومنا هذا.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الذين يدافعون عن دينه الحنيف
بالقول والفكر الحق، وأن يجعلنا مخلصين إنه تعالى خير مأمول وأكرم
مسؤول.

المبحث الأول: مصطلح "أسلمة العلوم" أو "إسلامية المعرفة" (عرض ومناقشة)

المطلب الأول: عرض المصطلحات - التعريفات

ذكر عدد كبير من الباحثين والعلماء المعاصرين في هذا الحقل عدة تعريفات لمفهوم أسلمة العلوم، واتفقوا في بعض الجوانب واختلفوا في أخرى، ويعود سبب ذلك الاختلاف إلى تنوع الخلفية الفكرية والدينية لهؤلاء العلماء. وقد تطرق المفكر الإسلامي التركي، سعادة الأستاذ الدكتور مقداد يالجن في دراسة مفصلة له حول هذه المسألة مشيراً إلى أنه قد وردت عدة مصطلحات ومسميات أخرى لها علاقة مباشرة ووطيدة بمشروع أسلمة العلوم، ويبدو لي بعد النظر والتحليل في هذه المسميات أن بعضها قريبة ومتداخلة مع البعض إلى هدف المشروع، والبعض الآخر بعيدة نوعاً ما من هدف المشروع. وفيما يلي ذكر المسميات أو المصطلحات التي أشار إليها الدكتور مقداد يالجن:

- 1- أسلمة العلوم أو أسلمة المعرفة،
- 2- التوجيه الإسلامي للعلوم،
- 3- توجيه العلوم الإنسانية وجهة إسلامية،
- 4- صياغة العلوم صياغة إسلامية،
- 5- تأصيل العلوم تأصيلاً إسلامياً،
- 6- إبراز الأسس الإسلامية التي تقوم عليها العلوم الاجتماعية،

- 7- تأسيس العلوم الاجتماعية على الأصول الإسلامية،
- 8- العودة بالعلوم إلى أصول الشريعة الإسلامية،
- 9- بناء العلوم الاجتماعية على نهج الإسلام⁷⁹.
- 10- تنقية وتصفية العلوم الإنسانية والاجتماعية من المبادئ المخالفة للإسلام.

وهذه التسمية الأخيرة من اجتهادي الشخصي وأعتقد أنها تنطبق جداً على مشروع الأسلمة من حيث الإجراء العملي للتعامل معه وتحقيق الهدف النبيل من ورائه، ونحن في بحثنا سنختار مصطلح: **أسلمة العلوم أو إسلامية العلوم** - أي بمعنى التنقية والتصفية والغربلة والتهديب والتنقيح - ، وأما فيما يخص التعريفات الواردة في هذه المسألة فسأختار للمناقشة بعضاً من أشهر هذه التعريفات لبعض أشهر المفكرين وفرسان هذا المشروع ثم أبين الراجح منها بإذن الله.

التعريف الأول:

✓ للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل، المؤرخ العراقي حيث عرف

إسلامية المعرفة قائلاً إنها:

"تعني إسلامية المعرفة أو أسلمة المعرفة ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من رواية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان"⁸⁰.

⁷⁹ يالجن، مقداد، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، دار عالم الكتب،

الرياض، ط2، 2004، ص31-36

التعريف الثاني:

✓ للأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد عمر:

" تريد دعوة إسلامية المعرفة أن تنسب المعرفة إلى الدين وإن الدين عند الله الإسلام " 81 .

التعريف الثالث:

✓ للدكتور محمد عمارة، المفكر الإسلامي المصري، حيث عرف إسلامية المعرفة أو أسلمة العلوم ب: "المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية، والرافض لجعل الواقع والوجود وحدة المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية - كما أنه - هو المصدر الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنتين (الوحي) وعلومه، (الكون) وعلومه، وليس على ساق واحدة وهي الوجود" 82 .

التعريف الرابع:

✓ مستخرج من ضمن المواضيع المطروحة في المبادئ العامة لإسلامية المعرفة وهو:

"إسلامية المعرفة تعني منهجية إسلامية قويممة شاملة تلتزم توجيه الوحي ولا تعطل دور العقل بل تتمثل مقاصد الوحي وإرشاده وهو الفرد والمجتمع الإنساني والبناء والإعمار الحضاري... " 83 .

80 خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة، ص 15

81 عمر، إبراهيم أحمد، محاضرات في المنهجية الإسلامية، ص 1

82 عمارة، محمد، إسلامية المعرفة، ص 15

83 إسلامية المعرفة - المبادئ العامة: ص 167

التعريف الخامس:

✓ للأستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح - رحمه الله - المفكر الإسلامي العراقي، أستاذي في مادة (مقارنة الأديان) في مرحلة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، عرفه قائلاً:
" عنوان لمنهج فكري في الثقافة الحضاري ذي بعدين، أو معنيين متضايقين: الأول منهما: يراد به جهد الفكر الإسلامي المعاصر، وسعيه الحثيث من أجل هضم جميع ما أنجزه الفكر الغربي و تمثله في بعده: الحضاري المادي، والثقافي المعنوي، الثاني منهما: ففيه التنبيه على وجوب تأمين تحرير تلك المنجزات التي نشأت ضمن مفاهيم فلسفية، لا دينية، ومادية وإلحادية، وذلك بإعادة تفسيرها و ربطها بإطار قيمي إسلامي موصول و متصل بالهدى الإلهي الذي بلغ كما له و ختامه بالإسلام"⁸⁴

التعريف السادس:

✓ للمفكر الإسلامي الفلسطيني المرحوم إسماعيل الفاروقي:
" إن إعادة صياغة العلوم في ضوء الإسلام هو ما نعنيه بكلمة (أسلمة) ونعني بها إعادة صياغة المعلومات وتنسيقها، وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المحصلة منها، وتقديم الاستنتاجات التي انتهى إليها، وإعادة تحديد الأهداف، على أن يكون ذلك

84 مجلة (إسلامية المعرفة):، العدد الخامس، ص 9

بطريقة تجعل فروع المعرفة المختلفة وتثري التصور الإسلامي، وتخدم أهداف الإسلام" ⁸⁵.

التعريف السابع:

✓ لأستاذي الفاضل - أستاذ مادة (إسلامية المعرفة) أ.د. إبراهيم رجب من مصر:

"التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية عبارة عن عملية إعادة بناء العلوم الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، وذلك باستخدام منهج يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد بوصفها مصدراً للمعرفة، بحيث يستخدم ذلك التصور الإسلامي إطاراً نظرياً لتفسير المشاهدات الجزئية المحققة والتعميمات الواقعية (الأمبيريقية - التجريبية) وفي بناء النظرات في تلك العلوم بصفة عامة" ⁸⁶.

التعريف الثامن:

✓ للمفكر الإسلامي والأستاذ الدكتور مقداد يالجن، من تركيا والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية والتربوية في الرياض، حيث عرفه مشروع الأسلمة للعلوم بتعريف مختصر قائلاً: " بناء العلوم الاجتماعية على نهج الإسلام " ⁸⁷.

⁸⁵ الفاروقي، إسماعيل، أسلمة المعرفة، دار البحوث العلمية - الكويت، 1404 هـ، ص 25

⁸⁶ مجلة (إسلامية المعرفة)، العدد الثالث: ص 48 - بحث د/ إبراهيم رجب، و انظر كذلك مجلة التجديد، العدد 3 ص 97 بحث للدكتور نزار العاني من العراق وأستاذ مادة علم النفس بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

⁸⁷ يالجن، مقداد، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، ص 36

المطلب الثاني: مناقشة المصطلحات - التعريفات مع الترجيح

وبعد عرض هذه التعريفات السبعة نقول إن بين هذه التعريفات عموم وخصوص وتقارب شديد، بعضها شاملة كاملة جامعة مانعة، والبعض الآخر لم تتوفر فيها هذه الشروط والميزات. كما أن كثيراً من هذه التعريفات اتفقت فيما بينها في تحديد المنهجية والهدف.

❖ مناقشة التعريف الأول:

يقول الدكتور عماد الدين خليل: " تعني إسلامية المعرفة أو أسلمة المعرفة ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً و توصيلاً و نشرأ من رواية التصور الإسلامي للكون والحياة و الإنسان" ⁸⁸.

إن إشارة الدكتور إلى ممارسة النشاط المعرفي... الخ، مشروط من وجهة النظر الإسلامية - قرآن وسنة، ولكن تعبير " ممارسة النشاط المعرفي... الخ " يبدو لي أنها توحى بأن التصور الإسلامي للعلوم يمكن أن تحدث بعد الشروع في العلوم! وهذا مما لا ينبغي أن يكون. إن التصور الإسلامي للأعمال والنشاطات والمعارف المختلفة يسبق الممارسة ويوجب علينا الاستعداد القلبي والمنهجي قبل الممارسة والشروع في أي عمل نقوم به أو علم نتعلمه أو نعلمه، لأنه إذا صلحت المقدمات صلحت النتائج، وإذا فسدت المقدمات فسدت النتائج. إذن، نحن نتفق مع هذا التعريف في الشق الثاني ونراعي الاعتبار الذي ذكرته في الشق الأول، والله أعلم.

⁸⁸ خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة، ص 15

❖ مناقشة التعريف الثاني:

إن قول الدكتور إبراهيم أحمد عمر: " تريد دعوة إسلامية المعرفة أن تنسب المعرفة إلى الدين وإن الدين عند الله الإسلام".⁸⁹ نقول إن هذا التعريف غير شامل وغير جامع وغير مانع. ولا نوافق فيما ذهب إليه من أن إسلامية المعرفة تعني نسبة المعرفة أو العلم إلى الدين! كلا! فهناك معارف وعلوم غير دينية بل وغير إسلامية، ولا يجوز نسبة هذه العلوم إلى الدين الإسلامي لأن الإسلام أصلاً لم يأت بها، فكيف ينسب شيء ما إلى الدين والدين منه براء! وهناك من العلوم والمعارف تم اكتشافها على أيدي غير المسلمين، فهل يعقل تعطيل المصالح العامة والقول بعدم الاستفادة منها لكونها غير إسلامية! كلا. وأود التأكيد هنا من أن العلوم والمعارف لا توصف بأنها دينية أو غير دينية! بل لا دين لها أصلاً. إن العبرة في هذه العلوم والمعارف هو النظر فيما تؤول إليه هذه العلوم والغرض من استخدامها، فإن خيراً فخير وإن شراً فشر. إن هذه العلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية يجب أن يستفاد منها ضمن الإطار الديني وفي ضوء المبادئ الدينية الإسلامية السمحة، بحيث يكون الدين الإسلامي هو الموجه والمرشد الأساسي لتحديد الهدف من استخدام هذه العلوم، ولا فرق في هذه المسألة في كون هذه العلوم إسلامية أو غير إسلامية. المهم أن لا يساء استخدامها في إهلاك الحرث والنسل، إذن، هناك فرق بين نسبة العلوم إلى الدين وبين الاستفادة من هذه العلوم وفق المبادئ الدينية الإسلامية، والله أعلم.

⁸⁹ عمر، إبراهيم أحمد، محاضرات في المنهجية الإسلامية، ص 1

❖ مناقشة التعريف الثالث:

للدكتور محمد عمارة: "المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام و بين المعارف الإنسانية، والرافض لجعل الواقع و الوجود وحدة المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية - كما أنها - هي المصدر الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنتين (الوحي) وعلومه، (الكون) وعلومه، وليس على ساق واحدة وهي الوجود".⁹⁰

هذا التعريف رائع للغاية، فقد اشتمل على عناصر وضوابط كثيرة والتي هي من صلب هذه المسألة. غير أن قوله: " المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف... إلخ"، فكلمة: المذهب، يفضل استبدالها بغيرها، ذلك، لأننا عندما نحاول ربط الاستفادة من المعارف الإنسانية والعلوم الاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية وفق الضوابط الشرعية المبنية على الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح، فهذه العملية أو هذه المحاولة أخرى وأجدر بأن تسمى ب: منهجية إسلامية، أو عملية عقديّة ودينيّة في تنقيّة وتهديب العلوم والمعارف من كل ما يشوب الإسلام... إلخ، فاعتراضنا على هذا التعريف ينصب على هذه الجزئية فقط، أي أننا لا نرى استخدام مصطلح " المذهب "، حتى لا يتوهم ذلك بأن هذا العمل مثل بقية المذاهب المعاصرة الصالحة منها وغير الصالحة، فنحن نعتقد اعتقاداً جازماً بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية من حيث المصدرية و تحديد الهدف من وراء استخدام هذه العلوم ، وهناك فرق بين العقيدة والإيمان الجازم، وبين المذهب، أي كان هذا المذهب. كما أن إشارة الدكتور

⁹⁰ عمارة، محمد، إسلامية المعرفة، ص 15

محمد عمارة في تعريفه أن المعرفة الإنسانية يجب أن تقوم وأن تثبت على ساقين أو ركنين: الأول منهما: الوحي بعلمه - الكتاب والسنة الصحيحة -، والثاني علوم الكون المختلفة، قيد من أروع ما رأيت في هذه المسألة، وبالطبع يراد ب: العلوم والمعارف الإنسانية الحقائق العلمية وليس النظريات أو الفرضيات، والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف الرابع:

عموما ليس لنا استدراك أو ملاحظات على هذا التعريف، ولا أرى في الوقت الحالي إضافة أي شيء جديد، غير أن هذا التعريف يتميز بربط الوحي مع العلوم والمعارف دون تعطيل دور العقل، وأن العقل يكون موجها بنور الوحي وهدايته وإرشاده في الإعمار الحضاري والبناء الإنساني. وهذه القيود المدرجة في هذا التعريف جميلة وهامة للغاية، لأن كل عمل أو نشاط أو حركة أو علم يقصي الوحي - الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح - ولا يستنير بهديه فلا خير فيه ولا بركة، كما أن الشرع الحنيف أناط تكليف الإنسان على كونه عاقلاً، فإذا انتفى العقل سقط التكليف، وإذا وجد العقل وجب عليه الاستنارة بنور الوحي المتمثل في الكتاب والسنة، والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف الخامس:

أما تعريف أستاذي المرحوم الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح، فقد أصاب الحق عندما أطلق على عملية "الأسلمة" مصطلح: المنهج، وقيدها

ب: الفكري والثقافي والحضاري، مبينا المراد من حقيقة هذا القيد، بأنه عبارة عن جهود علماء المسلمين عبر التاريخ لهضم وقبول ما أنجزه الفكر الغربي في الجانب الحضاري والمادي والثقافي...، إذن هو رحمه الله ركز على محاولات وجهود العلماء المسلمين عبر التاريخ إلى يومنا هذا في هضم وتمحيص ومن ثمَّ قبول ما أنجزه الآخر، ثم إرجاع تلك المنجزات إلى شهادة المركز (القرآن والسنة) - كما كان هو يعبر رحمه الله في محاضراته العلمية معنا -، أو بمعنى آخر نقول إن هذا المنهج يعني تنقيح وغربلة تلك الجهود العلمية الغربية من وجهة النظر الإسلامية وجعلها صالحة وقابلة للعمل والتطبيق، وكان رحمه الله يركز علينا في محاضراته أن هناك فرق بين الدين - وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة- والفكر الديني، وهو عبارة عن اجتهادات وآراء علماء المسلمين في فهم وتفسير هذه النصوص الدينية.

والشيء المميز في هذا التعريف هو أن الأستاذ المرحوم دعا إلى تحرير وتنقيح تلك المنجزات الغربية التي نشأت في ظل مفاهيم فلسفية لا دينية، مادية وإلحادية... الخ، وربطها بإطار قيمى إسلامي موصول بالهدى الإلهي الذي بلغ كماله وختامه بالإسلام، والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف السادس:

للمفكر المرحوم إسماعيل الفاروقى، فهو رحمه الله. لقد اتفق الآخرون معه في ضرورة إعادة صياغة العلوم الإنسانية والاجتماعية في ضوء النصوص الشرعية - القرآن والسنة الصحيحة -، وزاد في هذا الشرط أيضًا إعادة التفكير والنظر في مقدمات ونتائج تلك العلوم الإنسانية

والاجتماعية، وضرورة إعادة تحديد الأهداف الإسلامية من وراء استخدام هذه العلوم. هذا ما تعني عملية "الأسلمة" أو "الإسلامية" من منظور المفكر إسماعيل الفاروقي رحمه الله. إن مراعاة هذه القيود المهمة في هذا التعريف أمر ضروري للغاية، لأنه إذا صلحت المقدمات صلحت النتائج و إذا فسدت المقدمات فسدت النتائج، والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف السابع:

لأستاذي الفاضل إبراهيم رجب حفظه الله و رعاه، حيث هو الآخر ذهب إلى ما ذهب إليه هؤلاء السابقون من إخوانه المفكرين، ولكنه قيد تعريفه بقيدتين، الأول: التأصيل الإسلامي للعلوم، أي أنه اشترط ابتداء مسألة إرجاع العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى أصل الإسلام، والمقصود النظر في مدى موافقة هذه العلوم والمعارف للكتاب والسنة الصحيحة وهدى السلف الصالح. والقيد الثاني: يجب أن تكون في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، أي وفق هذه المعايير الإسلامية، وذلك لإخراج التصور الغربي أو العلماني أو الإلحادي أو المسيحي أو اليهودي أو البوذي أو الهندوسي... الخ. وهذان القيدان هامان للغاية، وحتى تعطي هذه العملية أكلها لا بد أن تتم عبر منهج علمي يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد بوصفها مصدرا للمعرفة - في ضوء الاعتبارات السابقة - والله أعلم.

❖ مناقشة التعريف الثامن والأخير:

إن تعريف الأستاذ الدكتور مقداد يالجن حيث عرف مسألة " أسلمة العلوم " بـ: " بناء العلوم الاجتماعية على نهج الإسلام"⁹¹، و في تصورنا المتواضع هذا التعريف لا يسلم من بعض الاعتراض. إننا أكدنا مما سبق بأن العلوم الاجتماعية ليست كلها مخالفة للإسلام جملة وتفصيلاً. لقد جرت العادة في العلوم الإنسانية والاجتماعية قديماً وحديثاً أن تشتمل على الحق وعلى الباطل، وتبين مما سبق أن الإسلام يقبل الحق ويرفض الباطل، و هذا هو عين الإنصاف بغض النظر عن المصدر أو القائل. وأما مصطلح " البناء " المشار إليه في تعريف الدكتور مقداد يالجن، فكأنما يقصد منه إيجاد وابتكار تلك العلوم ابتداء من الأساس، وهذا أمر متعذر وليس مقصوداً في مشروع الأسلمة، إذ لا يمكن ابتكار أو تأسيس جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية على نهج الإسلام ابتداء، وإنما المقصود هو تنقية تلك العلوم والمعارف من كل ما يخالف الإسلام، فالفرق واضح بين البناء والتنقية أو التصفية، والله أعلم.

➤ الخلاصة مما سبق

نخلص إلى القول بأن جمهور العلماء والمفكرين في هذه المسألة اشتروا إعادة وإرجاع العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى أصل الإسلام، القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. وأيضاً لوحظ مما سبق أن جميع المفكرين

⁹¹ انظر: يالجن، مقداد، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، ص 36

اشترطوا إعادة النظر في هذه العلوم وفق التصور الإسلامي والمعايير الإسلامية للإنسان والمجتمع والوجود - وهذا تصور هام للغاية فهو يضع النقاط على الحروف ويعيد الأمور إلى نصابها، كما أن الجميع في هذه المسألة قد اتفق بأن هذه العملية في البحث والتحليل والتنقيح والتمحيص والغرلة يجب أن تتم وفق منهج علمي دقيق، تراعى المقدمات العلمية والمنهجية بدقة حتى تأتي النتائج دقيقة وسليمة من الشوائب.

• الترجيح مع التوضيح

والذي نرجحه من هذه التعريفات - والعلم عند الله - هو تعريف
الدكتور إسماعيل الفاروقي والدكتور عرفان عبد الحميد فتاح رحمهما الله
لكونهما جامعين ومانعين وأكثر شمولاً وأوسع دلالة، والله أعلم.
وأعتقد بقوة أن إيجاد تعريف مختصر جامع مانع لهذا الغرض صعب
المنال، وإنما يفضل التوضيح والبيان من هذا المشروع، وإن كان لنا حق في
بيان توضيح لعملية: " أسلمة أو إسلامية العلوم والمعارف الإنسانية
والاجتماعية "، نقول وبالله التوفيق والهداية:

إن المسلم مأمور بالتوفيق لا بالتلفيق، والتسديد والتقريب بين ما هو
صالح ومفيد وبين ما هو غير صالح وغير مفيد. فهو يوفق بين مبادئ
الثقافة الجديدة أو العلوم الإنسانية والاجتماعية المستوردة أو المكتسبة وبين
مبادئ الدين الإسلامي، فما طاب من تلك العلوم والمعارف والثقافات ولم
يتعارض مع مبادئ ديننا الحنيف قُبل، وما خبت منها وتعارض مع مبادئ
ديننا الحنيف رُفض. ويتم هذا التوفيق بعدة طرق و وسائل، أبرزها: عرض
تلك الثقافات أو العلوم المستوردة على شهادة الميزان والمركز الإسلامي -
القرآن والسنة وعلى أقوال العلماء المعتمدين والمعتبرين والمشهود لهم بالعلم
والصلاح والتقوى -، ثم القيام بعملية الغرلة والتحليل والتمحيص بطريقة
منهجية يتم من خلالها إخراج كل العناصر الكفرية أو الشركية المعادية
والمخالفة للإسلام والتي لا تتماشى مع الذوق العام أو تصطدم مع الأعراف

السائدة غير مخالفة للشرع، ومن ثمَّ يتم إضفاء الصبغة الشرعية أو الإسلامية على تلك العلوم والثقافات والمعارف، ويتم تقديمها إلى المسلمين بطريقة وحلة جديدة. وهنا يظهر عظمة الإسلام وإعجازه في قبول ما لدى الآخر دون الانصهار والذوبان مع المحافظة على الهوية الدينية الأصيلة، وبهذه المنهجية المركزة نكون قد وفقنا بين ما هو صالح وطيب من تلك العلوم أو المعارف والثقافات وما هو غير صالح، و نكون قد ابتعدنا عن التلفيق والغش والخداع، والله أعلم.

ولا ننسى بأن هذه العملية العلمية والمنهجية لن تكون مباركة ولا ناجحة إلا إذا تمت عبر مؤسسات علمية مثل معاهد وكليات وجامعات وهيئات أو جمعيات معتمدة، وعبر لجان علمية متخصصة تسوده روح العمل الجماعي والإشراف العلمي الدقيق. إن الجهود الفردية في مشروع " الأسلمة " للعلوم والمعارف الإنسانية والاجتماعية لا تلبث إلا أن تكون جهوداً على الورق و في عالم النظريات، دون أن تكون لها وجود حقيقي في عالم الحقائق والمشاهدات ما لم تتوفر فيه الاعتبارات السابقة، والله أعلم.

وحتى يكون التأصيل ناجحاً وموفقاً أرى من الفائدة العلمية الكبرى في هذا الصدد ذكر كلام أحد أعلام التأصيل الإسلامي المعاصر للعلوم من تركيا، فضيلة الأستاذ الدكتور مقداد يالجن، حيث تحدث عن الأركان الأساسية لنجاح التأصيل أذكر ذلك بالاختصار:

1. " وجود روح التأصيل لدى القائمين بالتأصيل من المسؤولين

والباحثين والمعلمين...،

2. وجود منهج للتأصيل يستخدمه القائم على التأصيل يتسم بالعلمية ومتفق عليه بين المعنيين بالتأصيل...،
3. الوقوف على محتوى العلوم التي تكون بحاجة إلى تأصيل...،
4. قناعة المؤصل بما يقوم به من التأصيل...، " 92.

أما أهم العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تحتاج إلى التأصيل الإسلامي أو الأسلمة فهي كالآتي:

1. علم التربية Education (ذات المنطلقات والأسس الغربية المعادية للمبادئ الإسلامية).
2. علم النفس الغربي Psychology (المؤصل على المنطلقات والأسس الغربية المخالفة للإسلام).
3. علم الإنسان Anthropology
4. علم الأخلاق Ethics/Morals
5. علم الاجتماع Sociology (المؤسس على الأسس الوضعية)
6. علم التاريخ History (المحايد واللاموضوعي)
7. الحضارة الغربية Western Civilization بكل ما فيها،
لأنه لا يمكن قبلها مطلقاً ولا رفضها مطلقاً)

⁹² انظر: يالجن، مقداد، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، دار عالم الكتب،

8. الحقوق الاجتماعية Social Rights (أي تلك الحقوق التي لا تراعى فيها العدالة والمساواة للجميع، في بعض المجتمعات التي تتميز بالطبقية أو الجهوية أو السلطوية أو القبلية).
9. الدراسات المتعلقة بحقوق الإنسان Human Right Studies، وعدم تفريق بين الإنسان أو المواطن، أيا كان هذا الإنسان بغض النظر إلى الخلفية الدينية أو العرقية أو الجيوغرافية... الخ.
10. الخدمة الاجتماعية Social Services (التي تدفع ثمنها أو ضريبتها الطبقة الدنيا من الناس لخدمة الطبقة العليا)
11. علوم الاقتصاد والتجارة الغربية Economics & Business studies (الملليء بأنواع من المعاملات المحرمة في البيع والشراء والصفقات المشبوهة في المصارف والمعاملات التجارية)
12. الثقافة الغربية Western Culture (الثقافات السلوكية في الملابس والمشرب والمأكل والزواج والعلاقات الأسرية والاجتماعية والتي لا تراعى فيها الآداب والمبادئ الدينية ولا المروءة الإنسانية)
13. علوم السياسة Political Sciences (سواء كانت سياسة غربية أم شرقية، عربية أم تركية، كردية أم ألبانية... الخ)
14. علم القانون الغربي Western/Roman Law

15. علوم الصناعة Industrial Sciences (تحديد مآل

ومقصد الصناعة والهدف الذي من أجلها تستخدم).

16. الطب - العلوم الطبية Medicine/Medical

Sciences (الدراسات والاكتشافات والتجارب الطبية من

المنظور الغربي)

17. علم الفلسفة Philosophy (المذاهب الفلسفية

الهدامة)

18. الدراسات الأدبية والفنية والإعلامية Media,

Literary and Art studies⁹³

هذه العلوم الإنسانية والاجتماعية هي التي تحتاج من أولي النهى وأهل

الحل والعقد النظر في محتوياتها لتنقيتها وتصفيتها وتقديمها إلى الأمة

الإسلامية من جديد، فهل نحن فاعلون؟ إن في ذلك لذكرى لمن كان له

قلب أو القى السمع وهو شهيد، وما يعقلوها إلا العالمون. هذا وقد يسأل

السائل: ماذا تقصدون بتأصيل العلوم أو أسلمتها أو ما المراد بإسلاميتها؟

هل هي كافرة حتى نُؤسَلِمها أو نقوم بأسلمتها أو إسلاميتها ! هذا ما

سنبينه إن شاء الله في هذا المبحث الآتي.

See for more details: <http://www.theoryofknowledge.net/areas-of-93>

knowledge/the-human-sciences/human-sciences-starting-points.php,

04.07.2012 – Time browsed 17:35 PM

المبحث الثاني: ما المقصود من مشروع "إسلامية المعرفة" أو "أسلمة المعارف والعلوم"

يجب أن يكون واضحاً في أذهاننا، نحن الشيوخ والدعاة والمفكرين أن قضية إسلامية العلوم أو المعرفة، أو التأصيل الإسلامي للعلوم، هي قضية عظيمة ومسؤولية كبيرة أنيطت على أعناقنا لتصحيح المسار الفكري والمنهجي لهذه الأمة المحمدية وإنقاذها من التخلف العلمي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي. فعندما ننادي "بالتأصيل الإسلامي للعلوم" أو إلى "مشروع إسلامية المعرفة" أو "أسلمة العلوم" فإننا نقصد بها:

1. جانباً أساسياً وأولياً في بناء الإنسان يختص بالفكر والتصوير الإنساني القيمي وكيفية بنائه وعلاقته في العقل والنفس والضمير.
2. منهجية إسلامية قومية شاملة تلتزم توجيه الوحي ولا تعطل دور العقل، وأن الوحي هو مرشد العقل والفرد والمجتمع الإنساني.
3. التأصيل الإسلامي للعلوم المتمثل في القدرات والانجازات العلمية والحضارية الصحيحة كافة، تلك التي توارثتها البشرية وأنتجتها بعد أن تزنها بميزان الإسلام وشمولية قيمه وتوجيهيه.
4. معرفة ناقدة بصيرة تتمثل وتتمكن من كل معرفة صحيحة كانت أو غير صحيحة.

5. معرفة تصدر عن قيم الوحي وغايات الرسالة وتتصل بكل صحيح ونفيس من تراث الأمة وفكر علمائها ومفكريها على مر العصور والقرون إلى قيام الساعة.
6. عملية ومنهجية مستمرة متجددة بتجدد الزمان والمكان والمعارف والعلوم إلى قيام الساعة.
7. التأكيد أن إسلامية العلوم والمعارف ليست قيماً وغايات فقط وليست تأملات فردية، وليست تاريخاً وتراثاً فحسب، ولكنها سبيل ومنهج لأمر عقلية وعلمية في كل من العلم والمعرفة الاجتماعية والإنسانية والطبيعية والتطبيقية.
8. التأكيد على أن التأصيل الإسلامي للعلوم هي معرفة ربانية القيم وربانية الغايات⁹⁴.
9. أنها ينبغي اليوم أن تكون على رأس سلم أولويات الأمة، التي تستهدف تطوير منهجية الفكر الإسلامي وتطهيره مما اعتراه على مر العصور إلى يومنا هذا⁹⁵.

⁹⁴ انظر للمزيد من التفاصيل : إسلامية المعرفة: المبادئ: ص 77، 167، 168، 170

⁹⁵ وللمفكر والفيلسوف الإندونيسي الماليزي صاحب و رائد فكرة إسلامية المعرفة عام 1978 سيد نقيب العتاس جهود مشكورة في هذا المجال، وله مؤلفات عديدة باللغة الماليزية والإنكليزية و بعضها مترجمة إلى اللغة الألمانية. وقد نشرت موقع ويكيبيديا ترجمة عن حياته ومؤلفاته مفصلاً للفائدة العلمية. ثم كان للمفكر الإسلامي الفلسطيني الدكتور إسماعيل الفاروقي عام 1982 جهود مشكورة في إحياء هذه الفكرة إلى يومنا هذا... للمزيد انظر: http://en.wikipedia.org/wiki/Islamization_of_knowledge، تم تصفح الموقع في يوم الأربعاء 05.07.2012، وانظر أيضاً: http://wikiislam.net/wiki/Islamization_of_Knowledge، تم تصفح الموقع في

10. مواكب قدرة العقل والفكر والمنهج السليم وحاجة الأمة والتحديات التي تواجهها، وأن تقدم لها الطاقة والزاد الفكري والرؤية و المناهج الفكرية و الحضارية اللازمة.
11. أن إسلامية المعرفة لا تعني بحال من الأحوال تناقضاً أو إلغاء لجهود كافة المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية في المجالات الحياتية المختلفة بل تعني التكامل معها⁹⁶.
12. أن يكون هذا المشروع بمفهومه الشامل إطاراً للحياة الإنسانية والحضارة والإعمار البشري، وغاية كل نشاط وجهاد وعمل وتنظيم اجتماعي إسلامي. غاية واحدة ومسيرة واحدة ولا يصلح إهمال أي جانب منها أو التقليل من شأنه.
13. التأكيد على أن كل تحليل علمي لو كان إسلامياً يجب أن يعمل على كشف ذلك النمط الإلهي في الشؤون الإنسانية وأن يؤكد ذلك الجزء الواقعي منه...، وأن يكشف عن العوامل التي تؤدي إلى تحقيق أو إعاقة إتمام عملية التجسد، وأن يركز على فهم علاقة تلك العملية مع جميع العمليات الأخرى الخاصة بالحياة في الأمة⁹⁷.
14. إيجاد علاقة بينها وبين السنن الإلهية التي جاء بها الوحي، في الكون والإنسان والاجتماع...، وكذلك توظيف هذه العلوم والمعارف - عن طريق أسلمة فلسفتها - لتحقيق المقاصد

⁹⁶ انظر: الوجيز في إسلامية المعرفة: ص 81 - 82 - 83

⁹⁷ انظر رسالة للدكتور الفاروقي: صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية، ص 29 - 30

والغايات الشرعية التي حددها الوحي لخلق الله سبحانه وتعالى،
الكون والإنسان⁹⁸.

وبعد هذه الجولة في مفهوم إسلامية المعرفة، نستطيع القول بأن هذا المشروع العظيم الذي أسسه الشهيد إسماعيل الفاروقي رحمه الله وتأسيسه هذا يأتي إتماماً وتكميلاً لما قام به رواد الحركة الحديثة الإصلاحية أمثال الشيخ جمال الدين الأفغاني والأستاذ الإمام محمد عبده وغيرهم، وكان هدف هؤلاء السابقين واللاحقين هو إيجاد الربط بين العلوم الشرعية والعلوم الحديثة، وسد هذه الثغرة الموجودة بين النوعين من العلوم – والقيام بنقد بناء للعلوم الاجتماعية من الناحية المنهجية Methodology والنظرية المعرفة Epistemology، والوجودية Ontology، وقيمية Axiology، وكان هدفهم أيضاً القيام بغرلة هذه العلوم وتنقيتها وتصفيتها على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، بحيث لا يبقى شيء أدنى من تلك العلوم يتعارض مع مبادئ الإسلام.

هذا، وتتميماً للفائدة والأمانة العلمية أرى من الضروري ذكر الأهداف الإسلامية لمفهوم التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية التي أشار إليها في دراسته: أساسيات التأصيل...، إضافة إلى الأهداف الأخرى والتي حددتها اللجنة الدائمة في التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية في عمادة

⁹⁸ محمد عمارة، إسلامية المعرفة، ص 16، وانظر للتوسع: حول تشكيل العقل المسلم، للدكتور عماد

الدين خليل: ص 55 - 70

البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - وقد كان الدكتور مقداد أحد الأعضاء المميزين في هذه اللجنة لعدة سنوات - فجزاهم الله جميعاً على هذا الجهد المؤسسي المبارك.

أولاً: أهداف التأصيل التي ذكرها المفكر الإسلامي التركي سعادة الأستاذ الدكتور التركي مقداد يالجن:

1. إشعار الناشئين بالاعتزاز بما في ديننا وبإسهامات علماء المسلمين في تأسيس العلوم والنهوض بها قديماً وحديثاً.
2. استبعاد كثير من المفاهيم والأفكار الوافدة والمتناقضة وإزالة تلك المفاهيم على ضوء معايير التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية والسلوكية.
3. إطلاع المثقفين المهتمين بالعلوم السلوكية في جميع أنحاء العالم على ما لدى المسلمين من ثروة عظيمة في مجال العلوم الإنسانية وتأثيرهم على مسار هذه العلوم وتوجيهها.
4. استخدام هذه العلوم المؤصلة في بناء الشخصيات العلمية المندفعة إلى السلوكيات الإسلامية العاملة بهذه العلوم.
5. الإضافة إلى هذه الدراسات المنظور الإسلامي، إذ إن ذلك سوف يؤثر في بناء هندسة تلك العلوم.
6. تقويم هذه الدراسات القديمة والحديثة منها في ضوء المعايير الإسلامية، ومعالجة الجوانب السلبية وتدعيم الإيجابية.

7. إبراز أهداف تلك العلوم العامة والخاصة من منظور الإسلام و إبراز أساليب تحقيقها.
8. إيجاد منهج واضح للتأصيل لتلك العلوم عموماً و لكل علم من تلك العلوم بوجه خاص.
9. استخدام تلك العلوم في تدعيم القيم الإسلامية والدعوة الإسلامية كما يستخدمها الغربيون في تدعيم أيديولوجياتهم .
10. إبراز الاصول والأهداف التي يقوم على ضوئها بناء العلوم الاجتماعية.
11. تمكين الدارسين من القدرات النظرية للنظريات والأفكار الوافدة على ضوء قواعد ومنهج تفكير واضح ومتناسق مع نفسها.
12. بناء عقلية إسلامية التي تفكر وتخطط وتقوم وتحل المشكلات على نهج الإسلام.
13. انقاذ الأجيال من التبعية الفكرية والثقافية والعقلية والشخصية الغربية⁹⁹.

ثانياً: ملخص أهداف اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فيما يلي:

1. بيان ما في الشريعة الإسلامية بعامة وما في القرآن الكريم والحديث الشريف بخاصة من مبادئ السلوك، محركات الدوافع، طبيعة الفطرة، و سنن الاجتماع، قواعد العمران، ومنهج التربية، وأسس العلاقات

⁹⁹ الجن، مقدار، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، ص 38 - 39

- الإجتماعية التي تنظم أحوال البشر وتحدد طبيعة مجتمعاتهم
ومجتمعاتهم...،
2. إحياء تراث المفكرين الاجتماعيين المسلمين والرواد لبيان مدى أصالتهم العلمية نظرياً ومنهجياً، وميدانياً في مجال العلوم الإجتماعية ليكون للتأصل خلفيته الواضحة ولتؤكد الرؤية الحقيقية للإسلام الذي هو دين العلم والعمل، العقيدة، العبادة... النظر والتطبيق...،
3. غرس الوعي الاجتماعي الإسلامي لدى الباحثين في العلوم الاجتماعية بعامة، ولدى طلاب الجامعات بخاصة على أساس أنهم الطلاب التي تحمل مشاعل العلم النافع حاضراً ومستقبلاً...،
4. تصحيح رؤية الإنسان المسلم إلى واقعه الاجتماعي، ومستواه الحضاري بحيث يؤدي فكره المستقيم هذا إلى وضوح رؤية إسلامية هادية تتأصل في وجدانه وتحدد فكره وسلوكه في علاقته بالله، بالناس وبالمجتمع...،
5. مناقشة مبادئ الشريعة الإسلامية باعتبارها أداة للإرشاد الفردي والتوجيه التربوي، والضبط الاجتماعي، وذلك من خلال إرسائها قواعد بين الإنسان نفسه، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان وغيره من الكائنات ثم بين الإنسان وخالقه جل وعلا...،
6. الإفادة- في إطار عملية التأصيل الإسلامي - من مناهج المفكرين المحدثين والمعاصرين في دراسة واقع الإنسان على ألا يكون المنهج مبنياً على فكرة إلحادية مهينة لكرامة الإنسان مسقطة لقدره، كمنظريّة التطور وأصل الأنواع، على أن تقوم دراسة النظم والأنساق الاجتماعية في المجتمع الإسلامي من خلال منهج إسلامي...،

7. إذا كان المنهج الإسلامي هو أداة أو الطريقة لدراسة النظم والأنساق الاجتماعية في المجتمع الإسلامي في ضوء رؤية ناقدة لما أفرزه الفكر الغربي من نظريات وتعميمات اجتماعية فإن الأهداف يتجاوز المنهج والموضوع إلى إبداع الباحث المسلم لقضايا وتعميمات تعبر عن المجتمع الإسلامي وواقعه، لها صفة الجدة والابتكار ، بعيدة عن التقليد، المحاكاة والتبعية.
8. الإفادة من عملية التأصيل في مجال الدعوة الإسلامية وذلك في إطار نظرة إسلامية لا شرقية ولا غربية...، نظرة قوامها الحكمة والموعظة الحسنة، نظرة تكون المجادلة فيه بالتي هي أحسن، وبهذا يكون للأعلام الإسلامي طبيعته المميزة، ونظرته القيمة الثابتة [ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن] [النحل 125]
9. تأسيس (المدرسة الإسلامية في العلوم الاجتماعية) وهي مدرسة في مجال العلوم الاجتماعية تستند في أهدافها ومناهجها وأساليبها النظرية والتطبيقية على مبادئ الإسلام وإحكامه.
10. الانطلاق في الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية من مبادئ وأصول إسلامية مستمدة من الكتاب والسنة والتراث الفكري للأمة الإسلامية.
11. تنقية العلوم الاجتماعية مما شابها من تصورات، مفاهيم واتجاهات منحرفة تنبثق من أصول وثنية أو يهودية أو نصرانية أو من مذاهب هدامة كالشيوعية والوجودية والإباحية، ويتم ذلك بالتقويم العلمي المبني على التصور الإسلامي الصحيح لتلك العلوم.

12. تنقية جميع ما يقدم لطلاب العلوم الاجتماعية في العالم الإسلامي مما يتعارض مع الإسلام لان ذلك يؤدي إلى تحقيق التربية الإسلامية الحقة ويبعد المناهج عن التناقضات الفكرية والانحرافات الناتجة عن غياب الفكر الاجتماعي الإسلامي والمدرسة الإسلامية في العلوم الاجتماعية.

13. تقديم الفكر الإسلامي النقي في مجالات العلوم الاجتماعية للعالم أجمع بالأسلوب المناسب حتى يعرف أصحاب المذاهب الاجتماعية والنفسية والتربوية الأخرى ما تتميز به المدرسة الإسلامية من سمات وخصائص عظيمة منبثقة من عظمة الدين الإسلامي وسموه وقدرته على إيجاد الحلول لكل المشكلات التي تواجه الإنسان في كل عصر ومصر.

14. مواجهة النظريات والأفكار الغربية والشرقية التي لا تتفق مع الإسلام بفكر إسلامي أصيل وواضح مما يؤدي بالضرورة إلى حماية المجتمعات الإسلامية من تلك الأفكار والنظريات المنحرفة، ولن يتم هذا بالرفض المطلق للفكر الغربي أو الشرقي، وإنما يتم بتقديم البديل الإسلامي، وإبراز مواطن الإبداع والتفوق فيه.

15. فتح آفاق الإبداع والتفوق أمام الباحثين الاجتماعيين المسلمين، وذلك بإنقاذهم من التبعية الفكرية، وإمدادهم بالأصول الإسلامية للعلوم الاجتماعية مما يجعل لأبحاثهم تميزاً في المنهج وأسلوب المعالجة، ويعطيها صفة الجدة والابتكار لا مجرد التقليد والتبعية لمدراس العلوم الاجتماعية في الشرق أو الغرب.

16. إجراء الدراسات الواقعية عن العالم الإسلامي في مجالات الاجتماع والتربية وعلم النفس للوقوف على واقع هذا العالم ومشكلاته ، وتقديم الحلول الإسلامية لتلك المشكلات، مما يؤدي إلى التأصيل الإسلامي لتلك العلوم بهدف تقديم الحلول المناسبة المنسجمة مع العقيدة الإسلامية المستمدة من أصولها.
17. تكوين الشخصية الإسلامية القوية المستقرة التي ربيت على مبادئ الإسلام في التربية واكتسبت الاستقرار النفسي من مبادئ الإسلام النفسية والتي تتعامل مع الآخرين وفق التوجيهات الاجتماعية الإسلامية، وبذا تتحول تلك العلوم إلى سلوك وتعامل.
18. إعداد المعلم والباحث والمفكر المسلم وبناء شخصية كل منهم ، وتكوين فكره وفقاً للتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة بحيث تتحقق قدراتهم في تربية النشء تربية صحيحة ، وتوجيه المجتمع توجهها سلمياً ينسجم مع مبادئ الإسلام ومثله العليا وقيمه الحضارية.
19. الإفادة من معطيات العلوم الاجتماعية - بعد تنقيتها - في مجالات الدعوة الإسلامية ومحاربة الغزو الفكري للعالم الإسلامي¹⁰⁰.

¹⁰⁰ التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، اعداد عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (د.ت)، ص 30، وانظر: مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم وأهدافه وأسسه العامة، للشيخ مناع القطان - مجموعة بحوث مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة 1413، ج1، ص 68، 73، وانظر أيضاً: منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية، للأستاذ الدكتور إبراهيم رجب، بحث غير مطبوع 1413، ص 1، وانظر أيضاً: التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف - مفهومه و أهدافه، للأستاذ الدكتور عدنان زرزور، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1992، ص 39، وانظر أيضاً: الجامعات الإسلامية والتأصيل الإسلامي للعلوم، للأستاذ الدكتور زكي إسماعيل، دار المطبوعات الجديدة، القاهرة، 1992، ص 9 - 10

وبعد هذا البيان عن أهمية إسلامية المعرفة أود أن أنطلق إلى قضية أخرى ألا وهي قضية الوحي والعقل لمعرفة ما إذا كان بينهما تعارض وتناقض، أم بينهما توافق وانسجام، وهل يُستغني عن الوحي كمصدر للمعرفة أم لا؟ وهل هنالك ضرورة للوحي الإلهي؟ هذا ما سأحاول تسليط الضوء عليه في هذا المبحث بإذنه تعالى.

المبحث الثالث: الوحي: ضرورته، أهميته، حقيقته، خصائصه، وظيفته.

المطلب الأول: ضرورة الوحي و أهميته

وأما عن أهمية وضرورة الوحي لعنا نجد الإجابة على هذا السؤال فيما يلي من كلام الإمام بديع الزمان سعيد النورسي حيث قال رحمه الله في هذا الصدد: " إن الله - تعالى - الذي خلق هذا الكون؛ إظهاراً لألوهيته ومعبوديته على هيئة كتاب صمداني مجسم، بحيث تعبر كل صحيفة من صحائفه عن معاني الكتاب...، وخلق على شكل قرآن سبحاني مجسم؛ بحيث إن كل آية من آياته التكوينية، وكل كلمة من كلماته، بل حتى كل حرف منه، وكل نقطة - بمثابة معجزة تقديسه وتسبحه...، وخلق على صورة مسجد رحماني مهيب، وزينه بما لا يجد من الآيات، والتقوش الحكيمة، بحيث إن في كل زاوية طائفة منهمكة بنوع من العبادة الفطرية لخالقهم الرحمن؛ فهل يمكن ألا يرسل هذا الخالق المعبود الحق (أساتذة) ليدرسوا معاني ما في ذلك الكتاب الكبير، ويعلموا الناس ما فيه؟ أم هل يمكن ألا يعين أئمة لذلك المسجد الأكبر، ليؤموا الناس الذين يعبدونه بأنماط وأشكال مختلفة من العبادات؟ أم هل يمكن ألا يزود أولئك الأساتذة والمفسرين والأئمة بالأوامر السلطانية؟ حاش لله وكلاً...، وألف مرة كلاً! ثم إن الخالق الرحيم الكريم، الذي خلق هذا الكون، إظهاراً لجماله ورحمته على ذوي الشُّعور، وحسن رأفته بهم، وكمال ربوبيته لهم، وليحثهم على الشكر والحمد...، قد خلقه على هيئة دار ضيافة فخمة، ومعرض رائع واسع، ومنتزه جميل بديع، وأعد فيه ما لا يُحُدُّ من التَّعم اللذيذة المتنوعة المختلفة،

ونظّم فيه ما لا يُعَدُّ من خوارق الصَّنعة وبدائعها الرائعة، فهل يمكن ألاّ يتكلم هذا الخالق الرحيم الكريم بواسطة رسله مع ذوي الشعور من مخلوقاته في دار ضيافته الفاخرة هذه؟! أم هل يُعَقَّلُ ألاّ يعلمهم وظائف شكرهم، وكيفية امتنانهم اتجاه تلك النعم الجسمية، ومهام عبوديتهم اتجاه رحمته السابغة وتودّده الظاهر؟! كلا...، ثم ألف ألف مرّة كلاً! فبنو آدم قافلة متسلسلة، راحلة من أودية الماضي وبلاده، مسافرة في صحراء الوجود والحياة، ذاهبة إلى شواهد الاستقبال...، فكان لا بُدَّ أن يبرز من ظلمات العدم إلى ضياء الوجود بقدرة سلطان الأزل (الرسل الكرام) الذين اصطفاهم الله من بين البشر، وكلفهم بحمل الأمانة؛ ليقظوا الناس من سباتهم: يا بني آدم من أين؟ إلى أين؟ ما تصنعون؟ من سلطانكم؟ من خطيبكم؟ ما دام الكون قد خلق لأجل الحياة، وأن الحياة هي أعظم تجلّي، وأكمل نقش، وأجمل صنعة للحَيِّ القيُّوم - جل جلاله...، فإن حياة ذي الجلال السرمديّة الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بإرسال الرسل وإنزال الكتب، إذ لو لم تكن هناك رسل ولا كتب لما عرفت تلك الحياة الأزلية، فكما أن المتكلّم يبين حيويته، وحياته عند حديثه كذلك الأنبياء والكتب المنزلة تبين وتدل على ذلك المتكلم الحي، "النبوة وضرورتها للإنسانية" ¹⁰¹.

¹⁰¹ خديجة النبراوي، بديع الزمان سعيد النورسي، سوزلر للنشر، تركيا، ط1، 2000، ص 8-9.

المطلب الثاني: حقيقة الوحي لغة واصطلاحاً

أولاً: الوحي في اللغة: قال بن منظور: " الوحي في اللغة: إعلام في خفاء ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا، وفيه أن الوحي بمعنى الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقىته إلى غيرك، يقال: وحيت الكلام إلية وأوحيت، و أوحى أيضاً كتب.. " ¹⁰².
وقال الراغب الأصفهاني: " أصل الوحي الإشارة السريعة " ¹⁰³.
وقال الزمخشري: " وحي أوحى إليه، ووحيت إليه، إذا كلمته عمًا تخفيه عن غيره، ووحى وحيًا: كتب " ¹⁰⁴.
فالوحي كلمة تدلُّ على معانٍ؛ منها: الإشارة، والإيماء، والكتابة، والسرعة، والصوت، والإلقاء في الروح إلهامًا وبسرعة وبشدّة، ليبقى أثره في النفس ¹⁰⁵، وأصله: إعلامٌ في خفاء، وله صورٌ عدّة، وهي كلّها تنمُّ في خفاء، فهو الإشارة السريعة، ولتضمُّنه السُرعة قيل: أمرٌ وحي للكلام على سبيل الرمز ¹⁰⁶.

¹⁰² لسان العرب - محمد بن منظور الإفريقي المصري، مادة (وحي) ج 4، ص 125

¹⁰³ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص 530

¹⁰⁴ الزمخشري، أساس البلاغة، ص 101

¹⁰⁵ عادل زاير، معجم ألفاظ العلم والمعرفة، ص 21

¹⁰⁶ المفردات في غريب القرآن، للراغب الاصفهاني، ص 530

ثانياً: الوحي في الشرع: عرفه الدكتور حسن ضياء الدين عتر - رحمه الله - "...وزبدة القول أن الوحي شرعاً: إلقاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة، بملك أو بدون ملك" ¹⁰⁷.

وقال الدكتور محمد عبد العظيم الزرقاني إن الوحي: " أن يُعَلِّمَ اللهُ - تعالى - مَنْ اصطفاه مَنْ عباده كُلِّ ما أراد اطلاقه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سريّة خفيّة غير معتادة للبشر، ويكون على أنواعٍ شتى، فمنه ما يكون مكاملة بين العبد وربه؛ كما كَلَّمَ اللهُ موسى تكليماً، ومنه ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب مُصْطَفاه على وجهٍ من العلم الضروري لا يستطيع له دفعاً ولا يجد فيه شكاً، ومنه ما يكون مناماً صادقاً يبيء في تحقُّقه ووقوعه كما يبيء فَلَئِقُ الصُّبْحِ في تبلُّجه وسطوعه، ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل - عليه السلام - وهو من أشهر أنواع الوحي وأكثرها، ووحى القرآن كله من هذا القبيل، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي ¹⁰⁸.

أما المعنى الشرعي القرآني للوحي فقد جاء لفظ الوحي وما تصرف منه في القرآن في ثمانية وسبعين موضعاً، بالاستقراء نجد استعمال لفظ الوحي دلالة على الإعلام الخفي السريع. وقد ذكر علماء التفسير وعلوم القرآن سبعة أوجه للوحي في القرآن الكريم:

¹⁰⁷ انظر: وحي الله ص 90

¹⁰⁸ الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1995، ص46.

- 1- الإرسال: [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ] [النساء: 163]، {وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ} [الأنعام: 19].
- 2- الإشارة: [فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا] [مريم: 11]، والبيان: [قَالَ أَيُّتُّكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا] [آل عمران: 41]، والرمز الإشارة بالشفة والصوت الخفي، وعبر عن كل كلام كإشارة بالرمز¹⁰⁹، فكان الكلام المستثنى من الحكم هو (الوحي والرمز) بمعنى الإشارة.
- 3- الإلهام: [وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ] [النحل: 68]، [وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ] [القصص: 7]، فهو "إيقاع شيء في القلب يطمئنُّ له الصدر، ويخص به بعض أصفياه"¹¹⁰، وهذا خاصُّ بالبشر، أما البهائم فهو غريزة تجعلها تحسُّ ما ينفعها وما يضرها. قال الرازي: "قوله [وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ] يقال: وحى وأوحى، وهو الإلهام، والمراد من الإلهام أنه - تعالى - قرَّر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر"¹¹¹.
- 4- الأمر: [يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا] [الزلزلة: 4-5]، وقوله تعالى: [إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا]، [الأنفال: 12]

109 مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني، دار القلم، دمشق، 2002، ط3، ص 209

110 الزبيدي، تاج العروس، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2001 ج9، ص 67

التفسير الكبير للفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 2001 ج 10، ص 73¹¹¹

- 5- القول والكلام المباشر: [فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ] [النجم: 10].
- 6- الإعلام: بالإلقاء في الروع وهو خاص بالأنبياء: [وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا] [الشورى: 51].
- 7- الوسوسة: [يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا] [الأنعام: 112].

"فالوحي من معانيه العامة أنه الإعلام الخفي السريع، الخاص بمن يُوجَّه إليه، بحيث يخفى عن غيره، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة كالوحي إلى أم موسى، ومنه وحي الناس لبعضهم البعض، ووحي الشياطين ويسمى بالوسوسة"¹¹².

ثالثاً: حقيقة الوحي القرآني:

قد يظن البعض أن الوحي شيء خيالي، وليس له حقيقة محددة أو معنية، فلأجل ذلك كل ما يقال عن الوحي هو عبارة عن الوهم والخيال وليس له علاقة بالحقيقة! ولكن الأمر خلاف هذا، فإن التاريخ الإسلامي منذ بدايته مليء بالشواهد والأدلة القاطعة التي تنقض هذا الزعم الباطل، وهذا الافتراء المبين.

محمد رشيد رضا، الوحي الحمدي"، دار الكتاب، الجزائر، ط 1، 1989، ص 44 112

من هذه الأدلة والبراهين الساطعة على أن الوحي كان حقيقة ثابتة ومشاهدة من قبل الصحابة، وأنهم رأوا الرسول صلى الله عليه و سلم وهو يوحى إليه ، وكان لهذا الوحي الإلهي هيمنة و سيطرة على النبي صلى الله عليه و سلم، وكان الناظر يشهد آثارها عليه أثناء نزوله. قال تعالى: [وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ] [النمل: 6]

ومن هذه الحوادث لمشاهدة الوحي، ما روى البخاري في أول صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: [أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه...، حتى جاءه الحق، فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ...]. وروى الإمام البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي، فيفصم عني و قد وعيت عنه ما قال، و أحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة: ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً]¹¹³.

وروى الإمام البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: [لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ] [القيامة:16]،

¹¹³ صحيح البخاري بشرح بن حجر العسقلاني، في باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و مسلم، دار القلم، بيروت، 2007، ج1، ص5. و انظر للتوسع: وحي الله، ص 1، فما بعد

قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعالج من التنزِيل شدة، وكان يحرك شفتيه، فقال ابن عباس فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله يحركهما.

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: [بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم، إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه و سلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه إلى فخذه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة...] الحديث المشهور.

وهنالك روايات أخرى صحيحة تثبت بأن ظواهر الوحي كما تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم وكما عاينها أصحابه لأدلة قاطعة تنفي التوهم بأن الوحي شيء متكلف مصنوع أو أنه أمر تحضيري يستجمع له الفكر و الرواية. هذه الروايات السابقة تثبت يقيناً أن الوحي إلى محمد صلى الله عليه و سلم أمر سوي لا اعتلال معه، إلزامي لا اختيار فيه، وأنه تلقين من الله العزيز الحكيم بقوة وقدرة وهيمنة وسيطرة وحكمة ورحمة.

المطلب الثالث: من خصائص الوحي القرآني:

هذا الوحي الإلهي أو الرباني الذي نحن بصدد الحديث عنه له خصائص معينة، يختلف جذرياً عن بقية العلوم وشرائع الأديان الأخرى، فمن هذه الخصائص نوجز ما يلي حتى يناسب المقام:

- 1- أن الوحي كله؛ قرآناً وحديثاً إلهي المصدر، ولا مدخل لذات النبي صلى الله عليه وسلم فيه بوجه سوى التحمل والتبليغ للناس. أما القرآن فهو إلهي المصدر لفظاً ومعنى، وأما الحديث فهو إلهي المصدر في معناه دون لفظه. قال تعالى: [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] [النجم: 3 - 4]
- 2- الوحي قرآناً وحديثاً منه ما هم قطعي الورد، أي تثبت له صفة الوحي على وجه القطع، ولكن دلالاته قد تكون قطعية وقد تكون ظنية.
- 3- عض ما جاء في الوحي منسوخ ببعض آخر، فالقرآن قد ينسخ القرآن والحديث، والحديث قد ينسخ الحديث، وهذا النسخ قد يكون في اللفظ والحكم وقد يكون في اللفظ دون الحكم و العكس كذلك.
- 4- الوحي حقائقه مطلقة غير خاضعة للتعقيب الإنساني في ذاتها ودور الإنسان إزاءها دور الاستجلاء والاستنباط فقط، لأنها نابعة من علم إلهي مطلق بما هو كائن في عالم الغيب و بما ينبغي أن يكون في حياة الإنسان، قال تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا] [الأحزاب: 36]
- 5- ما جاء في الوحي لا يخالف قضايا العقل ومبادئه، بل هو جار على مقتضاها، وما يظن أنه مناقض للعقل ليس إلا متعالياً عن فهمه دون أن يكون مناقضاً له.

- 6- خطاب الوحي خطاب كلي للناس كافة، سواء كان في صيغته اللفظية كلياً أو جزئياً إلا ما جاء دليل على تخصيصه، لأن الإسلام جاء يخاطب كل البشر: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] [السبأ:28]، هو ما يقتضي أن تكون عمومية الخطاب مطلقة من قيود الزمان والمكان والبعض.
- 7- الوحي منضبط في نص يجري على أساليب العرب في القول واللغة، فاستكشاف معانيه وفهم نصوصه تكون على أساس تلك الأساليب.
- 8- إن الوحي حدث تلقائي فجائي طرأ على الحياة من اصطفاه الله للرسالة والنبوة دون سابق توقع أو تطلع، وأن الرسول صلى الله عليه و سلم لم يستشرف الوحي، ولم يتأهب له، وأن الوحي طرق حياة الرسول صلى الله عليه و سلم ليلاً ونهاراً، في سفره حضر، ركباً وجالساً.
- 9- حصل الوحي وفق الاصطفاء الإلهي بعد أن اشرأبت و طمعت أعناق المشركين إلى مقام النبوة بعد أن سمعوا آيات الله الباهرات ورأوا ما أجراه الله على يد محمد صلى الله عليه و سلم من معجزات قاهرات، تملك الحسد قلوبهم كيف تكون النبوة خاصة بمحمد وفيهم من الزعماء من تعظمهم قبائل العرب؟! قال تعالى: [وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ] [الأنعام: 124]، وقال تعالى: [وَقَالُوا

لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ [الزخرف: 31]

10- الوحي نور على نور، قال تعالى: [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الشورى: 52]، وقال تعالى: [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ]: [المائدة: 15].

11- الوحي حق، قال تعالى: [وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا] [الإسراء: 105]، وقال تعالى: [الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ] [آل عمران: 60]، وقال تعالى: [وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] [يونس: 53]

12- الوحي هدى ورحمة وشفاء، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ] [يونس: 57]، وقال تعالى: [وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا] [الإسراء: 82]

وماذا بعد النور والحق و الهدى والرحمة والشفاء؟! ليس بعد النور إلا الظلام، وليس بعد الهدى إلا الضلال وليس بعد الحق إلا الباطل، وليس بعد الرحمة إلا الشقاء. ¹¹⁴

المطلب الخامس: وظيفة الوحي

وبعد عرض هذه القضايا الموجزة والمتعلقة بالوحي، لا بد لنا من معرفة وظيفة هذا الوحي و دوره في حياتنا. وللأستاذ الإمام محمد عبده في: رسالة التوحيد، كلام نفيس حول هذه المسألة يتناسب مع المقام سأوجز أهم الأفكار التي أشار إليها. فهو رحمه الله عندما تكلم عن وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، رتب وظائفهم مع التركيز على أهمية اتباعهم: أن الرسل في الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص. أرسلهم الله تعالى لحاجة العقول البشرية و أرواحهم لتطهير باطنهم وظاهرهم.

- يتحقق الخير في الحياتين في اتباعهم بإخلاص.
- التفصيل في طرق المعيشة والشطارة في كسب العيش ليس للرسالات دخل فيه إلا العظة العامة والإرشاد إلى الاعتدال فيه.
- يرشدون العقل في معرفة الله وصفاته و يبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان.

¹¹⁴ انظر: منهج التفكير الإسلامي: 17 - 22 ؛ خلافة الإنسان بين العقل و الوحي، ص70 فما بعد؛ وحي الله، ص 113 - 122؛ وخصائص التصور الإسلامي للأستاذ سيد قطب: 71 فما بعد.

- يجمعون كلمة الخلق على إله واحد، ويجاربون العقيدة الوثنية، ودحضوا تحريف أهل الكتاب بنسبهم الولد إلى الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
- يذكرون بعظمة الله وذلك بضرب ضروب من العبادات في مختلف الأوقات تذكرة لمن ينسى، وتزكية مستمرة لمن يحشى تقوي الضعيف منهم وتزيد المستيقن يقيناً.
- يبينون للناس ما اختلف في ذلك عقولهم وشهواتهم وتنازعتهم مصالحهم ولذاتهم فيصلون الناس بأمر الله تعالى.
- يعلمون الناس حسن الأخلاق والصبر والألفة والمحبة والأخوة يبشر فيهم بالخير وينذروهم من الشر.
- يضعون لهم بأمر الله حدوداً هامة، كاحترام الدماء البشرية، إلا بحق، واحترامهم الأعراض، والصدق والأمانة والوفاء بالعقود والمحافظة على الحدود، والرحمة بالضعفاء، والأقدام على نصيحة الأقوياء، والاعتراف لكل مخلوق بحقه بلا استثناء.
- ليس من وظائف الرسل ما هم من عمل المدرسين ومعلمي الصناعات، فليس مما جاءوا به له تعليم التاريخ وتفصيل عن عالم الكواكب وطبقات الأرض ولا مقادير الطول فيها والعرض ولا ما تحتاج إليه النباتات في نموها، ولا ما افتقر إليه الحيوانات في بقاء أنواعها.

- أما ما ورد في كلام الأنبياء من الإشارة إلى شيء مما ذكرنا في أحوال الأفلاك أو هيئة الأرض، فإن القصد من ذلك توجيه الفكر إلى الغوص لإدراك أسراره¹¹⁵.

ويضيف الدكتور حسن ضياء الدين عتر - رحمه الله - في هذا الصدد:
" فالوحي يلقي إلى النبي عقيدة مميزة ليناهض بها العقيدة الشعبية السائدة الراسخة، ويغير القيم والمفاهيم ويقطب الأوضاع، وهذا أمر لا تستحسنه الذات الإنسانية ولا تسعى إليه إن تعلقت بزعامة أو حرصت على جاه... " ¹¹⁶.

ويذهب الأستاذ الإمام محمد عبده إلى أبعد مما ذكر آنفاً، حيث قال:

- " إن العقل وحده لا ينتقل إلى ما فيه سعادة الأمم بدون رشد إلهي، كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لابد معها السمع لإدراك المسموعات مثلاً، وكذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتهه على العقل من وسائل السعادات... " ¹¹⁷.

وفي حديث الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - عن خصائص ومقومات التصور الإسلامي والتفسير الشامل للوجود والإنسان قال إن:
" تحديد خصائص التصور الإسلامي ومقوماته مسألة ضرورية لأسباب كثيرة منها: ضرورة لأنه لابد للمسلم من تفسير شامل

¹¹⁵ رسالة التوحيد: محمد عبده، 93-100، بتصرف، وانظر: وحي الله: ص 124 - 125

¹¹⁶ وحي الله، ص 124

¹¹⁷ رسالة التوحيد ص 101

للوجود يتعامل على أساسه مع هذا الوجود...، لا بد من تفسير يقرب لإدراكه طبيعة الحقائق الكبرى التي يتعامل معها...، وضرورة لأنه لا بد للمسلم من معرفة حقيقة مركز الإنسان في هذا الوجود الكوني، وغاية وجوده الإنساني...، فنوع النظام الذي يحكم الحياة الإنسانية رهين بذلك التفسير الشامل ولا بد أن ينبثق منه انبثاقاً ذاتياً...، ضرورة لأن هذا الدين جاء لينشئ أمة ذات طابع خاص متميز متفرد...، وهي في الوقت ذاته أمة جاءت لقيادة البشرية وتحقيق منهج الله في الأرض، و إنقاذ البشرية مما كانت تعانيه من القيادات الضالة والتصورات الضالة... " 118 .

وذكر مؤلف كتاب (الإسلام والعقل) محمد جواد مغنية، مقالاً بعنوان: الرسالة والرسول، وفي بداية المقال تحدث عن الدكتور نظمي لوقا من الأقباط المصريين وهو أديب وعالم وله مؤلفات كثيرة، منها: (محمد الرسول و الرسالة)، ذكر فيه وظيفة الوحي قائلاً:

• ["... تحسين حال الجماعة تحسناً ينعكس على كل فرد، وترتبط حسن الأخلاق بالمصلحة الاجتماعية، فالخير أن تبتغي الرزق بالعمل وتتعاون مع الناس على البر والتقوى، والشر أن تعيش على حسابهم، وتتخذ من الرياء والنفاق أداة للكسب، وهذه هي شريعة الحياة بعينها وتتفق مع الفطرة، وتسائر التطور الطبيعي،

وتسمح للإنسانية بالتسامي إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه..."]¹¹⁹.

• ويزيد المسألة توضيحاً أكثر المفكر الإسلامي السعودي الدكتور عبد الحميد سليمان مبينا وظيفة الوحي: "فدور الوحي الرباني هو في إمداد العقل المسلم بحاجته من علم عالم الغيب وتوضيح غايته الخيرة من خلق الإنسان في عالم الشهادة ودوره في خلافة الأرض..."¹²⁰.

ولقد تقرر لدى علماء الاصول أن حقائق الوحي لا تتعارض مع حقائق العقل، ونقصد بـحقائق الوحي ما كان منه قطعياً، فالقطعي من الوحي لا يتعارض مع ما وصل إليه العقل من حقائق، هذا هو الأصل؛ فإن حدث التعارض نتبع الآتي:

1- فإن قطعي الوحي يتقدم قطعي العقل، وذلك للآية في القرآن الكريم: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] [الحجرات: 1]، وبالنظر والتدقيق سوف يظهر أن هذه الحقائق العقلية التي تعارضت مع حقائق الوحي لم تكن حقائق، وإنما كانت نظريات أو فرضيات.

119 نقلاً عن كتاب: الإسلام و العقل، دار العلم للملايين، بيروت، 1998، ط2، 97

120 انظر: عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الجامعة الإسلامية العالمية، كوالا لامبور، ط1، 1997، ص 120 فما بعد

- 2- إن قطعي الوحي يتقدم ظني العقل، وذلك من باب أولى، فلا يمكن بنظرية أو فرض لا يزالان في مرتبة الظن أن تتقدما الوحي ما دام قطعياً.
- 3- وظني الوحي يتقدم ظني العقل، لأنه إذا تساوا في الظن فالوحي أولى بالتقدم¹²¹.

¹²¹ انظر: منهج التفكير الإسلامي 39 - 41، و انظر أيضاً: التعارض و الترجيح و أثرهما في الاختلاف،

ص 10 - 100، وانظر: إسلامية المعرفة - المبادئ ص 115 - 116

المبحث الثالث: مصادر المعرفة عند الغربيين وتكامل الوحي والعقل في الإسلام

المطلب الأول: مصادر المعرفة عند الغربيين

وقد هبط فلاسفة الغرب ومن نهج نهجهم إلى هاوية الشكوك والأوهام عندما أخرجوا مصدر الوحي الإلهي الحق من قائمة المصادر العلمية والمعرفية، وكان لهذا العمل المشين والأحمق نتائجه السيئة فيما بعد على مستوى الفكر والثقافة والعلوم الغربية. ومن بين الرسائل العلمية الجامعية في مسألة مصادر المعرفة الغربية لفت نظري رسالة الدكتور رياض صالح جنزلي - دكتوراه دولة في التربية الإسلامية من جامعة أم القرى في مكة المكرمة، في رسالته الموسومة بـ: **الرؤية الإسلامية لمصادر المعرفة**، وفي حديثه عن: أنواع المعرفة لدى المدارس والمذاهب الفكرية في الفصل الثاني من رسالته أذكر ما ملخصه:

" **النوع الأول: المعرفة الفلسفية أو التأملية:** ويمثل هذا النوع من المعرفة الفيلسوف اليوناني (أفلاطون) حيث يضع التأمل العقلي في المعاني الكلية أساساً للمعرفة الحقة التي ينبغي للإنسان أن يسعى إليها...، وتقوم هذه المدرسة على التفكير أو التأمل فيما وراء الطبيعة كالحياة والموت، والخالق، والخلود، وأصل الكائنات...،

النوع الثاني: المعرفة الحسية: تعتمد هذه المدرسة على إن الحواس هي المصدر الأساسي للمعرفة البشرية، إذ إن الإنسان أول ما يعتمد على

حواسه الخمس في معرفة ما حوله، فبتعطل حاسة من هذه الحواس يتعطل لدى الإنسان مصدر من مصادر المعرفة، فهو كما قال أرسطو: (إن من فقد حساً ما فقد علماً ما)...،

النوع الثالث: المعرفة التجريبية أو العملية (البرجماتية). تنطلق

هذه المدرسة من الحواس وتنتهي بالتجربة، فهي لا تفصلهما عن بعض بل تربط بينهما ربطاً وثيقاً وتعتبر الحواس طريقاً أساسياً للتجربة العلمية...، هذه المدرسة تعتبر التجربة هي الأساس الوحيد للحكم الصحيح والمقياس الأساسي لكل مجال من مجالات المعرفة والفكر والحياة...،

النوع الرابع: المعرفة العقلية: تعتبر هذه المدرسة العقل هو المصدر

الأساسي للمعرفة البشرية لأن الإنسان قادر منذ ولادته على التفكير بعقله، وأن العقل قادر على إدراك المعرفة لما فيه من ميزات الشك و الفهم و الإثبات...،

أما المعرفة عن طريق الوحي فإنه لم يكتب لها النجاح في الفكر

الغربي منذ دخوله في المسيحية إلا في فترة محدودة في العصور الوسطى، ثم بعد ذلك تصادمت مع المنطق اليوناني الذي يقر بالمعرفة البشرية فقط، حسية كانت أو عقلية، أو فلسفية تأملية. أما المعرفة في الإسلام تشمل كل ما يمكن أن يزود الإنسان بمعرفة ما، تزيد من خبرته في الحياة أو تنير عقله، ليدرك ما حوله، مستخدماً لكل نوع من المعرفة الوسيلة الملائمة له. لذلك لا وجود للتفاضل بين أنواع المعرفة لأن كل نوع مهم ومطلوب وكل ضمن تخصصه، ليتحقق للإنسان الإيمان بوجود إله عظيم ينظم هذا الكون بقدرته...، فالمعرفة كما عرفها الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني الدمشقي

السوري¹²²: " عملية تتعاون فيها وسائل الحس الظاهرة والباطنة، والآلات والأدوات التي تستخدمها الحواس وموازين العقل الفطرية والمكتسبة ومعارفه

122 أعددت هذا البحث في وقت مفرح للغاية، حيث الأزمة الحربية الشرسة لا هواده فيها لإخواننا وأخواننا السوريين والسوريات، وقد دخلت هذه الأزمة الوحشية والقمعية شهرها السادس عشر منذ أن انطلقت شرارة الثورة السورية في مارس 2011 إلى هذا اليوم الموافق 05.07.2012، حيث القتل والقصف والضرب والذبح والسجن والتشريد والحرق والتدمير والتنكيل والاعتصام وانتهاك للأعراض ومحارم الله، والدفن للشباب وهم أحياء...والله...تفضلوا شاهدوا مقاطع الفيديو المختلفة على يوتيوب لتروا هذه الحقائق المسجلة بالصوت والصورة من قبل الشبيحة والمرترقة الكفرة الفجرة، قوات النظام السوري العلوي النصيري تحت رئاسة بشار الأسد، والمدعوم من إيران وحزب الله لبنان و روسيا والصين، قبح الله رؤساء تلك الحكومات الجائرة والمتعانة على القتل، حيث تمارس هذه الوحشية علنا وجهارا يوميا، والعالم (الغرب والشرق) المتحضر والمثقف!! يتفرج على أشلاء ودماء الشيوخ والنساء والأطفال والشباب على شاشات القنوات الفضائية، وهم لا يزالون ينتظرون قرارات مجلس الأمن في مؤتمر جنيف قبل يومين والقاهرة واسطنبول!!! وينظرون مدى تطبيق النظام السوري لخطة الوسيط الدولي ذات البنود الست - خطة كوفي عنان؟؟ وكأنها خطة سماوية منزلة لحل الأزمة!! ولا يرى الحلف الاطلسي للدخل العسكري خشية التصعيد في المنطقة!! و ماذا بقي بعد هذا التصعيد الحالي؟ وقد وصل عدد القتلى والشهداء إلى عشرين ألفا قتيل! والله لو ذبحت ألف دجاجة أو ألف فأرة وأريقتم دماؤها في الشوارع الغربية كما في المشهد السوري لتحرك الغرب عن بكرة أبيهم بحجة الدفاع والمحافظة على حقوق الحيوان!! بينما دم المسلم لا أحد يبالي به - لا في الشرق ولا في الغرب - إنما مجرد هتافات وشعارات لا تسمن ولا تغني من جوع، لا في فلسطين، ولا في أفغانستان، ولا في سوريا ولا في اليمن...! إلى متى هذه الحال؟ العلم عند الله لا يجليها لوقيتها إلا هو سبحانه. و نحن متفائلون والأمل في الله كبير في نصرة الحكومة المصرية الحالية، حكومة الإخوان المسلمين في مصر تحت رئاسة د/محمد مرسي في نصرة واسترجاع كرامة المسلمين في مصر أولا ثم في العالم الإسلامي والعربي ثانيا إن ذلك على الله يسير وما ذلك على الله بعزيز، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

*وعلى عادي فقد قمت بمراجعة هذه الدراسة مرة أخرى قبل النشر في كتاب مستقل مع بقية أعمالي إن شاء الله؛ والحرب السورية دخلت عامها السادس، حسبي الله ونعم الوكيل...لا أملك تعبيرا عما حدث ومحدث!! أما وقد انقلب الأعداء المصريون على حكومة الرئيس المصري الشرعي الدكتور محمد مرسي - عجل الله فرجه و وإخوانه الآخرين - أملنا في الله كبير لنصرة الشعب السوري في الرجل البطل والقائد المسلم الفاتح الجديد رجب طيب أردوغان رئيس دولة تركيا - حفظه الله وإيانا من كيد الكائدين - وفعلا قد حفظه الله من الأعداء الأتراك الذين انقلبوا عليه في 15 من تموز 2016 في الشهر الماضي في الانقلاب الفاشل الذي حدث في تركيا من قبل المؤيدين للكيان الموازي المعارض للحكومة الحالية، والمتبعين للشيخ فتح الله غولن المقيم في بنسلوانيا - أمريكا، حيث خرج الشعب التركي بأكمله إلى الشوارع استجابة لأمر الرئيس رجب طيب أردوغان، حيث راح

السابقة التي اكتسبها بنفسه، والتي تلقاها عن غيره مما اكتسبه الآخرون من معارف، يضاف إلى ذلك ما يوحي به الله لأنبيائه من معارف تكون لديهم علوماً يقينية أو شبيهة بالعلوم اليقينية التي يكتسبها الناس العاديون¹²³. إذن أعود وأؤكد القول بأن التربية الإسلامية أو إسلامية المعرفة في نظرتها لمجالات المعرفة المتعددة يتضح في التأصيل والتأكيد على ضرورة تكامل هذه المجالات وتعاضدها وتدرجها ليرقى الفكر الإنساني ويصل إلى حقائق الكون الثابتة الأزلية أو الحقيقة الكبرى. ويؤرى هذا الأمر في الإسلام عند تقسمه للوجود إلى عالم شهادة وعالم غيب، لكل عالم من العالمين وسائل معرفة خاصة به، ومن الخطأ استعمال وسيلة خاصة بعالم الشهادة في مجالات تتعلق بالغيب وبالعكس، وأن المسلمين أدركوا أن عالم الشهادة من وسائله الحواس والعقل والتجربة، وأما عالم الغيب فوسائله الوحي والتفكير والإلهام. ويقول بن تيمية رحمه الله: (طرق العلم ثلاثة: الحس و العقل، والمركب منهما، كالخبر، فمن الأمور ما لا يمكن إلا الخبر، كما يعلمه كل شخص بأخبار الصادقين، كالخبر المتواتر وما يُعلم بخبر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين)¹²⁴. ويقول الإمام الغزالي: (إن وسائل المعرفة في عالم

ضحيتها أكثر من 250 شهيدا من المواطنين والعسكر والشرطة الموالين للرئيس أردوغان، و أكثر من 2100 جريحاً، ونصر الله الرئيس التركي وبيض الله وجهه و وجه الشعب التركي، وكفى الله المؤمنين شر القتال والإنقلاب، وجعل الله المنقلبين عبرة للمعتبرين، حيث تم زج المنقلبين الخونة من العسكر والقادة والضباط والجنرالات والموظفين إلى السجون التركية - ولا تزال العمليات مستمرة - لينالوا جزاء أعمالهم وخيانتهم الشنيعة بحق الرئيس والدولة والمواطنين.

¹²³ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة، وأصول الاستدلال والمناظرة: ص 126 - 127

¹²⁴ الرؤية الإسلامية نقلاً عن درء العقل والنقل لابن تيمية

الشهادة هي: العقل، و التجربة، و الاستقراء والقياس). أما عالم الغيب فإن وسائله هي: (الوحي والالهام والكشف).

والخلاصة: أن أكبر خطأ وقع فيه الفكر الغربي هو إفراد كل نوع من أنواع المعرفة عن غيره من المعارف وجعله هو الطرق الأوحده للمعرفة الحقيقية، وأن المعرفة الغربية ومن سار في نهجها تعتبر معرفة ناقصة لأنها أهملت بل رفضت نوعاً هاماً وأساسياً من أنواع المعرفة وهي المعرفة عن طريق الوحي، أما المعرفة الإسلامية فإنها تؤكد على أهمية المعرفة عن طريق الوحي وتعتبرها من أهم أنواع المعرفة. إن الفكر الإسلامي هو الفكر الوحيد الذي استطاع أن يضع نظرية المعرفة ضمن إطارها المتكامل إذ جمع بين المعرفة البشرية والمعرفة السماوية... " 125.

المطلب الثاني: تكامل الوحي والعقل في الشريعة الإسلامية

إن تكامل الوحي والعقل عند المسلم الصحيح العقيدة قضية بديهية أساسية تنبع في العقيدة الإسلامية. إن العقل والوحي ضروريان ومتكاملان لتحقيق الحياة الإنسانية الصحيحة في هذه الأرض. العقل وجد بوجود الإنسان، وكذلك الوحي وجد بنفس الوقت بوجود هذا العقل الإنساني، حتى يرشد هذا العقل ويعلمه من علم الله عز وجل له، اقرأ الآيات في سورة البقرة في قصة آدم بتأمل و تمنع فستجد هذا الكلام موجود هنالك

المرجع السابق بتصريف شديد¹²⁵

بالضبط، قال تعالى: [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ] [البقرة: 30-33]

فالركن الأول للتكامل بين الوحي والعقل لدى المسلم هو أن الوحي يجب أن يكون عنده مرجع كلييات الوجود، وأن العقل يجب أن يصلح ويدور ويبحث في إطار هذا الوحي. والركن الثاني للتكامل الصحيح بين الوحي والعقل هو فهم الأسلوب في التعامل مع الوحي والعقل والتفاعل بينهم. وهكذا يظل الوحي والعقل في الحقيقة عند المسلم على كل الأحوال متكاملين متعاونين كمصدرين للفكر والعمل والتنظيم والسعي الإنساني، وكل تعارض فهو تعارض وهمي يُحُلُّ بمزيد من الفكر والتدبير والتمحيص والشمول ويزول وهم التعارض وتتضح مقتضيات المصلحة الإنسانية التي تستهدفها مقاصد الشريعة الغراء.¹²⁶

ولالإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله كلام نفيس عن العقل أرى من

الفائدة نقله حيث قال:

" لله عز وجل في خلقه رسولان: أحدهما: من الباطن، وهو العقل، والثاني: من الظاهر، وهو الرسول. ولا سبيل لأحد إلي الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع بالباطن، فالباطن يعرف صحة دعوي الظاهر، ولولاه لما

¹²⁶ انظر: إسلامية المعرفة- المبادئ: ص 115-116، منهج التفكير الإسلامي: ص 39- فما بعد، وانظر: ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة عبد الرحمن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، 1998، ط2، ص 130-132

كانت تلتزم الحجة بقوله: ولهذا أحال الله من يشكك في وحدانيته وصحة نبوة أنبيائه على العقل، فأمره بأن يفرع إليه في معرفة صحتها. فالعقل قائد، والدين مدد، ولو لم يكن العقل لم يكن الدين باقيا، ولو لم يكن الدين لأصبح العقل حائراً، واجتماعهما - كما قال الله تعالى: [نور علي نور] [النور: 35]¹²⁷.

ويؤكد ذلك مُعاصر الراغب: الإمام أبو حامد الغزالي في عدد من كتبه. ففي مقدمة (المستصفى) يعتبر العقل: القاضي الذي لا يُعزل ولا يبدل، والشرع: الشاهد المزكى المعدل، ويجعل العقل مركب الديانة، وحامل الأمانة¹²⁸.

ويقول حجة الإسلام أيضاً: " وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر مناهج البحث والنظر، أو لا يعلم انه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر، وكيف يهتدي للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر؟ فليت شعري كيف يفرع إلى العقل من حيث يعتريه العي والحصر؟ أو لا يعلم ان العقل قاصر وأن مجاله ضيق منحصر؟ هيهات قد خاب على القطع والبتات وتعثر بأذيال الضلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات إن مثال العقل: البصر السليم عن الآفات والآداء. ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء. فأخلق

¹²⁷ انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الاصفهاني، ص207 بتحقيق د. أبو اليزيد العجمي، طبع دار الصحوة بالقاهرة.

¹²⁸ انظر: حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، المستصفى، دار الكتب العلمية - بيروت، 1413 هـ، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، ج1، ص 3

بأن يكون طالب الاهتداء، المستغني بأحدهما عن الآخر، في غمار الأغبياء. فالمعرض عن العقل، مكتفيا بنور القرآن، مثاله: المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور علي نور. وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر البحث والنظر؟! أو لا يعلم أنه لا يستند للشرع إلا قول سيد البشر، صلي الله عليه وسلم؛ وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر...، وعند إشراق نور الحكمة يصير الإنسان مبصراً بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوة. وأعظم الحكمة كلام الله تعالى، فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة، إذ به يتم الإبصار، فبالحري أن يسمى القرآن نوراً، كما يسمى نور الشمس نوراً، فمثال القرآن: نور الشمس، ومثال العقل: نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: [فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ..] [التغابن: 8] ، ولا يبعد - أيها المعتكف في عالم العقل - أن يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه ما لا يظهر في العقل، كما لا يبعد كون العقل طوراً وراء التمييز والإحساس ينكشف فيه غرائب، وعجائب يقصر عنها الإحساس والتمييز، فلا تجعل أقصى الكمال وقفاً علي نفسك...، والأصل في ذلك أن وراء ما يتصوره العقلاء أموراً ورد الشرع بها، ولا يعلم حقائقها إلا الله تعالى والأنبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده...، والوحي الإلهي والشرع الحق لا يرد بما ينبو عنه العقل...، وليس كل ما لا يدركه العقل محالاً في نفسه...، وفرق بين البعيد والمحال، فإن البعيد هو ما ليس بمألوف، والمحال ما لا يتصور كونه...، ولهذا كان رأس مال كل السعادات

العقل...، ولقد تحقق أهل السنة أنه لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول، وعرفوا أن من ظن من الحشوية - الظاهرية - وجوب الجمود علي التقليد واتباع الظواهر، ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر، وأن من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتي صاموا به قواطع الشرع، ما أتوا به إلا من خبث الضمائر، فميل أولئك إلي التفریط، وميل هؤلاء إلي الإفراط، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط... " 129 .

وللإمام شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله كلام نفيس في كتابه: درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، في الجزء الأول، أنصح القارئ الكريم بالرجوع إليها، فلو لا ضيق المقام لعشنا وإياكم مع فقرات كثيرة من ذلك الكتاب العظيم، ولكن ما لا يدرك جله لا يترك كله، فأذكر ولو شيئاً يسيراً من كلامه لنرى العلاقة القوية بين العقل والنقل حيث أنه لا يقوى انفراد أحدهما دون الآخر، ولا جدوى من وجود أحدهما دون الآخر. قال رحمه الله:

" إن ما عرف بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه منقول صحيح قط. وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع. وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار، كمسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك. ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يقال

129 انظر: الإقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، مصدر الكتاب : موقع الوراق

http://www.alwarraq.com، الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع

إنه يخالفه إما حديث موضوع أو دلالة ضعيفة فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول؟ ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول، بل يخبرون بمجازات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته.. والقول كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل، فالحق لا يتناقض، والرسل إنما أخبرت بحق. والله فطر عباده علي معرفة الحق، والرسل بعثت بتكميل الفطرة لا بتغيير الفطرة. قال الله تعالى: [سُنِّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] [فصلت 53]- فأخبر أنه سيربهم الآيات الأفقية والنفسية المبينة لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق، فتتطابق الدلالة البرهانية القرآنية والبرهانية العيانية، ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول...¹³⁰.

130 أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، درء تعارض العقل والنقل، دار الكنوز الأدبية - الرياض، 1391، تحقيق أحمد رشاد سالم، ج1، ص 80

الخاتمة

الحمد لله الواحد الأحد والفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد. والحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات وتتحقق القربات وتنجز الأعمال الصالحات المباركات مثل كتابة البحوث والورقات لتقديمها في المؤتمرات والندوات لنشر المعارف والعلوم والثقافات، وبذلك يعم الخير أرجاء البلاد وننال من ورائها إن شاء الله الدعوات الصالحات من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والطلاب والطالبات والمفكرين والمفكرات والعلمين والعالمات. هذا، ونظرا لضيق الوقت - حيث الليلة آخر موعد لتسليم البحث -، و ضيق مساحة الدراسة - حيث بلغت صفحات هذا البحث فوق الثلاثين - أقول إنني أجدني مضطرا لعدم كتابة وتسجيل أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، عسى ولعل الله يعفو عني وعن جميع المسلمين، إنه تعالى سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه خادم القرآن والسنة

الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

الدوحة - قطر

في سَحَر يوم الجمعة السابع عشر من شعبان 1433 هـ الموافق 6 يوليو 2012 م

وتم مراجعة هذه الدراسة أيضا يوم الخميس الموافق 26 أغسطس 2016

بالدوحة - قطر.

ثقافة المسلم المعاصر¹³¹
(تجربة شخصية في ضوء الآيات القرآنية)

بقلم

د/خيرالدين خوجة (الكوسوفي)
أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المساعد
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر

2013

¹³¹ هذه الدراسة قدمت في مؤتمر عالمي عن الثقافة الإسلامية الملايوية بين الانفتاح والإنغلاق في سلطنة بروناي عام 2010، ثم تم تحديث الموضوع والعنوان وإضافة بعض الفقرات العلمية الأخرى في ضوء الآيات القرآنية لنشرها في مجلة علمية محكمة للترقية الأكاديمية في تركيا عام 2013، والحمد لله رب العالمين تمت الترقية 2014 الأكاديمية في الدراسات القرآنية، وهذه الدراسة كانت إحدى الدراسات المقدمة للتحكيم العلمي العالمي خارج جامعة قطر في ثلاث دول.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين. وبعد:

لقد كان من فضل الله تبارك وتعالى وتكريمه علي أن أتلقى التعليم الجامعي في مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ثم إنه تعالى منّ علي مرة أخرى بأن وفقني للتدريس والعمل فيها إلى أجل مسمى. ومن بين المواد الدينية التي قمت بتدريسها كانت مادة: "الثقافة الإسلامية"، بمستوياتها المختلفة لطلاب وطالبات جامعة طيبة بالمدينة المنورة لفترة من الزمن غير قصيرة وأيضاً لطلاب وطالبات جامعة قطر في الوقت الحالي، فله الحمد والمنة. فأحببت أن أسجل في هذا البحث هذه التجربة العلمية الشخصية في بيان ثقافة المسلم المعاصر التي عايشتها ولا أزال عليها، عسى ولعل تكون نبراساً فكرياً وعلمياً لمن يأتي بعدي من طلبة العلم الشرعي أو المثقفين المسلمين عامة. أرجو أن تكون هذه التجربة نافعة ومفيدة لغيري، فإن أصبت فذلك من فضل الله علي، وإن جانبي الصواب فذلك مني ومن الشيطان، والله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بريئان، وحسي أني اجتهدت، والله الموفق والهادي والمعين.

لقد أرسل الله تبارك وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه و سلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه، قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم : ١]، فهدى الله به قلوباً غلغلاً وفتح آذاناً صمماً وعيوناً عمياً.

لا يخفي على أولي الأبواب أن الناس في الجزيرة العربية قبل مبعث سيدنا ونبينا محمد كانوا يعبدون الأصنام والأحجار والأشجار ويسجدون للشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: 37]. شاء الباري عز وجل أن تعم العقيدة والثقافة الإسلامية أرجاء المعمورة شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، وذلك ببركة فتوحات وجهود الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وببركة جهود التابعين والفاحين والصالحين من التجار والدعاة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً بعد أن كانوا في ضلال مبين، قال الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 1-3].

أهمية البحث

إن أهمية هذا البحث في خضم هذا العصر البركاني للأحداث والتطورات الدينية والسياسية، والعولمة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية تكمن في كونه ناتجة عن تجربة شخصية -نظرية وعملية - عايشها كاتب

هذه السطور. أما الجانب النظري فذكرت في المقدمة (الناحية التدريسية)،
وأما الجانب العملي هو أن كاتب هذه السطور استقى علمه وثقافته من
عدة مؤسسات علمية عالمية معروفة، وبني شخصيته الفكرية والثقافية
والدينية على عدة أسس علمية وفكرية ومنهجية. فهو تلقى تعليمه
الابتدائي والمتوسط باللغة الألبانية في بلده الأم دولة كوسوفا (يوغسلافيا
السابقة)، ثم تلقى تعليمه الاعدادي والثانوي في دمشق - سوريا، ثم
تلقى تعليمه الجامعي في المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية، ثم تعليمه
العالي (الماجستير والدكتوراه) في كوالالمبور بماليزيا. فقد رأيت من خلال
هذه التجربة العلمية والعملية أن ثقافة المسلم المعاصر أينما يحل ويرتحل
يجب أن تكون منضبطة بهذه الضوابط التي سأذكرها لاحقاً.

إشكالية البحث

وأما إشكالية هذه الدراسة فتكمن في حديث المفكرين والمتقنين
المسلمين عن الانفتاح المطلق على العالم أو الانغلاق المغلق على الذات،
لأن العولمة العالمية والغزو الفكري الثقافي العالمي تهدف إلى إزالة الحواجز
وتقريب المسافات وتذويب الفوارق الاقتصادية والثقافية والفكرية والدينية.
وهذا - حسب هؤلاء - يعني الانفتاح دون حدود وضوابط! ولا تخفى
المخاطر الدينية والأخلاقية على أولي الأبواب من هذا الانفتاح المنفلت،
وبالتالي يخشى المفكرون والعلماء من خطورة هذا الانفتاح المطلق من
الدوبان الكلي أو الجزئي في أحضان تلك الثقافات الواردة. وبناء عليه،
فقد نادى بعض المفكرين من المسلمين إلى إغلاق الأبواب غلقاً محكماً

أمام هذا السيل العرم من الأفكار والثقافات وعدم مواجهة ومقاومة هذا الغزو الفكري والثقافي، وفضلوا الفرار أو الانعزال لعدم قدرتهم على المقاومة. والسؤال هنا: أي من الفئتين أقوم قيبلاً وأهدى سبيلاً؟ دعاة الانفتاح المطلق؟ أم دعاة الانغلاق المطلق؟¹³².

هذه الدراسة ستسلط الأضواء على بعض الأسئلة المتعلقة بثقافة المسلم المعاصر من حيث الخصائص والمصادر والمعالم والأهمية والعلاقة بالثقافات الأخرى ودلائل الانفتاح المنضبط والانفتاح المحذور، مستندة إلى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام أهل العلم. ولاشك أن لمثل هذه الموضوعات الفكرية المعاصرة لا تكفي صفحات هذه الورقة، ولكن ما لا يدرك جله لا يترك كله.

الدراسات السابقة

من خلال تجربتي ومعايشتي التدريسية والتعامل المباشر مع تلك المصادر والمراجع في التحضير والإعداد للمحاضرات الجامعية، فقد بدت لي جملة من الملاحظات العلمية، بحيث لا يستطيع المسلم أن يتقبل كل ما ذكر في تلك المراجع جملة وتفصيلاً، كما أنه يستغني عنها جملة وتفصيلاً. كل هذا ناتج بسبب اختلاف المنظور واختلاف الزاوية لمسألة الثقافة الإسلامية. لقد وجد من المؤلفين من نظر إلى ثقافة المسلم من زاوية عربية بحتة دون أن يراعي عالمية الثقافة وشموليتها. ووجد من المؤلفين من لم يراع

¹³² انظر: القرضاوي، يوسف، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، (دار الشروق، القاهرة، 2، 2005)، ص: 11، و انظر أيضاً: الخالدي وزملاؤه: الوجيز في الثقافة الإسلامية، (دار الفكر، عمان، الأردن، 1، 2002)، ص: 178-211.

الاعتبارات والعادات والثقافات الاقليمية والعالمية متناسياً خصائص كل بلد أو قوم، ومتناسياً أنه ما يصلح لأهل مكة المكرمة والمدينة المنورة قد لا يصلح لأهل لندن London وباريس Paris ونيويورك New York! والعكس أيضاً. فلأجل ذلك جاءت هذه الدراسة لإعادة هذا الاعتبار المنهجي العلمي الديني المفقود. إن القدامى من علمائنا الأجلاء، رحمهم الله لم يفرّدوا مصنّفات علمية خاصة بهذا الشأن الذي نحن بصددده، ولكنهم رحمهم الله شرعوا لنا قواعد أصولية وضوابط علمية تفهم من خلالها وعلى ضوئها المقاصد الإسلامية النبيلة الصالحة لكل زمان ومكان، وفي ضوئها تفهم الأحكام والنصوص الشرعية، مع مراعاة الثوابت العقدية والأخلاقية والأحكام التشريعية والنظم المعاملات المالية، والمتغيرات العرفية والثقافية وبعض القضايا والأحكام الفرعية التي يمكن أن تتغير بتغير الزمان والمكان كما هو معلوم.

فلأجل ما تقدم فإننا لا نستطيع قبول كل شيء من هذه الدراسات المعاصرة، كما أنه لا يمكننا رفض كل شيء منها، وإنما سنعيد النظر والتحليل في كثير من القضايا، لأنني لم أصادم ولم أنقذ من أحد من العلماء أو المفكرين أو الأساتذة في الجامعات إلى لحظة كتابة هذه السطور، في كوني أني تبنت هذه المنهجية والتزمت بهذه الضوابط وسرت عليها ولا أزال متمسكاً بها، والله الحمد والمنة.

المبحث الأول: مقدمات عن الثقافة الإسلامية

المطلب الأول: الثقافة لغة واصطلاحاً، علاقتها بالعلم والحضارة، الفرق بينها وبين غيرها من الثقافات

أولاً: معنى الثقافة لغة

اختلف الباحثون والمفكرون حول معنى مصطلح (الثقافة) واستعمالاتها و بيان المراد من هذه التسمية، فقالوا: (الثقافة) عند العرب وردت على عدة معان وعدة استعمالات: فهي من الأصل الثلاثي مشتقة من مادة [ثَقَّفَ - يَثْقِفُ - ثَقْفًا - وَثَقَافَةً] أي؛ حَذَقَهُ وَهَدَّبَهُ، ورجل (ثَقِفٌ) أي حاذق و فطن وسريع الفهم. فهي من الحَذَقُ والفِطْنَةُ في إدراك الأمور والقضايا. ثم تجوَّزَ به واستعمل في معنى الإدراك والظفر بالشيء، فيقولون: ثقفه في موضع كذا، أي أدركه وظفر به، ومنه قوله تعالى: ﴿...وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ...﴾، [البقرة: 191]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَثَقَفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ﴾، [الأنفال: 57]¹³³.

كما أن معاجم اللغة تدلنا أن لهذه الكلمة نوعين من الاستعمال، الأول: الاستعمال المادي المحسوس، أصله من (الثَّقَاف) وهي حديدة يقوِّم بها الشيء المعوج، ومنه قولهم: تثقيف الرماح: أي تسويتها وتقويم اعوجاجها. الثاني: هو الاستعمال الثانوي غير المحسوس، فهو متصل بما سبق من المعاني من الحذق والتعلم والفهم، كقولهم: تثقيف العقول والأفكار المعوجة: أي بمعنى تأديبها

¹³³ الأشقر، عمر سليمان؛ نحو ثقافة إسلامية أصيلة، (دار النفائس، ط2، عمان - الأردن 2003)، ص 4

وتهديها، ويقال: ثقّف الأستاذ التلميذ: أي أدبه وهذّبه وعلمه¹³⁴.

ثانياً: وأما معنى الثقافة اصطلاحاً

فقد تضاربت الآراء حولها، فقال بعض المعاصرين إن الثقافة إذا أطلقت يراد بها: "الأخذ من كل علم بطرف، ولا يراد منها التعمق والتبحر والتخصص في دراسة علم من العلوم أو فن من الفنون، ومنه قولهم: تعلم شيئاً عن كل شيء لتكون مثقفاً، وتعلم كل شيء عن شيء لتكون عالماً. فالإنسان لا يكون مثقفاً ومتبحراً في جملة من العلوم والفنون ما لم يكن حاذقاً وسريعاً في إدراكها وحسن الفهم لها". وبعد النظر والتحليل لما سبق من الأقوال نميل إلى اختيار هذا التعريف للثقافة الإسلامية: "جملة من العقائد والتصورات، والأحكام والتشريعات والقيم والمبادئ، والعوائد والأعراف، والفنون والآداب، والعلوم والمخترعات التي تشكل شخصية الفرد وهوية الأمة وفق أسس وضوابط الإسلام"¹³⁵.

المطلب الثاني: علاقة الثقافة الإسلامية بـ"الدين" و"العلم" و"الحضارة" و"المدنية"، والثمرة المترتبة على ذلك

إن الثقافة الإسلامية تتطابق مع الدين بالكمال والتمام وما يرفضه الإسلام ترفضه الثقافة الإسلامية وما يقبله الإسلام تقبله الثقافة الإسلامية. وإذا كان شيء في الثقافة الإسلامية من وضع البشر كالعادات والأعراف والأنظمة فلا بد أن تكون موافقة لمبادئ الدين الإسلامي وأحكامه، وعليه فالثقافة الإسلامية هي

134 المرجع السابق.

135 انظر: بادحدح، علي عمر وزملاؤه، الثقافة الإسلامية، (دار حافظ، جدة، ط1، المملكة العربية

السعودية، 1425هـ)، ص 15

صورة الدين على الأرض وتطبيقه في ميادين الحياة. إذن؛ فثمره هذه المسألة أن الدين الإسلامي هو مرجع الثقافة الإسلامية وضابطها، وما يبابه الدين ويرفضه؛ تأباه الثقافة الإسلامية وترفضها، وجميع المسائل المتعلقة بالثقافة الإسلامية من القيم¹³⁶ والعادات تخضع لإلزام الدين وإرشاده، وبالتالي فإن تطبيق وتنفيذ منظومة هذه المسائل الثقافية تأخذ صفة العبادة لله رب العالمين شريطة حسن النية. إذا اتضحت هذه المسألة، فيجدر بنا الانتقال إلى معرفة الفرق بين الثقافة والعلم.

فالفرق بين " الثقافة " و " العلم " هو أن الثقافة أخص من العلم؛ لأن الثقافة خصوصية مميزة لأمة معينة، بينما العلم هو مشترك عام بين الأمم. والعلم أيضاً إرث إنساني مشترك ولا جنسية له، وهو قائم على التجربة ونتائجها واحدة، ولا تتأثر بالفكر والعاطفة¹³⁷. وأما مصطلح " الحضارة "؛ فالعرب¹³⁸ يعنون بمصطلح " الحضارة " ما يقابل " البداوة"، والحاضر خلاف البادي، والحاضر المقيم في المدن، والبادي المقيم في البادية.

وأما في الاصطلاح فهناك اتجاهان في تعريف الحضارة، الاتجاه الأول: يرى أن الحضارة مرادفة للثقافة، وهي الروح العميقة للمجتمع، وتقوم على تأكيد الأصالة الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للإنسان. وبهذا المفهوم تنحصر الحضارة في الجانب المعنوي والفكري ويستبعد الجانب الصناعي والمادي. وعلى

¹³⁶ سعيد، همام وزملاؤه، الوجيز في الثقافة الإسلامية، دار الفكر، ط1، عمان، الأردن، (2002)، ص 28-29

¹³⁷ بادحدح، علي عمر، الثقافة الإسلامية، ص 17، و انظر أيضاً: صلاح عبد الفتاح الخالدي وزملاؤه،

الوجيز في الثقافة الإسلامية، ص 20-24

¹³⁸ انظر: بن منظور، جمال الدين بن مكرم؛ لسان العرب، (دار صادر، بيروت، لبنان، ط.د، ت.د)، مادة:

هذا تكون الحضارة مطابقة لمفهوم الثقافة. والاتجاه الثاني، هو اتجاه المدرسة الفرنسية التي ترى الفصل بين عناصر المجتمع بين ما هو فكري و ما هو تكنولوجي، ويطلقون عليها جميعاً مصطلح: المدنية، وحسب هذا الاتجاه فليس هناك فرق بين الحضارة و المدنية. وقد ذهب إلى هذا الاتجاه الثاني كثير من الذين كتبوا في تاريخ الحضارة من الغربيين والمسلمين، مثل (غوستاف لوبون Gustave Le Bon، وليام جيمس ديورانت William James Durant وحسن إبراهيم حسن، ومصطفى السباعي..). فهؤلاء أرخوا للحضارة بجانبها الفكري والمادي. وبعد النظر والتحليل والنظر فيما سبق نميل إلى اختيار هذا التعريف للحضارة: " هي كلُّ مركبٍ من العقائد والنظم ومظاهر السلوك والعادات والتقدم العلمي والتكنولوجي والوسائل والأدوات في مجتمع ما"¹³⁹. فعندما نقول: الحضارة الإسلامية فنعني بها: عقيدة الإسلام وأحكامه وسلوكه ونظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية وطرائق المسلمين في توظيف البيئة، بما في ذلك الوسائل والأدوات والمكتشفات الصناعية¹⁴⁰.

وأما مصطلح "المدنية"، فيقول العلماء إن أصل معناها اللغوي، نسبة إلى المدينة، وفي الاصطلاح، هنالك اتجاهان في تعريف المدنية: - الأول: أنها تقتصر على الجانب المادي من الحياة مشتملة على مظاهر الرقي العمراني والتكنولوجيا. والاتجاه الثاني: أن المدنية عنوان للجانبين الفكري والمادي. وعلى هذا تكون المدنية: " ذلك الكل المركب من العقائد والأخلاق والعادات ومظاهر السلوك

¹³⁹ انظر: بادحدح، علي عمر، الثقافة الإسلامية، ص 17، وانظر أيضاً: صلاح عبد الفتاح الخالدي

وزملاؤه، الوجيز في الثقافة الإسلامية، ص 20-24

الخلدي، صلاح عبد الفتاح وزملاؤه، الوجيز في الثقافة الإسلامية، ص 29-30¹⁴⁰

والتقدم التكنولوجي والمادي والوسائل والأدوات في مجتمع ما"¹⁴¹.

وثمره الخلاف بين المصطلحات السابقة:-

- أن الثقافة تقتصر على الجانب القيمي والسلوكي والاجتماعي للمجتمع.
- والمدنية تقتصر على الجانب المادي الصناعي بما فيه من أدوات ووسائل مفيدة.
- والحضارة هي الجامع بين العنصرين؛ (الثقافة والمدنية) كالجمع بين الجسد والروح.

ويترتب على هذا التوفيق أن لكل أمة حضارتها التي تميزها عن غيرها. فحضارة الملايو غير حضارة الصين، وحضارة الأتراك غير حضارة الهنود وحضارة الألبان غير حضارة البوشناق... الخ،¹⁴² والله أعلم.

المطلب الثالث: أهمية الثقافة الإسلامية

يقول الإمام فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله " .. والأهم بلا ريب تختلف في ثقافتها اختلافاً كبيراً، فمنها ما تتجه ثقافتها نحو الروح، ومنها نحو

¹⁴¹ المرجع السابق

الخلدي، صلاح عبد الفتاح وزملاؤه، الوجيز في الثقافة الإسلامية، ص 30-31¹⁴²

العقل، ومنها نحو الحس أو المادة، ومنها ما يتصل بالأرض، ومنها ما يتصل بالسماء، ومنها ما يعترف بالله رباً خالقاً ولا يعترف به إلهاً معبوداً، ومنها ما يعترف به معبوداً ولا يعترف به حاكماً أعلى الذي من حقه أن بأمر وأن ينهى وأن يشرع لعباده، ويحل ويحرم. ومن الثقافات ما يجمع بين هذه الأمور كلها، فلا يبغي غير الله رباً، ولا يتخذ غير الله إلهاً ولا يبتغي غير الله حكماً.. " 143. وبناء على ما تقدم يمكن فهم أهمية الثقافة الإسلامية من خلال النقاط التالية:

أولاً: التميز في الهوية والمقومات: إن المسلم المثقف يتميز عن غيره من المثقفين في كل مجالات الحياة، وإن كان مشتركاً مع غيره في الإنسانية أو البشرية. فهو مميز في أخلاقه وسلوكه وتعامله وطريقة أكله وشربه. فهو لا يستطيع أن يذوب في المجتمعات الأخرى وإن عاش في أوساطها. ثقافته الإسلامية هي التي تحفظه وترعاه وتهديه وتعصمه من الزلل، وقد أشار القرآن إلى طرف من هذه الصفات الحميدة، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، [الفرقان:63]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]

ثانياً: العمق والارتباط التاريخي: والثقافة الإسلامية تتسم بالعمق، أصلها ثابت وفرعها في السماء، لها ارتباط بالتاريخ الإسلامي المشرق، ولها صلة وثيقة بماضيها. فهي ثقافة مولدة ومكتسبة في آن واحد. مولدة؛ أي ولد عليها

143 القرضاوي، يوسف؛ ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص 19

صاحبها في ظل ثقافة الوالدين والبيئة، ومكتسبة: بالتعلم والثقف. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾، [الشورى:13]، وقال تعالى: ﴿...مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾ [الحج: ٧٨]

ثالثاً: الاعتزاز والانتماء الحضاري: المسلم المثقف يحس في كيانه وفي سويداء قلبه بالعز والكرامة والافتخار، وهذا لا يعني التعالي على الآخرين والبخس لحقهم أو ظلمهم. فتراه متحضراً ومؤدباً ومحترماً للآخرين. انتماؤه الحضاري الإسلامي يدفعه إلى هذا النوع من الأخلاق والسلوك، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، [المنافقون:8]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، [فاطر:10]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾ [البقرة: ٨٣]

رابعاً: القدرة على التفاعل الواقعي: والثقافة الإسلامية لها قدرة إيجابية فاعلة. فهذا الإسلام يأمر أتباعه بالسعي في الأرض وإعمارها، وفي مجال الحياة الاجتماعية سلوكه يتمثل في تطبيق¹⁴⁴ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، [النحل:90]، وقال تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا

144 با دحلح، علي عمر وزملاؤه؛ الثقافة الإسلامية، ص 73-77

تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ... ﴿المائدة: ٢﴾

المطلب الرابع: الفرق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات وأسباب

التغير الثقافي

فالأمة الإسلامية لها ثقافتها التي تشكل شخصية الفرد والأمة؛ وتميزها عن غيرها. ومتى ابتعدت الأمة الإسلامية عن ثقافتها وتشريعاتها الربانية وآدابها السامية؛ لا شك أن مصيرها سيكون إلى الزوال والهلاك. أما ثقافات الأمم الأخرى، ففيها الحق والباطل والخير والشر لأنها من وضع البشر، وقد تكون متعارضة ومتصارعة ومتناقضة فيما بينها ومختلطة بالنظريات الوضعية البشرية، وهنا يكمن الخلل والضعف في ثقافات الأمم الأخرى¹⁴⁵. وقد نعى الله عز وجل الذين يتبعون الهدى والحكم في غير ما أنزل الله عليهم، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، [المائدة: 50]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، [الأنعام: 153]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، [الإسراء: 9]، وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 71]، فوجه الدلالة مما سبق من

¹⁴⁵ انظر: فراج، أحمد؛ وزملاؤه؛ خصائص الثقافة العربية والإسلامية، (دار السلام، ط1، القاهرة، 2006)،

ص 5-17، وانظر أيضاً: القرضاوي، يوسف؛ ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص 19-22؛ وانظر أيضاً:

القرضاوي، يوسف؛ ثقافة الداعية، دار الرسالة العالمية، طبعة خاصة، دمشق، 2009 بتمويل الهيئة القطرية

للأوقاف، ص: 141-145

الآيات أن المسلم مأمور باتباع المنهج الإلهي المتمثل في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الصحيحة في كافة شؤونه الخاصة والعامة، كما أن الآيات السابقة بينت فضل القرآن في هداية الناس إلى التي هي أقوم، كما أن الله بين حقيقة المنهج الفكري والعقدي لأهل الكتاب.

ويرى كثير من المفكرين والعلماء أن ثقافات الأمم قابلة للتغيير والتبديل. هذه الحقيقة التاريخية وجدت قديماً وحديثاً، وقد حدث هذا في أرخبيل الملايو (جنوب شرق آسيا مثل: اندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وبروناي) أيام الاستعمار البرتغالي والإسباني قديماً. وقد رأينا هذه الحقيقة وشاهدناها أيضاً في القرن العشرين لدى الدول التي مزقتها الحروب الداخلية والاستعمار¹⁴⁶ أيضاً في بلاد البلقان عندنا؛ في البوسنة والهرسك وفي دولتي كوسوفا عام 1997. لقد تم هذا التغيير الثقافي في البوسنة وفي كوسوفا بطريقة منهجية باسم نشر ثقافة الديمقراطية تارة، وباسم تقديم المساعدات الإنسانية من قبل الأمم المتحدة وجمعيات المنصرين والمبشرين، ومجيء قوات حفظ السلام متعددة الجنسيات والعرقيات والأديان والثقافات؛ تارة أخرى في ظل قوات الشمال الأطلنطي (ناتوا). لقد أصبحنا نشاهد بعد ما وضعت الحرب أوزارها ظواهر أخلاقية وقيم إجتماعية منحطة لدى بعض أبنائنا وإخواننا وأخواتنا المسلمين والمسلمات فب البوسنة وكوسوفا، فيلى الله المشتكى والمفزع، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. هذه الظاهرة وجدت أيضاً في المشرق العربي قديماً أيام الاستعمار البريطاني والفرنسي للدول العربية. كما أنها وجدت في بدايات القرن العشرين إبان سقوط الخلافة

¹⁴⁶ انظر: جريشة، علي وزميله، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، (دار الوفاء، المدينة المنورة، ط3،

الإسلامية للدولة العثمانية في تركيا، وفي العصر الراهن في حرب العراق وأفغانستان وأيضاً الآن في بعض الدول التي سقطت فيها بعض الأنظمة العربية المستبدة في عهد ثورات الربيع العربي المعاصر. حول هذه المسألة المهمة أرى من الضروري أن أنقل بإيجاز كلام الشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر، حيث قال رحمه الله: " ثقافات الأمم قابلة للتغيير والتبدل، فالإسلام غير ثقافات العرب في جاهليتها، والنصارى غيروا ثقافة المسلمين... والتغيير الثقافي له أسبابه... منها: اقتناع أمة أو جماعة بدين أمة أخرى أو ثقافتها، كما اقتنع العرب وكثير من الأمم الكافرة بالإسلام...، ومنها: إعمال أهل الرأي والسادة المتبوعين رأيهم وجهدهم في إحداث تغييرات جوهرية في أممهم، وأقرب مثال على ذلك ما يقوم به علماء الغرب ورجال الحكم فيهم من تغييرات... فقد أحلوا لهم الإجهاض والزنا واللواط¹⁴⁷ والسحاق والطلاق... " ¹⁴⁸.

وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذا النوع من المستعمرين. قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَتهَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، [النمل:34]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾، [القصص:4]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ

¹⁴⁷ كما رأينا وشاهدنا مؤخراً في الوسائل الإعلامية أن زواج الشاذين جنسياً (الرجال بالرجال والنساء بالنساء) أصبح أمراً مألوفاً ومسموحاً في ظل الدستور والقانون لدى بعض الدول مثل هولندا وإسبانيا وبرتغال وفي بعض الولايات المتحدة في أمريكا مثل كاليفورنيا أكبر ولاية أمريكية، بحجة احترام حقوق الإنسان!! وتسمى هذه الأسر الشاذة من قبل بعض العلماء ب: أسرة بابا بابا - وأسرة ماما ماما !! (dad dad family

!! mum mum family -) فاعتبروا يا أولي الأبصار!

¹⁴⁸ الأشقر، سليمان، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص 33-34

سَدًّا﴿، [الكهف:94]. فوجه الدلالة من الآيات إثبات الفساد لهؤلاء المفسدين والمتعالين والمستعمرين؛ قديماً وحديثاً.

وأما المدى الذي غير إليه الإسلام ثقافات الأمم، فبدخول الناس إلى الإسلام، غير الإسلام ثقافتهم وعاداتهم وتشريعاتهم البشرية المخالفة للإسلام، والذي تبقى من هذه الثقافات أمران: الأول: ما يوافق الإسلام من قيم وفضائل وأخلاق وتشريعات...، والثاني: ما بقي في دائرة المباح، فدائرة المباح في اللباس والأطعمة والمسكن متنوعة متعددة، ولذا ترى اختلافاً في عادات الأمم...، كما أن الإسلام قد غير كثيراً من القضايا العقيدية والفكرية والأخلاقية من عبادة الأصنام وواد البنات وتبرج النساء...، فإنه أقر بعض العقائد والفضائل والشعائر الصحيحة التي كانت عند العرب كتوحيد الربوبية، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة وإكرام الضيف...، والسر في ذلك كما يقول العلماء إن الأمم لا يمكن أن يكون فكرها وعملها متجهاً للشر الكلي أو الشر المطلق! ولكن الخير يختلط بالشر والحق بالباطل كما رأينا منهج أهل الكتاب، وهنا يتدخل الوحي الإلهي من السماء لتقويم الاعوجاج وإقرار الخير المتبقي لدى تلك الأمم. فالإسلام لم يجردهم ولم يسلبهم عن مألوفهم بالكامل، لأن الفضائل تتعدد ودائرة المباح واسعة¹⁴⁹، وفي هذه النقطة تظهر قوة الإسلام وسماحته وعدالته وإنصافه في تعامله مع الثقافات الأخرى. لقد حافظ الإسلام على الهوية القومية من الضياع والانصهار، كما أنه حافظ على الخصائص¹⁵⁰ العرقية لكل الشعوب الذين

149 حول دائرة المباح و القضايا الأخرى الإسلامية المتعلقة بهذه المسألة...انظر: الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2004، ج1، ص 63-86

150 انظر: القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1997، ص 9-54

دخلوا في دين الله، ولم ينهج الإسلام منهج التطهير العرقي أو القتل الجماعي أو التجريد الكلي أو التغيير الطبوغرافي لأسماء الأشخاص والأماكن والآثار التاريخية، ولم يسلخهم من الخصائص والسمات الموروثة لكل الأمم والشعوب، كما فعلت النصرانية في الأندلس مع المسلمين والصرب الأرثوذكس مع البوسنيين والألبان في الحرب الأخيرة في البلقان: البوسنة والكوسوفا ومقدونيا، ولكنه حافظ عليها شريطة أن لا تتعارض تلك السمات والخصائص مع صريح الكتاب وصحيح السنة النبوية¹⁵¹.

المبحث الثاني: مصادر المثقف المسلم المعاصر

وأما عن المصادر العلمية التي يجب على المسلم أن يستقي ثقافته منها؛ يمكن حصر مصادر المثقف المسلم المعاصر في النقاط الآتية بإيجاز¹⁵²، وعلى رأس هذه

¹⁵¹ انظر: الأشقر، سليمان، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص 36-40، القضاوي، يوسف، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص: 19-31

¹⁵² من المراجع المهمة لتطوير القدرات والمهارات العلمية و الاخلاقية للأجيال الإسلامية وطلاب المدارس والجامعات ينصح بالرجوع إلى مؤلفات العلامة والباحث التربوي الاجتماعي والحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية، أ.د. مقداد يالجن من تركيا، من بين تلك المؤلفات: 1- سبل النهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً إلى

المصادر يأتي: القرآن الكريم. وفيما يلي بعض الحقائق عن القرآن والواجبات تجاهه.

المطلب الأول: القرآن الكريم

فالقرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المعجز بأية أو سورة منه، الموجود بين دفتي المصحف.

والقرآن الكريم هو وحده جدير بالاتباع دون غيره من الكتب، وبنزوله نُسخت الشرائع السابقة ولم تعد صالحة للاتباع والسير وراءها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾، [آل عمران: 19] ، وكما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾، [آل عمران: 85] ، فهو وحده الذي يملك الهداية الالهية الربانية الصافية ومن ابتغى¹⁵³ الهدي الإلهي في غيره أضله الله، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ... ﴾، [البقرة: 137]

وكان من حكمة الله عز وجل أن يتم نزول القرآن منجماً، وليس جملة واحدة. والقرآن هدى ورحمة وشفاء، تشريع وتكليف، نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ليقود على هديه البشر، ويداوي به أمراضهم الاجتماعية، ويمدهم

مستوى أهداف الأمة، (دار عالم الكتب للطباعة، المملكة العربية السعودية ط1، 1999)، 2- تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية، (دار الكتب العالمية، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004)

¹⁵³ حول عظمة معجزات القرآن وإعجازه العلمي و التشريعي و الخلق و أثره في اللغة والآداب...، انظر: المعجزة الخالدة ، للأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر، رحمه الله (دار نور المكتبات، جدة، ط4)، ص

بطاقة مادية وروحية، وهو ليس بالقصير الذي يمكن قراءته في جلسة، أو حفظه في يوم، ولهذا كان من حكمة الله أن ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم مفرقاً. ولهذا النوع من التنزيل حكم تربوية عظيمة نجملها في هذه النقاط: 1- معالجة بناء الأمة الإسلامية وفق التدرج التي تخضع له سنة الحياة بشكل عام. 2- تسهيل الحفظ والتدبر للقرآن الكريم وذلك بإتاحة الفرصة لتلقي القرآن فترة بعد فترة، حتى يحفظوه و يتدبروه. 3- تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهة الأحداث الثقيل والتحديات الكبيرة التي كان يواجهها في حياته، لأنه صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا يصيبه ما يصيبنا. 4- مراعاة مناسبات الأحداث والأسئلة والاستفتاءات وما تتحدث به نفوس المؤمنين والمنافقين أو غيرهم لإنزال الآيات لبيان تلك الأسرار. 5- التنجيم فيه التنبيه على أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل، فأيات عتاب الرسول صلى الله عليه وسلم، فيها أعظم دليل على أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل¹⁵⁴. وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض هذه الحكيم من نزوله مفرقاً¹⁵⁵. قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾، [الإسراء:106]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، [الفرقان:32]، فوجه الدلالة إثبات نزول القرآن مفرقاً لتثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم.

¹⁵⁴ للتفصيل حول هذه المسألة انظر: الزرقاني، عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (دار الملايين، بيروت، ط4)، ج1، ص 60-75، و انظر أيضاً: القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، (دار المعارف، الرياض، ط3)، ص 105-118

¹⁵⁵ ولكاتب هذه السطور دراسة بعنوان: نحو منهج قرآني في تعليم العلوم الشرعية - نزول القرآن الكريم منجماً أمودجماً، (أعمال المؤتمر الاقليمي، من منشورات كلية أصول الدين - جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية - بروناي - 2011)

وأما عن الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن الكريم¹⁵⁶، فنقرر ونجزم ابتداءً بأن القرآن الكريم هو كتاب هداية وعقيدة قبل كل شيء. أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم لهداية الناس وليخرجهم من الظلمات إلى النور وليكون للعالمين بشيراً ونذيراً. فيه سعادة الإنسان العاجلة والآجلة، والقرآن الكريم ليس كتاب علم رياضيات أو جغرافيا أو كيمياء أو الطب أو الفيزياء... وإنما فيه إشارات ومفاتيح إلى تلك العلوم البشرية النافعة. والإنسان المسلم مطالب بالبحث الدراسة والتدبر لأسرار تلك العلوم لأن المفاتيح بيده¹⁵⁷، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾، [يونس:57]، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، [البقرة:2]، وقال تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، [آل عمران:138]. وقال تعالى: ﴿ ...الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

والقرآن الكريم معجز في بنائه التعبيري وتنسيقه الفني، وهو معجز في بنائه وتناسق أجزائه وتكاملها فلا تعارض ولا تناقض ولا صدام بين أجزائها وآياتها وسورها وموضوعاتها. وهو معجز في مداخلة إلى النفوس والقلوب والتأثير عليها. وهو معجز في أخباره عن عالم الغيب والمغيبات الماضية والآتية. هو معجز في أحكامه و تشريعاته وصلاحتها وشمولها. قال تعالى: ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

156 للتوسع...انظر، الأشقر، سليمان، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص 36-40

157 للتوسع انظر: اللاحم، خالد بن عبد الكريم، مفاتيح تدبر القرآن و النجاح في الحياة، (الرياض، ط1،

2004)، ص 19-67 وانظر أيضاً: السندي، سلمان بن عمر، تدبر القرآن، (كتاب المنتدى الإسلامي -

مجلة البيان، ط1، 2001)، ص 29-84

وَالْجُنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾، [الإسراء: 88].

أما واجباتنا نحو القرآن الكريم فهي كثيرة، ولكن المقام لا يسمح بسردها، ولكنني سأوجزها في ست نقاط. ذكر بعض أهل العلم أن واجبات المسلمين نحو القرآن الكريم يمكن إيجازها في: أولاً: واجب التلاوة والتجويد، ثانياً: واجب الحفظ والتمكين، ثالثاً: واجب التدبر والتعلم، رابعاً: واجب العمل والتخلق، خامساً: واجب الدعوة والعمل و واجب الحب والإجلال والتعظيم لهذا الكتاب العزيز .. 158.

المطلب الثاني: السنة النبوية

ذكر العلماء أن مصطلح (السنة) أصلها من مادة (سنن) . يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: " السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراداه بالسهولة. والأصل: سننت الماء على وجهي أسنه سنناً إذا أرسلته إرسالاً " . وقال ابن الأعرابي: " السنّ مصدر سنّ الحديد سنّاً، وسنّ للقوم سنة وسنناً، وسنّ الإبل يسنّها سنّاً إذا أحسن رعيّتها، حتى كأنه صقلها. وسنّ المنطق حسنه، فكأنه صقله " 159.

وسنة النبي صلى الله عليه وسلم تحمل هذه المعاني اللغوية، لما فيها من جريان الأحكام واطرادها، وصقل الحياة الإنسانية بها...، ويستفاد من هذه المعاني

158 انظر: الغزالي، محمد، كيف نتعامل مع القرآن، (دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1996)، ص 30-56 ،

القرضاوي، يوسف؛ كيف نتعامل مع القرآن، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 2001)، 50-95، وانظر:

الغزالي، محمد؛ السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث، (دار المعرفة، بيروت، ط1، 1995)، ص 5-35

159 بن زكريا، أبو الحسن أحمد بن فارس؛ معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، ط.د.، 1999، ج3، ص 61

الغوية أن السنة فيها معنى التكرار والاعتیاد وفيها معنى التقويم وإمرار الشيء على الشيء من أجل إحداده و صقله...، وسنَّ الله سنة أي بين طريقاً قويمًا، وسنة الله: أحكامه وأمره ونهيه، وقد ورد ذكر السنة والسنن في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، والمعنى في جميع المواضع أحكام الله الجارية المطردة¹⁶⁰. ويدل على هذا المعنى الأخير قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]، وقال عز من قائل: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ...﴾ [غافر: ٨٥]

وأما السنة في اصطلاح علماء الحديث وأصول الفقه في إجمالها هي أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية، والسبب في اختلافهم في التعاريف كان بسبب اختلاف الاختصاص لكل علم. فأهل الحديث نظروا إلى السنة من باب الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل الأصول نظروا بصفته المشرع والمبين عن الله تعالى، فأخذوا عنه ما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي من حلٍّ وحرمة... الخ¹⁶¹.

أما منزلة السنة من القرآن أو دورها تجاه القرآن الكريم فهي على وجوه:

1. موافقتها لما في كتاب الله تعالى، كالأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج

والجهاد.

¹⁶⁰ الخالدي، صلاح عبد الفتاح وزملاؤه، الوجيز في الثقافة الإسلامية، ص 53-54

¹⁶¹ ينظر للمزيد لمباحث السنة في: الإحكام في أصول الأحكام للامدي، ج 1، ص 155؛ المستنصفى

للغزالي، ج 1، ص 129؛ الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ج 1، ص 93؛ حاشية نسيمات الأسحار لابن

عابدين ص 176، الموافقات للشاطبي، ج 4، ص 3.

2. مشرعة بأحكام لها أصل في الكتاب، كنهى الرسول صلى الله عليه و سلم عن أكل اللحوم الأهلية وأكل كل ذي ناب من السباع. وأصل هذا التحريم قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾، [الأعراف: 157]

3. مشرعة لأحكام مستقلة لم ترد في كتاب الله عز وجل، مثل تحريم الرسول صلى الله عليه و سلم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها في النكاح...،

4. مبينة لما جاء في كتاب الله مجملاً، أو موضحة للمبهم، أو مخصصة للعام، أو مقيدة للمطلق، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، [النحل: 44]. وقد الأمر بالصلاة مطلقاً عاماً، وكذلك الأمر في الزكاة، وكذلك بين الرسول مكان القطع في اليد¹⁶².

وقد أجمع العلماء على حجية¹⁶³ السنة النبوية ومصدريتها للأحكام والاحتجاج بها مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾،

162 الثقافة الإسلامية - المستوى الثاني، اعداد: د.فايز حابس وزملاؤه،(مركز النشر العلمي، جامعة الملك

عبد العزيز، جدة، ط1، 2006)، ص 135-141

163 حول هذه المسائل المتعلقة بالسنة النبوية من حيث تقسيمها إلى تشريعية وغير تشريعية وحجيتها... انظر:

تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية للأستاذ الزميل والأخ الدكتور الداعية، محي الدين بن قدرت بن شيرين السمرقندي فرج الله عنه ويسر الله أمره، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2008)، ص 18-35، وللتوسع

و المزيد راجع الموسوعة الأصولية للإمام الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، ج1، ص726-770

[الحشر:7]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:36]

فالمسلمون يستمدون القيم والاتجاهات والعادات والقضايا القانونية والسماوات الشخصية من السنة النبوية الصحيحة، وحملت إلى البشرية نموذجاً بشرياً قرآنياً فريداً. وقد تركت السنة أثارها العميقة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي واعترف بذلك الغربيون بأن شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الرتبة الأولى في قائمة العظماء¹⁶⁴، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، [القلم:4]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، [الأحزاب:21]. وجه الاستدلال من هذه الآيات المباركة هو ثناء الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتزكيته سبحانه لعبده ورسوله، كفى ذلك شرفاً وفخراً للأمة الإسلامية بأنها على هدي أفضل خلق الله و أكرمهم على الإطلاق إلى قيام الساعة.

وأما عن آثار السنة على المثقف المسلم فيمكن أجمالها في النقاط الآتية:

- السنة النبوية تنشئ مجموعة ضخمة من القيم والمعايير النبيلة. والسنة تشكل قواعد ملزمة وضوابط حاكمة، والأمثلة على ذلك كثيرة في ميدان الشخصية الفردية وميدان المجتمع وميدان الدولة¹⁶⁵، وبعضها في السلم

164 انظر كتاب: المائة الأوائل، للمؤلف مايكل هارت، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1989

165 الخالدي، صلاح عبد الفتاح وزملاؤه: الوجيز في الثقافة الإسلامية، وانظر: علوان، عبد الله ناصح؛

الشباب المسلم في مواجهة التحديات، (دار القلم، دمشق، ط4)، ص 221-275

وبعضها في الحرب...، قال صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة
166 " ، وقال صلى الله عليه و سلم: " من رأى منكم منكراً فليغيره
بيده، فإن لم يستطع فبلسانه.."، وقال صلى الله عليه وسلم: " من
أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد " 167 .

● السنة النبوية تبين طرق المعرفة الصحيحة، وتجنّف منابع الأوهام
والأساطير، وتطالب بالمنطق والدليل السليم، قال صلى الله عليه و سلم: "
لا عدوى ولا طيرة ولا غول 168 "، أي أن العدوى ليست حتمية، ولا
تكون إلا بأمر الله، ومعنى لا طيرة: التطير: هو التشاؤم، وهو أسلوب
عند العرب في الجاهلية كانوا يطلقون طيراً، فإن طار يميناً تفاءلوا، وإن
طار شمالاً تشاءموا، ومعنى لا غول: نفي وجود الغول وهو الكائن الخرافي
الذي يكثر في القصص لتخويف الأطفال.

● والسنة النبوية تنشئ منظومة واسعة من الأخلاق العملية والسلوكية، مثل
قوله صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف
كبيرنا "، وقوله: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من
الكبر.." 169 .

ولا بد لنا في هذه العجالة من توجيه دعوة وصرخة للحذر من جماعة "

166 أخرجه أحمد في مسنده، (رقم الحديث 2297)، والترمذي (رقم الحديث 1926)

167 أخرجه البخاري في صحيحه، (رقم الحديث 2697)، و مسلم في صحيحه (رقم الحديث 1718).

168 أخرجه أحمد في مسنده، ج 1، ص 269، وابن ماجة (رقم الحديث 3539).

169 أخرجه مسلم في صحيحه، (رقم الحديث 91)، و أحمد في مسنده، ج 1، 312، و أبو داود (رقم

الحديث 4091).

القرآنيين " الموجودون في بعض البلاد والعواصم الإسلامية، مثل الهند وباكستان وماليزيا ومصر وفي بعض المدن السعودية وغيرها من البلاد، حيث يزعمون بأنهم يلتزمون بالسنة العملية دون القولية! وقد استمعت إلى المحاضرات الكثيرة لزعيمهم الدكتور أحمد صبحي منصور وجماعته في الشبكة العنكبوتية الانترنت على يوتيوب، فألفيته أجهل خلق الله بأمور الشريعة! بل وحتى تلاوة القرآن والنطق الصحيح للآيات القرآنية! فحذار من هؤلاء الأذعياء والمحسوبين على الإسلام، وعار على أمثال هؤلاء العرب أن ينكروا وأن يتجاهلوا أهمية السنة وحجية السنة ومكانتها في الشريعة الإسلامية، ولو لا ضيق المقام لناقشنا مزاعم هؤلاء المنتكسين.¹⁷⁰

المطلب الثالث: الفكر والتراث الإسلامي

الفكر الإسلامي من أخص خصائص الإنسان المسلم، ولقد أصاب من قال: أنا أفكر فأنا موجود. والحياة الإنسانية تفاعل بين العقل والوجود، وخلف كل عمل أو حركة فكرة. ولثقافة الإسلامية فكر ومفكرون، والفكر والتفكير في ثقافتنا الإسلامية ينطلق من خصائص هذه الثقافة الربانية. وقد ندبنا القرآن الكريم إلى التفكير والتأمل والنظر والتعقل والتفقه في آيات كثيرة، وما ذلك إلا للأهمية القصوى لتشكيل ثقافة المسلم في كل زمان ومكان، وتأسيسها على الحجة والبرهان، ومن خصائص الفكر والتفكير:

¹⁷⁰ استمع إلى هذه الحلقات لترى تخط و جهل هؤلاء القوم:

<http://www.youtube.com/watch?v=JrzykDfptig>,

<http://www.youtube.com/watch?v=oK2bnZl2V0c&feature=relmfu>

● أن الفكر والتفكير فريضة إسلامية، وبإحياء هذه الفريضة تحي الأمة وتصحو من سباتها الفكري. قال تعالى: ﴿...كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، [البقرة: 219]، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، [النمل: 69]. وقال تعالى: ﴿وَسَحَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥]، وقال عز وجل: ﴿... فَذُفَّصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

● الفكر والتفكير من وسائل فهم الشريعة واستنباط الأحكام إن لم يرد نص من الكتاب أو السنة. قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، [النساء: 83]، وهذا هو الاجتهاد المطلوب الذي أحالت الشريعة الكثير من الأحكام الشرعية الذي فيه الحل للمستجدات والحوادث¹⁷¹.

● ولا بد للمثقف المسلم المعاصر أن يتمتع بقدر كاف من الاطلاع على التاريخ الإسلامي وسيرة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من المصلحين من السلف الصالح ومن الأئمة والعلماء والناجحين والموفقين والمتفوقين في كل فن

¹⁷¹ انظر: المرصفي؛ سعيد؛ الثقافة الإسلامية و أثرها في تكوين الشخصية الإسلامية، (دار اليقين، المنصورة، ط1، 2004)، ص 78-84، وانظر أيضاً: مسلم، مصطفى و زميله؛ الثقافة الإسلامية: تعريفها- مصادرها- مجالاتها- تحدياتها، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2004)، ص، وانظر؛ الخالدي، صلاح عبد الفتاح وزملاؤه: الوجيه في الثقافة الإسلامية، وانظر أيضاً: علوان، عبد الله ناصح؛ الشباب المسلم في مواجهة التحديات، ص 221-275، وانظر أيضاً: القرضاوي، يوسف: ثقافة الداعية، ص 102-108، وثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص 35-53

من الفنون قديماً وحديثاً، حتى يكون على بصيرة بمن يقتدي، فربما يصبح يوماً ما موفقاً وناجحاً إن صدق مع الله عز وجل واتخذ بالأسباب. كما أننا نحب التنبيه أن المثقف المسلم المعاصر يحيا حياته بمتابعة ومطالعة ما يستجد في هذه المجالات أيضاً: واقع العالم الإسلامي، واقع القوى العالمية المعادية للإسلام، واقع الأديان المعاصرة، واقع المذاهب السياسية المعاصرة، واقع الحركات الإسلامية المعاصرة، واقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام، واقع الفرق المنشقة عن الإسلام، واقع البيئة المحلية¹⁷².

هذه هي باختصار أهم المصادر الثقافية التي يجب أن تتوفر لدى المسلم المعاصر والمثقف الفطن، وسيأتي مزيد من البيان في الصفحات القادمة من هذا البحث في كيفية قراءة التراث الإسلامي والاستفادة منها.

المبحث الثالث: مقومات ثقافة المسلم المعاصر ومعالها

إن المسلم والداعية في هذا العصر يفتقر إلى ستة أنواع من الثقافات لبيان دعوته وإيضاح فكرته، و هي: الثقافة الدينية، والثقافة اللغوية والأدبية، والثقافة التاريخية، والثقافة الإنسانية ما يتصل بالعلوم الاجتماعية، والثقافة العلمية، والثقافة الواقعية¹⁷³.

¹⁷² انظر للتفاصيل حول أهمية هذه المسائل كتاب الدكتور يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، ص 141 - 145، و أيضاً كتاب: الإسلام بين الشرق والغرب، للرئيس البوسني السابق علي عزت بيغوتوش رحمه الله، ترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة العلم الحديث، بيروت، ط1، 1994، ص 105 - 110، 219-235، وانظر أيضاً: الخالدي، صلاح عبد الفتاح؛ أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار القلم، دمشق، ط8، 2002، ص: 97-123

¹⁷³ القرضاوي، يوسف، ثقافة الداعية، (مكتبة وهبة، القاهرة، ط 13، 2004)، ص 93-113

يقول د. القرضاوي حفظه الله:

" والأمم بلا ريب تختلف في ثقافتها اختلافاً كبيراً، فمنها ما تتجه ثقافتها نحو الروح، ومنها نحو العقل، ومنها نحو الحس أو المادة، ومنها ما يتصل بالأرض، ومنها ما يتصل بالسماء، ومنها ما يعترف بالله رباً خالقاً ولا يعترف به إلهاً معبوداً، ومنها ما يعترف به معبوداً ولا يعترف به حاكماً أعلى الذي من حقه أن بأمر و أن ينهى، و أن يشرع لعباده، و يحل و يحرم. ومن الثقافات ما يجمع بين هذه الأمور كلها، فلا يبغي غير الله رباً، ولا يتخذ غير الله إلهاً و لا يبتغي غير الله حكماً.. " 174 .

ونحن في هذا الصدد نريد أن نؤكد أن ثقافتنا - نحن العرب والمسلمين عامة - ثقافة متميزة، ولكن كثيراً من الناس يسأل عن هوية هذه الثقافة: أهي عربية - وأضيف وأتساءل أنا أيضاً: - أهي ألبانية أم ملايوية أم تركية... الخ - ؟ وكأن إثبات أحدهما ينفي الآخر بالضرورة، وهذا غير صحيح، لأن العروبة هي لسان الإسلام، ولسان قرآنه وسنة نبيه ولسان عبادته، ولسان التفاهم المشترك بين علمائه. والإسلام هو الذي أخرج العرب - وأقول غير العرب أيضاً - من الظلمات إلى النور، وحوهم من رعاة غنم إلى رعاة أأم...، ثم يضيف الشيخ القرضاوي قائلاً: "...ومن هنا نرى أنه لا تناقض بين العروبة والإسلام، ولا نجد غضاضة في وصف ثقافتنا التي نعتر بها والانتماء إليها: أنها ثقافة عربية إسلامية معاً- لا نقول هذا مجاملة للإسلام، و لا تملقاً للعروبة بل هي الحقيقة الناصعة التي دلت عليها الدلائل والبراهين.. " 175 . ونحن نقول أيضاً: إنه لا تناقض بين

174 القرضاوي، يوسف، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص 19 ، وانظر: المرصفي؛ الثقافة الإسلامية

وأثرها في تكوين الشخصية الإسلامية، ص: 30-45

175 المراجع السابقة بتصرف يسير

الثقافة الملايوية أو الثقافة الألبانية أو التركية أو الهندية أو البوسنية والإسلام، ولا نجد غضاضة في وصف ثقافتنا التي نعتز بها وننتمي إليها بأنها ثقافة عربية من جانب وإسلامية من جانب آخر، أو بأنها ثقافة إسلامية من جانب وألبانية أو ملايوية أو تركية من جانب آخر، والله أعلم. والذي نقصده بالمقومات تلك الأمور والقضايا التي يبنى عليها غيرها. وبدون هذه المقومات لا يتصور قيام شيء بدونها. وفيما يلي هذه المقومات بشيء من الإيجاز:

المطلب الأول: المقومات

الدين: لا شك أن الدين عموماً أياً كان؛ هو العنصر الأساسي في تكوين الثقافات، ولكن الدين الإسلامي عند المسلمين هو صانع ثقافتهم والمحافظ عليها والمجدد لها. والإسلام قد ربط عناصر الثقافة الإسلامية كلها برباط عقيدة التوحيد والجزاء والمصير، فقيمها إسلامية وإنسانية؛ كالحق والعدل والصدق والإخلاص والإيمان والأخلاق والتعاون والإيثار وإكرام الجار وصلة الأرحام، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، [الأنعام: 162]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿...وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿...وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾ [الحشر: ٩]

التاريخ الإسلامي: والتاريخ مهم جداً للمثقف المسلم، والهدف من دراسة التاريخ

هو الاعتبار والاتعاظ بتلك الأحوال والتنصح بها، والوقوف على تجارب تلك الأمم السابقة، والتأمل في عوامل النهوض والرقى وأسباب الانهيار والسقوط، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، [يوسف: 111]، فهو يعتبر بالنسبة للمثقف المسلم سجلاً هاماً للأمة الإسلامية، وفي ضوء ذلك نروي تاريخ الخلفاء الراشدين والعلماء الأبرار والأخيار، المصلحين منهم والمجاهدين. فلتاريخ صفحات بيضاء مشرقة كما أن له صفحات سوداء قائمة؛ لأنه نتاج تصرفات البشر، وهكذا ينبغي أن يقرأ التاريخ الإسلامي بشقيه¹⁷⁶ المشرق والمظلم. كما أني أود الإشارة هنا إلى أننا ينبغي أن لا نفتخر كثيراً بتاريخنا ومجدنا الماضي ونتخذة ذريعة لستر وتبرير عيوبنا وتقصيرنا في الوقت الراهن. "...إن التاريخ هو ملكُ الزمن الذي ولد فيه، لا يورث أجداداً ولا انحطاطاً. إنما يورث شيئاً واحداً فقط هو: العبرة"¹⁷⁷.

اللغة العربية: اللغات عامة، واللغة العربية خاصة، لها أهمية خاصة في حياة الإنسان عموماً المسلم المثقف خاصة. واللغة العربية هي الوعاء الذي حفظ به كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إلا أن للقرآن الكريم والسنة النبوية فضلاً على اللغة العربية، ولولا القرآن الكريم والسنة النبوية لاضمحلت اللغة العربية في غيرها من اللغات عبر العصور إلى يومنا هذا، فهي

¹⁷⁶ انظر المراجع السابقة بالتوسع، وانظر أيضاً: الجنيدي، عبد الله شاكر: محاضرات في الثقافة الإسلامية،

(دار الأندلس، حائل، ط 3، 2004)، 11-32

¹⁷⁷ البوطي، محمد سعيد رمضان: كبرى اليقينيّات الكونية، دار القلم، دار الفكر، دمشق، ط 9، 1997،

بلغت أقصى درجات الكمال و هي من ثم - وخاصة مفرداتها الإسلامية الأساسية - غير خاضعة للتغيير والتطوير السليبي للمعاني، لأن الله تبارك و تعالى يقول: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ..﴾، [الزمر: 28]. وبما أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب التي لا ليس فيها اعوجاج ولا التلاعب، يفهم من طريق مفهوم المخالفة أن بقية اللغات يمكن أن يكون فيها الاعوجاج، بدليل أن القرآن الكريم لم ينزل بغير العربية، وسر تفضيل العربية على غيرها هو دليل واضح على استقامتها وعدم اعوجاجها. وهذه حقيقة مشاهدة وملموسة لدى بعض اللغات المعاصرة مثل اللغة الإنكليزية، حيث تجد الحرف الواحد في الكلمة الواحدة ينطق بعدة أوجه ولا ثبات لها!! مثل حرف: i، وحرف e. فإنهما في حالات كثيرة لهما نطق خاص في بداية الكلمة، ونطق خاص في وسط الكلمة وفي نهاية الكلمة!! والذي ليس له قدم راسخة في اللغة الإنكليزية سيواجه صعوبات من هذا القبيل أثناء التعبير والتحدث، بينما حروف اللغة العربية بريئة من هذه العيوب. وقال الأستاذ طالب عبد الرحمن عبد الجبار:

" يلاحظ أن الصوت الواحد في اللغة الإنجليزية قد يكتب بأكثر من طريقة. وتختلف الأصوات في عدد الطرق التي يمكن أن تكتب بها، ففي حين نجد صوت الثاء في الإنجليزية لا يكتب إلا بطريقة واحدة، وهي (th) ، نجد صوتاً آخر وهو الشوا (schwa) يكتب بثمان وعشرين طريقة. ونجد أصواتاً أخرى بين هذا وذاك في عدد الأشكال التي تكتب بها. وبغية التزام الموضوعية، فضلنا ألا نعرض لأسوأ صوت في اللغة الإنجليزية من حيث عدد الأشكال الكتابية التي يتخذها، ولذا سننظر في صوت وسط يكتب بخمس عشرة "15" طريقة، وهو صوت الشين (كالذي نجده في كلمة (شجرة)

العربية). فالاحتمالات المستخدمة لكتابة الشين في الإنجليزية هي:

**sh, c, ch, s, ti, ss, sc, chs, sci, ssi, si, ci, sch, -
.se, x**

ولا توجد قاعدة في اللغة الإنجليزية لترشد الكاتب إلى ضرورة اختيار أحد الاحتمالات دون غيره، فمدار الأمر كله هو الكلمة نفسها؛ فهذه تعبر عن صوت الشين بالاحتمال الرابع مثلاً، وتلك تعبر عن الصوت نفسه بالاحتمال العاشر.

ويزيد الأمر تعقيداً أن كل احتمال من الاحتمالات المذكورة يعاد استخدامه مرة أو مرات أخرى للتعبير عن أصوات لا علاقة لها بالشين. فالاحتمال الخامس عشر مثلاً، هو (X) يعبر عن صوت الشين في كلمة (**luxury**) ، ولكن الحرف (X) نفسه يستخدم أيضاً للتعبير عن الأصوات الآتية: 1- الكاف والسين، في كلمة (**box**) مثلاً. 2- الكاف الفارسية والزاي في مثل كلمة (**exaggerate** 3-) الزاي في مثل (**xylophone** 4-). ويأتي أيضاً حرفاً غير مقروء -صامتاً- في مثل (**faux pas**)...¹⁷⁸

178 بحث بعنوان: نواقص في الكتابتين الفرنسية والإنكليزية، من منشورات وزارة الأوقاف القطرية، بتقديم

الشيخ عمر عبيد حسنه، في الانترنت:

http://www.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=7&ChapterId=7&BookId=269&CatId=201&startno

وتمتاز اللغة العربية عن غيرها من اللغات بمزايا عديدة، منها: مرونتها وسعة اشتقاقها، استجابتها لنواحي التجديد، صلاحيتها لمواكبة العصر وقدرتها على بيان والتفاعل مع المصطلحات العلمية الحديثة¹⁷⁹.

وأهمية تعلم اللغة العربية للمسلم المثقف قضية لا تحتاج إلى نقاش، وقد أدرك هذه الحقيقة بعض المتأخرين من المفكرين المعاصرين الذين اسلموا من أمثال المفكر الفرنسي روجيه غارودي Rozhe Garodi، وليوبولد ويس محمد أسد Leopold Weiss Muhammad Asad، والذي وفقه الله إلى ترجمة القرآن الكريم، غيرهما كثيرون، لأن هذه الشريعة الإسلامية نزلت بلغة العرب وعلى معهود العرب، وكما يروى عن الإمام الشافعي أن الله تبارك وتعالى خاطب العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، "... ولا مدخل للألسن الأعجمية فيها، ومن أراد تفهمه - أي القرآن - من جهة لسان العرب يفهم و لا سبيل إلى تفهمه من غير هذه اللغة..."¹⁸⁰. وفضل القرآن الكريم على اللغة العربية يظهر أيضاً في أنه حافظ عليها منذ نزوله إلى يومنا وسيحفظها إلى قيام الساعة، فلو لا القرآن لكانت اللغة العربية مجرد لهجة محلية يتعرف عليها مجموعة من البشر ثم تمحى، كما حصل للهجة القبطية في مصر، واللهجة النبطية في العراق، واللهجة الآرامية في الشام. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨]، يقول العلامة الشيخ الشنقيطي:

" قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة الكهف، في الكلام على قوله

179 انظر: علوان، عبد الله ناصح؛ الشباب المسلم في مواجهة التحديات، (دار القلم، دمشق، ط4،

2002)، ص 125-160

180 الشاطبي، الموافقات في الشريعة الإسلامية، ج1، ص 102-105

تعالى: ﴿ولم يجعل له عوجاً قيماً﴾ [الكهف 1 - 2]...، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿عربياً﴾، أي: لأنه بلسان عربي كما قال تعالى: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ [النحل: 103]. وقال تعالى في أول سورة يوسف: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ [3]. وقال في أول الزخرف: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ [3]. وقال في طه: ﴿وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾، [113] وقال تعالى في فصلت: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي﴾، [44] وقال تعالى في الشعراء: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ [192 - 195] وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها الآية﴾، [7]. وقال تعالى في الرعد: ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق﴾ [37] إلى غير ذلك من الآيات. وهذه الآيات القرآنية تدل على شرف اللغة العربية وعظمتها، دلالة لا ينكرها إلا مكابرين...¹⁸¹

كما أن القرآن الكريم قد رقى اللغة العربية بإدخال معان وألفاظ جديدة وتراكيب بلاغية وبعض الألفاظ التي لم تكن مألوفة. والقرآن الكريم أيضاً ساعد على انتشارها مع انتشار الإسلام، لأن التعبد بتلاوة القرآن لا يكون إلى باللغة العربية، كما أن ارتباط القرآن والسنة باللغة اضفى عليها طابع القداسة، وقد أثر

181 الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار

عن السلف الصالح مثل الإمام عمر بن الخطاب والإمام الشافعي أنه من استطاع أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بغيرها. وقد حاول الأعداء قديماً وحديثاً أن يقضوا على اللغة العربية ينشر ودعم اللهجات العامية المحلية لتحل محل الفصحى، وإبعاد العرب المسلمين عن لغتهم الأم بأساليب عديدة و مزاحمة اللغات الأجنبية حتى تضعف ويقل تأثيرها¹⁸².

المطلب الثاني: معالم ثقافة المسلم المعاصر

من معالم الثقافة الغربية؛ طلب المتعة الدنيوية بكل أنواعها. ومن معالم الثقافة العربية الجاهلية سلطان الجن والعرافين على الحياة. ومن معالم الحضارة اليونانية والرومانية الاهتمام بالجسد ومتعته. أما الثقافة الإسلامية فمعالمها كثيرة، فمن هذه المعالم:

- 1- بناء العقل والوعي السليم.
- 2- بناء الروح والجسد السليم.
- 3- غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة المبنية على نور التوحيد.
- 4- تميز الأمة المسلمة في أخلاقها وسلوكها وحركتها.
- 5- عمارة الأرض وإصلاحها.

¹⁸² انظر: صالح هندي وملاؤة، الثقافة الإسلامية، (دار الفكر، عمان- الأردن، ط2، 2000)، ص 83-

6- التفاعل مع الواقع المعاش والثبات أمام ضخامة الباطل والمغريات المتنوعة.

7- واستحضار حال الصحابة في تعاملهم مع القرآن الكريم واتباعهم للرسول صلى الله عليه وسلم. ولعل هذه الآيات القرآنية تشير إلى بعض هذه المعالم. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْمُورِ وَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾، [الحج:41]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، [الأنبياء:105]، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦]، وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، [الذاريات: 17-18]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

المبحث الرابع: خصائص ثقافة المسلم المعاصر

والذي نهدف إليه في هذا المبحث هو بيان تلك المزايا التي تختص بالثقافة الإسلامية دون غيرها من الثقافات. وعند إطلاقنا لمصطلح " الثقافة " وتقييدنا

ب: " الإسلامية" ، أي "الثقافة الإسلامية" تندرج تحتها ثقافات كافة الشعوب الإسلامية فقط؛ على اختلاف ألوانها ولغاتها وأعرافها، فالمعيار في ضبط هذه الثقافة هو: أن تكون إسلامية، أو مستمدة من شريعة الإسلام قرأناً وسنة وهدى السلف الصالح. وفيما يلي نذكر أهم خصائص الثقافة الإسلامية (العربية – الملايوية – الألبانية – التركية – البوسنية – الباكستانية...)، والتي أشار إليها بعض العلماء المعاصرين، فنحن نوردها بإيجاز، كما أننا قمنا بتدعيم هذه النقاط بالآيات القرآنية المناسبة لكل خاصية والتعليق والتحليل المناسب. فنقول إن أهم ما تتميز به ثقافتنا الإسلامية (وديننا الإسلامي بشكل عام) كونها:

1- ربانية: فثقافتنا الإسلامية ثقافة إلهية منزلة من عند الله تبارك وتعالى. والربانية نسبة إلى الرب تبارك وتعالى، لأن التصور الإسلامي تصور رباني. والإسلام دين كامل لا يحتاج إلى تكميل. وهو هدى ونور ورحمة وسعادة، فهي ثقافة مباركة طيبة، يلتزم بها المسلم بثقة واطمئنان بتفاعل وحيوية. فهي ربانية المصدر وربانية الوجهة ووربانية الانطلاق، ربانية الحقائق والتصورات وربانية النتائج والثمرات. مبادئها سامية، سالمة من النقص والجهل والخطأ، تتوافق مع العلم ولا تتعارض، ليس فيها التناقض ولا التعارض ولا التمزق ولا اضطراب، يسيرة وواضحة، منسجمة مع الفطرة الإنسانية السليمة. ولعل ما يلي من هذه الآيات المبارك تؤكد هذا المعنى. قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، [المائدة:16]، وقال تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: 32]، وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ

يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال عز ومن قائل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لِيُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦] ¹⁸³.

2- **شمولية:** ومعنى " الشمول"، أنها تستوعب كل جوانب الحياة وتدخل في كل مجالاتها، فالإسلام دين شامل ونظام كامل، فهو دين ودولة، وعقيدة وعبادة، وهو حكم وقضاء، وشريعة وقانون، ومصحف وسيف، وجهاد ودعوة، وسياسة واقتصاد، وعلم وخلق، وتوجيه وعلم. ومن مظاهر الشمول: توحيد الألوهية أي إفراد الله بالعبادة والإيمان، وعبودية كل مخلوق لله تعالى، وشمول النظرة إلى حقيقة تركيب وخلق الإنسان. فهو ثلاثي التركيب متوازن متكامل؛ من عقل وروح وجسد. والشمول في النظرة إلى الدنيا والآخرة، وهما ليسا متنافرتين ولا متضادتين، وإنما هما داران متكاملتان، فالدنيا تمهد للآخرة وهي مزرعة الآخرة، فمن زرع في الدنيا حصد في الآخرة. ولعل الآيات الآتية تؤكد هذا المعنى. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، [النساء: 124]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ

183 انظر: القرضاوي، يوسف، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص 19 بتصرف، وانظر: المرصفي، الثقافة

الإسلامية و أثرها في تكوين الشخصية الإسلامية، ص: 30-45، وانظر: بيغوتش، علي عزت؛ الإسلام

بين الشرق والغرب، ص 93 - 207

لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿ [البقرة: ٢٠٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَأِنَّ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
إِلَيْكَ... ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال جل شأنه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿... وَمَنْ
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال ارحم
الراحمين: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨] 184.

3- متوازنة معتدلة وغير متطرفة: وهذه الخصيصة متصلة اتصالاً وثيقاً
بالشمول، فالثقافة الإسلامية ثقافة شاملة وكاملة، وشمولها وكما لها متوازن
معتدل وسطي، لا جور فيه ولا تطرف ولا مغالاة. فمعنى التوازن: هو
التناسق والانسجام والترابط، بحيث يعطي حقه ﴿ بالقِسْطِ ﴾ أو ﴿
بالقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ بلا وكس ولا شطط ولا غلو ولا تقصير ولا
طغيان ولا إفسار..، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿ وَالسَّمَاءَ
رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾، [الرحمن: 7- 8]، فظاهرة
التعادل أو التوازن موجودة في الكون وفي خلق الإنسان وفي كل
شيء... 185. ومن مزايا الوسطية والتعادل: أن الوسطية أليق بالرسالة

184 وانظر المراجع السابقة، وانظر: الجندي، عبد الله شاكر؛ محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص 93 -

133

185 انظر: القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص 129-131، وانظر: الخالدي وزملاؤه،

الوجيز في الثقافة الإسلامية، ص 89-94

الخالدة؛ إنها تعني العدل، وتعني الاستقامة. والوسطية تعني الخيرية أيضاً، وأنها تمثل الأمان والقوة، وأنها مركز الوحدة. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران: 110]. وأما مظاهر الوسطية في الإسلام ومجالاتها في العقيدة والعبادة والشعائر والأخلاق... الخ¹⁸⁶. قال تعالى حاكياً منهج الأنبياء عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ...﴾ [الأنبياء: ٩٠]. ويمكن ملاحظة الوسطية أو التوازن في عدة مجالات: فالإنسان مأمور بعبادة ربه، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]. ولكن بجانب ذلك فهو مأمور أيضاً باهتمام أولاده ونفسه ومجتمعه، وهذا أيضاً نوع من التبعّد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، [التحريم: 6]، وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، [القصص: 77]، والإنسان مأمور بالإنفاق في سبيل الله ولكن دونما تقتير أو إسراف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]. وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ...﴾ [الأعراف: ٣١]. فمن خلال تأملنا في هذه الآيات المباركة تتضح لنا جلياً

186 القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص 130-141

تلك المظاهر للوسطية¹⁸⁷.

4- واقعية: فالشريعة الإسلامية لا تكلف البشر فوق طاقتهم الفكرية والجسدية، كما أنها تراعي حالهم في الصحة والمرض والقوة والضعف والفقير والغني والعلم والجهل والشدة والرخاء والعسر واليسر والسفر والحضر. ومن خلال تدبرنا وتأملنا في هذه الآيات المباركة نتضح لنا جملة من تلك الحقائق التي أشرنا إليها. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، [البقرة: 286]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: 184]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: 24-25]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34]، وقال عز من قائل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَافًا...﴾ [البقرة: 273]، وقال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95].

فالتشريعات الإسلامية موضوعة للإنسان من حيث هو إنسان، فيه القوة والضعف، فيه الحزن والفرح، والأمثلة في هذا الباب كثيرة، فهي أباحت

187 انظر: المراجع السابقة بتصرف، وانظر: صالح هندي & زملاؤه؛ الثقافة الإسلامية، ص 97 - 107

للمضطر أكل الحرام من الطعام، وأوجب التيمم حين فقد الماء، ورخصت بالجمع و القصر في السفر، والزكاة واجبة على الأغنياء وليس الفقراء... الخ، فالحمد لله أولاً وآخراً¹⁸⁸.

5- أخلاقية: إن للأخلاق الحميدة أثر عظيم في نفوس المسلمين. والإسلام وسع في هذا المجال وربط الأخلاق بأهداف راقية، وأوصلها بفكرة الإلزام والجزاء، جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة، وحررها من غلو الجاهلية، ورفع الأخلاق مكاناً علياً عندما جعلها غاية أسمى للرسالة المحمدية، " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " ¹⁸⁹.

وفصل آداباً للعالم والمتعلم والقارئ والسامع والباحث والمناظر، آداباً في كل شيء في الحياة، من أدب المائدة إلى بناء الدولة. واعتبر الإسلام الأخلاق ثمرة الإيمان الصادق والتعبد الخالص، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾، [الحجرات:12]. ولا تعترف ثقافتنا الإسلامية بتجزئة الأخلاق: أخلاق لمعاملة المسلمين وأخرى لغير المسلمين، فالخير خير للجميع، والشر شر للجميع، والحلال حلال لكل والحرام حرام على الكل، لا كما جاء في توراة اليهود المحرفة أن الربا إذا كان بين الإسرائيليين فحرام عليهم، ولا بأس بالربا ولا حرج فيه إذا كان مع غير الإسرائيليين

188 المراجع السابقة، وانظر: أحمد فراج & زملاؤه؛ خصائص الثقافة العربية والإسلامية، ص 19-34

189 رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد، (بيروت، ط1، 1980)، ص 50

190 ! ومن ثم لا انفصال في ثقافتنا الإسلامية بين الأخلاق والعمل، وبين الأخلاق والعلم، وبين الأخلاق والاقتصاد، ولا بين الأخلاق والسياسة ولا بين الأخلاق والحرب¹⁹¹.

6- إنسانية: فمراعاة جانب الإنسانية - أي إنسانية الإنسان - من أهم خصائص ثقافتنا الإسلامية. فروح الإسلام هي احترام الإنسان، ورعاية فطرة الإنسان وكرامة الإنسان وحقوق الإنسان، لأن الإنسان مخلوق مكرم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، وأن الله تبارك وتعالى جعله خليفة له، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه. فالإنسان مكرم بإنسانيته قبل ديانته، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...﴾، [هود: 50]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...﴾، [هود: 61]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾، [الأعراف: 85]. فالأنبياء عليهم السلام، كما قال العلماء، كانوا إخوة في الإنسانية بين بني جنسهم، مع اختلاف والعقائد والشرائع فيما بينهم. وكما ورد في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قام واقفاً عندما مرت جنازة ميت، فقيل له إنها جنازة يهودي؟ فقال: أليست نفساً؟ بلى يا سيدي يا رسول الله، فإن

190 انظر: دولة، محمد علي، اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل في مؤلفات محمد الغزالي، (الدار الشامية، بيروت، ط2، 2002)، ص 47-57، 99-103

191 القرضاوي، يوسف؛ ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص 23-24، بتصرف، والغزالي، محمد؛ دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، (دار القلم، دمشق، ط4، 2003)، ص 19-27، وانظر: الجنيدي، عبد الله شاكر؛ محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص 99-106

لكل نفس في الإسلام حرمة ومكان¹⁹².

7- **عالمية:** إن ثقافتنا الإسلامية ثقافة إنسانية للعالم أجمع، ورسالتها عالمية للناس أجمعين دون استثناء، وهذه الثقافة جاءت وعملت على تذويب الفوارق بين الناس ومساواتهم في الحقوق والواجبات. فلا فرق ولا تفاضل إلا بالتقوى والعمل الصالح. ولعل التأمل المتأني في أبعاد هذه الآية يوضح لنا هذا المفهوم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال عز ومن قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال أصدق القائلين سبحانه: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال عز من قائل: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فلأجل ذلك ترى بين المسلمين بيضاً وسوداً، وأغنياء وفقراء، وملوكاً وعبداً، ومن كان قبل إسلامه يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً ولكنهم أصبحوا بعد إسلامهم إخوة متحابين. وقد أكدنا من قبل ونؤكد هنا مرة أخرى لا تنافي ولا تناقض من كون مصادر ثقافتنا - عربية أو ملايوية أو ألبانية أو تركية أو بوسنية أو باكستانية... الخ - من جهة، وإسلامية وعالمية من جهة أخرى، لأنها عالمية ومفتوحة لكل الجماعات البشرية وليس منغلقة على نفسها ولا متعصبة ضد غيرها، مثل

192 انظر: القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص 57-99

الثقافة اليهودية المنغلقة على نفسها، التي تقوم على تمجيد جنس خاص أو عرق أو شعب معين¹⁹³؟! وأما ثقافتنا وإن كتبت بالأحرف العربية إلا أنها انطلقت من الإسلام، والإسلام نفسه عالمي الرسالة. ولعل ما يلي من الآيات تبين هذه المعاني التي أشرنا إليها آنفاً. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾، [البقرة: 21]، وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، [الفاحة: 1]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾، [الأنبياء: 107]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، [الأعراف: 158].¹⁹⁴

8- **متسامحة:** إن ثقافتنا الإسلامية تمتاز عن بقية الثقافات أيضاً بكونها متسامحة مع غيرها من الثقافات والأديان على أساسين اثنين: الأول: أن اختلاف البشر في الأديان والثقافات إنما هو بمشيئة الله تعالى وحكمته، وليس لأحد التدخل في تغيير سنن الله وحكمته، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾، [هود: 118-119]، الثاني: إن حساب ضلالهم وانحرافهم على الله تعالى يوم القيامة، وليس لأحد من الناس اليوم، قال تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ

¹⁹³ المرجع السابق بتصريف، وانظر: الغزالي، محمد، علل وأدوية، (دار القلم، دمشق، ط4، 2003)، ص 31-40، وانظر: القرضاوي، يوسف، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص 23-25.

¹⁹⁴ انظر المراجع السابقة بشيء من التصريف. وانظر: التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية - بحث: عبد الحق بن حقي التركماني & فتحي بن عبد الله الموصللي؛ جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية، الدورة الخامسة، ط1، 1432/2010 هـ، ص 29 - 89

اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١﴾، [الشورى: 15]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١٣]. وهذا هو السر في كون الثقافة الإسلامية ميداناً واسعاً وفسيحاً للأديان المختلفة، والأجناس المختلفة، والألوان المختلفة، واللغات المختلفة، ولم تضق في يوم من الأيام بدين أو عرق أو لون أو لسان...، فلهم جميعاً ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم¹⁹⁵.

9- **متنوعة التركيب:** ففيها الدين بفروعه وأجزائه المتعددة، واللغة والأدب والفلسفة، والعلوم الطبيعية والرياضية، والعلوم الإنسانية، والفنون المختلفة...، ففيها فقه أبي حنيفة ومدرسة الرأي، وفقه مالك ومدرسة الأثر، وكلام الأشعري وتفسير الطبري ورواية البخاري، وأدب الجاحظ ومعجم الخليل ونحو سيبويه...، وبصريات ابن الهيثم ورياضيات البيروني، وتصوف الغزالي...، وفلسفة ابن رشد...، ففيها بن حبل من العراق وابن تيمية من الشام...، وابن العربي من المغرب، وابن حجر من مصر... والشيرازي من إيران...، والدهلوي من الهند، وجلال الدين الرومي من تركيا...، ففيها سلفية ابن تيمية وصوفية ابن عربي...، وفيها

¹⁹⁵ انظر: فيصل سعيد بالعمش & زملاؤه؛ الثقافة الإسلامية - المستوى الثالث؛ ط1، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 2007، ص: 194 - 220، وانظر: القرضاوي، يوسف؛ مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 2005، ص 13-103 (المبائ العشرة)، وانظر: الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب - مجموعة مقالات الملتقى الدولي لتكريم الإمامين، إعداد: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، 2004

ظاهرة ابن حزم ومقاصدية الشاطبي...، وفيها عقلانية الفلاسفة والتزام الفقهاء، وفيها اجتهاد المجتهدين وتزمت المقلدين...، وفيها الكتب المكتوبة المقروءة والصور المشاهدة...، المسجد الأموي في دمشق، الحمراء في الأندلس والأزهر في مصر والسلطان أحمد في إسطنبول...، إنه التنوع الشامل أو الشمول في التنوع...، ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن تراثنا الثقافي لشموله وسعته وتنوعه و واقعيته...، تحتوي على المفردات الثقافية ما لا يصح أن تكون مصدراً لتوجيه عموم الأمة وتثقيف ناشئها بنين وبنات - وللأسف الشديد فإن أعداء الإسلام من المستشرقين والمستغربين اعتمدوا عليها في فهم الإسلام وبث السموم الفكرية والدينية والثقافية ضد القرآن والسنة من خلالها... ففي هذا التراث الإسلامي الضخم فيها صلاح أهل السلوك وخلاعة أهل البطالة، وفيها زهديات أبي العتاهية وخمريات أبي نواس، ومرثيات الخنساء ومجون ابن أبي ربيعة...، ونرى صوفية الجنيد الملتزمة وشطط الحلاج، وفيها استقامة أهل الاتباع وانحراف أهل الابتداع، وفيها مقولات الفرق المختلفة من أهل الملة والفرق المنشقة عن الملة... هذه الحقائق من تراثنا لا نستطيع إنكارها، ولا أن نحذفها، هي مجال ومنطقة للبحث على المتخصصين والراسخين لأهل العلم وهي مجالات لقراءات خاصة الذين لا يخشى عليهم من التأثير بشططها وتطرفاتها في عقيدتهم. والواجب على علماء الأمة الاعتماد في التربية والتعليم والتثقيف على الثقافة المعتدلة والمعبرة عن رسالة الأمة، وعن هويتها ومقوماتها وخصائصها...، والواجب عليهم أيضاً الانتقاء

والأخذ من كل شيء أحسنه¹⁹⁶، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، [الزمر: 18].

10- مكملة ومصححة لما قبلها من الثقافات. فنثقافتنا تكمل بعضها بعضاً. فالثقافة اللغوية تكمل الثقافة الدينية، كما أنها تغذي الثقافة الإنسانية. ولقد أعلنت نصوص الثقافة الإسلامية أنها متممة لما كان قبلها من الثقافات، ومكملة للبناء الذي بدأه رسل الله من قبل ومصححة للمسيرة التي دخلها بعض التحريف أو الانحراف، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾، [فاطر: 31]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾ [المائدة: ٤٨]. فهو صلى الله عليه وسلم متم ومكمل لمكارم الأخلاق: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"¹⁹⁷، ومكارم الأخلاق لم تقطع جذورها من الدنيا. كانت موجودة وستبقى¹⁹⁸.

¹⁹⁶ القرضاوي، يوسف، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص 25-30.. بتصرف يسير...، وانظر أيضاً: القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص 57-99 وانظر: الغزالي، محمد، سر تأخر العرب والمسلمين، (دار القلم، دمشق، ط2، 2005)، ص 71-139
¹⁹⁷ رواه الترمذي في أبواب العلم من حديث أبي هريرة (رقم الحديث 2688)، وقال حديث غريب، ورواه ابن ماجة في الزهد (رقم الحديث 4169)

هذا الذي وفقنا الله إليه في ذكر خصائص الثقافة الإسلامية، وأكرم به من خصائص، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من الأمم والأفراد والله ذو الفضل العظيم.

المبحث الخامس: علاقة ثقافة المسلم المعاصر بالثقافات الأخرى

وبعد أن عرفنا خصائص ثقافة المسلم المعاصر، فإن سؤالاً يطرح نفسه في هذه العجالة حول علاقة هذه الثقافة ذات الخصائص المميزة مع الثقافات الأخرى. أقول إن موقف المثقف المسلم من الثقافات الأخرى له أربعة مواقف لا خامسة لها، أشار إلى ذلك العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، و بين هذه المسألة المعاصرة بياناً شافياً وكافياً، فأرى من الضروري ذكرها للفائدة العلمية الكبرى حيث قال رحمه الله ما نصه:

"... وذلك أن الاستقراء التام القطعي دل على أن الحضارة الغربية المذكورة تشتمل على نافع وضار. أما النافع منها فهو من الناحية المادية وتقدمها في جميع الميادين أوضح من أن أبينه وما تضمنته من المنافع للإنسان أعظم مما كان يدخل تحت التصور فقد خدمت الإنسان خدمات هائلة من حيث أنه جسد حيواني. وأما الضار منها - فهو إهمالها بالكلية للناحية التي هي رأس كل خير ولا خير البتة في الدنيا بدونها وهي التربية الروحية للإنسان وتهذيب أخلاقه وذلك لا يكون إلا بنور الوحي السماوي الذي يوضح للإنسان طريق السعادة ويرسم له الخطط

198 الأشقر، عمر؛ نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص 249 - 269، وانظر: المجلة العلمية المحكمة بعنوان: أديان، (الصلاة - العبادة - الدعاء)، تصدرها مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، الإصدار الثاني 2011،

الحكيمة في كل ميادين الحياة الدنيا والآخرة ويجعله على صلة بربه في كل أوقاته. فالحضارة الغربية غنية بأنواع المنافع من الناحية الأولى مفلسة إفلاساً كلياً من الناحية الثانية، ومعلوم أنّ طغيان المادة على الروح يهدد العالم أجمع بخطر داهم وهلاك مستأصل كما هو مشاهد الآن ، وحل مشكلته لا يمكن البتة إلا بالاستضاءة بنور الوحي السماوي الذي هو تشريع خالق السماوات والأرض لأنّ مَنْ أطغته المادة حتى تمرد على خالقه ورازقه لا يفلح أبداً، والتقسيم الصحيح يحصر أوصاف المحل الذي هو الموقف من الحضارة الغربية في أربعة أقسام لا خامس لها حصراً عقلياً لاشك فيه :

الأول: ترك الحضارة المذكورة نافعها وضارّها. **Complete rejection**

الثاني: أخذها كلها ضارّها ونافعها. **Complete assimilation**

الثالث: أخذ ضارّها وترك نافعها **Bad selection- Negative integration**

الرابع: أخذ نافعها وترك ضارّها **Careful selection-Islamization**

فنرجع بالسبر الصحيح إلى هذه الأقسام الأربعة. فنجد ثلاثة منها باطلة بلا شك وواحد صحيحاً بلا شك. أما الثلاثة الباطلة : فالأول منها تركها كلها . ووجه بطلانه واضح لأن عدم الاشتغال بالتقدم المادي يؤدي إلى الضعف الدائم والتواكل والتكاسل ويخالف الأمر السماوي في قوله جل وعلا ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...﴾ [الأنفال: ٦٠]....

القسم الثاني من الأقسام الباطلة . أخذها لأن ما فيها من الانحطاط الخلقى وضياع القيم الروحية والمثل العليا للإنسانية . أوضح من أبينه ويكفي في ذلك ما فيها من التمرد على نظام السماء وعدم طاعة خالق هذا الكون جل وعلا ﴿اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ...﴾ [يونس: ٥٩] ، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ...﴾ [الشورى: ٢١] .

والقسم الثالث من الأقسام الباطلة : هو أخذ الضار وترك النافع ولاشك أن هذا لايفعله من له أقل تمييز ، فتعينت صحة القسم الرابع بالتقسيم والسبر الصحيح. وهو أخذ النافع وترك الضار، وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يفعل فقد انتفع بحفر الخندق في غزوة الأحزاب مع أن ذلك خطة عسكرية كانت للفرس، أخبره بها سلمان فأخذ بها ولم يمنعه من ذلك أن أصلها للكفار ، وقد هم صلى الله عليه وسلم بأن يمنع وطء النساء المراضع خوفاً على أولادهن لأن العرب كانوا يظنون أن الغيلة : " وهي وطء المرضع ولدها وتضره...، وقد انتفع صلى الله عليه وسلم بدلالة ابن الأريقط الدؤلي له في سفر الهجرة على الطريق مع أنه كافر فاتضح من هذا الدليل أن الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية . هو أن يجتهد في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية ويحذر مما جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا فتصلح لهم الدنيا والآخرة. والمؤسف أن أغلبهم يعكسون القضية فيأخذون منها الانحطاط الخلقى والانسلاخ من الدين والتباعد من طاعة خالق الكون و لا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي فحسروا الدنيا والآخرة: ﴿... ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١] ، [ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا .:.. وأقبح الكفر والإفلاس في

الرجل [انتهى "199 . رحم الله الشيخ رحمة واسعة.

وبناء على ما سبق نقول إن علاقتنا مع الآخرين تنبني على هذه الأسس:

● **التمييز والاستفادة:** إن على المسلم أن يتميز عن غيره من العلمين في كافة شؤونه، عبادة وعقيدة و تعاملًا. دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:110]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:46]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾، [البقرة:83] .

● **التوفيق، لا التلقين:** ثم إن المسلم مأمور بالتوفيق بين مبادئ الثقافة الجديدة المستوردة أو المكتسبة، وبين الثقافة الإسلامية. وهذا التوفيق، هو ما يسمى اليوم بعملية: إسلامية المعارف، **Islamization of Knowledge** أو عملية أسلمة العلوم، أو بالأحرى أسلمة النفس (أي الإنسان) كما أشار إلى ذلك بعض أهل العلم، وكما عليه العمل في بعض الجامعات الإسلامية العالمية في ماليزيا وبعض الدول العربية. وعملية التوفيق، أو: **الأسلمة**، إنما تتم بعدة طرق ووسائل، أبرزها: عرض تلك الثقافة المستوردة على الميزان الإسلامي؛ شهادة المركز (القرآن والسنة) وعلى أقوال

199 انظر: تفسير أضواء البيان، للشيخ محمد مختار الأمين الشنقيطي، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 2007

العلماء المعتمدين والمعتبرين والمشهود لهم بالعلم والصلاح والتقوى، ثم القيام بعملية الغرلة أو التحليل، وإخراج كل العناصر الكفرية أو الشركية المعادية للإسلام، وبهذه العملية العلمية المنهجية المركزة نكون قد وفقنا بين تلك العلوم أو المعارف والثقافات، ونظون قد ابتعدنا عن التلفيق والغش. ولعل هذه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13]. فيها إشارة إلى هذا المعنى التي أشرنا إليها.

● **القبول، لا الذوبان:** وبناء على ما تقدم، فإن المسلم يسلك في ذلك منهج الأنبياء والرسل، المنهج الوسط، منهج الرغبة والرغبة، والخشية والرجاء، ولعل هذا البيان الإلهي: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، [الأنبياء: 90]، فيه إشارة إلى هذا المعنى. والمسلم المثقف البصير بأمور دينه ودنياه لا يسمح لنفسه بالذوبان في المجتمعات أو الثقافات الأخرى مهما كان الأمر. فالإسلام هو الدين الوحيد في العالم الذي حفظ ويحفظ للناس انتماءهم العرقي والقومي وجعل اختلاف الألسن واللغات والألوان آية من آيات الله العظام الدالة على وجوده وقدرته سبحانه. قال تعالى " ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم:22]، كما يدل على ذلك تاريخ الإمبراطوريات الإسلامية في تاريخنا الإسلامي القديم والحديث.

● **الرفض، لا المقاطعة:** فإسلامنا يأمرنا بقبول الطيب من الطعام والشراب والكلام والحكمة والمعرفة والسلوك. ولا سيما عندما نعلم أن إسلامنا قد أقر

ببعض العادات والتقاليد الموجودة لدى العرب في الجاهلية، كإطعام الطعام وإكرام الضيف، والشجاعة. وفي العبادات مثل الطواف حول البيت والسعي بين الصفا والمروة... الخ، ولكن ليس عرياناً ولا مكاء ولا تصدية، كما أخبر تعالى ذلك في القرآن الكريم، ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾، [الأنفال: ٣٥]. وكذلك بالنسبة لموقف المسلم المعاصر مع الغربيين، فليس كل ما لدى الغربيين مذموماً ومنبوذاً، ففيهم الخير كما فيهم الشر! ومنهم الصالحون ومنهم دون ذلك، طرائق قديماً! فنقبل منهم ما هو طيب شريطة أن لا يتعارض مع ديننا وسنة نبينا، ونترك ما خبت منها وما لم يطب. وفي هذا العصر الحديث والراهن يمكن اللجوء إلى سلاح المقاطعة والرفض للبضائع والمنتجات الغربية إذا رأينا منهم إساءة وطعناً إلى مقدساتنا الإسلامية - وما أكثرها ليلاً ونهاراً وما أبشعها قصفاً ودماراً²⁰⁰، وما أكثر الحالات والمواقف المشينة واللاإنسانية تجاه الإسلام والمسلمين، وآخر الحالات إساءة كان يوم حرق المصحف الشريف في الولايات المتحدة الأمريكية، والإساءات المتكررة للرسول صلى الله عليه وسلم والحرب الإسرائيلية على أهل غزة في فلسطين، ومع ذلك فإن كثيراً من المسلمين حريصون على إمضاء العقود والاتفاقيات وإبرام الصفقات التجارية وكأن شيئاً لم يحدث؟! حسبي الله عليهم! وبناء على ما تقدم؛ إننا نعتقد أن هذا هو الميزان السليم والضابط الشرعي المنصف في تعامل المسلمين

200 كما يحدث الآن غزة فلسطين المحتلة لحظة كتابة هذه السطور بتاريخ 20.11.2012 اليوم الخامس للقصف والاختيالات الإسرائيلية للأطفال والنساء والشيوخ وقيادات مقاومة الحركة الإسلامية (حماس)، وقد أغتيل قبل خمسة أيام القائد المناضل أحمد الجعبري رحمه الله رحمة واسعة، والعالم الإسلامي والعربي يكتفي بالشجب والإدانة.

مع الآخرين، والله أعلم.

المبحث السادس: دلائل الانفتاح في ثقافة المسلم المعاصر

في هذا المبحث نود أن نقرر ابتداء في هذا المقام بأن ثقافتنا الإسلامية فوق كل ما تم ذكره سلفاً ترفض أن تذوب في ثقافات الآخرين. إنها تقاوم تيار " العولمة" المتطرفة، و" التغريب" المتطرف، وهذا لا يعني أنها منغلقة على نفسها، ولكنها منفتحة على الآخر بضوابط وأصول. ولتأصيل هذه المسألة من الناحية القرآنية أشار العلماء إلى أن القرآن الكريم من خصائصه:

1- **مصدق ومهيمن:** يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾، [المائدة: 48]. والقرآن الكريم جاء مؤكداً ومهيمناً وحاكماً على تلك الكتب السابقة، لما ورد فيها من العقائد والحقائق الأصيلة، ومصححاً لما وقع فيها من التحريفات العقدية.

2- **الإسلام أبقى الصالح والمفيد من أخلاق الجاهلية:** والرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ كل ما كان عند العرب في الجاهلية. الأعراف والمعاملات الصالحة أبقاها، مثل عبادة الحج التي توارثها العرب من ملة أبينا إبراهيم عليه

السلام، والطواف والسعي بين الصفا والمروة. كما أن الإسلام أبطل الطواف حول البيت في حالة العري، لأن العرب كانوا يقولون لا نطوف بالبيت بثياب عصينا الله فيها ! وفي الزواج كان عند العرب أربعة أنواع من الأنكحة كما ذكر ذلك الإمام البخاري، والإسلام أبطلها وأبقى واحداً منها، هو الذي عليه عمل المسلمين اليوم... الخ، ولعل قوله صلى الله عليه وسلم: [إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق] فيه دلالة واضحة لهذا المعنى التي أشرنا إليها.

مشروعية اقتباس ما عند الغير: فقد أجاز العلماء اقتباس ما عند الآخرين من أعراف وعادات وأعمال وأنظمة ومشروعات نافعة للمسلمين، ما دامت لا تتعارض مع عقيدة الإسلام أو شريعته أو أخلاقه. فقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم خاتماً لختم رسائله وكتبه، كما يفعل الملوك والأعاجم، وذلك عندما أراد أن يكتب إلى الأعاجم الرسائل فقال الصحابة بأنهم لا يقبلون كتاباً إلا وعليه خاتم. كما أن سلمان رضي الله عنه اقترح على الرسول والصحابة حفر الخندق في غزوة الأحزاب، فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بمشورته. وعمر بن الخطاب اقترح تدوين الدواوين تأسياً بمحاضرة الأمم الأخرى، كما أنه رضي الله استجاب لعمل تأريخ المسلمين، فاختار أن تكون بدايته الهجرة النبوية، ولعل البيان الإلهي: ﴿... وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا... ﴾ [الحجرات:13]، فيه إشارة واضحة إلى هذا المعنى، لأن من مقتضيات التعارف: الاستفادة المتبادلة من الدول والحضارات في كافة المجالات؛ ما عدا العقيدة والعبادة والأخلاق الإسلامية. فالمسلمون استفادوا من غيرهم قديماً وحديثاً، كما أن غير المسلمين أيضاً استفادوا من المسلمين قديماً أكثر، وفي الوقت الراهن الأمر على العكس تماماً؛ أصبح المسلمون متأثرين بأخلاقيات وتصرفات وعادات غير المسلمين

بشكل جنوبي! حدث ولا حرج، ولا حول ولا قوة إلا بالله²⁰¹.

شرع من قبلنا: لقد قرر الأصوليون أنه دليل معتبر ما لم يأت في شرعنا ما ينسخه، وإلا لماذا جاء ذكره في القرآن؟ ومن هنا استدلوا على ضرورة اتصاف المرشحين للأعمال والوظائف بالقوة والأمانة معاً، استدلالاً بما ذكره القرآن من قول ابنة الشيخ الكبير: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، [القصص:26].

وحكى الله عزوجل لنا قصة الملك طالوت في بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247]، فاستدل بعض أهل العلم على أن الملك أو القائد يجب أن يكون قوياً وعالماً حتى يقوى على إدارة أمر العباد والبلاد بصورة جيدة وموفقة. وفي سورة يوسف أحكام كثيرة استنبط منها العلماء كثيراً من المصالح الشرعية المرسلة لحفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال من قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾، [يوسف: 47]، وقوله تعالى: ﴿...وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]، كما استنبط العلماء قواعد دينية سامية²⁰² من مثل قول سيدنا يوسف للملك: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، [يوسف:55]،

201 انظر المراجع السابقة بشيء من التصرف

202 للتوسع...انظر: عزام، عبد العزيز محمد؛ القواعد الفقهية، (دار الحديث، القاهرة، ط1، 2005)،

مشروعية طلب الإنسان للولاية إذا علم أنه لها أهل، وليس من يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الحقوق إلى الفقراء..²⁰³ .

6- المسلم يلتمس الحكمة من أي وعاء خرجت: المسلم الحق يعلم علم اليقين أن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم أمراه أن يلتمس الحق في آفاق الكون وفي أعماق النفس الإنسانية أو في التاريخ البشري، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، [الذاريات: 20-21]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، [فصلت: 53]. والقرآن الكريم يقرر لنا أن الحق قد ينطقه غير المؤمنين، و يؤخذ عنهم بغض النظر عن قوله، فالعبرة بما قيل وليس بمن قال، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا أُذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، [النمل: 34]، ونقل لنا القرآن الكريم قول امرأة العزيز حين قالت: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، [يوسف: 53]، وبعض المفسرين مالوا إلى أنه من كلام يوسف، ولكن السياق القرآني يقطع بأنه من كلام امرأة العزيز.

7- المنافق قد يقول كلمة الحق، كما جاء ذلك في سنن أبي داود من حديث معاذ بن جبل، قال صلى الله عليه وسلم: " إياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم من زيغ الحكيم، فالشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق " ²⁰⁴.

²⁰³ القرضاوي، يوسف، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص 38-43.. بتصرف يسير، وثقافة الداعية،

للقرضاوي، ص 52 - 72

²⁰⁴ المرجع السابق، ص 38-43

8- ثقافة ترحب بالحوار: والقرآن الكريم حافل بالحوار بين الأنبياء وأقوامهم، مثل إبراهيم عليه السلام مع قومه في سورة الأنعام وسورة الأنبياء والشعراء وحواره مع أبيه في سورة مريم، وحوار شعيب مع قومه في سورة هود، وحوار موسى عليه السلام مع فرعون، وحوار الله عز جل مع الملائكة والمشركين.. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، [البقرة: 30]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: 42]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، [البقرة: 67]، وغيرها من الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الشأن، لا يسمح المقام لسردها.

9- ثقافة تؤمن بالتجديد: وقد جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " ²⁰⁵، والتجديد يكون: بتجديد الفهم له، وتجديد الإيمان به، والفقهاء فيه، وتجديد العمل والالتزام بأحكامه، وتجديد الدعوة إليه. وعرف التاريخ الإسلامي المجتدين من علمائها وخلفائها مثل عمر بن عبد العزيز، والإمام الشافعي الواضع لعلم أصول الفقه، والغزالي الذي أحيا الله به علوم الدين، وابن تيمية وابن القيم... إلخ، وتجديد الدين لا بد أن يكون من داخله وبأدواته، وعن طريق

²⁰⁵ أخرجه أبوداود في السنن رقم 4291، وقال في الصحيحة رقم 599 (والسند صحيح ، رجاله ثقات

رجال مسلم)

علمائه، والاجتهاد الحق من أهله²⁰⁶.

وأهل الاجتهاد في الدين معروفون، لا بألقابهم، ولا بأزيائهم، ولا بشهاداتهم، ولكنهم من توفرت فيهم الشروط العلمية والأخلاقية المعروفة في أصول الفقه، بغض النظر عن عرقه أو جنسيته. وفي وقتنا الراهن جدد الله عز وجل دين الإسلام بعلماء أجلاء المشهود بالعلم والصلاح والفضل والإمامة في الدين، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً؛ مثل العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ العلامة محمد بن عثيمين، والإمام أبو الحسن الندوي، والأستاذ المودودي، والأستاذ سيد قطب، والإمام رشيد رضا، والشيخ المحدث ناصر الدين الألباني، والشيخ المحدث عبد القادر الأرنووط، والشيخ العلامة والمفكر محمد الغزالي، وغيرهم كثيرون.

ومن الأحياء الشيخ الداعية الإمام الدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ المحقق والمحدث شعيب الأرنووط، والشيخ الداعية الدكتور سلمان العودة والشيخ الداعية الدكتور عائض القرني، والشيخ الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، والشيخ الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي، والشيخ العلامة محمد مختار الشنقيطي، والشيخ العلامة محمد علي الصابوني، والشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس، والشيخ الدكتور محمد العريفي، والشيخ الأستاذ الدكتور محمد عدنان زرزور، والشيخ الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي وغيرهم كثيرون. رحم الله الأموات منهم وحفظ الأحياء. فلهؤلاء الأقطاب دور كبير وبارز في صحة الأمة الإسلامية وإحياء العلوم الشرعية والدفاع عن المقدسات

206 أبا حسين، فهد بن سعد؛ كيف نفهم التيسير - وقفات مع كتاب (افعل ولا حرج)؛ (دار المحدث

للنشر الرياض، ط1، 1428 هـ)، ص 109-111

الإسلامية، والله أعلم.

المبحث السابع: الانفتاح المحذور

في هذا المبحث نود أن نقف على بعض المعالم الهامة فيما يتعلق بضوابط وأصول الانفتاح على الآخر، كي لا يتوهم متوهم بأننا من دعاة الليبرالية المنفلتة عيادا بالله. فنقول إن المسلم الحقيقي منفتح على الآخر، ولكن بشروط وضوابط حتى يكون انفتاحه نافعاً ومأموناً على عقله ونفسه ودينه وعقيدته. وفيما يلي بعض شروط الانفتاح على الآخر أو الانفتاح المحذور. فالعلماء يحذرون من:

1. الانفتاح قبل النصح: فمن كان ضعيفاً، قليل الخبرة، ضعيف العلم، سطحي الشخصية، لا يجوز له أن يفتح على الآخر في ثقافته أو علمه أو قبول ما لديه، وإلا سقط في أول الطريق ويكون هو الضحية للغزو الفكري أو التبشيري والتنصيري أو العلماني المعاصر، كما ورد في بعض الآثار من أن النبي صلى الله عليه وسلم منع عمر بن الخطاب من النظر في صحائف التوراة، خشية تسرب الشكوك إلى إيمانه، لأنه كان في بدايات عهده من الإسلام. ومن هنا نصح العلماء في عدم ابتعاث أولادهم إلى الخارج قبل النصح أو التخرج من الجامعات في بلادهم، حفاظاً على عقيدتهم، لأنه يخشى عليهم أن تغزو عقولهم الشبهات، وتغزو قلوبهم الشهوات. وكذلك ننصح في هذ الأيام بعدم الانفتاح المطلق لمشاهدة بعض البرامج الهدامة في القنوات الفضائية، ومواقع الإنترنت، لكثرة ما يعرض فيها من غث وسمين. لقد شاهدنا بأم أعيننا في مقابلات شخصية وحوارات علمية لبعض الدعاة الجدد في الفضائيات مع المخالفين، كان الخصم فيها أشد تأثيراً وأقوى برهاناً

من الداعية المسلم!! فأمثال هؤلاء لا يجوز لهم أن يعتلوا هذه المنابر الإعلامية العالمية. فحذارِ حذارٍ من هذه المغريات الإعلامية، لأنهم في حالات كثيرة يتعمدون من اختيار الشخصية الإسلامية غير كفاء لمثل هذه الحوارات!! ولعل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ... ﴾ [النساء: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ... ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فيه إشارة إلى هذا المعنى عندما نراعي الأبعاد والدلالات الفكرية والعلمية للآيتين، والله أعلم.

2. الانفتاح المتساهل في الأخذ والاقْتباس: والمقصود بهذا النوع؛ هو الانفتاح

المتساهل الذي لا حدود له ولا ضوابط ودون البحث عما يصح وما لا يصح، وما ينفع وما يضر، وما يحتاج إليه وما لا يحتاج إليه، وما يتفق مع كتاب ربنا وسنة نبينا وما لا يتفق. وقد أتى على الأمة الإسلامية حين من الدهر وهم لم يحسنوا فهم هذا النوع من الانفتاح، وهذا ما عرف به: الاسرائيليات، التي راجت كثيراً في كتابات العلماء، من المفسرين وغيرهم، ولم يأخذوا منها الصحيح من المنقول أو الصريح من المعقول. وهذا النوع من الغزو الفكري أو الثقافي اليهودي منذ قديم الزمن دُسَّ في كتابات المسلمين، والقرآن الكريم قد سجل عليهم تحريفهم لكتبهم، قال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 75]، وقال تعالى: ﴿ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِمَّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿﴾، [البقرة:109]، وجه الدلالة هو إثبات نسبة التحريف إليهم، كما أن قوله تعالى ﴿يَزِدُّوَكُمْ﴾، فيه دلالة واضحة على استمرارية المحاولات التضليلية والتشكيكية للإسلام والمسلمين في كل عصر ومصر.

ولقد أحسن أستاذاً وشيخي رحمه الله في مرحلة الماجستير والدكتوراه²⁰⁷، عندما دعا إلى إسقاط هذا النوع من المصادر التفسيرية مبيناً علة ذلك قلة المتخصصين في التاريخ الإسلامي المعاصر، وجهل الباحثين في الدراسات القرآنية بالأخبار الإسرائيلية، فإذا كان يعز وجود العلماء بتاريخ بني إسرائيل في عصر شيخ الإسلام بن تيمية، فعصرنا من باب أولى حدث ولا حرج! فالأسلم لدينا وكتاب ربنا في هذا العصر عدم الالتفاف إلى أخبار ومصادر إسرائيلية، إلا من كان متمكناً من ذلك من أمثال العلامة الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله، وإلا ما وافق ذلك في شرعنا، وإلا فلا²⁰⁸.

3. الانفتاح المبهور بثقافة الغير: وهذا الانفتاح أيضاً لا يجوز بأن تضخم ما عند الآخر وتشعر أنت بالدونية تجاهه، حتى تعتقد أن كل ما قاله الآخر هو الصواب وكل ما فعله هو جميل، وكل ما قاله هو صدق...، وهذه النظرة نوع من (التأليه) بالفعل أو ربما (تأليه) بالقول. وللأسف حدث هذا في تاريخ المسلمين مرتين؛ مرة عندما تمت ترجمة الفلسفة اليونانية من قبل المسلمين فانبهروا المسلمون بما واعجبوا بها في العلوم الطبيعية والرياضية،

²⁰⁷ هو الأستاذ الدكتور عبد القهار العاني من محافظة الأنبار من العراق. رحمه الله رحمة واسعة وغفر لنا له وجمعنا الله في جنات النعيم.

²⁰⁸ حول هذه المسائل وما شابهها...انظر: أسباب الخطأ في التفسير - دراسة تأصيلية، للدكتور طاهر محمود محمد يعقوب، دار بن الجوزي، ط1، 1425 هـ، الدمام، المملكة العربية السعودية، ج1، 80 - 351

حيث كانت هذه الفلسفة مخلوطة بالقضايا الميتافيزيقية والمتعلقة بالألوهية...، والمرة الثانية انبهر المسلمون بالثقافة الغربية الحديثة التي غزت أمتنا في عقر دارها باسم الاستعمار بوسائل متنوعة ومتعددة.

وقد ساعد على هذا الغزو تخلف المسلمين في الاجتهاد والصناعة والابتكار، وشاعت أفكار مقلوبة لدى المسلمين،

- وفهموا (القدر) على أنه (الجبر)!
- وفهموا (التوكل) على أنها (التواكل)!
- وفهموا (القناعة) على أنه (الرضا بالدون)!
- وفهموا (الصبر) على أنها (الخنوع للطغيان)!
- و(التقوى) على أنه (الدروشة)!
- و(الزهد) على أنه (إهمال الحياة)!
- وفهموا (الشورى) على أنها (مُعَلِّمة لا مُلْزِمة)!
- وفهموا (قوامة الرجل) على أنها (قهر للمرأة)!

وتأثير الثقافة الغربية في العصر الحديث على الناس هو تأثير واضح وكاسح في الجماهير وفي الطبقات المختلفة من الناس للأسف الشديد. وعلى الدعاة وحراس العقيدة أن يقفوا لها بالمرصاد، لمواجهة هذا الخطر وفق

الأسس والضوابط التي ذكرناها في هذه الدراسة²⁰⁹.

وما نشاهده في هذه الأيام من الغزو الثقافي والأخلاقي والعربي المباشر في بعض القنوات العربية المعروفة وأكثر مشاهدة (قناة س 1، وقناة س 2، وقناة س 3، وقناة س 4، وقناة س أكشن...!!؟؟) ومتابعة من الجماهير العربية والإسلامية في العالم والشرق الأوسط للسلسلات المكسيكية والتركية دون مراقبة شرعية ما يعرض ويشاهد. فأين الغيورون للإسلام؟! أين حماة الإسلام وحراس العقيدة؟! حسي الله عليهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولعل هذه الآيات فيها إشارات إلى هذا المعنى. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْزِيكَ قُوَّتُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: 65]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: 10]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، [هود: 113]، وغيرها من الآيات القرآنية؛ فيها إشارات واضحة لمحاربة تلك المعاني الميؤوسة والمثبطة للمسلمين، والله أعلم.

209 : القرضاوي، يوسف؛ ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص 71-79، ونظر: با دحدح علي عمر

وزملاؤه، الثقافة الإسلامية، ص 85-103،

الخاتمة ونتائج البحث

وفي ختام هذه الدراسة أحمد الله عز وجل على توفيقه وامتنانه لإعداد هذه الدراسة وإعداد النظر فيها مرة بعد أخرى حتى خرجت بهذه الصورة التي هي عليها، وبالطبع لا نزعم الكمال والنضج، إذ المجال مفتوح للإضافة والتعقيب المزيد. ولا يسعني في هذه العجالة إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الوفير والعطر لكل من أصحاب الفضيلة؛ زميلين العزيزين والأستاذين الجليلين من تركيا، فضيلة الشيخ والمربي الجليل والأستاذ الدكتور علي إحسان بالا حفظه الله، أستاذ الفقه والأصول المشارك، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد آيدين أستاذ التفسير وعلوم القرآن؛ كلاهما بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، فأنا لفضيلتهما شاكر ومقدر ما دمت حياً، فلولا ملاحظتهما العلمية القيمة وتقييمهما العلمي والمنهجي لهذه الدراسة لما خرجت بهذه الصورة، فجزاهما الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة. هذا، ومن النتائج العلمية التي توصلت إليها في هذه الدراسة أذكر ما يلي:

- 1- بينت الدراسة كثافة جهود العلماء والمفكرين المسلمين في تأصيل مسألة الثقافة الإسلامية لغة واصطلاحاً وعلاقتها بالعلم والمدنية والحضارة الإسلامية، ومصادرها وعلاقتها بالثقافات الأخرى وموقفها منها.
- 2- تمخضت من الدراسة القيم العليا الإسلامية والمعاني الدينية السامية والخصائص الربانية للثقافة الإسلامية.
- 3- أظهرت الدراسة قدرة الثقافة الإسلامية على التفاعل الحضاري ومواكبة

الأحداث المعاصرة.

4- أثبتت الدراسة عظمة الشريعة الإسلامية متمثلة في وحيها المنزل (القرآن والسنة) وهدى السلف الصالح على توجيهه وضبط سلوك وثقافة المسلم المعاصر.

5- كما توصلت الدراسة إلى بيان مقومات ومعالم ثقافة المسلم المعاصر.

6- إن ثقافتنا الإسلامية بهذه المفاهيم، وفي ضوء هذه الضوابط يجب أن تكون ثقافة المسلمين في كل عصر ومصر، جعلنا الله من المتقنين الربانيين إنه تعالى سميع قريب مجيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى عفو مولاه في كل أحواله

خادم القرآن والسنة: الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

2012/11/21

الدوحة - قطر

وتمت مراجعة الدراسة قبل النشر مجدد ضحوة يوم الجمعة 2-08-2016

بدوحة الخير والبركة قي قطر

بعض المعاني المنسية للوسطية الإسلامية في المدارس
والجامعات العربية
(مقارنة بالتجربة التعليمية اليابانية)

ورقة علمية قدمت في المؤتمر العالمي بعنوان:

الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين
والذي عقده قسم دراسات القرآن والسنة - كلية معارف الوحي
والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

بتاريخ 13-15 مارس 2015 م

بقلم

الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي)
أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك
كلية المجتمع - قطر

2014

ملخص البحث

المعاني المنسية للوسطية الإسلامية في المدارس والجامعات العربية

(مقارنة بالتجربة التعليمية اليابانية)

الأصالة ضرورية لكل أمة، وهي لأمتنا المسلمة أكثر أهمية وضرورة. هي قائمة على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، وهي تعني عودة الأمة إلى جذورها الثابتة والراسخة، لأنها أمة متميزة برسالتها ودورها وشخصيتها. فالأصالة تعريف لأبناء الأمة بإسلامهم وتحصين لهم من هجوم الأعداء. ولقد ميز الله عز وجل هذه الأمة بإسلامها ومنهجها، وبأحكامها وتشريعاتها وقرآنها وقبلتها، وجعلها الأمة الوسط والشاهدة على الأمم والأفكار والمناهج والمبادئ. لقد أجمع العلماء أنّ الأصالة لا تعني رفض كل ما عند الآخرين؛ بل ذكروا أن موقف المسلم تجاه الثقافات والتجارب الأخرى له أربعة مواقف لا خامس لها: إما أن يقبل كل ما عند الآخر نفعه وضاره (موقف القبول والذوبان)، وإما أن يرفض كل ما عند الآخر نفعه وضاره (موقف الرفض والمقاطعة)، وإما أن يقبل ضاره ويرفض نفعه (موقف التجرد والانسلاخ والهبوط إلى الهاوية)، وإما أن يقبل نفعه ويرفض ضاره (موقف التميز والاستفادة). وما من شك أن الموقف السليم والصحيح والمقبول هو آخر هذه المواقف. ووسطية هذه الأمة جعلتها أمة الدعوة والقيادة، وأمة التوجيه والسيادة، وأمة التقويم

والشهادة وقد ذكر أهل العلم أنّ من أبرز معاني الوسطية: التوازن والتعادل، واستقامة المنهج، دليل الخيرية ومظهر الفضل والتميز، الأمان والبعد عن الخطر، دليل القوة ومركز القوة، مركز الوحدة ونقطة التلاقي للأطراف... إلخ. ولا ضير في هذا المقام أن نضيف إلى المعاني السابقة معان أخرى قريبة منها والتي لها علاقة وطيدة بها مثل: الإلتقان والإبداع والإختراع، فحتى تكون قوياً ومتميزاً ودليلاً خيراً لغيرك، آمناً وسالماً من الأضرار والانتقادات، لا بد أن تكون متقناً في عملك، مبدعاً في فكرتك. وإذا كان للوسطية كل هذه المعاني والمزايا، فالمتوقع أن تتجلى هذه المزايا وأن ترى نتائجها وبركاتها على كافة المستويات والجوانب لأمتنا العربية والإسلامية؛ الجانب العملي والتربوي والتعليمي والأخلاقي والاقتصادي والسياسي والثقافي والصناعي والتكنولوجي. غير أن أمتنا العربية والإسلامية ومؤسساتها التعليمية والتربوية فشلت في تحقيق تلك المعاني والأهداف بسبب مرورها بمخزات واضطرابات فكرية وتصورات علمية واجتماعية وثقافية وسلوكية وحضارية وتربوية وتعليمية مفاجئة، بين فينة وأخرى لأسباب وعوامل داخلية وخارجية معروفة ومجهولة. فهي بحاجة إلى المراجعة ونقد الذات والاستفادة من تجارب الجامعات والمدارس العالمية الأخرى والتعاون معها، حتى تحمي نفسها وطلابها من العواقب الوخيمة لتلك الهزات الفكرية والثقافية والتعليمية والتربوية.

هذه الورقة تهدف إلى تسليط الأضواء على التجربة التعليمية التربوية في اليابان وسر تفوق ونجاح طلابها وأساتذتها في المدارس والجامعات وعلاقة

هذه التجربة بتلك المعاني المغيبة للوسطية لكي تتضح لنا تلك المعاني المنسية وحقيقة حالة المدراس والجامعات العربية.

الكلمات المفتاحية: الوسطية - التربية - القرآن - التعليم - الاتقان -
اليابان - الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم. الحمد لله القائل ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير سيد الأنبياء والمعلمين والمرين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه الأطهار والميامين، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد؛

فلقد زرع الله عز وجل في صدري بجانب تخصصي في التفسير والدراسات القرآنية حب الاهتمام بالجانب التربوي والتعليمي في المدارس والجامعات. وأيام وجودي في جنوب شرق آسيا في ماليزيا²¹⁰ وفقني الله عز وجل قبل بضع سنوات أن أكتب رسالة عن المدارس الذكية النموذجية في ماليزيا وأثر أنظمتها الفعالة في تخريج الأجيال المنشودة **Smart Schools in Malaysia**، وطبعت هذه الرسالة في المدينة المنورة عام 2009م، ونالت إعجاب بعض القراء.

ثم حطت بي الرحال إلى جامعة طيبة بالمدينة المنورة لفترة زمنية غير قصيرة وتشرفت بتعليم وتربية إخواني الطلبة و أخواتي الطالبات في العديد من الكليات و ألفت رسالة عن آداب متعلم القرآن و معلمه. كما أني في هذه الجامعة المباركة درّست عدداً من المواد الإسلامية في التخصص

²¹⁰ مرحلة التعلم والتعليم في الدراسات العليا- الماجستير والدكتوراه في قسم دراسات القرآن والسنة - كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بكوالا لمبور 1997 - 2004

وخارجه. ومن المواد خارج التخصص كانت مادة : الثقافة الإسلامية وكانت موضوعات المقرر واقعية عصرية دينية وفكرية. ومن الموضوعات الفكرية والدينية كان موضوع: **الوسطية**: حقيقتها، ضرورتها، فضلها، أثرها... الخ. ومن الموضوعات الأخرى كان أيضاً موضوع: **التطرف والإرهاب**: خطره وأثره السيء في الشباب والأمة، ومعالجته من وجهة النظر القرآنية والسنة النبوية والجهود الدبلوماسية.

ثم إن الله عز وجل وفقني لإعداد دراسة حول خطر التطرف والإرهاب ومعالجته من منظور القرآن الكريم والسنة النبوية ونشرت هذه الدراسة في مجلة علمية محكمة²¹¹، تناولت فيها نصوص القرآن والسنة حول موضوع الوسطية.

وخلال فترة العمل بالجامعة رأيت أنظمة التعليم في الوطن العربي قد شهدت وما تزال تشهد جهوداً مضيئة ومستمرة في المراجعة بهدف التطوير والرفع من مستواها حتى تتحقق الأهداف التربوية المنشودة لكل وطن وحتى يتم تخريج جيل منتج ومبدع من الطلاب يستطيع التعامل والتأقلم مع تطورات العصر الحديث والإفادة من معطياته ومواجهة تحدياته في إطار المبادئ والقيم الإسلامية، مستنيراً بالقرآن الكريم وسنة نبيه الكريم وهدى السلف الصالح.

ولقد تأملت كثيراً في هذه الأنظمة التربوية في العالم و الآليات العلمية والثقافية والتربوية التي ترفع من مستوى الطالب العربي في المدارس

²¹¹ نشرته مجلة (الحكمة) الصادرة في مانشستر -بريطانيا والمدينة المنورة في عددها السابع والثلاثون،)

ظاهرة الإرهاب بين التشخيص والعلاج)، رجب 1429 هـ ، ص 399 - 463

والجامعات العربية، فشرعت في البحث عن الأنظمة التعليمية الأوروبية، وبصفتي باحثاً أوروبياً أقول؛ إن عيني لم تقع على أية دولة أوروبية تستحق الرجوع إليها بمعنى الكلمة لتناول أنظمتها التعليمية بالدراسة إلا دولة واحدة شدت نظري وانتباهي ألا وهي ألمانيا، وأدركت فيما بعد أن اليابان استفادت منها ومن فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية.

ثم إن الأقدار الإلهية حملتني من الشرق الأوسط إلى الشرق الأقصى للعمل في رحاب جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي ومكثت في هذا البلد عامين كاملين. ثم حملتني الأقدار الإلهية إلى الخليج العربي مرة أخرى - إلى دولة قطر؛ دولة العلم والفكر والحضارة والعمران. وأثناء عملي واحتكاكي بالناس في هذا البلد المتعدد جنسياً وعرقياً ودينياً بسبب كثرة الوافدين والعاملين، بحثت الأنظمة التعليمية في بعض الدول الآسيوية المتطورة مثل سنغافورة وكوريا الجنوبية واليابان، وانصرف اهتمامي في نهاية المطاف إلى النظام التعليمي الياباني. ثم كتب الله لي المشاركة بورقة علمية في مؤتمر عالمي عن الفلسفة والدين والأخلاق في مدينة أوساكا - اليابان، عام 2013 مما زادني ذلك حبا وشغفا على معرفة أسرار تفوق التعليم الياباني و رأيت تلك الحقائق التي قرأت و سمعت عنها سابقا رأيتها في اليابان رأي العين.

استخرت الله تعالى على دراسة هذا النظام الفعال والمنتج رغم مشاغلي الجامعية وظروفي الصحية، فرأيت انشراحاً في صدري نحو القيام بمزيد من البحث و التنقيب عن الأسرار العلمية والتربوية اليابانية. أسأل الله تبارك وتعالى أن يجزييني بقدر جهدي وإخلاصي في هذا العمل وأن يدخر أجره

ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه تعالى نعم
المجيب وهو ولي الصالحين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خادم القرآن والمسلمين

الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

كلية المجتمع - قطر

2014/11/28

الفصل الأول: المدارس والجامعات العربية خلقياً وعلمياً، واجبنا نحو الطلاب، سر تفوق المدارس والجامعات اليابانية

المبحث الأول: تشخيص الحالة و إطلالة على الظواهر السلوكية والخلقية في بعض المدارس والجامعات العربية

يقرر خبراء التربية الإسلامية وعلماءها و أنا معهم أيضاً أن هناك تدنياً وانحرافاً²¹² ملحوظاً في الأخلاق والتحصيل الدراسي لدى المتعلمين من أبنائنا الطلاب²¹³. وخلال فترة تدريسي وعملي في بعض البلاد العربية الإسلامية واحتكاكي المباشر بالطلاب والأساتذة في الجامعة، لاحظت بعض الظواهر السلوكية والتصرفات الأخلاقية والفكرية بعيدة كل البعد عن منهج القرآن والسنة وهدى السلف الصالح ووسطية الإسلام، يمكن تجلية هذه الظواهر في النقاط الآتية؛

1- من حيث عدم الجدية والقيام بواجب التعلم والتعليم.

²¹² مجلة الأمن، وزارة الداخلية في المملكة العربية السعودية، العدد 16 جمادى الأولى سنة 1419 هـ، ص 29-30، حيث ذكرت هذه المجلة أن انحراف الطلاب تكلف الدولة أموالاً طائلة إلى دانب أنها تسبب مشكلات إجتماعية وسياسية

²¹³ يالجن، مقداد: سبل النهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً إلى مستوى أهداف الأمة، ط1، 1999، دار عالم الكتب، الرياض، ص: 12-13

- 2- ومن حيث عدم وجود أنظمة صارمة لردع تلك السلوكيات السلبية .
- 3- ظاهرة إطالة الشعر.
- 4- ظاهرة التدخين وتعاطي الشيش.
- 5- ظاهرة التفحيط وتخريب السيارات.
- 6- حالات الدهس لبعض المشاهدين الأبرياء من الطلاب.
- 7- ظاهرة التأخر في الحضور إلى المدارس والمحاضرات.
- 8- ظاهرة انتشار مقاهي الانترنت و السهر في الاستراحات الليلية.
- 9- ظاهرة الهروب من المدارس والجامعات.
- 10- حالات التسمم لبعض التلاميذ والطلاب لغياب النظافة في بعض المطاعم أو المحال التجارية القريبة من المدارس أو الجامعات، و بيع المواد الغذائية الفاسدة ومنتهية الصلاحية.
- 11- ظاهرة الاستكبار من العمل اليدوي اعتقاداً منهم بأن هذا العمل اليدوي هو من اختصاص الخدم والعمالة الوافدة.
- 12- ظاهرة الغش والخيانة في الاختبارات، وغياب الصدق وانتشار الكذب وغياب الشعور بالمسؤولية والرقابة الإلهية.
- 13- ظاهرة العدوان وإتلاف الممتلكات الحكومية في المدارس والجامعات²¹⁴.
- 14- ظاهرة المحاباة والمجاملة في نجاح الطلاب.

²¹⁴ يالجن، مقداد: سبل النهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً إلى مستوى أهداف الأمة، ط1، 1999، دار

عالم الكتب، الرياض، ص: 13

- 15- ظاهرة الشجار والخصومات والمضاربات في ساحات المدارس والجامعات.
- 16- ظاهرة الرواتب المتدنية للمعلمين الأجانب في المدارس والأساتذة في الجامعات؛ مما دفع بهم إلى عدم التفرغ التام للتدريس والتربية والتعليم واضطراهم للقيام بأعمال أخرى أو ساعات عمل إضافية في الليل أو النهار سداً لحاجات أسرهم ومواجهة الظروف الاقتصادية الصعبة والغلاء الفاحش الذي عم أرجاء المعمورة.
- 17- ظاهرة التشدد والتطرف من قبل بعض الشباب المتلوثين بالفكر المتشدد.
- 18- ظاهرة التأخر في الحضور الدوام المدرسي والجامعي، و من ثم النوم في القاعات والفصول بسبب السهر.
- 19- ظاهرة النظر إلى المدرسة أو التعلم الجامعي نظرة دونية لا يجني المرء من ورائها فائدة، أو التعلم من أجل الشهادة والوظيفة أو الشهرة وتحسين الوضع الاجتماعي فقط.
- 20- ظاهرة متابعة برامج العبت واللهو، و مشاهدة المسلسلات ذات الطابع المفسد للأسرة والشباب مثل: مسلسلات الطلاق والخيانة الزوجية وتعاطي المخدرات والحب والرومانسية التركية والمكسيكية والكورية والهندية، سواء المسلسلات العربية أو المدبلجة والمترجمة من اللغات الأخرى.

21- ظاهرة مشاهدة الأفلام الإباحية في الفضائيات ووسائل

التواصل الاجتماعي المعاصرة.

22- ظاهرة غياب الأهداف والمقاصد العليا من التعليم، وعلى رأس

تلك المقاصد خدمة الدين والأمة والوطن²¹⁵... الخ.

إذا كانت هذه حالة طلابنا في المدارس والجامعات في أغلب البلاد العربية والإسلامية، وإذا كانت المرحلة الجامعية تعكس مرحلة التعلم الابتدائي والمتوسط والثانوي من حيث الجد والاجتهاد والسلوك والأخلاق والفكر والولاء والتفاني والنظام والانضباط والإخلاص والمثابرة والعمل والانتاج والتعاون والتكافل والاحترام والأخوة... الخ، أعتقد والله أعلم؛ أن تعزيز معاني الوسطية الغائبة والمهمشة في المناهج الدراسية والخطط الجامعية وفعاليتها والتأكيد على نشرها، ومعرفة الأسباب الدافعة لبعث الشباب عن الوسطية الإسلامية وتبني الغلو والانحلال والتطرف والإرهاب،... الخ؛ أقول إنما يتم ذلك من خلال مراجعة تلك المناهج الدراسية والنهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً ودينياً، لأن أخلاقيات المتعلم والاستقامة الحقيقية من العوامل المساعدة على النهوض العلمي والثقافي والفكري، لأن الثقافة الإسلامية السليمة هي التي تحول العملية التعليمية من: "... التلقين إلى التفكير، ومن عقلية التكديس والنقل والتقليد إلى ذهنية الإبداع والاجتهاد والتجديد والاتباع بإحسان، ومن مرحلة الإحساس إلى مرحلة الإدراك؛ ومن الإبصار للمقدمات إلى البصيرة للمآلات والعواقب، ومن تقديس التراث والافتخار

²¹⁵ انظر: المرجع السابق بشيء من التفصيل، ص: 27-36، وانظر أيضاً: النحلاوي، عبد الرحمن: أصول

التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة و المجتمع، ط1، دار الفكر - دمشق، ص: 45-68

به إلى استنطاقه ليجيب عن أسئلة الحاضر ويبصر بالمستقبل، من الغيبوبة في الماضي وعدم الرجوع إلى الحاضر.. من اتهام العقل ومحاصرته وتعطيل فاعليته ومحاولة لإلغاء وظيفته باسم الدين والتدين والانتصار لمعرفة الوحي، إلى إنعاش العقل وفك حصاره وإدراك وظيفته وإطلاقه في ميادين الاجتهاد والفهم الصحيح وتنزيل قيم الوحي على واقع الناس.. ومن ذهنية العنف والشدة والتعنت إلى ذهنية الحكمة والتعقل والمعرفة والمرونة... " 216.

أقول: إن الخلل والعقبة أمام إمكانية تحقيق هذه المعاني المنسية والمهمشة للوسطية الإسلامية بين أبنائنا الطلاب في المدارس والجامعات تكمن في فقدان تجربة نموذجية حية وواقعية متمثلة في مدرسة أو مؤسسة أو جامعة لها نظام تعليم بناء وفاعل، لأن الفاعلية المثمرة كما أشار إليها الخبراء: " تعني العمل على بلوغ أعلى درجات الإنجاز وتحقيق أفضل النتائج " 217. فدرجات الإنجاز وتحقيق أفضل النتائج العلمية في الجامعات العربية أمر فيه نظر؟ والدليل على ذلك أن ترتيب كل الجامعات العربية حسب التصنيف العالمي الأكاديمي للشنغهاي لعام 2014 لا تزال في المراحل المتأخرة و خارج قائمة أفضل 500 جامعة في العالم. اللهم إلا أربع جامعات في المملكة العربية السعودية جاءت في القائمة ومن ضمن أفضل الجامعات والحمد لله، و هذه نعمة كبيرة و أمر مشرف للعرب

216 حسنه، عمر عبيد؛ الثقافة المطلوبة حتى نكون في مستوى إسلامنا، المكتب الإسلامي، ط1، 2006،

بيروت، ص 60-64

Robert, Albanese; **Managing: Toward Accountability for** 217

Performance, 3rd ed, Homewood, Illions, 1981, pg:16

والمسلمين.²¹⁸ والعلماء يصفون الفاعلية عندما تكون المخرجات **Outputs** أو النتائج التي يحصلون عليها أكثر و أحسن من المدخلات **Inputs** أي الجهود والتكاليف البشرية والمادية التي استثمروها. والذي يحصل في المدارس والجامعات العربية تقريباً عكس ذلك، حيث ترصد لها ميزانيات ضخمة، ولكن للأسف نرى المخرجات **Output** لا تبشر بالخير.

وفي القرآن الكريم ترد الإشارة إلى المدخلات بأسماء متعددة، مثل (الوسع)، و (القوة)، و (الرباط)، قال تعالى: ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، [المؤمنون:62]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ﴾ [الأنفال: 60]. وهناك آيات كثيرة بهذا المعنى.

وأما المخرجات فيسميها القرآن الكريم (العاقبة)، وغالباً ما تأتي مقرونة ب (المتقين)، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، [هود:49]، أي إن العاقبة المباركة والموفقة ستكون للذين يتقون الاصطدام بأوامر الله وسننه وقوانينه في الحياة والكون ومسيرة التاريخ. وحين تبلغ الفاعلية أقصى درجاتها يطلق القرآن على أصحابها الذين يتصفون بهذه الصفة اسم (المفلحين)، والمفلح الذي يظفر بالمطلوب²¹⁹.

²¹⁸ انظر للتفصيل والمزيد قائمة الجامعات:

<http://www.shanghai ranking.com/ar/ARWU2014.html> (تم تصفح الموقع

بتاريخ 2014/12/5

²¹⁹ الكيلاني، ماجد عرسان: التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند المسلم المعاصر، ط1، 1997، مؤسسة

الريان، بيروت، ص 11

فأين جوانب ومظاهر الفلاح في المدارس والجامعات ومخرجاتها؟ أين النتائج المرجوة من الميزانيات المالية الضخمة المرصودة لتطوير العملية التربوية في الجامعات العربية؟ هل نحن مفلحون بهذا المعنى القرآني؟ هل نحن في أنظمتنا التعليمية اتقينا الاصطدام بسنن الحياة وقوانين الكون²²⁰؟ هل جهودنا التعليمية المبذولة كافية لتحقيق نتائج عالية؟ هل قمنا بإعادة النظر في المدخلات **Inputs** حتى نتظر المخرجات **Outputs** أفضل مما عليه حالنا اليوم؟

المبحث الثاني: واجب النهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً

لقد رأينا في المبحث الأول حالة المدارس والجامعات و الآن نقول: إن النهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً ودينياً هي الوظيفة الأساس لكل مؤسسة تعليمية وعلى رأسها وزارة التربية والتعليم، وأي تقصير من قبلهم في مجال النهوض على مستوى الأهداف المرسومة والمحددة من قبل الدولة يعتبر تقصيراً في الوظيفة. وأود في هذه المناسبة أن أعرج على ذكر بعض المنطلقات والدعوات فأقول:

- 1- انطلاقاً من دعوات وزراء التربية والتعليم في كل البلاد العربية على العمل بكل جد واجتهاد للارتقاء بمستوى التعليم نحو الأفضل.
- 2- وانطلاقاً من كلام أحد المرين عندما سئل عن مستقبل أمة ما، قال: أعطوني مناهج تعليمها لأنكلم عن مستقبلها.

²²⁰ الغزالي، محمد؛ سر تأخر العرب والمسلمين، دار القلم، دمشق، ط2، 2005، ص 11 - 21

3- وانطلاقاً من حقيقة أن ظاهرة تدني الأخلاقيات لدى المتعلمين تكلف الدولة أموالاً طائلة، إلى جانب أنها تسبب مشكلات دينية و إجتماعية وسياسية²²¹.

4- وانطلاقاً من مقاصد الشريعة الإسلامية وأهدافها العامة بالنهوض والرقي والتعلم والبحث عن أسباب الخلل و محاسبة النفس و مراجعة الفكر و إصلاح ما فسد منه، وجدنا أن المستوى الأخلاقي والسلوكي الفكري ليست على ما يرام و لا بشر بالخير. إذن؛ أين الخلل والداء؟ هل يعود إلى الطلاب أنفسهم أم إلى المناهج التعليمية أم إلى ضعف الأساتذة في الأداء والتربية والتعليم وعدم إخلاصهم في أعمالهم؟

جواباً على هذا السؤال نقول: إن خبراء التربية والتعليم يرون أننا إذا استطعنا إيقاف مضاعفة الحالة فهذا كسب عظيم²²²، لأنه ما لا يدرك جلّه لا يترك كله. إن القيام بالتحسين الأخلاقي سيضمن لنا بإذن الله:

- تقليل نسبة الانحرافات والجرائم²²³ التي بدأت تنتشر بشكل ملحوظ في الأوساط الطلابية وفي المجتمع نتيجة إهمال الأخلاق

221 انظر: بكار، عبد الكريم؛ عصرنا والعيش في زمانه الصعب، دار القلم، ط2، دمشق، 2004، ص 21-

38

222 يالجن، مقداد؛ سبل النهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً إلى مستوى أهداف الأمة، ص 10 - 25

223 هناك دراسة علمية في جامعة أم القرى من الباحث محمد علي عايض المعبدّي (رسالة ماجستير)

بعنوان: الخلفية التربوية والاجتماعية لمرتكبي الجريمة في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية - قسم التربية الإسلامية المقارنة، 1416 هـ، تحت إشراف الدكتور محمود محمد كسناوي، فارجع إليها إن شئت، انظر

والتربية الأخلاقية، ونتيجة لهذا الإهمال فقد حصل في بعض البلاد العربية الاعتداء على الأعراض في المدارس وقام الطلاب بحرق الفصول وضرب الأساتذة والإداريين²²⁴. ولهذا كان من حكمة تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتربيته تزكية النفوس وتطهيرها أولاً من كل الشرور والنيات والغايات السيئة، ثم تعليمها العلوم والحكمة.

- إن التقصير في الجانب الأخلاقي في أنظمتنا التعليمية سيجعلهم يتخلون عن التضحيات من أجل رفع مكانة الأسرة والمجتمع والدولة وينغمسون في الأهواء والملذات، لا تهمهم سوى المصالح الشخصية، فلا بد من تزكية نفوسهم من الرذائل الظاهرة والباطنة و كل ما يخل بالمرءة.
- إن غياب هذه الأهداف التعليمية العليا عن أذهان الطلاب وكثير من المعلمين يجعلهم يتعلمون غالباً لأغراض دنيوية بحتة، الحصول على الدرجات ثم الشهادات ثم الوظيفة، فتراهم يتألمون لفوت الدرجات ولا يتألمون لفوت الصلوات²²⁵، أو ممارسة السرقات والخيانات و نشر الرذائل و الموبقات.

موقع المركز الوطني لرصد الأبحاث العلمية للشباب في هذا العنوان:

<http://www.ksu.edu.sa/sites/ksuarabic/research/ncys/pages/c.aspx>

²²⁴ انظر: علوان، عبد الله ناصح: الشباب السلم في مواجهة التحديات، ط4، 2002، دار القلم، دمشق،

ص 35

²²⁵ انظر: يالجن، مقداد: التربية الإسلامية و الطبيعة الإنسانية، ط2، 2002، دار عالم الكتب، الرياض، ص

20- فما بعد

- ونتيجة للإهمال الأخلاقي فإننا أصبحنا نرى أنه قد انتشرت بين الطلاب بعض المظاهر والسلوكيات السيئة والمضرة، مثل تقليد غير المسلمين وتبني الأعراف والتقاليد الأجنبية الوافدة في الملابس والمأكل والمشرب والشكل والهيئة، اتباعاً للموضة الغربية والأمريكية، وارتداء البرنيطة أو القبعة أو لبس بنطلونات الجينز أو التدخين والشيشة²²⁶.. الخ. هذه الصور و ما أشبهها والمخالفة للشرع والمروءة تحتاج منا إلى إعادة النظر في تربية الأبناء .
- كما يتوجب علينا جميعاً تصحيح أخطائنا وتحديد²²⁷ العهد مع الله سبحانه وتعالى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القول والعمل والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.
- ولا ننسى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وقد عرف المربون الأخلاق بأنه علم الواجبات، إذ إنه يبين واجب كل إنسان إزاء الآخر وحقوقه، وإتقان الواجبات من الأخلاق وإهمالها مخالف للأخلاق و مخالفة لمعنى من معاني الوسطية ألا و هو الاتقان في العمل²²⁸.

²²⁶ حول المحرفات ومشكلات الشباب وأسبابها وعلاجها..انظر: بالعمش، فيصل سعيد وزملاؤه؛ الثقافة الإسلامية - المستوى الثالث، جامعة الملك عبد العزيز - مركز النشر العلمي، جدة، ط1، 2007، ص 193- 220

²²⁷ انظر: الكيلاني، ماجد عرسان: التربية و التجديد وتنمية الفاعلية عند المسلم المعاصر، ص 17-66

²²⁸ انظر أيضاً بحوث الخبير التربوي التركي الكبير والحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية: بالجن، مقداد؛ تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية، دار عالم الكتب، ط1، 2004، ص 33 - 45

● ولا ينبغي أن يغيب عن البال أن الريادة التكنولوجية لبعض الدول المتطورة إنما جاء نتيجة لنظام تعليمي تربوي صارم لا يعرف المحاباة، والمهتم بنشء الأجيال وتربيتهم وتعليمهم منذ الصغر، وكل من سار على الدرب وصل. حيث إن هذه المعاني الغائبة والمهمشة للوسطية عندنا رأيناها عندهم وقد أحسنوا فهمها ومن ثمَّ استخدامها، فكانت النتائج المرجوة من المدارس والجامعات لدى هؤلاء القوم على النحو الذي خطط لها مسبقاً. فهلا استفاد المسلمون من حسن طريقتهم في كيفية توظيف هذه المعاني الغائبة والمهمشة عندنا 229.

إذن؛ لا مناص ولا انفكاك من مراجعة أنظمتنا التعليمية والتربوية في المدارس الابتدائية والمتوسطة والجامعية، حتى نلحق بركب الدول المتطورة و لكي نخرج أجيالاً تدرك تلك المعاني المغيبة للوسطية في أبعادها المتعددة في المجال العلمي والفكري والثقافي²³⁰ والصناعي والابداعي، إذ من معاني الوسطية في القرآن الكريم كما أشار إلى ذلك بعض أهل العلم حفظهم الله²³¹ أيضاً: القوة، والتميز، والأمان والبعد عن الخطر، التوازن

229 الشميمري، أحمد بن عبد الرحمن؛ كيف تكون مدرساً ناجحاً - 300 نصيحة للمدرسين والمدربات، دار المجد، ط1، 1415 هـ الرياض - المملكة العربية السعودية، ص 20-40

230 مصطفى، مسلم وزميله؛ الثقافة الإسلامية - تعريفها - مصادرها - مجالاتها - تحدياتها، دار البشير - الإمارات العربية المتحدة - الشارقة، ط1، 2004، ص 261 - 277

231 القرضاوي، يوسف؛ الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، ط 10، 1997، ص 127 - 157، وانظر أعمال الندوة العلمية بعوان: الشباب الجامعي والتصدي للإرهاب، والتي عقدتها جامعة طيبة تحت رعاية كريمة لصاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة بتاريخ 1426/1/4 هـ، حيث كان من أهدافها: إبراز منهج الوسطية والاعتدال في الإسلام وموقفه من الغلو والتطرف، وتعزيز روح الانتماء الوطني لدى الشباب الجامعي، وتفعيل دور المؤسسات التربوية والاجتماعية في تحصين

والمركزية²³²، الاتقان، استقامة المنهج، والاعتدال²³³ أيّاً كان هذا المنهج الديني أو التعليمي أو التربوي.

وذكر فضيلة الشيخ الدكتور و المؤرخ الباحث الليبي المشهور محمد الصلابي معان جميلة للوسطية في رسالته العلمية الماجستير قول أحد الباحثين - و أنا أنقل منه لأنني لم أجد المصدر الأصلي الذي نقل منه - [" وقال فريد عبد القادر: استقر عند العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة (وسط) أرادوا معاني الخير، والعدل، والجودة، والرفع، والمكانة العلية. والعرب تصف فاضل النسب بأنه وسط في قومه، وفلان من واسطة قومه، أي: من أعيانهم، وهو من أوسط قومه، أي: من خيارهم وأشرفهم.."²³⁴] وحول المعاني المذكورة آنفا أرى من الفائدة العلمية ذكر كلام الأستاذ المفسر سيد قطب رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: (و كذلك جعلناكم أمة وسطا...)، حيث قال:

" وإنما للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي.. (أُمَّةٌ وَسْطًا) ... في التصور والاعتقاد... لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح

الشباب... الخ. راجع: بحوث الندوة على قرص CD موزعة على أعضاء هيئة التدريس في جامعة طيبة عام 2004م.

²³² هندي، صالح وزملاؤه؛ الثقافة الإسلامية، دار الفكر، عمان، ط2، 2000، ص 97 - 1007

²³³ انظر للمزيد: <http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/> الوسطية

²³⁴ انظر للتفاصيل رسالته العلمية المهمة عن الوسطية في موقع جامعة أم القرى - مكتبة الدكتور خليل الحديري القيمة والضخمة والمليئة بالمؤلفات العلمية المختلفة والمجانبة جزاه الله خيرا :

http://uqu.edu.sa/page/ar/116740#_ftn23

متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح... (أُمَّةٌ وَسَطًا) ... في التنظيم والتنسيق.. لا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهديب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب وتزواج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان... ولكن مزاج من هذا وذاك... (أُمَّةٌ وَسَطًا) ... في الارتباطات والعلاقات... لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا هم له إلا ذاته.. إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه... (أُمَّةٌ وَسَطًا)... في المكان.. في سرة الأرض، وفي أوسط بقاعها. وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعاً، وتشهد على الناس جميعاً وتعطي ما عندها لأهل الأرض قاطبة وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك وتتحكم في هذه الحركة مادياً ومعنويها على السواء... (أُمَّةٌ وَسَطًا) ... في الزمان... تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها. وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى وتزواج بين تراثها الروحي من عهود الرسالات، ورصيدها العقلي المستمر في النماء وتسير.. " 235

إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما مدى وجود: الإتقان والقوة والخيرية والتميز والتوازن بين الروحية والمادية والفردية والجماعية واستقامة المنهج والبعد عن الميل والانحراف... الخ، في أعمالنا تعلمنا وأفكارنا وأنظمتنا التربوية والتعليمية في المدارس والجامعات العربية؟ أقول: إن الجواب سيوضح إن شاء الله عند وقوفنا بالدراسة والمقارنة لنظام تعليمي تربوي لدولة أجمع العالم على ريادتها وإمامتها في الصناعة والتكنولوجيا والجد والاجتهاد والإبداع والعمل، لعلها تكون قدوة صالحة نفتدي بها ونستفيد منها، مما لا يتعارض مع عقيدتنا السمحة ومبادئ ديننا الحنيف؛ الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح، فما طاب من تلك الثقافات²³⁶ والحضارات فهي لنا أيضاً، وما خبت منها فهي ليست لنا²³⁷.

وأود أن ألفت انتباه السادة القراء إلى أنني أثناء عرض المقارنة وبيان تلك الأنظمة التعليمية لتلك الدولة لن أتطرق إلى بيان الحالة في المدارس والجامعات في الوطن العربي، إذ أن تلك الأنظمة العربية باتت معلومة لأغلب المربين والمدرسين من الأساتذة العرب وغير العرب العاملين بالجامعات العربية، وقد أشرنا إلى شيء منها إجمالاً في المبحث الأول، وإنما سأكتفي بالمقارنة بين النظام الياباني والعربي لكي يتضح من خلالهما حالة النظام التعليمي العربي، وبضدها تتميز الأشياء، لأنه كما يقول علماء الاجتماع والتربية؛ " إن حلقات السلوك الإنساني تبدأ في النفوس: أي

²³⁶ القرزاوي، يوسف؛ ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ط2، 2005، در الشروق، ص 53 - 78

²³⁷ بادحدح، علي وزملاؤه؛ الثقافة الإسلامية، دار حافظ، 1425، ط1، ص 89 - 106،

بحلقة الفكرة، ثم حلقة الإرادة، ثم تبرز منها الحلقة الثالثة حلقة الممارسة والإنجاز المحسوس. فإذا أصاب الخلل الحلقة الأولى امتدت آثار الخلل إلى الحلقتين التاليتين وأفرزت مضاعفتها في البطالة والعطالة والعجز والتخلف.. " 238.

ولعل هذا المعنى هو الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]. فالأمم الواعية إذا أحست بالخطر وعدم الفاعلية والإنجاز فعلمائها وخبرائها يقومون بتشخيص القيم الثقافية والنظم التربوية وتقديم الحل السليم للخروج²³⁹ من الأزمة.

وهذا ما فعلته بريطانيا حين رأت تفوق الألماني في الحرب العالمية الثانية، والولايات المتحدة الأميركية حين رأت تفوق الاتحاد السوفياتي سبقتها في النزول على سطح القمر، وهي تنظر أيضاً إلى التفوق الياباني في الميادين الصناعية²⁴⁰.

وبالنسبة للمسلمين العرب وغير العرب أيضاً فإن تجربة اليابان مهمة جداً، و يمكن أن نتساءل: لماذا تعنينا اليابان؟ ويمكن القول إن لدى المسلمين العرب دوافع خاصة لدراسة تجربة اليابان لأن اليابانيين قوم شرقيون مثلهم بدأوا مسيرتهم نحو التقدم من واقع العزلة والتخلف الصناعي

²³⁸ الكيلاني، ماجد عرسان: التربية و التجديد وتنمية الفاعلية عند المسلم المعاصر، ط1، 1997، مؤسسة

الريان، بيروت، ص 4

²³⁹ انظر: علوان، عبد الله ناصح؛ الشباب المسلم في مواجهة التحديات، ص 26 - 32

²⁴⁰ James J. Shileds; **Japanese Schooling: Patterns of Socialization, Equality and Political Control**, 3rd ed. The Pennsylvania State University Press, 1993, pg; 10- 15

والتكنولوجي، ولكن المسلمين يختلفون عنهم في بعض القضايا التاريخية. فحال المسلمين لم يكن صفرًا في تاريخهم كما كان حال اليابانيين. ولقد أتى على المسلمين حين من الدهر أنهم كانوا روادًا في العلم والمعرفة والحضارة قبل أن يتحولوا إلى ما هم عليه الآن. ويبدو لي أن استرجاع عجلة التقدم والريادة مرة أخرى أسهل بكثير ممن يريد أن ينطلق من الصفر. نسأل الله عز وجل أن يعيد إلى الإسلام والمسلمين عزهم ومجدهم²⁴¹.

المبحث الثالث: سر تفوق المدارس اليابانية والعوامل المساعدة لنهوضها

المطلب الأول: العوامل التاريخية والتربوية لتفوق المدارس اليابانية

لقد تساءل كثير من الخبراء والمراقبين والمحللين العرب والأجانب كثيرًا: ما سر تفوق المدارس اليابانية الابتدائية والثانوية والجامعية عن مثيلاتها لدينا؟ أجاب هؤلاء: إنها كلمة واحدة وهي «القيادة»²⁴². وعندما سئل إمبراطور اليابان عن أهم أسباب تقدم دولته في هذا الوقت القصير قال: "بدأنا من حيث ما انتهى منه الآخرون وتعلمنا من أخطائهم وأعطينا المعلم حصانة الدبلوماسية وراتب الوزير. وعندما سئل وزير التعليم

²⁴¹ الغزالي، محمد؛ سر تأخر العرب والمسلمين، ص 7 - 91، وانظر: المرصفي، سعد؛ الثقافة الإسلامية

وأثرها في تكوين الشخصية الإسلامية، دار اليقين، المنصورة، ط1، 2004، ص 151 - 163

²⁴² انظر الدراسة المنشورة حول هذه المسألة في:

الياباني السابق في لقاء صحفي: ما سر تقدم اليابان قال: " سر تقدمنا تربيتنا الأخلاقية.. " 243.

إن بداية تاريخ الازدهار الياباني يعود إلى عام 1868م، عهد الإمبراطور (موتسو هيتو) الذي بدأ حكمه في 1852/11/3م وكان شاباً ذكياً متفتحاً وسمي عهده بـ: العهد:(الميجي) أي عهد التنوير أو المستنير. وبواسطة هذا العهد تم إرساء قواعد نهضة اليابان الحديثة 244. وأهم فقرة في دستور هذا العهد هي الفقرة الخامسة التي تنص على أن التعليم : " سوف يجري العمل على جمع المعارف من شتى أنحاء العالم أجمع، وعلى هذا النحو سوف ترسخ الإمبراطورية على أسس متينة " 245.

ومع مرور الزمن، استقرت هذه المفاهيم في نظام تعليمي مركب، وأصبحت مناهج التربية والتعليم اليابانية اليوم من المناهج العالمية التي تنظر إليها وتحاول تقليدها الأمم الأخرى . ويتقاضى المعلم الياباني أفضل الرواتب بعد لوكسمبورغ و كوريا 246 وألمانيا وسويسرا ، كما أن الحكومة اليابانية

243 انظر: إدوارد، بوشامب؛ التربية في اليابان المعاصرة ، ترجمة الدكتور محمد عبد الحليم مرسي، مكتب التربية العربي للدول الخليج، الرياض، 1406 هـ، ص 32 - 33

244 See: Peak, Lois; **Learning to go to School in Japan** Berkely & Los Angeles, University of California Press, 1991

245 وتطبيق اليابانيين لهذا المبدأ، فإنهم طبقوا الحديث النبوي الشريف(الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها). بطريقة غير مباشرة رغم كونهم غير مسلمين. وهذا الحديث رغم كونه ضعيفاً جداً كما أشار إلى ذلك العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في كتابه: ضعيف سنن ابن ماجه، المكتب الإسلامي في بيروت، ط1، 1408 هـ، رقم الحديث 4159، إلا أنه قد استفاد اليابانيون منه كثيراً وخسر المسلمون في هذا العصر بعدم تطبيقها، والله المستعان وعليه التكلان.

246 انظر للتفاصيل: http://www.educationworld.net/salaries_jp.html

تم تصفح الموقع بتاريخ 2014/12/5

صنفت رواتب المعلمين حسب المؤهلات العلمية وسنوات الخبرة التجريبية
247.

إن حالة [الإدمان على العمل] لدى اليابانيين التي لاحظها الخبراء والمحللون تعود في جزء كبير منها إلى تأثير التربية التي ركز عليها نظام التعليم منذ الصغر. فقد وفرت هذه الجرعة المؤثرة شحنة مستديمة عند اليابانيين إلى درجة تجعلهم يخشون عدم العمل، ومن ثم فلا بد للأمة من خطة حضارية واضحة المعالم والغايات تتفق عليها الصفوة المثقفة والعقول الواعية مع الأجهزة الرسمية في الدولة.

وللأسف الشديد فإن حال الأغلبية الساحقة في أقطار العالم الثالث ومنها الأقطار العربية والإسلامية المعاصرة و لا سيما في الخليج العربي و نظرا لوفرة الموارد الطبيعية من النفط والغاز كان لها التأثير السلبي على عدم تبني ثقافة العمل وممارسة المواطن لكل صنوف الأعمال اليدوية والفنية؛ حيث إن ثقافة العمل لدى هؤلاء لا تتجاوز حدود الإدارة والتجارة. أما ممارسة الأعمال اليدوية والمهنية والفنية الأخرى مثل ميكانيكا السيارات و إصلاح الشبكات الهاتفية والانترنت والعمارة والنجارة وبناء الطرق والجسور.. الخ.. تكاد تكون معدومة في وقتنا الحاضر لدى الشباب الخليجي... اللهم إلا حالات نادرة و بنسب قليلة ومتفاوتة. والدليل على هذا النسبة العالية للعمالة الآسيوية الوافدة ذات مهارات محدودة وضعيفة.

²⁴⁷ انظر للتفصيل رواتب الأساتذة في بعض بلدان العالم في الجدول

هذا الوضع الحالي هو خلاف ما كان عليه آباؤهم و أجدادهم، و هذا أيضا خلاف لمعنى مهم من المعاني المنسية للوسطية القرآنية؛ ألا و هو العمل المتقن والتميز. و هذه الثقافة الحالية تفرض على الإنسان أن ينصت من غير مناقشة وينفذ ما يؤمر من دون مساءلة عن الصواب والخطأ والفضيلة والرذيلة طبقاً لمقياس: ماذا سيقول الناس؟ وهذا يدخل في باب (العجز عن رؤية الذات)، ويرى خبراء التربية أن أصحاب هذه العادة لا يرون أنفسهم إلا من خلال رؤية الآخرين لهم (المرآة الاجتماعية). إذن، فمشكلة المسلمين العرب عموماً والمدارس والجامعات العربية هي أنهم في الوقت الراهن يفتقرون إلى ضوابط ومعايير شخصية مستقلة. فتري لديهم نوعاً من الاضطراب وعدم الثقة بالنفس والقيم التي يمتلكونها! لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فهم في الوقت الراهن ضحايا لتقييم الآخرين لهم. بينما لو فطن هؤلاء وأنهم لو عادوا إلى القيم الإسلامية لتحقيق معايير الوسطية القرآنية الحققة، تلك المعاني المنسية أو المغيبة؛ بالجد والاجتهاد والالتقان والعدل والتميز لكانوا أسوة حسنة للآخرين في كل المجالات، بل وحتى للاعتماد الأكاديمي العالمي، ولم يكونوا يحتاجون إلى المنظمات العالمية لتقييمهم مثل منظمة ساكس (SACS) Sothern Association of Schools and Colleges، أو التصنيف الصيني في شانغهاي و غيرهم²⁴⁸.

²⁴⁸ للتفاصيل انظر: <http://www.shanghai ranking.com> ، <http://www.sacs.org>

(تم تصفح الموقع بتاريخ 2014/12/5)

المطلب الثاني: العوامل الطبيعية والنفسية التي ساهمت في نهوض اليابان

يرى المحللون والخبراء أنه قد تضافرت مجموعة من الظروف التاريخية والجغرافية التي دفعت بالتجربة اليابانية إلى النجاح، حيث أعطت الجغرافيا لليابان خصائص فريدة. فخمس مساحتها لا يصلح للاستغلال، كما يصعب أن يعطيهم الإنتاج الزراعي الكافي لحاجتهم، فلجؤوا إلى زراعة كل أرض فضاء في المدن المهدامة كي يحصلوا على لقمة العيش. و يرى هؤلاء أن هذه الطبيعة أعطت اليابان القدرة على العمل الشاق قرنا بعد قرن وحقبة بعد أخرى، حتى أصبح لدى الياباني [أخلاقيات عمل] يصفها بعض الخبراء بأنها (أكثر أخلاقيات العمل عمقًا وأصاله في العالم كله). كما أن هذه الجزر الممتدة بموقعها الجغرافي المعروف الذي يعرضها إلى أكثر الأعاصير والهزات الأرضية عنفًا، جعلت لسكانها سمة هي قدرتهم على (التكيف السريع). كما أن الذات الجماعية لدى اليابانيين ملحوظة، والعمل كفريق سمة من سمات شخصيتهم الوطنية²⁴⁹.

واليابان تقع في شرق القارة الآسيوية، وتتكون من سلسلة من الجزر (حوالي أربعة آلاف جزيرة) تمتد بين الشمال والجنوب على شكل أرخبيل طوله 3000 كم، أربع منها رئيسية (هونشو Honsu - شيكوكو Shikoku - كيوشو Kyushu - هوكايدو Hokkaido)، ويبلغ

²⁴⁹ راجع هذه الكتاب عن اليابان و الثقافة والشخصية اليابانية - http://japan-saito.blogspot.com/2008/03/blog-post_1867.html

إجمالي تعداد سكان اليابان حوالي 127 مليون نسمة، وهي بذلك تعتبر سابع دولة أكثر تعدادًا بالسكان، عاصمتها طوكيو. ويشكل اليابانيون حوالي 99,4% من السكان، والكوريون 0,5%، وما تبقى وقدره 0,1% من الجنسيات المختلفة. يعيش أكثر من 79% من السكان في المدن الكبرى، والباقي في القرى والأرياف. ويعمل 35% من السكان في الصناعة، بينما يعمل 27% منهم في الزراعة، وهناك ما يقرب من 700 ألف صياد يعملون في مهنة صيد الأسماك، ويمكن تلخيص عوامل النهضة في اليابان من خلال النقاط التالية:

أولاً: الشخصية اليابانية

فالشخصية اليابانية منضبطة، تقدر الوقت، وتحترم النظام، وتبدع من ضمن الفريق الواحد، وتلتزم وبشدة بآداب التعامل، وأخلاقيات المتاجرة رفيعة وموصوفة بالصدق والأمانة²⁵⁰. وهناك إحساس عام بالأمن والأمان في اليابان لتوافر الوظيفة المنتجة والتأمين لمعظم الخدمات الاجتماعية. وهذه الأخلاقيات نابعة من الاهتمام بالبرامج التعليمية المتعلقة بالأخلاقيات والسلوك للمواطن منذ الصغر في البيت والمجتمع والمدرسة. كما أن محاسبة القانون صارمة للمخالفين. ولا يرحم القانون الياباني الغني أو الفقير، الوزير

²⁵⁰ و قد لاحظت هذه الآداب والأمانة في التجارة والعمل المهني بنفسني عندما زرت اليابان وشاركت في مؤتمر عالمي بورقة علمية في مدينة أوساكا و كيوتو عام 2013 والذي نظمه المنتدى الأكاديمي العالمي. لقد رأيت بأم عيني تلك المعاني المنسوبة عن الوسطية القرآنية مجسدة في سلوكيات وأخلاقيات الشعب الياباني.

أو الغفير، فحينما تكتشف المخالفات، تدرس أسباب حدوثها، ويحاسب مرتكبوها، وتمنع تكررها²⁵¹.

ثانياً: احترام كلام الحكماء والفلاسفة في الالتزام بالقيم الأخلاقية

فالقيم المجتمعية اليابانية تفرض على الشخص الاعتذار. لذلك يعتذرون ويعترفون بأخطائهم في معظم الأحيان. وفي عام 1989م نجح اليابانيون في مراجعة البرامج التعليمية وتطهيرها من القيم الفردية المستوردة، وأضيفت برامج السلوك والأخلاقيات بصيغة متكاملة على أن تراجع كلياً كل عشر سنوات.

وقد أدخلت مادة السلوك والأخلاقيات بتناغم في جميع المواد المدرسية ونشاطاتها. وهذه الأفكار هي نتاج الكونفوشيوسية. فالفلسفة الكونفوشيوسية تنادي بالولاء المتناهي للحكام، وكذلك الولاء بين الرئيس والمرؤوس، والسيد والخادم، والأب والابن، والكبير والصغير، وهكذا. كما تدعو إلى طلب العلم والمعرفة والحكمة.

اليابانيون تحركهم إرادة عنيدة نحو التقدم ويتملكهم حب كل ما هو جديد، ويتمتعون بقدرة على العمل الذي لا يعرف الكلل في سبيل النجاح وبنظام وارتباط مدهشين...، ألم يحن الوقت للاستفادة من تلك التجربة؟ ألم يحن

251 انظر للمزيد المقال المهم بعنوان: سر نجاح تجربة الإدارة اليابانية من منظور الفكر

الإسلامي: http://www.707077.com/show_articles.php?no_articles=49

الوقت لكي نصحو من غفوتنا.. تلك الغفوة التي طالت كثيراً كثيراً.. .
فهلا استفاد المسلمون من هذه التجربة الحية والواقعية؟! ²⁵²

²⁵² انظر للمزيد المراجع السابقة على صفحات الانترنت عن خصائص التعليم الياباني .

الفصل الثاني: الأهداف والخصائص التربوية في التعليم الياباني، خصائص التعليم، صور من المدارس الابتدائية والثانوية

المبحث الأول: الأهداف والخصائص التربوية في التعليم الياباني

لقد وضع الخبراء اليابانيون جملة من الأهداف التعليمية للطلاب الياباني يجب تحقيقها أثناء كافة المراحل الدراسية، منها؛ النمو الكامل لشخصية الفرد من أجل رفعة الأفراد وتقدمهم، تنمية حب الحقيقة والعدالة، تقدير قيمة الآخرين، احترام العمل وتعميق شعور تحمل المسؤولية، الاعتماد على النفس والاستقلال، تنمية الثقافة من خلال الاحترام المتبادل والتعاون لإنشاء مجتمع آمن ومسالماً²⁵³.

ولتحقيق هذه الأهداف، فقد نسقت وزارة التربية والتعليم مع السلطات التنفيذية الحكومية لتبني قانون يرغم أولياء أمور الأطفال على إرسال أبنائهم إلى المدارس لإكمال تسع (9) سنوات من التعليم الأساس.

253

http://www.ibe.unesco.org/fileadmin/user_upload/archive/Countries/WDE/2006/ASIAand the_PACIFIC/Japan/Japan.pdf

وانظر: التربية في اليابان المعاصرة، ص 32 - 33، وانظر: التعليم الياباني والتعليم الأمريكي، ص: 43 - 54، وانظر بحوث الندوة العالمية حول أهداف تعليم البنات في اليابان في:

<http://home.hiroshima-u.ac.jp/cice/JEF2report1e.pdf>

وانظر أيضاً:

http://www.studyinjapan.org.my/04_study/04_study2_qna.html

وأكد القانون على أن الأهداف الدينية ومكانة الدين في الحياة الاجتماعية سوف تحترم في الأنشطة التربوية، غير أن المدارس بحكم القانون تحجم أية تربية دينية لدين معين.

أولاً: المركزية واللامركزية في التعليم

نشرت سفارة خادم الحرمين الشريفين بطوكيو دراسة مهمة عن التعليم الياباني ونحن نقتطف منها فقرات للأهمية:

"تتميز اليابان بشكل عام بمركزية التعليم، أو نستطيع القول إن نظام تعليمها يغلب عليه طابع المركزية. ومن إيجابيات هذا المبدأ في التعليم توفير المساواة في التعليم ونوعيته لمختلف فئات الشعب على مستوى الدولة، بغض النظر عن المقاطعة أو المحافظة التي وُلد فيها التلميذ أو الطالب، وبذلك يتم تزويد كل طفل بأساس معرفي واحد سواء كان في شمال اليابان أو جنوبها أو وسطها وبغض النظر عن الحالة الاقتصادية لهذه المنطقة، حيث تُقرر وزارة التعليم اليابانية الإطار العام للمقررات الدراسية في المواد كافة بل ويُفصّل محتوى ومنهج كل مادة وعدد ساعات تدريسها، وبذلك يتم ضمان تدريس منهج واحد لكل فرد في الشعب في أي مدرسة وفي الوقت المحدد له. والوزارة مسئولة عن التخطيط لتطوير العملية التعليمية على مستوى اليابان، كما تقوم بإدارة العديد من المؤسسات التربوية بما فيها الجامعات والكليات المتوسطة والفنية..." 254

ثانياً: روح الجماعة والعمل الجماعي والنظام والمسؤولية

"....يركز النظام الياباني للتعليم على تنمية الشعور بالجماعة والمسؤولية لدى التلاميذ والطلاب تجاه المجتمع بادتاً بالبيئة المدرسية المحيطة بهم، مثل المحافظة على المباني الدراسية والأدوات التعليمية والأثاث المدرسي وغير ذلك. فمن المعروف عن المدارس اليابانية المحافظة على نظافة المدرسة، فأول شيء يُدهش زائر المدرسة اليابانية، وجود أحذية رياضية خفيفة عند مدخل المبنى المدرسي مرتبة في خزانة أو رفوف خشبية يحمل كل حذاء اسم صاحبه، حيث يجب أن يخلع التلاميذ أحذيتهم العادية وارتداء هذه الأحذية الخفيفة النظيفة داخل مبنى المدرسة. وهذه العادة موجودة في معظم المدارس الابتدائية والمتوسطة وكثير من المدارس الثانوية أيضاً. ومن الشائع في المدارس اليابانية أيضاً، أن يقوم التلميذ عند نهاية اليوم الدراسي بكنس وتنظيف القاعات الدراسية بل وكنس ومسح الممرات بقطع قماش مبللة. بل وأكثر من ذلك غسل دورات المياه وجمع أوراق الشجر المتساقط في فناء المدرسة والقمامة إذا وجدت!. وكثيراً ما ينضم إليهم المدرسون في أوقات معينة لإجراء نظافة عامة سواء للمدرسة أو للأماكن العامة أيضاً مثل الحدائق العامة والشواطئ في العطلة الصيفية، وذلك بدون الشعور بالضجة سواء من التلاميذ أو المعلمين. بالإضافة إلى ذلك يقوم الأطفال بتقديم الطعام للحيوانات أو الطيور التي تقوم المدرسة بتربيتها حيث إنه لا توجد شخصية «الحارس» أو «الفرّاش» في المدارس اليابانية ولا يوجد عمال نظافة، ولذا يأخذ التلاميذ والطلاب والمعلمون على عاتقهم تنظيف

المدرسة وتحميل مظهرها الداخلي والخارجي... وهذا النظام لا يعوّد التلاميذ الروح الجماعية فحسب، بل القيادة التي تتجلى أيضاً في تعيين شخصية مراقب الفصل أو رائده والذي يقوم في وقت غياب المدرس بتهيئة الفصل وتنظيمه وحل مشكلاته بما فيها مشاكل التلاميذ فيما بينهم. ثم أخيراً في نهاية اليوم الدراسي يقوم التلاميذ بعقد جلسة جماعية حيث يجتمعون ويسألون أنفسهم فيما إذا كانوا قد أتموا عملهم اليوم على أكمل وجه أم لا ؟ أم أن هناك قصوراً فيما قاموا به من أعمال ؟ أو هل كانت هناك مشاكل ما ؟ وبلا شك، إن هذه الطريقة في التعليم تستهدف روح الجماعة وتحمل المسؤولية والالتزام والقيادة، كما تشكل أيضاً قوة نفسية رادعة لكبح جماح السلوكيات الاجتماعية غير اللائقة تجاه المجتمع والغير...²⁵⁵

ثالثاً: الجِدُّ والاجتهاد أهم من الموهبة والذكاء

".... يُركز اليابانيون على مبدأ « الجِدُّ والاجتهاد أهم من الموهبة والذكاء الفطري للطفل » وهو على عكس ما هو معروف في كثير من الدول، ويتضح ذلك أيضاً من كثرة استخدامهم كثيراً للكلمات التي تدل على الاجتهاد والمثابرة باللغة اليابانية مثل كلمة: "سأبذل قصارى جهدي ganbarimasu"، "سأعمل بكل جدية" isshookenmei "yarimasu". فالطلاب اليابانيون يؤمنون بنصح مدرسيهم وآبائهم بأن

²⁵⁵ عمري إن هذه المعاني المنسية و المغيبة للوسطية الإسلامية (العمل الجماعي والفردي - الاتقان - القوة - النظام - النظافة) الواردة في الكتاب والسنة لجديرة أن تكون حاضرة و حية في المدارس العربية والإسلامية ولدى أبناء المسلمين للخروج من هذه الأوضاع المؤلمة أكاديميا و تربويا وعلميا...انظر للتوسع المرجع السابق

النجاح بل والتفوق يمكن أن يتحقق بالاجتهاد وبذل الجهد وليس بالذكاء فقط، فالجميع سواسية وخلقوا بقدر من الذكاء يكفيهم. فكل شخص يستطيع استيعاب ودراسة أي شيء وفي أي مجال وتحقيق قدر كبير من النجاح فيه من خلال بذل الجهد. ولذلك يستطيع الطالب أن يدرس أي مقرر دراسي حتى ولو كان لا يتناسب مع ميوله طالما توفرت العزيمة على بذل الجهد والمثابرة. فالنجاح والتفوق لا يتحددان باختلاف الموهبة والذكاء ولكن بالاختلاف في بذل الجهد... ويُعتبر الطلاب اليابانيون من أكثر الطلاب في العالم إقبالاً على الدراسة، لأنهم تعلموا أن السبيل للوصول إلى وظيفة مرموقة هو الاجتهاد وبذل الجهد والمثابرة للقبول بمدرسة ثانوية مرموقة ومميزة ومن ثم جامعة مرموقة أيضاً. وهذا يؤكد مدى المثابرة والجد في تحقيق ما يصبو إليه الطالب. ويؤكد أيضاً المقولة اليابانية الشهيرة: yontoo goraku «أربع ساعات نجاح، خمس ساعات رسوب» أي «أربع ساعات نوم تعني النجاح، بينما خمس ساعات نوم تعني الرسوب» أي لتحقيق النجاح لا ينبغي النوم أكثر من أربع ساعات في اليوم... " 256

رابعاً: الكم المعرفي وثقل العبء الدراسي

"...ومن المعروف أن نظام السنة الدراسية اليابانية يختلف عن معظم دول العالم حيث تبدأ الدراسة في الأول من شهر أبريل الميلادي وتنتهي في

واحد وثلاثين مارس من العام التالي. ويعتبر عدد الأيام الدراسية وعدد الساعات في السنة أطول عددًا مقارنة بأي دولة أخرى، حيث يبدأ اليوم الدراسي عادة للطلاب من الساعة الثامنة صباحًا حتى الساعة الرابعة تقريبًا، أما المعلمون فعملهم حتى الساعة الخامسة ولكنهم يظلون في عملهم حتى السادسة والسابعة مساءً. بالإضافة إلى ذلك تقل عدد العطلات التي تنقسم إلى عطلة الربيع والتي لا تزيد على عشرة أيام، وكذلك نفس المدة لعطلة بداية السنة الميلادية، ثم العطلة الصيفية التي تتراوح من أربعين يومًا حتى الشهر والنصف...وعلاوة على ذلك يقوم طلاب المدارس بالذهاب إلى المدرسة أثناء العطلة الصيفية لبعض الأيام تبعًا لبرنامج محدد مسبقًا، بالإضافة إلى تكليفهم بالقيام بواجبات ومشروعات تتطلب منهم جهدًا ليس بالقليل أثناء العطلة. كما يمارسون طوال العطلة نشاطات رياضية مثل السباحة وغيرها بالمدرسة بشكل منتظم حسب برنامج العطلة المحدد مسبقًا من قبل المدرسة....".

خامسًا: الحماس الشديد من الطلاب وأولياء الأمور للتعليم وارتفاع
المكانة المرموقة للمعلم

" فقد ركز الصينيون منذ القدم على أهمية التعليم، حيث كانت قوة الحكام قديمًا تقاس بما يتمتعون به من علم ومعرفة، وكان اختيار كبار موظفي الدولة أيضًا على أساس ما يتمتعون به من معارف. وهذه الأفكار هي نتاج الكونفوشيوسية للفيلسوف الصيني «كونفوشيوس»، وهي فلسفة

أكثر منها ديانة ولكنها تأخذ طابع الطقوس الدينية قليلاً. وقد تأثرت بها الصين وكوريا واليابان أيضاً. وترکز هذه الفلسفة على نظام اجتماعي على أساس قواعد أخلاقية يحكمه حكام ذوو علم ومعرفة وخلق كريم، ويكون الولاء لهؤلاء الحكام والآباء ومن في حكمهم هو دعامة هذا النظام. كما تؤكد هذه الفلسفة النظام العقلاني للطبيعة وأهمية العلم والمعرفة والجد في طلبهما والعمل الشاق. وقد تكون هذه المفاهيم هي التي تقف وراء حماس الياباني الشديد تجاه العلم والمبادئ الأخلاقية أيضاً..²⁵⁷

لقد اتضح لنا مما سبق عن خصائص النظام التعليم الياباني جملة من تلك المعاني الغائبة والمهمشة للوسطية في مدارسنا وجامعاتنا العربية من حيث: القوة والمركزية والالتقان والأمان والتميز. وعلاوة على ما ذكر ، فقد ذكر الخبراء والمحللون أن النظام التربوي الياباني أيضاً:

1. يستمد أهم مقوماته من طبيعة مجتمعه وروح أمته.
2. يستمد نخضته الحديثة من جذوره ومؤسساته وتقاليده المتأصلة والقائمة.
3. يعد التعليم في اليابان خدمة وطنية عامة وواجباً قومياً يتجاوز أي جهد فردي أو فئوي خاص، وأنه في مناهجه ومقرراته وتوجيهاته يمثل عامل التوحيد الأهم لعقل الأمة وضميرها منذ

²⁵⁷ انظر للتفصيل و المزيد الدراسة المفصلة المنشورة في:

مراحل التعليم الإلزامية الأولى، إذ لا يسمح فيه بتعددية المناهج والفلسفات التربوية.

4. لم تأخذ اليابان بالنزعات الليبرالية والسيكولوجية الغربية بل ظلت متمسكة بقيم الانضباط الموحد في الفكر والسلوك رغم الضغط المعاكس من الاحتلال الأمريكي ورغم النقد الغربي لها.

5. نقطة القوة الأساس في النظام التربوي الياباني ليست جامعاته، بل معاهده التقنية المتوسطة التي تمثل عموده الفقري، والممارسة العملية التدريسية، هي أهم وأبرز واجبات الياباني منذ طفولته عندما يقوم بتنظيف صفه ومدرسته إلى ما بعد تخرجه عندما يبدأ من جديد التدريب الوظيفي في برامج إجبارية قبل أي منصب ثابت.

6. استطاعت اليابان أن تمنح فرصة التعليم للجميع لتزويد الأمة بالأيدي العاملة المتعلمة لكنه اقتصر في مستوى القمة على القلة الممتازة عقليًا والمتفوقة في مواهبها لتخريج النخبة القيادية والقادرة على مواجهة التحديات.

7. لم تتأثر اليابان ولم تنبهر باللغات الأجنبية²⁵⁸، وحسمت معركة اللغة تعليميًا وحياتيًا منذ البداية. فمن المعروف أنه لا يمكن لأمة أن تبذل علميًا إلا بلغتها الأم، ولا يستمع العالم لأمة تتحدث

258 وهذا بخلاف ما شاهدناه و نشاهده في الوطن العربي و دول الخليج للأسف الشديد حيث ترى لدى أغلب شرائح الناس في المجتمع و في المؤسسات التعليمية لدى الإداريين والطلاب والطالبات أنهم يفضلون اللغة الإنكليزية على اللغة العربية في المحادثة، بل تجدهم يفتخرون بذلك و يحظى المتحدث باللغة الإنكليزية احترامًا و تأييدًا عظيمًا!؟ انقلاب في المعايير و تجرد من الهوية الدينية وانسلاخ من الثقافة العربية والإسلامية.

بلغة غيرها. إن انفتاح اليابان على الحضارات والثقافات الأخرى كانت منضبطة، فهي استفادت من الحضارات الأوربية أو الأمريكية ولم تتخلى عن عاداتها وتقاليدها.

8. تعد مهنة التدريس من المهن المرعبة اقتصادياً، فمن بين خمسة يابانيين يتقدمون لمهنة التدريس يفوز واحد منهم فقط بشرف المهنة وامتيازاتها المعيشية. وقد أدى ذلك إلى الحفاظ على مستوى نوعي متفوق للتعليم الياباني، أدى بدوره إلى تنمية نوعية العملية التربوية بأسرها.

البحث الثالث: إيجابيات وسلبيات النظام التعليم الياباني

المطلب الأول: من الأخلاقيات الإيجابية للتلاميذ والمعلمين في اليابان

لا توجد مقاصف في المدارس اليابانية ولكن يوجد مطبخ فيه أستاذة تغذية وعدد من الطاهيات حيث يتناول التلاميذ وجبات طازجة تطهى يوميا في المدرسة ويقوم التلاميذ بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات إحداها تقوم بتهيئة القاعة الدراسية لتناول الطعام والثانية تقوم بإحضار الطعام من المطبخ والثالثة تقوم بتوزيع الطعام على التلاميذ بعد ارتداء قبعات وملابس خاصة بذلك.

منذ السنوات الأولى للدراسة يتولى الأطفال المسؤوليات المختلفة، فيتبادل الأطفال فيما بينهم وبشكل دوري وظيفة مراقب الفصل المنوط به تحقيق النظام في الفصل وجمع الطلبة ومناقشة أي مشاكل مدرسية تخصهم وذلك ليتعلموا فن القيادة . لكل طالب أدواته الخاصة، حيث يقوم الطلاب بتنظيف أسنانهم بعد كل فسحة . كما أن الفصول مليئة بوسائل الإيضاح والشعارات المبهجة مثل : " سنبدل وسعنا في كل شيء" ، " كن نشيطاً ومرحاً وودوداً ومعيناً للآخرين " .

ولعلنا من خلال الجدول التالي نوضح المقارنة بين نظامي التعليم مختلفين لتظهر لنا حقيقة نظام الجامعات العربية. في الوقت الحالي عندما يدخل المدرس إلى الفصل يقف جميع الطلاب وينحنون احتراماً كبيراً ثم

يقول الطلاب عبارة : " يا معلمنا نرجو أن تتفضل علينا وتعلمنا " ، وهو رجاء يفوق الاحترام العادي له معنى أدق وأعمق في المبالغة في الاحترام، ولهذا يعتبر فخرياً يطلق على الأطباء وأعضاء البرلمان . وذكر المراقبون والخبراء أن لدى التلاميذ البايانيين جلسة تسمى ب: جلسة الاعتراف، أو المحاسبة النفسية أو الجماعية، حيث يراجع التلاميذ يومهم بشكل دقيق، ويطرح قائد جماعة التلاميذ هذه الأسئلة:

1. هل قمنا بعملنا على ما يرام اليوم؟ فيجيب الآخرون: ب: نعم، أو: لا
2. فيرد القائد: وهل أحسنا استخدام وقتنا تماماً؟ فيجيب التلاميذ ب: نعم، أو: لا
3. ويختتم رائد الفصل قائلاً: وهل أعدنا كل الأدوات إلى أماكنها ؟
4. يجيء الرد بالإيجاب أو السلب، و في الغالب يكون الرد من التلاميذ إيجابياً .

وهذا؛ إي و ربي هو عين الاتقان وعين الجودة في العمل والأداء، و عين الإسلام وروحه وتشريعه؛ محاسبة النفس و مراجعة العمل و نقد الذات أمر مطلوب في الشريعة الإسلامية... و هذه من معاني التوبة الصادقة والتوبة النصوح، وهي من الأبعاد الفكرية والنفسية والاقتصادية للتوبة. وهذا المعنى المهم للوسطية يكاد يكون منسيا و مغيبا في المدارس والجامعات العربية. أدرك حقيقتها وقيمتها والتزموا بها اليابانيون وغفل عنها المسلمون. إن هذا لشيء عجاب!؟

ويعتمد النظام المدرسي الياباني على التقليل من الشعور بسلطة المعلم مع الإبقاء على احترام الطلاب له بشكل هائل، فالأصوات والضحكات

داخل المجموعات عالية دون أن يضايق ذلك المعلم. ويذكر الخبراء والمحللون أن دور المعلم في اليابان في مختلف المراحل الدراسية ينال من اهتمام اليابانيين وإعجابهم وحماسهم له، ومدى تقديرهم له. فالمعلمون يحظون باحترام وتقدير ومكانة اجتماعية مرموقة. ومن الشائع والمعتاد بالنسبة للمعلمين اليابانيين زيارة الطلبة في منازلهم، ويتواصل المعلمون وأولياء الأمور أو الوالدان من خلال إبداء ملاحظاتهم عن الاختبارات والواجب المنزلي، والسلوك الذي يبديه الطلبة²⁵⁹.

المطلب الثاني: من سليات النظام التعليمي في اليابان

بعد إلقاء هذه النظرة على أهم ملامح نظام التعليم في اليابان نجد أن هذه المميزات التي شكلت هذا النظام التعليمي والذي يعجب به الجميع، يشكل عيباً أيضاً لدى بعض الباحثين والأساتذة الأمريكيين العاملين في المؤسسات التعليمية اليابانية. و هذا أمر واضح ولا حرج في ذلك، ونحن تعلم أن البشر مهما تقدموا و أبدعوا فإنهم يسبحون في فلك القدرات البشرية التي تعثرها النقص، وإنما الكمال المطلق لله رب العالمين وحده لا شريك له. ويروى عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: " رضا الناس غاية لا تدرك "، وهكذا شأن النظام التعليمي الياباني لا يمكن أن يسلم من

259 انظر للمزيد بعض المقالات الإنكليزية من الباحثين والأساتذة الأمريكيين الذين يعارضون و ينتقدون التعليم الياباني: [http://www.ascd.org/publications/educational-](http://www.ascd.org/publications/educational-leadership/apr93/vol50/num07/Japanese-Education@-No-Recipe-for-Authentic-Learning.aspx)

leadership/apr93/vol50/num07/Japanese-Education@-No-Recipe-

for-Authentic-Learning.aspx (تم تصفح الموقع بتاريخ 2014/12/5)

بعض العيوب والمآخذ، لأنه في نهاية المطاف نظام من صنع البشر وليس من صنع رب العالمين، و يمكن ذكر هذه العيوب في النقاط الآتية:

- 1- مثل شدة المركزية والتركيز على المعرفة والحفظ.
- 2- ثقل الأعباء الدراسية وجحيم الاختبارات للالتحاق بالمدارس الثانوية المرموقة ومن ثم إلى الجامعات الكبرى المرموقة التي توفر فرصاً مرموقة للعمل.
- 3- إن معدل الرسوب يتزايد (من 2,5 % في عام 1995 إلى 3% في عام 1996 في أوساكا).

4- حالات الانتحار في ازدياد بسبب الفشل الدراسي من بعض الطلاب وتنافسهم الشديد للالتحاق بالجامعات المرموقة²⁶⁰.

إذن، يمكن أن نقرر أن هذا النظام التعليمي البشري الياباني مهما ارتقى وتفوق إلا أنه يظل في حدود وإطار القدرة الإنسانية القاصرة عن بلوغ الكمال المطلق، فعلى المسلمين التركيز على الجوانب الإيجابية والمشرفة من هذا النظام والتجنب من جوانبه المظلمة، مثل حالات الانتحار بسبب الفشل أو الرسوب، وهذا لا يعني أن الإنسان إذا فشل في جانب معين أن يكون فاشلاً في جانب آخر ! و أن المسلمين يدركون و يعتقدون بأنه إذا ما سُدَّ باب للرزق فقد يفتح الله باباً أو أبواباً أخرى للرزق، فتنبّه إلى هذه الحقيقة حفظك الله، والله أعلم.

²⁶⁰ انظر بشيء من التفصيل المراجع السابقة، وانظر أيضاً:

الفصل الثالث: المعاني المغيبة للوسطية في المدارس والجامعات العربية - جدول مقارنة بين التعليم الياباني والعربي

المبحث الأول: مجالات اختلاف التعليم في اليابان

أثناء عرضنا هذه المقارنة نقصد إظهار الحالة التعليمية والنظم التربوية في المدارس والجامعات العربية دون التعرض لبيان تفاصيلها كما ذكرنا سلفاً، لأن الأنظمة التعليمية العربية باتت معلومة للقاصي والداني، إذن فلا داعي لعرضها هنا، والله أعلم.

وفي هذه الدراسة المقارنة سأحاول ذكر أهم الأوجه عموماً لكي أقف على حقيقة التعليم الياباني والعربي، وبالنظر إلى هذين النظامين يتضح النظام التعليمي في الوطن العربي والإسلامي، ولعلي أكون قد وفقت لبيان النموذج الصالح لاتباعه ولو شيئاً يسيراً منه أو الاستفادة الجزئية منه لوطننا العربي وجامعتنا العربية، لأنه ثبت بالتجربة مما لا يدع مجالاً للشك أن لدى الكثير من الدول الغربية تطبق مبادئ ديننا الحنيف ولكن بقالب آخر، مثل العدالة الاجتماعية، والحقوق الإنسانية العامة، والحرية الشخصية، وآداب الحوار، وإتقان العمل، والالتزام بالمواعيد... الخ، فالمسلمون في الوقت الراهن تنقصهم هذه النماذج الحية والملموسة لكي يصحوا من غفلتهم. إن الفئة المستهدفة من هذه المقارنة هي الجامعات العربية والإسلامية، بالتالي فنحن لن نتعرض إلى تفاصيل ذكر الأنظمة التعليمية في الوطن العربي، لأن أغلب

الحاضرين أو المشاركين في هذا المؤتمر المبارك على علم بها. فنقول وبالله
التوفيق والهداية:

المعاني المغيبة والمنسية		النظام التعليمي الياباني	
أفكاره و قيمه تقوم على احترام نسي و ليس الكلي لمبادئ الإسلام	1	أفكاره و قيمه تقوم على احترام كبير للكونفوشية	1
أمر نسي متفاوت بين مؤسسة و أخرى... رغم التشديد والتركيز على ذلك	2	تجيل أولئك الذين وهبوا حياتهم للعلم	2
أي التميز والابداع في هذا الجانب نسي؛ قد يخضع المواطن للسلطة ولكنه لا يتجرد عن الأهواء الشخصية..	3	المواطنون يخضعون للسلطة ويسهمون في نظام اجتماعي بعيداً عن الأهواء الشخصية	3
روح الجماعة و روح الفريق مهمش في النظام التعليمي في الوطن العربي	4	الاهتمام بالجماعة وإعطاء الأولوية لها، حتى ولو على حساب الفرد في بعض الأحيان	4
بخلاف المدارس والجامعات العربية ليس لها بنية ثقافية أحادية المصدر	5	مجتمع عالي التجانس، أي ذوو جنس و عرق واحد، له بنية ثقافية أحادية المصدر، و هم يميلون إلى التساهل في نظرهم الدينية، وهم يكرهون الأقليات الأخرى	5
شبه مهمش في المدارس والجامعات العربية والثقة بالوزارة نسبية و ليست قوية.. و بعض الوزارات في الخليج تقرر إلى هذه اللحظة كتباً تجريبية.. نسخة تجريبية..؟! أين التميز والابداع؟! أين حقيقة الوسطية؟!	6	يتمتع بنظام تعليمي عالي المركزية، حيث جرى تصميمه على نمط النظام الفرنسي والألماني وهناك ثقة مطلقة في المناهج الدراسية التي تضعها الوزارة والحكومة المركزية. فسواء كان الطفل أو التلميذ يعيش في أوساكا أو طوكيو أو سابورو Osaka, Tokyo,	6

		Saporo، فإنه سيحظى وبصفة أساسية بالمستوى نفسه من المساندة والدعم ونوعية التدريس	
7	هناك انفتاح كبير على الثقافات والمناهج الدراسية الأخرى مع المراقبة السياسية	7	فرض الرقابة السياسية ولا سيما كتب التاريخ والعلوم الاجتماعية حتى لا يستغل اليسار السياسي الكتاب المدرسي لترويج أفكارهم السياسية
8	هذا المعنى الآخر للوسطية أي استقامة المنهج في التعليم والتميز ومركز القوة..أمر نسي في المدارس والجامعات العربية	8	يفرض القانون إجبارياً بقاء الطالب في المدرسة حتى سن 15 (الخامس عشر) أو إكمال المستوى التاسع على الأقل، ويواصل 94 % من اليابانيين المرحلة الثانوية
9	هذا المعنى الآخر للوسطية أي القوة والتميز شبه مغيب في الوطن العربي،	9	المدرسة تمنع طلابها من العمل الجزئي بعد نهاية اليوم الدراسي Part Time Jobs
10	هذا المعنى : أي الاستقامة على المنهج و الأمان و البعد عن الخطر شبه منسي و شبه مغيب و مهمش في المدارس والجامعات العربية	10	10 تشتراط المدارس ارتداء طلابها زياً موحداً، ويمنع الطالبات من استعمال أي نوع من مستحضرات التجميل حتى إن شعرهن تفصل تفصيلاً دقيقاً كما للأولاد، كما أن المدارس الثانوية كافة تحرم على

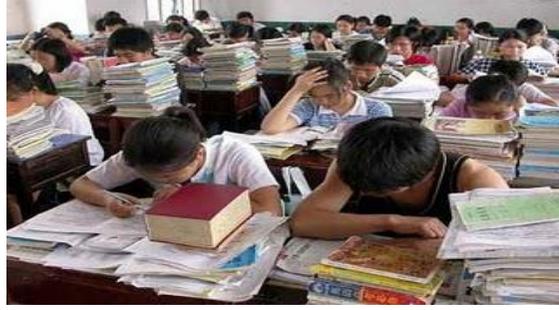
		<p>طلابها دخول المقاهي وصلات التسلية التي فيها أنشطة القمار، وتكون المدرسة الجهة الأولى في الإبلاغ من قبل الشرطة إذا كان أحد طلابها في مأزق أو مشكلة.</p>	
<p>هذا المعنى للوسطية أي الاستقامة والأمان والبعد عن الخطر غائب في الوطن العربي تماماً، حيث ترى التلاميذ يجيدون قيادة السيارات منذ نعومة أظفارهم.</p>	11	<p>لا يحق للمرء في اليابان أن يمتلك سيارة قبل بلوغ سن 18 (الثامنة عشر)، ولا يسمح للطالب أن يقود سيارة إلى المدرسة ثم إلى البيت، ورغم سماح السلطات بامتلاك الدراجة النارية عند بلوغ سن 16 (السادس عشر) إلا أن كثيراً من المدارس تمنع طلابها من الإقدام على ذلك</p>	1 1
<p>هذا المعنى للوسطية، أي دليل الخيرية ومظهر الفضل والتميز وهذه الرؤية للتعليم في مدارسنا وجامعاتنا العربية يكاد يكون منسياً تماماً</p>	12	<p>الطلاب اليابانيون يرون التعليم (مهنة)، والمنهاج الياباني تحركه ثلاث قوى أساسية: غرس أنماط السلوك والقيم والأفكار المتفق عليها اجتماعية في الجيل القادم، وإعداد الطلاب لخوض امتحانات صعبة تؤهلهم للانتقال إلى المستوى التالي، الاستمرار من الروضة إلى الثانوية</p>	1 2

<p>هذا المعنى المنسي للوسطية، أي التميز و حب العلم و التعلم في المدارس والجامعات العربية يلاحظ هذا المعنى نسبياً، حيث الغياب الكثير و الملل والانتظار بفارغ الصبر للخروج من المدرسة والذهاب إلى البيت..أمر لا يناقش؟! وأما حرصهم على الدخول في الجامعات فهناك إقبال كبير في الآونة الأخيرة</p>	<p>13</p>	<p>الطلاب اليابانيون يطمحون في الدخول إلى المدارس والجامعات الجيدة رغم كثرة التنافس والضغط الكبير، فهم حتى عطلة الأسبوع يقضون أوقاتهم في المدارس الأخرى للتقوية بالمعلومات...فالتلميذ أو الطالب ملتصق شديد الالتصاق بالمدرسة لا يعرف الملل منها</p>	<p>1 3</p>
<p>هذا المعنى للوسطية، أي التميز والإبداع واستغلال لأوقات الفراغ، مغيب ومهمش في النظام التعليمي العربي، و تمر العطل الصيفية دون انجاز أي شيء من قبل التلاميذ أو الطلاب إلا ما ندر...الاجازات الصيفية مقدسة</p>	<p>14</p>	<p>العطلة الصيفية اليابانية ليست مجرد عطلة. الطلاب اليابانيون يكلفون بأعمال وواجبات صيفية يتطلب إكمالها جهداً كبيراً، وأحياناً يكلفون بمشاريع تتطلب تعاون الأسرة و يأخذ اليابانيون مأخذ الجد هذه الواجبات، والطلاب الياباني يتلقى الدروس ما يعادل نظيره الأميركي ثلاث إلى أربع سنوات أكثر،</p>	<p>1 4</p>

المبحث الثاني: الملاحق والصور

داخل المدارس اليابانية لا يوجد معلمون بدلاء ، فعندما يتغيب المعلم

يتولى الفصل مسؤولية نفسه ويقوم الطلاب بمراجعة الدروس المدرسية والواجبات .



جولة سريعة في المدرسة الابتدائية: " هغاشي " في مدينة: هاما ماتسو

Hamamatsu City – Higashi Elementary School

التلاميذ عادة يمشون جماعة إلى المدارس، وقد ارتدوا القلنسوة حماية لهم من الكوارث والأخطار
ومعهم أولياء الأمور أو المعلمون



في مدخل كل مدرسة يجمع التلاميذ أحذيتهم قبل الدخول إلى الفصول

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

ويضعونها في الرفوف المخصصة لهم بالأسماء والأرقام الخاصة بكل تلميذ

مدينة: هاما ماتسو - مدرسة: نانيو ، المتوسطة

Hamamatsu City Nanyo Junior High School



لا يجوز للطلاب قيادة السيارة مطلقاً إلى أن ينتهوا من المرحلة الثانوية، فهم يحضرون إلى المدرسة بدراجات نارية أو هوائية، وكما هو ملاحظ رفوف الخذاء للتلاميذ، كما أن للتلاميذ لهم خوف الخاصة للدخول إلى دورات المياه



يتناول التلاميذ وجبة الفطور والغداء في الفصول الدراسية، وأثناء تقديم الطعام من قبل الأستاذات الطاهيات الخاصة وكما هو ملاحظ أن الطهارة يرتدون الواقيات الطبية لمنع تلوث الطعام أو نشر الجراثيم. و يستمر وقت الغداء ساعة كاملة



بعد الإنتهاء من تناول وجبة الغداء يقوم التلاميذ بتنظيف الفصل ومكان الأكل و غسله غسلأ جيداً يدوياً، و هذا العمل هو عمل يومي. و كذلك الاهتمام بتنظيف الأسنان أمر لا يستهان بها





وبعد تناول التلاميذ لوجبة الغداء يقومون بتنظيف الأسنان بالفرشاة والاهتمام بالمنظر الخارجي اللائق ثم العودة إلى الفصول



الطلاب في المرحلة الثانوية لهم اهتمام خاص بعلوم الحاسب الآلي في المختبرات المخصصة



تدريب التلاميذ للاهتمام بالبيئة والحدائق العامة، وهذا المنظر هو الجانب العملي يعقب الجانب النظري الذي درسوه في المدرس
هذه المرحلة الدراسية يدرسون القضايا المتعلقة بالبيئة، وفي المرحلة الثانوية الدنيا أو السفلى يدرسون القضايا المتعلقة بالصحة
في المرحلة الثانوية العليا يدرسون القضايا العالمية الكبيرة





ممارسة الرياضة والنشاط بعد الدوام المدرسي

ثانوية: شيزوكا، في مدينة هاماماتسو

Shizouka Prefectural Hamamatsu Kita High School



يهتم الطلاب والطالبان في هذه المرحلة أيضاً بشكل خاص بتعلم الخط الياباني التراثي

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

ولكل طالب أو طالبة فرشاة وجبر خاص به



يقوم الطلاب الكبار بتنظيف الفصول والقاعات كما هو الحال مع الطلاب الصغار



الحال في المدراس الثانوية مثل الحال في المدارس الابتدائية، فبعد الانتهاء من تناول وجبة الغداء يقومون بتنظيف الفصول و تغسيلها يومياً، ولا يسمح لهم الخروج إلى المطاعم الخارجية، والمدرسة ليس بها مقصف أو مطعم،



بعد الدوام الدراسي، يبقى الطلاب والطالبات في المدارس لممارسة النشاطات العلمية والرياضية المختلفة، فهؤلاء يجدون متعة كبيرة في البقاء في المدارس، حيث فيها كل المطلبات العلمية

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتحقق الأهداف النبيلات، والصلاة والسلام على خير البريات وأشرف المخلوقات سيدنا ونينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليمات وعلى أزواجه أمهات المؤمنين والمؤمنات وآله المقربين والمقربات وصحابه الطيبين والطيبات ما دامت الأرضين والسماوات.

لقد توصلت بحمد الله وتوفيقه إلى نهاية هذه الدراسة، أرجو من الله أني قد وفقت لتقديم لبنة فكرية وتربوية على جهود المفكرين والتربويين السابقين، ولا أزعم أن قمت بتغطية كافة جوانب هذا الموضوع، و إنما هي محاولة لعرض فكرة مدروسة رأيتها صالحة لاتباعها لتحسين أوضاعنا التعليمية في مدارسنا وجامعاتنا العربية، ولتعزير بعض المعاني المغيبة والمهمشة للوسطية الإسلامية بناء على شهادة المركز - الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح - وما طاب من الثقافات الأخرى ولا يتعارض مع الكتاب والسنة، فإن أصبت فذلك بفضل الله وتوفيقه علي، وإن جانبني الصواب فذلك مني ومن الشيطان، وحسبي أني اجتهدت والعلم عند الله عز وجل. وفي نهاية هذه الجولة العلمية والفكرية والتربوية التعليمية اليابانية أود أن ألفت انتباه السادة القراء أن هذه الدراسة النظرية ربما يصعب تطبيقها دون رؤية حقيقية لها إما في عرض وثائقي مسجل أو زيارة لدولة اليابان ورؤيتها رأي العين، ولكن الله عز وجل قد قيض عبداً

من عباده الصالحين في هذا العصر والمهتمين بتطوير أوضاع المسلمين خلقياً وعلمياً وتربوياً وثقافياً ودينياً. هذه الشخصية هو الأستاذ الشاب والإعلامي الإسلامي السعودي المشهور الأستاذ أحمد الشقيري حفظه الله ووفقه لخدمة دينه والإسلام والمسلمين. فقد عرض في برنامجه الشهير: **خواطر**، رقم 5، كل هذه الجوانب السلوكية والعلمية والثقافية لدى المجتمع الياباني بشكل وثائقي مصور بالصوت والصورة، فيرجع إليه للمزيد فجزاه الله خير الجزاء، ولقد سررت كثيراً عندما رأيت برنامجه وأنا في ختام هذه الدراسة، والبرنامج كان مسجلاً عام 2009م وهذه الدراسة شرعت في إعدادها منذ عام 2010 واستمرت معي إلى 2014 .

أدعو جميع المهتمين بالتجربة اليابانية لمشاهدة هذه الحلقات الثلاثين عن اليابان كلها على يوتيوب على الانترنت على هذا العنوان²⁶¹. ولا أرى لزاماً في ختام هذا البحث أن أعيد أهم النتائج تفادياً للتكرار الممل، حيث ذكرت تلك النتائج في جدول المقارن، والله أعلم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذه الدراسة في ميزان حسناتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، و أن يجزييني على قدر إخلاصي وجهدي فيه، إنه تعالى أكرم مسؤول

وخير مأمول، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد و على آله سلم
تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قال ذلك وكتبه وجمعه الفقير إلى الله في كل أحواله

د/خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك بكلية المجتمع - قطر
وأستاذ التفسير والثقافة الإسلامية بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة
بروناي، والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا و جامعة قطر و جامعة طيبة بالمدينة المنورة)

(سابقا)

يوم الجمعة المبارك

2014/10/ 11 م

الدوحة - قط

وتمت مراجعة الدراسة مرة أخرى قبل النشر ضحوة يوم الجمعة الموافق 2016/08/26

بدوحة الخير والبركة بقطر

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة



التعصب وفقدان الحوار بين أتباع الأديان من كبرى العوامل لسقوط وانحيار الدول

(قراءة نقدية في جذور التعصب الصربي ضد المسلمين - في كوسوفا
والبوسنة والمهرسك - يوغسلافيا السابقة)

ورقة علمية معدة للمؤتمر العالمي بعنوان:

حوار الأديان

والذي سيعقد في الدوحة - قطر

بتاريخ 24.10.2011

بقلم

الدكتور: خيرالدين بافتي خوجة

أستاذ الدراسات القرآنية المساعد

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

2011

ملخص البحث 262

تهدف هذه الورقة العلمية إلى دراسة و إبراز الجذور التاريخية والفكرية والدينية والسياسية المغذية للإرهاب السلافي الأرثوذكسي الصربي والروسي، مع التركيز على الإرهاب الصربي في حق المسلمين الألبان والبوسنيين في العصر الحديث في الجزيرة البلقانية. لقد تعددت منابع الإرهاب والتطرف في هذا العصر و تنوعت جذوره الفكرية الدينية و أهدافه السياسية والاقتصادية. فمن الناس من يلجأ إلى الإرهاب بشتى صوره و أساليبه بدافع التوصل إلى المال، ومنهم من يلجأ إليه بدافع الاستيلاء على السلطة والإطاحة بالخصم و فرض نظام سياسي معين، ومنهم من يلجأ إليه بدافع الحقد و البغض والكرهية الدينية والتعصب الديني . كما وجد من الناس من يلجأ إليه بدافع الانتقام من رجال الأمن أو كبار المسؤولين في جهاز الدولة بسبب خطأ أو ظلم وقعوا فيه سهواً في حق أحد من الناس. وأيضاً وجد من الناس من سلك مسلك الإرهاب بدافع الاعتقاد و الزعم والتكبر والتجبر على الآخرين وبدافع على أنه هو المفضل على غيره لجنسه و عرقه

262 هذا الدراسة في الأصل قدمت في مؤتمر عالمي عام 2007 في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة عن الحوار وأهميته في الفكر الإسلامي نظمته كلية الشريعة بالشارقة، ونظرا لأهميتها وعلاقتها الشديدة بموضوع الإرهاب وجذور الإرهاب الصربي رأيت من الحكمة تقديمها مجددا في المدينة المنورة بالجامعة الإسلامية مع بعض الإضافات العلمية والفكرية الجديدة عام 2009 ولكن لأسباب مجهولة غير مصرحة من لجنة المؤتمر رسميا لم تقبل فكرة البحث - و في رأيي نظرا للحقائق المؤلمة والمرة المذكورة في الدراسة عن جرائم الصرب وأمثالها من الدول الغربية المعاصرة - كان هو سبب الرفض للبحث، والله أعلم. ثم إنني عزمتم تقديمها في مؤتمر الدوحة لحوار الأديان عام 2011 ثم تراجعتم عن فكرة تقديمها في المؤتمر لأنني كنت قد توظفت للتو بكلية الشريعة بجامعة قطر، فحسبت لها حسابها ! لأنني لم أكن فاهما للأوضاع الفكرية والسياسية في البلاد، والله المستعان وعليه التكلان...15-08-2016 الدوحة - قطر

و دينه. تشير المصادر التاريخية الحديثة إلى أن جذور الإرهاب الصربي والروسي السلافي تنتمي إلى هذا النوع الأخير. هذه المزاعم و هذه الجذور الإرهابية الصربية قد غذيت بالأساطير والخرافات التاريخية عبر القرون من خلال صياغة المناهج والمقررات الدراسية والدينية والتاريخية المحرفة و المشوهة للحقائق التاريخية من قبل رجال الكنيسة وأساتذة الجامعات في صربيا. فما كان من رجال السياسة الصربيين إلا السمع و الطاعة والتطبيق والتنفيذ الحرفي ما تم صياغته و طلبه من قبل رجال الفكر والمعرفة ورجالات الكنيسة. ما من شك أن مثل هذه المزاعم الخرافية أدت بالصرب إلى سفك الدماء والحروب الطاحنة مع المسلمين البلقان أيام الدولة العثمانية وبعدها إلى يومنا هذا. فكانت النتيجة وفقاً للمقدمات. لقد تمزق الكيان السلافي الصربي متمثلة في الدولة اليوغسلافية شر ممزق إلى الدويلات المستقلة، كما أن هذه الدولة الظالمة (دولة صربيا) قد وجهت إلى مصالحها العسكرية و الاقتصادية ضربات موجعة من قبل قوات الحلف الأطلسي الغربي (ناتو NATO) على مدار 78 ثمان وسبعين يوماً) أيام حرب كوسوفا. لقد أدرك المجتمع الدول الغربي خطأ الصرب و صواب المسلمين الألبان والمسلمين البوسنيين. فما كان منهم إلا أن يردوا إلى المسلمين الألبان حقهم المسلوب قبل مائة عام و تم استقلال أرض كوسوفا في 17 فبراير 2008 من قبضة هؤلاء الصرب الظالمين، وفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم تنزيله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿الممتحنة: 8-9﴾ ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه الكرام الطيبين الطاهرين ما تعاقب الليل والنهار وسار بهديهم الأخيار.. أما بعد:

فاعلم أن الأصل في العلاقة بين بني البشر هو التعارف والتعايش، على أساس من البر والقسط، والتعاون المشترك على عمارة أرض الله، وإقامة العدل بين عباده، كما قال تعالى: [وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ]، [الحجرات آية: 13]، وأن الحوار والمجادلة بالحسنى هو آلية التواصل بينهم، وأن لكل إنسان حقه في حرية ضميره الديني، وأنه يتحمل وحده مسؤولية هذا الاختيار، كما قال تعالى: [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ]، [البقرة آية: 256]، وأن على البشرية أن تتكاتف لحماية هذه الحق ودفع الصائل عليه، أيا كان هذا الصائل فردا أو جماعة أو حكومة.

إن الحديث والكتابة عن الإرهاب الصربي ضد المسلمين الألبان في

كوسوفا، والوقوف على عوامل وأسباب انهيار ذلك التعايش السلمي، وأسباب ارتكاب المذابح و المجازر من قبل الصرب في حق الشعب الألباني و البوسني المسلم، له أهمية كبرى في تاريخ الحوار بين الحضارات وتاريخ التعايش السلمي بين الشعوب والأديان في العصر الحديث.

لقد وقف رجال الفكر والمعرفة من المستشرقين الصرب قديماً وحديثاً، ورجال الكنيسة؛ موقفاً سلبياً من الإرهاب الصربي الذي مورس في حق المسلمين الألبان في كوسوفا والبوسنة، واعتبر ذلك الموقف التاريخي المخزي إحدى كبرى العوامل الرئيسة و المباشرة في إفشال وانهيار التعايش السلمي وإفساد العلاقة الإنسانية بين هذا الشعبين المتجاورين. يظهر ذلك من خلال كتاباتهم ودراساتهم الاستشراقية المساندة والمؤيدة لعملية التطهير العرقي للمسلمين. هذه الدراسات مهدت الطريق أمام الاحتلال والغزو الثقافي و الديني و العسكري الصربي لبوسنة ولكوسوفا. على صعيد آخر فقد لعب رجال الدين في الكنيسة الأرثوذكسية الصربية أيضاً دوراً سلبياً في إثارة هذه الحروب والمجازر. تارة باسم الحرب المقدسة بين (الصليب والهلال)، و تارة بين (الإنجيل القرآن)، وتارة باسم إحياء (فكرة إنقاذ الشعوب الأرثوذكسية السلافية) في جزيرة البلقان من قبضة الاحتلال العثماني. وقد مهد العاملان السابقان، أعني رجال الفكر والمعرفة ورجال الدين والكنيسة، الطريق أمام هؤلاء القادة السياسيين، وهونوا عليهم الأمر في اتخاذ القرارات القتالية وإصدار الأوامر العسكرية بالحرق والقتل والتشريد والتدمير والتمثيل والطرده للأبرياء من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، لتحقيق أهدافهم التاريخية السياسية المبنية على الأساطير والخرافات.

إن الصرب لم يرقبوا في مؤمن إلا ولا ذمة، وما نقم هؤلاء الصرب من المسلمين الألبان والبوسنيين إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. إن الشعب الصربي لم يكن لينقلب على جيرانهم الألبان المسلمين في كوسوفا وعلى جيرانهم المسلمين في البوسنة، لو لا طاعتهم العمياء وولاؤهم الأثم و المطلق لولاة أمورهم الدينية والسياسية والفكرية. فهؤلاء الأقطاب الثلاثة وذلك المثلث المركب من تلك العناصر الثلاثة؛ رجال الكنيسة والسياسة والفكر، هم الذين وقفوا وراء هذه العمليات والإبادة الجماعية والتطهير العرقي في البلقان عموماً والبوسنة و كوسوفا و مقدونيا على وجه خاص. و لعل من خلال رجوعنا إلى مصادر التاريخ الألباني والأوربي الحديث والقديم، سنتمكن من الوقوف على معالم تلك الجذور و العوامل المنشئة و المغذية للإرهاب الصربي الذي حال دون تحقيق التعايش السلمي بين الشعب الألباني المسلم و الشعب الصربي الأرثوذكسي، لعلها تكون عبرة وعظة للناس أجمعين. والأسئلة التي سيحاول الباحث الإجابة عليها في هذه الورقة العلمية هي:

- إلى أي مدى كانت جزيرة البلقان في أوروبا الشرقية مضرب المثل للتسامح الديني الإسلامي بين الحضارات والثقافات المختلفة أيام الدولة العثمانية ؟
- ما دور الدول النصرانية الأرثوذكسية والكاثوليكية في أوروبا الشرقية في تأجيج الحروب الطائفية والدينية وتغذية جذور الإرهاب الصربي ضد المسلمين الألبان في كوسوفا ؟
- ما دور رجال السياسة والفكر والدين الصرب الأرثوذكس في غرس فكر الإرهاب ضد المسلمين الألبان في كوسوفا ؟

أسأل الله سبحانه و تعالى أن يمن علي بفضلله و جوده وكرمه أن أتمم هذه الورقة العلمية المباركة رغم ظروفى الصحية المتدهورة ببركة الجوار لنييه المختار فى طيبة الطيبة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، إنه تعالى سميع قربي مجيب والحمد لله رب العالمين.

المبحث التمهيدي: الإرهاب جريمة العصر - الخلفية التاريخية بإيجاز

تولدت في الآونة الأخيرة ظاهرة مستحدثة في لونها وشكلها، بينما هي قديمة وعريقة في أصلها ووجودها. تشير بعض الدراسات أن: "من أقدم الأمثلة المعروفة عن حركة إرهابية هي حركة: (السيكاريون) وهي طائفة دينية - يهودية قديمة عرفت بتعصبها وتطرفها - على درجة عالية من التنظيم ... في فلسطين عام (66-73 م)، واتبعوا تكتيكات خارجة عن العرف والتقاليد، لمهاجمة أعدائهم في وضح النهار، وكانوا يفضلون أن يتم ذلك أيام الأعياد، حينما تكون الجماهير محتشدة في مدينة القدس. و كان سلاحهم المفضل سيفاً قصيراً (Sica) - أي الخنجر الصغير - يخبونه تحت ستراتهم. وكانت الأعمال الإرهابية أيضاً موضع تسامح، بل وحتى مباركة - لدى - الطبقة العليا من رجال الكهنوت المسيحيين " ²⁶³.

ويرى بعض المؤرخين أن جذور الإرهاب الحسي والفكري تعود إلى الفكر الصهيوني اليهودي. ولشدة تعلق الصهيونية بالإرهاب يجدر بنا أن نخرج إليه قليلاً. يقول المؤرخون إن حقيقة الصهيونية هي:

" حركة عنصرية سياسية استعمارية أسبغت على اليهودية صفة القومية والدلالة الجنسية، وزعمت أن الشعب اليهودي يكون عرقاً نقياً، ونادت بحل ما أسمته: (المشكلة اليهودية)، والتي عارضت اندماج اليهود في

²⁶³ د. أمل يازجي & د. محمد عزيز شكري: الإرهاب الدولي و النظام العالمي الراهن، دار الفكر،

دمشق - سوريا، ط1، 2002، ص: 86-87

أوطانهم الأصلية ودفعتهم للهجرة إلى فلسطين، زاعمة أن لهم فيها حقوقاً تاريخية ودينية، وتلاقت مطامع الصهيونية بأهداف الاستعمار في إقامة دولة فلسطين عن طريق إرهاب وطردها شعبها العربي الأصيل.. " 264.

و مما يؤكد وجود جذور الإرهاب الحسي والفكري في الفكر الصهيوني اليهودي يرى المحللون أن الفلسفة الصهيونية تقوم على هذه الأسس والمرتكزات:

1. " أن اليهود هم شعب الله المختار وأن أرواح بني إسرائيل تتميز عن باقي الأرواح، حيث أن الأرواح الأخرى هي أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات، وأن الإسرائيليين معتبر عند الله أكثر من الملائكة. هذه الفكرة جعلتهم فئة منعزلة ومنغلقة على نفسها منذ أن نزلوا أرض كنعان (فلسطين) و عندما دخلوا مصر مهاجرين عام 1656 ق.م. إلى يومنا هذا..
2. أن الدنيا بأسرها ملك لإسرائيل ومن حقه أن يتسلط بوصفه مساوٍ للعزة الإلهية..
3. أن فلسطين هي الهدف الأساس لليهود، وهي نقطة الارتكاز التي يبدوون منها سيطرتهم على العالم، لأنها حسب زعمهم أرض مقدسة وأرض الميعاد وحق لليهود وحدهم..

264 ياغي، إسماعيل أحمد: الإرهاب و العنف في الفكر الصهيوني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2003

4. أن اليهود في شتى أنحاء العالم يمثلون شعباً واحداً ينتمي إلى أصل واحد، وأن هذا الأصل مرجعه أرض فلسطين، ومن ثم يجب اعتبار يهود العالم جميعاً أعضاء في الجنسية الإسرائيلية... " 265.

وأما في تاريخ الإسلام، فتذكر المصادر أنه قد وجدت أيضاً حالات الإرهاب منذ أن أشرق فجر الدعوة الإسلامية على يد سيدنا ونبينا محمد ρ . لقد تعرض هو ρ وأصحابه الكرام على الإرهاب الرهيب مما اضطر إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين، ثم كانت هناك مقاطعة اقتصادية واجتماعية على بني هاشم ثم المؤامرة الكبرى على النبي ρ قبيل هجرته، ثم الإرهاب العسكري بعد هجرة النبي إلى المدينة المنورة. ثم تلت حالات الإرهاب بعد وفاته ρ فقاومهم أبو بكر الصديق بكل ما أوتي من قوة وحزم وأخذ نار تلك الفتنة مع المرتدين. ثم كانت الجريمة الإرهابية الجوسية الكبرى بقتل الخليفة عمر بن الخطاب وهو قائم يصلي في المحراب في مسجد النبي ρ . ثم تلت هذه الحادثة حادثة أخرى إرهابية على يد الإرهابي اليهودي عبد الله بن سبأ، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة في بيته بعد أن حوصر فيه أياماً. ثم كانت خلافة علي رضي الله عنه ونشب النزاع بينه وبين معاوية رضي الله عنهم فكان ما كان في وقعتي الصفين والجمل، وظهر التشيع، ثم انفصل

265 انظر المرجع السابق، ص: 23-63 بتصرف شديد.. و طالع أيضاً هذه الصفحات لكي ترى نصوص التوراة المحرفة الداعية إلى القتل والإبادة والتخريب و الأدبيات اليهودية التي تحث على الإرهاب. ص: 64، 70-71-96، و انظر أيضاً: الإرهاب الدولي والعالمي الراهن، ص: 86-93، و انظر أيضاً: فتاح، عرفان عبد الحميد: اليهودية: عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية ط 1، 2002، دار عمار للنشر و التوزيع، عمان-الأردن، ص: 5-41

عن شيعة علي جماعة خرجوا عليه بعد أن رضي بالتحكيم، وأطلق عليهم اسم الخوارج أو الحرورية نسبة للمكان الذي انحازوا إليه، فكانت أول فرقة شذت عن الجماعة بفكرها القائم على أن مرتكب الكبيرة كافر، وكفروا بعض الصحابة تحت شعار: (لا حكم إلا لله)²⁶⁶.

و يبدو للباحث أن جذور هذه الظاهرة تمتد إلى عصور و قرون سحيقة أكثر و أعمق من التي ذكرت. إن جذورها تمتد إلى ابني آدم، هابيل و قابيل. قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)، المائدة:27، ثم إن هذه الظاهرة توارثها قوم بني إسرائيل من اليهود والنصارى، مصاصو الدماء و قتلة الأنبياء إلى يومنا هذا، يظهر ذلك في الإرهاب الإسرائيلي ضد المسلمين في فلسطين على مدى ستين عاماً، وأخيراً حربهم الشرس و قصفهم الوحشي على مسلمي غزة قبل شهر من كتابة هذه السطور.

ولقد سجل قرآنا للعالم أجمع تلك الأعمال الإرهابية الشنيعة و البشعة²⁶⁷، والتي كانت تقوم بها اليهود من بني إسرائيل²⁶⁸ حينما كانوا يقتلون أنبياء الله و رسله بغير حق قائلاً: (قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ

²⁶⁶ انظر: النهاية في الفتن و الملاحم، للإمام ابن كثير، ج1، ص: 2، على الانترنت:

²⁶⁷ للمزيد عن جرائم اليهود كما صورها القرآن الكريم و السنة النبوية الصحيحة اليهود عبر التاريخ إلى يومنا هذا..انظر: فضيلة الإمام الأكبر و شيخ الأزهر: طنطاوي، سيد، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ط2، 2000م، دار الشروق، القاهرة

²⁶⁸ الموجان، أحمد بن حسين بن عبد الله: الإرهاب..روافده..أسبابه الفكرية...علاجه..أقوال العلماء فيه، ط1، 2004، سنا الفاروق للنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ص:30

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)، [البقرة: 91]، و قال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)، [آل عمران: 112]، "...والقرآن الكريم في حديثه عن بني إسرائيل يربط ربطاً محكماً بين طباع و أخلاق المعاصرين منهم للنبي P وطباع و أخلاق آبائهم الأولين الذين عاصروا موسى و عيسى و غيرهما من الأنبياء - عليهم السلام - و ذلك ليبين أن ما عليه الأبناء من فسوق و عصيان و محاربة لدعوة الإسلام، إنما هو ميراث من الخلق السيئ توارثه الخلف عن السلف و أخذة الأبناء عن الآباء... " 269

هذه الجريمة المرة منذ ذلك الوقت ما زالت تعاد و تكرر من جديد على يد الاحتلال الصهيوني²⁷⁰ الإسرائيلي²⁷¹، وقد مورست هذه الجريمة قديماً و تمارس أيضاً في أيامنا هذه بكافة أساليبها وألوانها وأشكالها أمام العالم المتحضر والمتطور في حرب و قتل و حرق المسلمين في غزة²⁷² المحتلة، أطفالاً

269 طنطاوي، سيد؛ بنو إسرائيل في القرآن الكريم و السنة النبوية، ص: 5

270 عن الإرهاب الصهيوني اليهودي فكراً و ممارسة، طبقاً لما ينص العهد القديم من التوراة.. " و الآن فاقتلوا كل ذكر من الأطفال. و اقتلوا كل امرأة عرفت مضاجعة رجل. و أما إناث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم.. " انظر: السحمراني، أسعد: لا للإرهاب نعم للجهاد، دار النفائس، ط1، 2003، بيروت-لبنان، ص: 65-72، وانظر أيضاً: خليل، إبراهيم: تشریح الإسرائيلي - رؤية توراتية لجسد إسرائيلي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة-1997

271 عن المجازر و المذابح الصهيونية في حق الفلسطينيين.. انظر: ياغي، أسماعيل أحمد: الإرهاب و العنف في

الفكر الصهيوني، مكتبة العبيكان، ط1، 2003، الرياض - المملكة العربية السعودية، ص: 141-179

272 لقد استمر الهجوم و القصف الوحشي الإسرائيلي على أهل غزة اثنين و عشرين يوماً دون التوقف، ليل نهار، و قبل أسبوعين فقط من كتابة هذه السطور بلغ عدد الشهداء أكثر من 1400 شهيداً، نصفهم من الأطفال، و 5500 جريح، من النساء و الشيوخ والأبرياء من المدنيين. لقد تم تدمير المساجد و الجامعات المستشفيات و المدارس والمرافق الحكومية بالكامل. لقد أهلك اليهود الحرث و النسل قاتلهم الله، و العالم الإسلامي و العربي ينظر نظر المغشي عليه من الموت! لا حول له و لا قوة، إلا قوة الشجب و التنديد والإنكار

ونساءً و شيوخاً ومدنيين عزل و أبرياء بالدبابات والمدرعات والجرافات والقنصات والطائرات أف 16 و 52، على مرأى ومسمع من العالم الإسلامي وغير الإسلامي، والمنبهر والساكت مثل الشيطان الأخرس، والناظر كنظر المغشي عليه من الموت عما يحدث في غزة، مكتفياً بالشجب والإنكار و الإدانة والمظاهرات والتنديدات والشعارات و اللافتات الفارغة، ولم يسلم الحجر و لا الشجر، ولا الأخضر و لا اليابس، ولا المسجد والمدرسة ولا الجامعة، ولا الحدائق ولا البساتين.. إلا و ذاق سوء الإرهاب الصهيوني الإسرائيلي²⁷³. يحدث كل ذلك بحجة الدفاع عن النفس و محاربة خلايا الإرهاب من المسلمين المتطرفين المتزمتين!! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. هذا الإنكار وهذا الشجب من كاتب هذه السطور في هذه المناسبة المباركة و بين يدي هذا المؤتمر المبارك التي ستعقده الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بقيادة خادم الحرمين الشريفين؛ هو أقل ما يمكن أن يعبر عنه في حق ذلك الشعب المظلوم و في حق هؤلاء المسلمين

والمظاهرة. أما قطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية والاقتصادية مع إسرائيل، فلم يكن لدولة إسلامية أو عربية أن تنال هذا الشرف وهذا الموقف التاريخي النبيل، إلا ما كان لدولتين عربيتين إسلاميتين أن تجمدا علاقتهما مع إسرائيل، وهما دولة قطر وموريتانيا. و النصيب الأكبر من الشرف كان لدولة بوليفيا و فنزولا في أمريكا اللاتينية. فقد كان موقفهما أكثر صرامة و شجاعة من الدول العربية والإسلامية. لقد أعلنتا قطع العلاقات الدبلوماسية وسحب سفراءهما من دولة إسرائيل الظالمة والمحتلة؟؟ فهنيئاً لهم هذا الشرف و هذا الموقف التاريخي الإنساني، و أسأل الله تعالى أن يشرح قلوب هؤلاء الأقبام للدخول إلى الإسلام؛ جزاء لما قدموا. فأنا أيضاً باسم الشعب الكوسوفي الألباني المسلم لهم شاكر ومقدر.

273 عن الإرهاب الصهيوني اليهودي فكراً و ممارسة، طبقاً لما ينص العهد القديم من التوراة.. "و الآن فاقتلوا كل ذكر من الأطفال. واقتلوا كل امرأة عرفت مضاجعة رجل. و أما إناث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم.." انظر: السحمراني، أسعد: لا للإرهاب نعم للجهاد، دار النفائس، ط1، 2003، بيروت-لبنان، ص: 65-72، وانظر أيضاً: خليل، إبراهيم: تشريح الإسرائيلي- رؤية توراتية لمجلس إسرائيلي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة-1997

المضطهدين العُزّل، كان الله في عونهم ووقفنا الله لنجدتهم و تقديم يد العون إليهم.

الفصل الأول: الجزيرة البلقانية تاريخياً ودينياً وسياسياً بإيجاز

المبحث الأول: الجزيرة البلقانية - أسوة حسنة في التسامح و التواصل بين الحضارات والثقافات

المطلب الأول: الاهتمام العربي بالجزيرة البلقانية

إن الأحداث والحروب الدامية التي شهدتها الجزيرة البلقانية عموماً والأراضي البوسنية والألبانية في كوسوفا ومقدونيا في العقد الأخير من القرن العشرين، جلبت أنظار واهتمام الباحثين الغربيين والشرقيين، المسلمين منهم وغير المسلمين. يقول المؤرخ الأستاذ الدكتور محمد موفق الأرنؤوط:

" يبدو للوهلة الأولى أن الاهتمام العربي بشبه جزيرة البلقان قد ازداد بشكل واضح في العقد الأخير من القرن العشرين، وبالتحديد من خلال الحروب والمآسي التي لحقت بجمهوريات وشعوب يوغسلافيا²⁷⁴ السابقة خلال 1991-1999. وهكذا من خلال المآسي التي نقلتها بكل بشاعتها وسائل الإعلام، وخاصة المرئية والفضائية بشكل خاص، أخذ الاهتمام العربي يتزايد بتلك المنطقة ليكتشف على نحو مغاير شعوب

274 سمايتش، عبد الله. 1992. الصراع في يوغسلافيا ومستقبل المسلمين، معهد الدراسات السياسية،

ترجمة: صائب علاوي - إسلام آباد: ط1-، ص: 10-60

وثقافات المنطقة التي لم تكن معروفة بما فيه الكفاية، ويكفي على سبيل المثال أن نستعرض الاهتمام العربي بالبوسنة، بالتاريخ والتراث والتواصل الثقافي لها مع العرب والمسلمين، حيث صدر في اللغة العربية خلال التسعينات حوالي ثلاثين كتاباً عن البوسنة بينما لم يصدر أي كتاب عن البوسنة خلال ثلاثين سنة سابقة.. " 275.

وأما عن كيفية بدء العلاقات للشعوب السلافية البلقانية مع العرب قبل الدولة العثمانية وأثناءها، فيضيف الأستاذ محمد الأرنؤوط: "... وهكذا بدأت العلاقات السلافية البلقانية- العربية في الإطار البيزنطي- الإسلامي أولاً، في ساحات الحروب والمعارك، ثم في إطار العلاقات بين الكيانات الجديدة في البلقان (بلغاريا و صربيا) والكيانات الجديدة في المنطقة العربية (الدولة الفاطمية والدولة المملوكية)، لتتسع أكثر حين دخل الطرفان في إطار دولة مشتركة- الدولة العثمانية. ولا شك في أن هذا الإطار المشترك والتعايش الطويل الذي استمر حوالي 400 سنة يمثل الامتداد الأطول والأحدث والأغنى في العلاقات بين الطرفين. ويعود هذا دون شك إلى تطور مهم يتمثل في انتشار الإسلام في شبه الجزيرة البلقانية خلال عدة قرون، والذي انتهى إلى أن يصبح الإسلام دين الأغلبية لبعض الشعوب (الألبان والبشانقة) ودين الأقلية لدى بعض الشعوب الأخرى (البلغار والصرب والكروات واليونان). وفي مثل هذا الوضع، حيث أصبح حوالي نصف سكان البلقان من المسلمين. وحيث نشأت حوالي مئة مدينة بطابع

275 الأرنؤوط، محمد م. 2000. مداخلات عربية - بلقانية في التاريخ الوسيط والحديث، اتحاد الكتاب

العرب، دمشق، ط1، ص:5

شرقي مسلم، أن تمتد حدود "الشرق" حتى شمال البلقان حيث أصبحت بلغراد تسمى "بوابة الشرق" حتى مطلع القرن التاسع عشر لأن القادمين من أوروبا الوسطى والغربية كانوا يشعرون مع دخول بلغراد بعبور الحاجز بين الغرب والشرق..²⁷⁶.

المطلب الثاني: التسامح الديني و التعايش السلمي في الجزيرة البلقانية أيام الدولة العثمانية

وأما عن تسامح²⁷⁷ الدولة العثمانية مع أتباع الأديان والثقافات الأخرى في الجزيرة البلقانية، فقد أجمع المؤرخون، المسلمون وغيرهم على هذه الحقيقة التاريخية العثمانية الإسلامية، ولم يشذ عنها إلا من لا عبرة بشذوذه. فقد عاش في ظل هذه الدولة المباركة الألبان والصرب والبوسنيون والأكراد والأتراك والعرب والأرمن والبربر والشراكسة والسلاف

²⁷⁶ المرجع السابق، ص: 6

²⁷⁷ كما منح السلطان سليمان القانوني من باب التسامح لقب و وسام" حامي الكاثوليكية في الديار الإسلامية"، لملك فرنسا: فرنسوا الأول... انظر: صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، تأليف: د.موفق بني المرجة، 1999، مؤسسة الريان - دار البيارق،، ط9، بيروت، ص:176، للتوسع في هذا الموضوع المهم انظر أيضاً: الصلابي، علي محمد، الدولة العثمانية - عوامل النهوض وأسباب السقوط، 2001، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، ص: 58-83، وانظر أيضاً: بك حليم، إبراهيم، تاريخ الدولة العثمانية العلية - المعروف بكتاب: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ت.د، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ص: 6-30، وانظر أيضاً: حرب، محمد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، 1999، دار القلم، ط2، دمشق، ص:128-147. والغريب في الأمر أن مؤلف هذا الكتاب عدّ مبدأ التسامح الذي أسست عليه الدولة العثمانية..من أهم الأسباب التي أدت بالدولة إلى الزوال والسقوط، وذلك بسبب خيانة النصارى ومؤامراتهم في حق الدولة الإسلامية..للتفاصيل راجع المصدر المذكور..

واليهود... الخ، وأتباع كافة الفرق والطوائف الدينية اليهودية والمسيحية والإسلامية، السنية وغير السنية، والقاديانيون والبهاثيون والمندائيون والبهرة... الخ، بأمن وأمان؛ .. ولم تسجل تاريخ الدولة الإسلامية على اختلاف عهودها حادثة اضطهاد ديني واحدة..²⁷⁸، وأن الدولة العثمانية كانت تتبنى " نظام الملة"²⁷⁹ العثماني، والذي كان يستمد أحكامه من الفقه الإسلامي، وأن الدولة العثمانية كانت دولة معارضة للفكرة القومية تماماً، ولم تكن تركز على العرق التركي الطوراني²⁸⁰، كما هو مشاع في كتابات بعض الباحثين. ولعل هذا الشاهد التاريخي كاف على هذه الحقيقة المشرقة. ونظراً لما لهذا التواصل الحضاري والثقافي و الديني من الأهمية بمكان في حياتنا العامة والخاصة، فقد أدركت الدولة العثمانية أن نشر روح الأمن والسلام والتفاهم بين الناس، لا بد من الحوار والتفاهم والتعارف والتعاون والتواصل الإنساني على اختلاف أجناسه وثقافته بالأساليب المختلفة، من دعوة ومناظرة ومناقشة ومراجعة ومجادلة. و قد تبين أنه لا سبيل إلى تحقيق التعايش السلمي بين أتباع الأديان إلا بالحوار والتي هي أحسن في حياتنا الاجتماعية والدينية والسياسية. وفي هذا الصدد يقرر المحللون بأن الحوار " ... بأشكاله ومسمياته ومصطلحاته المتعددة

²⁷⁸ انظر: المصدر السابق، ص: 174-186

²⁷⁹ وحول الإرساليات التبشيرية والإستشراقية في تدمير " نظام الملة " العثماني.. انظر: المصدر السابق: ص:

165-176

²⁸⁰ حرب، محمد، السلطان عبد الحميد الثاني - آخر السلاطين العثمانيين الكبار 1842-1918

م، 1996، دار القلم، ط2، دمشق، ص: 110-111

يصبح من لوازم الحياة وضمن استمرارها.. " 281 ،... إذا أحسنوا العرض والحوار والاستدلال والبيان، فبذلك تُصقل الملكات وتُوضَّح المشكلات وتقدم خطوة إلى الأمام... " 282 . هذا التقارب بين الطرفين، في نظر البعض الآخر يكفي: " اتفاقهم على قاسم مشترك أعظم يلتقون عليه... " ..والانطلاق من نقاط الاتفاق لا نقاط الاختلاف، والانطلاق من المقاصد لا من الوسائل... " 283 ، مع العلم بـ: "... أن الاتفاق الكامل غير ممكن... "، وأن: "... حالة التأزم، وفكر التأزم والتعصب والتمذهب والتقليد والانغلاق والحجر على العقل وازدياد الطائفيات، يستدعي المراجعة وإعادة النظر ووضع الخطط والبرامج لكيفية عودة الأمة إلى ذاتها، وحوارها مع ذاتها، وإعادة مد الجسور بين أوصالها ورؤاها المبعثرة 284 .

وهنا قضية نعتقد أنها في غاية من الأهمية، وهي أن ننطلق في الحوار

281 انظر : «الحوار.. الذات والآخر» للدكتور عبد الستار إبراهيم الهيتي، في سلسلة «كتاب الأمة» التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر على الانترنت: http://www.islamweb.net/ver2/Library/ummah_ShowChapter .

282 المرجع السابق: <http://www.islamweb.net/ver2/Archive/readArt>

283 المرجع السابق، وانظر أيضاً: حوار الحضارات.. مصالحة أم مصالح د. إيكهارد شولتس، حوار

الحضارات.. نظرات وخطرات، الأمير الحسن بن طلال رئيس منتدى الفكر العربي، ورئيس منتدى روما في :

<http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/2002/02/article1.shtml>

284 هذا الذي دعا إليه رؤساء الدول الست التابعة لجنوب شرق أوروبا (البوسنة و الهرسك و ألبانيا وكرواتيا ومقدونيا و الجبل الأسود - صربيا وبلغاريا) في الندوة العالمية التي عقدت في عاصمة ألبانيا - تيرانا بتاريخ 2006/12/9 م تحت إشراف المنظمة العالمية **Unesco** وبحضور أكثر من 100 دبلوماسي ومحلل سياسي عالمي. لقد أكد الجميع و تعاهدوا عليه في هذه الندوة على ضرورة الحوار بين المواطنين لكونه المفتاح الوحيد للمصالحة بين الشعوب البلقانية والسلام الدائم، وبذكافة أساليب العنف والكرهية العرقية أو الدينية التي مر بها منطقة البلقان في التسعينات..

للمزيد انظر الموقع الألباني على الانترنت: <http://www.albnet.gr/alba/11dhjetor.htm>

من معرفتنا (بالآخر) بكل مكوناته والتعامل معه من خلال ذلك وليس من خلال ما نريد ونتمنى، ولا يمكن أن يكون الحوار مع عدم الاعتراف (بالآخر)؛ وذلك أن الاعتراف به وبخياره ووجوده كواقع؛ شيء، وإقراره على ما هو عليه؛ شيء آخر...²⁸⁵ ، لأنه من يتصفح صفحات السيرة النبوية العطرة سيجدها مليئة بالشواهد والنماذج على حوارات الرسول ﷺ مع غيره، بل و حتى مع أعدائه: "... بل لقد توصل بنتيجة التفاوض والحوار إلى معاهدات ووثائق وبناء نقاط مشتركة. وما وثيقة المدينة المنورة مع يهود بطوائفهم جميعاً، وما صلح الحديبية مع المشركين²⁸⁶، وما المعاهدات الأخرى، إلا اعتراف بهذا الواقع وعدم إلغائه ونفيه وإقصائه، ولم يقتصر الأمر على الاعتراف وإنما تجاوز إلى مد جسور الحوار أيضاً...²⁸⁷

²⁸⁵ هذا الذي فعله الصرب مع المسلمين الألبان في القرن العشرين، وهذا الموقف المحايد الذي وقفته الدول الأوروبية مع المسلمين عموماً في الجزيرة البلقانية ومع المسلمين الألبان خاصة، كما سنثبت ذلك في المباحث القادمة من هذه الورقة... انظر: «الحوار.. الذات، والآخر» للدكتور عبد الستار إبراهيم الهيتي، في سلسلة «كتاب الأمة» التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر على الانترنت:

http://www.islamweb.net/ver2/Library/ummah_ShowChapter

²⁸⁶ Dr. Mustafa As – Sibaa'ie, *The Life of prophet Muhammad – Highlights and Lessons*, International Islamic Publishing House, 2004, 1st Edition, Riyadh, Saudi Arabia, 68–70

²⁸⁷ انظر المرجع السابق بتصريف، و حول أهمية مد و بناء الجسور بين الثقافة الغربية والإسلامية، وكبرى الأديان العالمية انظر:

A Building Bridges between Islam and the West, The Wilton Park Seminar, Wilton Park, West Sussex, December 13, 1996.. <http://www.bbcworld.com>

وانظر أيضاً هذا المقال المهم بعنوان :

ولكن لا يكون مد هذه الجسور على الطريقة كما اختارتها بعض المسلمين في بلاد المغرب العربي على أن الموسيقى هي لغة الحوار لجميع الفرق والطوائف الدينية دون استثناء..²⁸⁸؟! وهذا الذي لم يجد الألبان المسلمون من الصرب. فبالنسبة للصرب وجود المسلمين الألبان كعدمهم. لا حوار و لا كرامة و لا احترام. دم الألباني المسلم وماله وعرضه بالنسبة للصرب الأرتوذكس حلال و هدر. وليس بعد هذا الإرهاب إرهاباً آخر.

وقد صدق في حق الصرب الأرتوذكس قول القائل: " .. فأصحاب الرؤية الأحادية، الذين لا يمتلك تراثهم وقيمهم حق التنوع والاختلاف غير مؤهلين ثقافياً وحضارياً لتقنية الحوار، ولو ادعوا ذلك؛ لأنهم يعتقدون أن الصراع هو السبيل الوحيد للقضاء على (الآخر)، وترويضه وتعييده للسيد المهيمن.."²⁸⁹، وأنهم قد أغرقتهم المواجهة مع المسلمين البوسنيين والألبان في كوسوفا ظانين أنها ستحقق نتائج قريبة، دون أن يعلموا أن هذه المواجهة تخفي وراءها العواقب الوخيمة؛ والعبرة دائماً بالعواقب والنتائج.

Building Bridges Between Christianity and Other

Religions. <http://www.intervarsity.org/ism/article/105>

²⁸⁸ انظر تقرير المراسل لقناة سي بي أن - نيوز CBN News بعنوان :

George Thoma ;***Building a Bridge between Faiths in Highly***

Muslim Nation; *CBN News Sr. Reporter*

<http://www.cbn.com/CBNNews/News/->

²⁸⁹ انظر : «الحوار.. الذات، والآخر» للدكتور عبد الستار إبراهيم الهيتي، في سلسلة «كتاب الأمة» التي

يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر على الانترنت:

http://www.islamweb.net/ver2/Library/ummah_ShowChapter

المبحث الثاني: ملامح الجذور التاريخية للإرهاب السلافي الصربي ضد المسلمين الألبان في كوسوفا

ولعلنا من خلال هذه الإطلالة والمقدمة التاريخية الموجزة على بعض التطورات السياسية والاجتماعية والدينية في جزيرة البلقان وأوروبا الجنوبية الشرقية بالذات، ستمكن من تسليط الضوء على جملة من العوامل الداخلية والخارجية، والتي ساهمت بشكل مباشر غرس فكرة الإرهاب في عقول و دماء الصربيين، لأننا دون استرجاعنا وفتحنا للملف التاريخي الماضي لن نتمكن بحال من الأحوال من تشخيص الداء، فحتى لا تتكرر أخطاء الماضي في هذا العصر أحببنا أن نشير إليها باختصار شديد.

المطلب الأول: الأزمة السياسية في أوروبا الشرقية و حركة التمرد الصربي وتآمر الدول النصرانية ضد الدولة العثمانية

تشير المصادر التاريخية الألبانية والأوروبية الحديثة إلى مسألة سياسية تاريخية مهمة، والتي عبروا عنها قديماً ب:أزمة أوروبا الشرقية: (Eastern Europe Crisis) (1875-1878) وهذه المسألة يرى المؤرخون أن فحواها هي: "...مجرىات الأحداث البلقانية، وأهداف الاحتلال من قبل الدول الأوروبية الكبرى، وخططهم ومؤامراتهم لتقسيم الأراضي البلقانية المحتلة فيما بينهم، والمفاوضات الدبلوماسية العالمية عن الأتراك و الدولة

العثمانية... " 290، و يمكن أيضاً إدراج محاولاتهم الجبارة في إسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية.

ومن خلال دراستنا وتبعنا للأحداث والتطورات في القرن التاسع عشر استطعنا أن نلاحظ جملة من العوامل، و على رأسها عامل التحريض على القتال والحرب والتمرد ضد الدولة العثمانية، والذي كان له دوره الفعال والمباشر في تأجيج النزاعات وإشعال الحروب بين الشعوب الإسلامية والشعوب السلافية الأرثوذكسية. ومن خلال هذا الاستعراض التاريخي الموجز يظهر لنا بجلاء خطط ومؤامرات الشعوب السلافية بتعاون مع الدول النصرانية الكاثوليكية المجاورة ضد الدولة العثمانية. تشير المراجع التاريخية بأن " .. سكان الجبل الأسود والصرب - قاموا - بتحريض بلاد الهرسك للخروج على الدولة العثمانية، وكان ذلك عام 1876 م، واستطاع العثمانيون إخمادها، ورغب السلطان عبد الحميد الثاني في منع الدول الأوروبية من التدخل، فأصدر قراراً بفصل القضاء عن السلطة التنفيذية، وتعيين القضاة بالانتخاب عن طريق الأهالي، والمساواة في الضرائب بين المسلمين والنصارى... و لم يرضَ بذلك السكان، فعادوا إلى الثورة التي قمعت... ولكن النمسا التي كانت تقف وراء الثورة وترغب في ضم البوسنة والهرسك إليها، استمرت في تحريض السكان ضد الدولة العثمانية، فعملت النمسا مع روسيا وألمانيا وفرنسا وإنجلترا على الطلب من السلطان بالقيام بإصلاحات فوافق عليها السلطان، ولكن نصارى البوسنة لم يتقبلوا بذلك... كما قامت ثورة البلغار في نفس الوقت الذي قام فيه نصارى

²⁹⁰Shehu, Bedrush, *Ceshnje shqiptare ne vitet e 30 te shek. XIX*, 15.

البوسنة والهرسك بثورتهم بدعم من النمسا والدول الأوربية وخاصة روسيا، فقد تأسست جمعيات في بلاد البلغار لنشر النفوذ الروسي بين النصارى الأرثوذكس... وكانت تدعمها روسيا وتمدها بالسلاح، وتبذل هذه الجمعيات بدورها جهدها لإثارة سكان الصرب والبوسنة والهرسك... فأخذت الدول الأوربية تثير الشائعات عن المجازر التي ارتكبتها العثمانيون ضد النصارى والعكس هو الصحيح... " 291.

إن هذا المشهد التاريخي المظلم قد صور لنا مدى الظلم والجور لتلك الدول الأوربية، كنمسا وألمانيا وروسيا وانكلترا في حق الدولة العثمانية عامة وفي حق مسلمي البلقان خاصة.

هذا التحريض للقتال والتمرد و الإرهاب كان يتم بواسطة رجال الدين الأرثوذكس من الروس في تحريض الشعوب السلافية الأرثوذكسية ضد ثقافة الإسلام والمسلمين وتقويض عملية التعايش السلمي. فهذه قضية باتت مسلمة لدى المؤرخين المنصفين و العارفين بحقيقة النزعة السلافية و العرق السلافي التي ترى فضلاً و أولوية على غيرها من الشعوب و الأعراق، تماماً كاليهود. يذكر لنا الدكتور محمد الصلابي قائلاً:

".. و كانت روسيا ترغب في الوصول إلى المياه الدافئة بسبب عوامل دينية واقتصادية وجغرافية، وقد نص لبطرس الأكبر (1627-1725م) في وصيته للروس على ضرورة الصراع الحضاري ضد العثمانيين إلى أن تنتهي الدولة العثمانية من الوجود، حيث يقول في الفقرة التاسعة من وصيته: **نقترب من القسطنطينية و الهند بقدر الإمكان، فمن يملك**

291 الصلابي، علي محمد، الدولة العثمانية - عوامل النهوض و أسباب السقوط، ص: 408-410

القسطنطينية فقد ملك العالم. بناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع العثمانيين... نشارك النمسا فيما قصدناه من إخراج العثمانيين من أوروبا... وبعد التسلط على الممالك العثمانية نجتمع جيوشنا وتدخل أساطيلنا بحر البلطيق والبحر الأسود ونشرع في التفاوض مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة العالم بيننا... " 292.

وقد هتم القادة الروس بهذه الوصايا في عصر السلطان عبد الحميد الثاني، حيث كثرت الثورات بدعم من روسيا والدول الأوربية في البلقان، وسعت روسيا على قيام الدول النصرانية مثل رومانيا وبلغاريا وصربيا واليونان، ويدل على ذلك المعاهدة الجائرة لـ: قديس سان ستفانو San Stefano في 15 فبراير 1878م مع العثمانيين، حيث جاء في بنود هذه المعاهدة:

- 1- تعيين حدود للجبل الأسود لإنهاء النزاع وتحصل هذه الأمانة على الاستقلال،
- 2- تستقل إمارة الصرب و تصاف إليها أراض جديدة،
- 3- تستقل بلغاريا استقلالاً ذاتياً وإدارياً، ويكون موظفو الدولة والجند من النصارى،
- 4- تحصل دولة رومانيا على استقلال تام،
- 5- يتعهد الباب العالي بحماية الأرمن والنصارى من الأكراد والشركس،

292 المرجع السابق بتصرف، ص: 410، و عن دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية... انظر أيضاً: حرب، محمد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، 128-147

6- تدفع الدولة العثمانية غرامة حربية قدرها (مائتان و خمسون مليوناً
(250 مليون ليرة ذهبية..²⁹³.

هذا المشهد التاريخي المؤسف والمخزي كاف لإبراز تلك الجذور الإرهابية
و المواقف المنحازة من قبل الدول الأوربية الكبرى تجاه الشعوب الإسلامية
عامة و المسلمين الألبان والبوسنيين خاصة. وما من شك من أن هذه
المواقف المخجلة إذا ما تكررت، بل أقول إنها تتكرر أيضاً في حق الشعوب
الإسلامية عامة، و مع فلسطين خاصة في هذه الأيام كما رأينا المجازر و
المذابح من الإرهاب الصربي على أهل غزة. أقول إن هذه المواقف المحايدة
و المزدوجة تعتبر من أهم العقبات التي تحول بيننا وبين تحقيق الأمن والسلام
والتعايش السلمي، كما أنها تعتبر من كبرى العوامل المغذية لجذور
الإرهاب²⁹⁴.

²⁹³ المصدر السابق، 412-413

²⁹⁴ للمزيد عن تاريخ النمساوية المهنغارية في البوسنة و الهرسك يراجع:

Karcic, Fikret, *The Bosniaks and the challenges of modernity, late Ottoman and Hapsburg times*, 20-125; *Journal Of Islamic Studies*, Vol. 5, No.2, July 1994, Oxford University Press; *Islam in the Balkans*, Lopasic, Alexander, *Islamization of the Balkans with special reference to Bosnia*, 163-186.

المطلب الثاني- انهيار الدولة العثمانية وأثر ذلك على المسلمين الألبان في جزيرة البلقان

إن قضية المسلمين الألبان مرتبطة شديدة الارتباط بتاريخ الدولة العثمانية. ولن يفهم التاريخ الألباني القديم والحديث إلا بربط قضيتهم بالتاريخ العثماني. لقد ثبت تاريخياً مما لا يدع مجالاً للشك أن عدداً كبيراً من الشخصيات الألبانية مارسوا وظائف راقية وشغلوا مناصب عالية في جهاز إدارة الدولة العثمانية²⁹⁵.

فكان منهم الوزير ورئيس الوزراء، وعلماء الدين - المراجع الدينية - وقد أطلق على هؤلاء الشخصيات السياسية والدينية رفيعي المستوى أيام الدولة العثمانية ب: (الصدر الأعظم)²⁹⁶، و (شيخ الإسلام) في الدولة العثمانية .. الخ. وحسب دراسات وإحصائيات بعض الباحثين ثبت أن خلال العهد العثماني قد شغل هذه المناصب والوظائف العالية في الدولة العثمانية ما يقارب أربعين شخصية ألبانية دينية و سياسية. بناء ما تقدم، فإن أي تطور أو تغيير يحدث في الدولة العثمانية سلباً أو إيجاباً، كانت تعكس نتائجها على الألبان، سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الديني.

²⁹⁵ Alpan, P. Nexhip-Kaci, Nesim, *Shqiptaret ne perandorine Osmane*, 22-23

²⁹⁶ و " .. الصدر الأعظم هو الشخص الذي حاز على منصب رئيس وزراء في الدولة العثمانية وكان وكيلاً مطلقاً للسلطان، وللتفريق بينه و بين غيره من الوزراء أطلق عليه الوزير الأعظم، كما لقب بالصدر العالي و صاحب الدولة.. " انظر: صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، 2000، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ، ط1، ص 143-144

الجانب الآخر والأهم الذي يكمن في هذا المطلب هو أن حركة التمرد والعصيان الصربي السلافي بلغت ذروتها و ضربت بجذورها في الأرض فرحاً و سروراً في هذه المرحلة، أي مرحلة ظهور ملامح الضعف والانحيار للدولة العثمانية. الدويلات المجاورة الأرثوذكسية السلافية مثل اليونان والمملكة الصربية والجبل الأسود و بلغاريا²⁹⁷، كانت تسعى على استقلالها وانفصالها من الدولة العثمانية بمساعدة من الدول المجاورة الكاثوليكية، وأن تلك الدول كانت تسعى على توسيع نطاق حدود أراضيها على حساب الأراضي الألبانية من الشمال والجنوب والشرق، لأنه لم يعد هناك رقيب و لا رادع يردعهم من احتلال و استعمار للأراضي الألبانية.

لقد كان موقف الدول الأوروبية موقف محايداً وجائراً بكل ما تحمله هذه الكلمات من المعاني، وأن سعيهم كان حثيثاً لإسقاط الدولة العثمانية بكل الوسائل المتاحة، وقد نجحوا في تحقيق أهدافهم وأطماعهم، و إنا لله و إنا إليه راجعون، و أسأل الله عز وجل أن يعيد للإسلام و الأمة الإسلامية مجدها و عزها و كرامتها المسلوبة والضائعة.

إذا عرفنا هذه الحقيقة يحسن في هذا الصدد أن نبحت عن جذور هذه الإشكالية أيضاً، وهو البحث عن العوامل التي أدت بهذا الكيان الإسلامي

²⁹⁷ لتفاصيل حول ظلم و أخطاء الدول الأوروبية في حق المسلمين الألبان انظر هذا البحث المهم:

Erik Siesby, *Kosova, part of the former Yugoslavia*, Source:

Turkish Daily

News, http://www.witnesspioneer.org/vil/Articles/politics/kosova_former_yugoslavia

الشامخ (الدولة العثمانية) أن ينهار وينسف نسفا²⁹⁸، بعد أن عاش مدة من العمر غير قصيرة، ستمائة سنة إلا ستين عاماً، وكيف كان موقف المسلمين الألبان أمام هذا التحدي الكبير – تحدي زوال الدولة العثمانية²⁹⁹.
ومن خلال بحثنا حول عوامل هذا الموضوع في مختلف المصادر و المراجع نستطيع أن نجمل هذه العوامل التي ساهمت في سقوط الدولة العثمانية في النقاط الآتية:

يرى البعض أن التخلف العلمي والصناعي للدولة العثمانية كان من أهم العوامل³⁰⁰. وذهب البعض الآخر إلى أن التوسع والتمدد العسكري السياسي والديني الروسي، أو الحركة الروسية الدينية الأرثوذكسية: (Russian Orthodox Pan Slavism)، قد لعبت دوراً كبيراً في إسقاط الدولة العثمانية، وذلك بهدف إنقاذ و تحرير نصارى البلقان،

298 فيما يخص مسألة سقوط و نحو الحضارات نرى من الفائدة أن نذكر كلام الأستاذ المؤرخ العراقي الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل في هذا الصدد إذ يقول: "...إن التدهور لا يعني - بالضرورة - السقوط النهائي، والانسحاب من الميدان..و أن التدهور لا يحدث فجأة أو عبر فترات زمنية قصيرة، وإنما تتجمع روافده من هنا وهناك خلال أزمان متطاولة قد تستغرق في أغلب الأحيان القرون الطوال. هذا إلى أن التدهور لا ينفرد به عامل واحد، و إنما هو وليد جملة من العوامل التي يتداخل بعضها مع البعض الآخر بحيث يصعب - أحياناً - فك الارتباط بينها من أجل تبين الحجم الحقيقي لكل منها. إن ظاهرة التدهور الحضاري تشكل ببطء وعلى مكث، وتسهم في صنعها عوامل ومؤثرات شتى: عقدية وسياسية وإدارية واقتصادية واجتماعية وجغرافية وأخلاقية..".
للمزيد حول هذه المسألة انظر: خليل، عماد الدين: **حول عوامل تدهور الحضارة الإسلامية، في التجديد**: مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ع 8، س 2000، ص 9-49

38- انظر: خليل، عماد الدين: **حول عوامل تدهور الحضارة الإسلامية، في** : (التجديد: مجلة فكرية نصف سنوية محكمة تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ع 8، س 2000)، ص 9-49
300McCarthy, Justin, **Death and Exile** 5-6; Poullton, Hough, **Muslim Identity and the Balkan state**, 15.

وبالأخص النصارى الذين كانوا تحت حكم الدولة العثمانية³⁰¹. و أيضاً فإن تورط بعض الولاة والأمراء العثمانيين في المحرمات و المعاصي مثل تعاطي الرشوة وغيرها³⁰²، وفقدان الخلق والجهاد الإسلامى وإهمال تطبيق الحدود الشرعية، من السلاطين المتأخرين عُدّ ذلك في نظر البعض من أكبر العوامل لسقوط الدولة العثمانية..³⁰³.

إن فقدان السيطرة التامة على أمن الشعوب في الدولة العثمانية بسبب فتوحاتها وحروبها المتتالية، والتوسع السياسى والعسكري للدولة في القارات العالمية الثلاثة، آسيا وأوروبا وإفريقيا، كان ذلك أيضاً من العوامل المباشرة، حيث كلفهم ذلك كثيراً في العدة والعتاد. وتاريخ الدولة العثمانية كله جهاد وفتوحات، ما عدا ثمان وعشرين عاماً فقط من مجموع القرون الخمسة كانت بلا حروب..³⁰⁴.

إن تقليد بعض السلاطين لنمط الحياة الغربية في حياتهم الشخصية الخاصة، والتترف والإسراف الزائد، كان أيضاً من جملة العوامل، مما أغرق ذلك الترف، الدولة العثمانية في الديون الثقيلة، وأدى بها إلى إفلاس الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد..³⁰⁵.

³⁰¹ المرجعان السابقان أيضاً، ص 13-18

³⁰² Swire, John, *Albania the rise of a Kingdom*, 17; Biberaj, Elez, *Albania a socialist Maverick*, 13

³⁰³ Maksudoglu, Mehmet, *Ottoman history based mainly on Ottoman sources*, 340-346

³⁰⁴ Feraj, Hysamedin, *Skice e mendimit politik shqiptar*, 68-77

³⁰⁵ المرجع السابق.

كما أن التطفل الإداري والانشغال عن الواجبات الدينية والإدارية والتقاعد عن النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل العلماء والمشايخ ..³⁰⁶ كان ذلك أيضاً من جملة الأسباب والعوامل الخفية التي أدت بالدولة العثمانية إلى الهاوية. وعلى رأي بعض الباحثين فإن بداية مرحلة التدهور وانحطاط الدولة العثمانية.. كانت مع موت السلطان المجاهد سليمان القانوني³⁰⁷ المعظم سنة 1566م. ويرى بعض العلماء أن القوميين في الدولة العثمانية في مرحلتها الأخيرة تبنا الفكرة القومية الطورانية وسياسة التتريك، والتي كانت من ورائها جهود البلقان الموجودون في داخل الدولة العثمانية والذين تسموا بأسماء إسلامية. هذه الفكرة كانت بمثابة قبلة تم تفجيرها في جسم الدولة العثمانية فأدت إلى تفكيكها و تقطيعها إلى أوصال و أشلاء، لا يزال المسلمون في عصرنا الحاضر يعانون من آثارها..³⁰⁸ . ويبدو للباحث أن الإعلان والتبني الرسمي لإدخال الإصلاحات الإدارية والتنظيمات الدستورية في دستور الدولة العثمانية، والتي تولدت من فكرة بعض العثمانيين المثقفين والمتعلمين في الدول الغربية³⁰⁹.

³⁰⁶ Castellan, Georges, *Histori e Ballkanit, shek XIV-XX*, 217-218; Alpan, P. Nexhip-Kaci, Nesim, *Shqiptaret ne perandorine Osmane*, 22-23

³⁰⁷ المرجع السابق، ص 176

³⁰⁸ كان هذا رأي الأستاذ الدكتور محمد بماء الدين حسين، الأستاذ المشارك في قسم الدراسات القرآنية والحديثية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، في مقابلة شخصية مع سعادته في يوم 11.03.2003

³⁰⁹Rizaj, Skender, *Lidhja Shqiptare e Prizrenit*, 51; Castellan, Georges, *Histori e Ballkanit*, 219; Maksudoglu, Mehmet, *Ottoman history based mainly on Ottoman sources*, 328-329.

وقد جمع بعض الباحثين و المؤرخين أسباب سقوط الدولة العثمانية في هذه النقاط نشير إليها باختصار: عدم تحقيق معنى الولاء والبراء الصحيح، انحصار مفهوم العبادة، انتشار مظاهر الشرك والبدع و الخرافات، الصوفية المنحرفة، نشاط الفرق المنحرفة، غياب القيادة الربانية، رفض فتح باب الاجتهاد، انتشار الظلم في الدولة، الترف و الانغماس في الشهوات، الاختلاف والفرقة..³¹⁰.

فكما رأينا أن مع سقوط الدولة العثمانية كان سقوط وضياع حقوق المسلمين عامة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وأيضاً حقوق مسلمي جزيرة البلقان على وجه الخصوص، ولا سيما حقوق مسلمي الألبان والبوشناق. فسقوط الدولة العثمانية و بزوال هذه الدولة الحامية للإسلام والمسلمين كشر الصرب عن أنيابهم الإرهابية و تم تقوية وتغذية جذور الإرهاب الصربي على المسلمين الأيتام. نسأل الله عز وجل أن يعيد إلى الإسلام مجده وعزه من جديد في هذا العصر الذي قل النصير و فقد المعين على أيدي قادة منصفين ومخلصين، وما ذلك على الله بعزيز.

³¹⁰ الصلاحي، علي محمد، الدولة العثمانية - عوامل النهوض و أسباب السقوط، ص: 494-534،

الفصل الثاني: تأمر رجال السياسة والدين الأرثوذكس والكاثوليك على إبادة مسلمي البلقان

المبحث الأول: أهداف الحركة الدينية الروسية والصربية الأرثوذكسية

أما بالنسبة للحركة الدينية الروسية السلافية الأرثوذكسية: (Russian Orthodox Pan Slavism)، فإن هذه الحركة الدينية السياسية كانت تهدف إلى تحرير و إنقاذ النصارى الأرثوذكس من الحكم العثماني الإسلامي ومن الحكم النمساوي الكاثوليكي، وكانت تعتقد أن سكان روسيا Russia، وبولاندا Poland، وتشكوسلوفاكيا Czechoslovakia، وصربيا Serbia، وكرواتيا Croatia، وبلغاريا Bulgaria، وسلوفينيا Slovenia، يعتبرون كلهم قومية واحدة وينحدرون من نسل وعرق مشترك واحد³¹¹.

كما اعتقد هؤلاء أن أوروبا قد أصيبت بداء عضال وأنه قد حان وقت هلاكها وزوالها، وكان في ذلك إيذاناً و إشارة بميلاد إمبراطورية كبرى مركزها في اسطنبول. وعندما اندلعت الحرب الروسية - العثمانية سنة 1853م - 1856م، ظن الروس الأرثوذكس أنه قد حان موعد تشكيل وتأسيس تلك الإمبراطورية الكبرى المنتظرة³¹².

³¹¹ انظر:

Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 40; Frasheri, Mehdi, *Historia e lashte e Shqiperise dhe shqiptareve*, 34-35

³¹² المصدر السابق، ص 40

وتشير المصادر التاريخية الحديثة أنه عندما تم اتحاد ألمانيا الشرقية والغربية سنة 1871م، حرك ذلك الاتحاد مشاعر الروس نحو تحقيق مطامعهم وأحلامهم الدينية. هذا يبدو واضحاً وجلياً من كلام أحد أبرز المستشرقين الروس، والذي يدعى نيكولاي ياكولوتش دانيلسكي (Nikolaj Jakovlevic Danilevskij)، حيث ذكر في كتابه المشهور: (روسيا و أوروبا) (Russia and Europe):

".. إن المسألة والقضية الشرقية في القرن التاسع عشر ما هي إلا حلقة حرب طويلة بين روما واليونان - باعتبار اليونان نصارى أرثوذكس، وباعتبار روما نصارى كاثوليك، وأن الألمان الآن يعتبرون أهل روما، وأن الروس يعتبرون أهل بيزنطة، أي أرثوذكس..³¹³.

يظهر واضحاً من كلام هذا المستشرق الروسي أن التعصب والحقد الديني الروسي السلافي تجاه غيرهم والمسلمين خاصة، ظاهرة أصيلة في قلوبهم إلى أن تقوم الساعة. وهذه الحقيقة وهذه الجذور الإرهابية السلافية تظهر واضحة جلية في خطاب البابا أربان الثاني عام 1088م. و يقرر المحللون أيضاً أن الاهتمام الغربي في العصر الحديث و: "... دراسة الشرق العربي - المسلم، جاءت بقرار كنسي، ونتيجة من نتائج الحروب الصليبية، التي كانت أيضاً بقرار ديني... فإن هذه الدوافع انبثقت من رحم الحروب الصليبية... فبعد أن تفشى الفساد في الكنيسة والمجتمع، رأى البابا أربان الثاني (1088 . 1099م)، أن من الضروري القيام بمغامرة مثيرة تضع العالم المسيحي بأجمعه أمام عمل وهدف مشترك، وكان خطابه

³¹³ Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*. 43

في المجمع الكنسي في كليبر مونت والذي دعاه لجلسة استثنائية في تشرين الثاني (1095م)، تعبيراً صريحاً عن الواقع المتصدع الذي يعيشه الغرب المسيحي، والرغبة الواضحة في وضع هذا الغرب أمام هدف عام واحد، فقد قال في خطابه أمام المجمع المذكور (... انهضوا وأديروا أسلحتكم التي كنتم تستعملونها ضد إخوانكم ووجهوها ضد أعدائكم؛ أعداء المسيحية. إنكم تظلمون اليتامى والأرامل، وأنتم تتورطون في القتل والاعتصاب، وتتهبون الشعب في الطرق العامة، وتقبلون الرشاوى لقتل إخوانكم المسيحيين، وتريقون دماءهم دونما خوف أو وجل أو خجل، فأنتم كالطيور الجوارح آكلة الجيف، التي تنجذب لرائحة الجيف الإنسانية النتنة، ضحايا جشعكم. انهضوا إذن ! ولا تقاتلوا إخوانكم المسيحيين بل قاتلوا أعداءكم الذين استولوا على مدينة القدس، حاربوا تحت راية المسيح، قائدكم الوحيد، افتدوا أنفسكم، أنتم المذنبون المقترفون أحط أنواع الآثام وهذه ((مشيئة الله)).. " 314

وبسبب وجود هذه الجذور الإرهابية في قلوب النصارى السلاف الأرثوذكس، فقد قامت صربيا والجبل الأسود مندفعين من الحركة الدينية السلافية الأرثوذكسية الروسية بإعلان الحرب على الدولة العثمانية في سنة 1876/7/1م. هذه الحركة الروسية الدينية السلافية يوماً بعد يوم بدأت تظهر ملامحها وضخامة شأنها وخطورة أمرها، فتحوّلت القضية إلى أمر حاسم: الإسلام أم النصرانية، أو المسلمون أم النصارى، أوروبا أم آسيا؟

314 عبد الفتاح، فاطمة، إضاءات على الاستشراق الروسي، 2000، من منشورات اتحاد الكتاب العرب،

وفي الوقت ذاته إنكلترا هي الأخرى أعلنت الحرب على الدولة العثمانية، فتفاقت الأمور للغاية³¹⁵.

و بما أن الروس كانوا عبر التاريخ و لا يزالون إلى يومنا هذا من أكبر الحلفاء و أشد الناس ولاء للصرب، فقد تسربت على قلوب و عقول الصرب هذه النزعة السلافية الأرثوذكسية المستعلية، وظهرت إلى الوجود حقيقة هذه الجذور الإرهابية والتعصب الديني والقومي الأرثوذكسي الصربي وهذا الكره للإسلام والمسلمين الألبان في مؤتمر برلين أيضاً عام 1876/12/23-1877/01/20، حيث أعدت الدول النصرانية و الكاثوليكية المنظمة للمؤتمر وثيقة ومذكرة مشتملة على مطالب قاسية من الدولة العثمانية، متعمدين إخراج القضية الألبانية المسلمة من جدول أعمال المؤتمر. وإن نظرة سريعة على توصيات وبنود هذه المذكرة الجائرة لكافية على فهم وإدراك خطأ وظلم وعدم ونزاهة تلك الدول الكبرى للقضية الألبانية المسلمة، فنذكر من تلك البنود ما يلي:

1. نزع سلاح المقاومة من مسلمي بلغاريا و البوسنة والهرسك،
2. إقصاء الموظفين المسلمين من هذه المناطق،
3. تشكيل الشرطة من الأفراد و العناصر النصرانية فقط،
4. الجنود العثمانيون يسمح لهم بالبقاء في القلاع المرتفعة فقط،
5. إلغاء العُشُر من المواطنين الذميين، و هي الضريبة التي كانوا يدفعون للدولة العثمانية،

³¹⁵ المرجع السابق، ص 48

6. فرض استخدام اللغة السلافية الأرثوذكسية في المحاكم والدوائر الحكومية،

7. تعيين الولاة في الدول الإسلامية من النصارى فقط، كما كان الحال مع والي لبنان،

8. تعذيب المسلمين الذين اشتركوا في الأعمال الإجرامية ضد النصارى، وإجبارهم على دفع تعويض مالي...³¹⁶.

فكما رأينا أن في هذه الوثيقة الجائرة، أن قضية الألبان المسلمين كانت منسية تماماً ولم يرد ذكر الألبان على لسان الدبلوماسيين الغربيين³¹⁷، و بسبب عدم خضوع الدولة العثمانية لهذه المطالب الجائرة، فما كان من روسيا إلا أن تعلن حرباً على الدولة العثمانية سنة 1878/6/26م. و في هذه الظروف الصعبة، أعلنت صربيا والجبل الأسود أيضاً الحرب على الدولة العثمانية، لأنهم استغلوا انشغالها بروسيا، وظنوا أنها لن تتمكن من السيطرة على الوضع³¹⁸.

ولكن نظراً لضعف الدولة العثمانية في العدد والعدد، لم تر من مصلحتها خوض حرب مع روسيا. وفي تاريخ 1878/3/3م صالح العثمانيون الروس موقعين على اتفاقية ذات البنود التسع والعشرين، كان جلها ضد

³¹⁶Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 48-49; Alpan P. Nexhip-Kaci Nesim, *Shqiptaret ne perandorine Osmane*, 34; *Historia e Popullit Shqiptar*, vol.2, 106-173.

³¹⁷والغريب أيضاً من الأستاذ الدكتور التركي Mehmet Maksudoglu، كيف لم يذكر في كتابه سطرأ ولا فقرة ولا مبحثاً واحداً عن الألبان في الدولة العثمانية و دورهم..وهو يتحدث عن تاريخ الدولة العثمانية!!

³¹⁸المرجع السابق، 67، وانظر للتوسع: أوغلي، عثمان: مذكرات الأميرة عائشة، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، 11-56

مصالح الألبان المسلمين ومستقبلهم السياسي و الجغرافي والعربي والثقافي
319

المبحث الثاني: من مظاهر جذور الإرهاب الصربي التطهير العرقي وتهجير المسلمين الألبان

إن الأراضي الألبانية في العصر الحديث قد شهدت أنواعاً مختلفة من التطورات والتغيرات والحروب، ومن جملة هذه التطورات الاجتماعية والدينية والسياسية كانت قضية الهجرة وتهجير المسلمين الألبان، أو بعبارة أخرى التطهير العرقي للمسلمين الألبان. لقد أكرهوا إلى الهجرة إلى أماكن مجهولة، فارين بدينهم وأنفسهم وأموالهم. إن القوات الروسية والصربية والبلغارية بتعاون وتنسيق مع قادة الدول الأوربية المجاورة، بحثوا فيما بينهم على كيفية تحقيق هذا المشروع، وفعلاً تحقق هذا المشروع وفقاً على الطريقة التي خططوا له. لقد هاجر عدد كبير من المسلمين، تاركين أوطانهم وأموالهم ليحل محلهم المستوطنون الصرب والروس والبلغار وأهل جبل الأسود.

وفي مؤتمر برلين Berlin Conference 1878/04/13 تمت الصفقة التجارية الكبرى، حيث تم إعطاء الأراضي الألبانية للصرب من قبل الدول الكبرى الأوربية، واتفق منظمو المؤتمر إلى عدم اعتراف بالوفد الرسمي المرسل من كوسوفا لحضور المؤتمر و المشاركة فيه، بل لم يسمح لهم حتى بالدخول إلى قاعة المؤتمر...! وهكذا علناً أنكروا وجحدوا حقوق

³¹⁹Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 69-70

الألبان، بل لم يعترفوا بوجودهم أصلاً، واعتُبر المسلمون الألبان من المواطنين الأتراك من قبل هؤلاء! و هذا جهل فادح بتاريخ الألبان. و قد حاول المؤرخون الملحدون من الألبان و غيرهم تبرير تهجير المسلمين الألبان قائلين بأن أن الأسباب والعوامل التي من أجلها اضطر الألبان المسلمون إلى مغادرة أوطانهم، كانت بعضها دينية- و هذا هو الراجح في هذه المسألة التاريخية -، وبعضها اقتصادية و أخرى سياسية. وعلى رأس تلك الأسباب الدينية كانت الخدمة العسكرية الإجبارية على الألبان لصالح الصرب النصارى الأرثوذكس، حيث كان يكره الجنود المسلمون التقيد بالزي العسكري الصربي و مشاركة الجنود الصربيين في نمط حياتهم و طريقة أكلهم وشربهم³²⁰. وتذكر لنا المصادر التاريخية بعضاً من جرائم هؤلاء الصرب. فقد قاموا بعمليات إكراه النساء المسلمات على الزنا، وسرقة ونهب أموال المسلمين وممتلكاتهم و ثرواتهم، ومحاصرة وتجويع المسلمين. كما أنهم قاموا بحرقهم أحياء في المساجد و المحلات التجارية والأماكن العامة، و غيرها من أنواع التعذيب و الإبادة مما يعجز³²¹ اللسان عن وصفها. إن حذر الألبان من تغيير الهوية القومية والعرقية و ضياع الهوية الدينية الإسلامية، جعلهم يحسبون لذلك حسابها إن هم وقعوا أسرى في أيدي الصرب وأهل الجبل الأسود واليونان الحاقدين المتعصبين. فكان ذلك الحذر من الأسباب الرئيسة التي دفعتهم إلى الهجرة الجماعية³²².

³²⁰ انظر: Rizaj, Skender: *Lidhja Shqiptare e Prizrenit*, ص 79

³²¹ المرجع السابق، وانظر بشيء من التفصيل هذا المرجع الراجع:

McCarthy, Justin, *Death and exile*.. 138-141.

³²² المرجع السابق، ص 1، 19، 59، 94.

وأيضاً خوف مسلمي البلقان عامة من الردة إلى النصرانية الأرثوذكسية السلافية، دفعهم ذلك إلى أن يفكروا بالهجرة، كما كان الحال مع مسلمي بلغاريا حيث إن كثيراً منهم ارتد إلى النصرانية، لأنهم فضلوا البقاء وعدم الهجرة، والذين تنصرون من المسلمين كانوا يسلمون من المذابح والمجازر الصربية والبلغارية³²³.

ومن الأسباب التي دفعت المسلمين الألبان عامة إلى الهجرة، هو الظلم الشديد والضغط القاسية التي كانت تمارس في حقهم من قبل الروس والصرب الأرثوذكس وأهل الجبل الأسود في حق المسلمين الألبان³²⁴.

ومن الباحثين من يرى أن الأسباب الاقتصادية أيضاً دفعت بالألبان إلى الهجرة، و رأي مرجوح. هذا العامل وإن كان صحيحاً نسبياً في حق فئة قليلة من الألبان النصارى الأرثوذكس، إلا أنه لا يعمم على جميع المسلمين

³²³ المرجع السابق، ص 152-153

³²⁴ للوقوف على المذابح والمجازر المرتكبة من قبل الصرب و إمارة الجبل الأسود في حق المسلمين الألبان انظر هذه المراجع و المصادر والسجلات التاريخية المهمة: المجزرة في يوغسلافيا، (الكويت: دار الوثائق، ط.د، ت.د، م.د)، وانظر أيضاً هذه المصادر الألبانية المهمة:

Cana, Zekeria, *Gjenocidi i Malit te Zi mbi popullaten Shqiptare 1912-1913, Dokumente*, Instituti Albanologjik i Prishtines, Prishtine, 1996, 11; Ajdini, Azem, *Masakra e Tivarit Serbo-Malazeze*, 1998, Edlor, Tirane; Kansu, Huseyin, *Kosova ikinci Bosna olmasin*, Yildizlar Matbaasi, Istanbul,1998,11-33; Bajrami, Hakif, *Kosova - njezet shekuj te identitetit te saj-argumente historike*, 2001, Era, Prishtine, 77-81; Kola, Harrila, *Gjenocidi Serb ndaj Shqiptareve ne viset e tyre etnike ne Jugosllavi 1941-1967*, 2000, Elton, Tirane, 116-222

الألبان وهم الغالبية العظمى. والذين يحتجون بأن العوامل الاقتصادية هي التي دفعت بالألبان إلى الهجرة، و ليست العوامل الدينية، ويقولون إن: ".التطورات الاقتصادية والاجتماعية في القرن التاسع عشر جلبت معها موجة الهجرة الجماعية إلى اسطنبول، حيث أصبحت مأوى لأكثر من: 60.000.00 (ستون ألفاً) من المهاجرين الألبان. ومن اسطنبول كانوا يتجهون نحو اليونان ومصر وسوريا ورومانيا وروسيا الجنوبية وإيطاليا وأخيراً إلى أمريكا وأستراليا..."³²⁵.

فكما قلت أن الألبان من جنوب ألبانيا و هم من النصارى الأرثوذكس، هم الذين غادروا بلادهم للأسباب الاقتصادية والمعيشية³²⁶، بينما الغالبية العظمى من الألبان المسلمين غادروا بلادهم وهاجروا لأسباب دينية، خشية الارتداد إلى النصرانية. إن القادة السياسيين من الصرب كانوا يتعاونون مع رجال الفكر والمعرفة من المستشرقين الصرب و الروس، حيث كان يتم تهجير المسلمين الألبان وإخراجهم من أراضيهم بتنسيق وتعاون كبير فيما بينهم. والمستشرقون الصرب هم الذين مهدوا الطريق أمام قادتهم السياسيين، جاء ذلك على لسان ألد المستشرقين الصرب، وهو صاحب فكرة ومشروع التطهير العرقي؛ أن صربيا إذا ما أرادت أن تكون آمنة ومطمئنة، فعليها أن تطهر أرضها من كل العناصر الغريبة ما عدا العنصر

³²⁵ Castellan, Georges, *Histori e Ballkanit*, 379-380.

³²⁶ لمعرفة المزيد عن هذه النقطة بالذات انظر:

Thengjilli, Petrika, *Historia Shqiperise*, 27; Mufaku, Muhamed, *Shqiptaret ne boten Arabe*, 97-130; Silajxhic, Haris, *Shqiperia dhe SHBA-te ne arkivat e Washingtonit*, perkthyer nga: Xhelal Fejza, Dituria, Tirane, 1999, 25-42.

والعرق السلافي الصربي، مدعيًا كذبًا و زوراً أن هجرة المسلمين الألبان
عموماً تمت برضاهم وطواعية من عند أنفسهم، ولم يكن هناك إكراه روسي
أو صربي أو بلغاري على الهجرة..! ³²⁷

إن التاريخ يحدثنا بأن ظاهرة التهجير الجماعي للمسلمين الألبان كانت
تتم باتفاقيات سرية بين السلطات التركية العلمانية واليوغسلافية السلافية،
وذلك خلال السنوات 1939م-1944م ³²⁸ ، حيث كان لهم دور
كبير في تفرغ الأراضي الألبانية للمستوطنين الجدد من الصرب. فقد
قدرت السلطات اليوغسلافية في ذلك الوقت أن تهجر أكثر من ثمانية
آلاف أسرة ألبانية مسلمة عنوة وبالقوة، كما حدث ذلك في المدن الألبانية
التابعة لولاية كوسوفا، والتي حالياً تحولت إلى مدن صربية مشهورة مثل
مدينة بيروت، كرشملي، ورايا، بركوبلا، ليسكووتس (Pirot, Kurshumli,
Vranje, Prokuple, Leskovc) ³²⁹، وذلك إما بحرق بيوتهم أو مصادرة
ممتلكاتهم وتدمير وقصف قراهم وغير ذلك من الأساليب اللإنسانية
والوحشية. وقد تم تدمير وحرق: 182 (اثنان وثمانون ومائة) قرية ألبانية
مسلمة في بدايات النصف الأول من القرن العشرين. ³³⁰

ومن جهة أخرى فقد قامت الجيوش الروسية بتسليح البلغار وتخريبهم
على خوض حرب مقدسة دينية أرثوذكسية، وحرصوهم على ارتكاب

³²⁷Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizreni*; Zamir, Shtylla, *The Deportation of Albanians in Yugoslavia after the second world war 1950-1966* , 233-239; Cubrilovic, Vaso, *The Problem of Minorities in the new Yugoslavia, The truth on Kosova*,301-306.

المجازر والمذابح ضد المسلمين الموجودين في الأراضي البلغارية. على صعيد آخر قامت السلطات النصرانية في الجبل الأسود بتهديد المسلمين المجاورين لهم، وذلك إما أن يقبلوا التسلح والنفير العام والخروج معهم لقتال المسلمين³³¹ ، وإما أن يهاجروا ويغادروا قراهم³³².

تشير الإحصائيات و المصادر التاريخية إلى أنه قد تم تهجير أكثر من: 1.000.000 (مليون واحد) من المسلمين من منطقة البلقان إلى الدول الأخرى بين السنوات 1877م - 1879 م³³³.

أما عن وسائل النقل و التسفير للمسلمين المهاجرين، فهذا شيء يثير العجب والغرابة من تصرفات الدولة العثمانية في لحظاتها الأخيرة. فقد كانت تستأجر السفن والبواخر من انكلترا وفرنسا والنمسا ومصر وروسيا،

³²⁸ و هذه الفترة كانت فترة حكم أتاتورك، وأن بعد سقوط الخلافة العثمانية رسمياً سنة 1924م تسلط الماسونية و الصهيونية اليهودية على تركيا في إدارة شؤونها الإدارية و الاقتصادية والسياسية.

³²⁹Plana, Emin, *On the deportation of Albanians from the territory of Sandjak of Nish of Kosova 1877-1878. The truth on Kosova* , 73-78

³³⁰Bajrami, Hakif, *Kosova njezet shekuj te identitetit te saj*, 84.

³³¹ يرى الأستاذ الدكتور Skender Rizaj أن: " حقيقة الأمر كما أخبرنا السفير البريطاني في اسطنبول، السيد Layard ، أن الجيوش الروسية والبلغارية كانوا يهدفون إلى طرد جميع المسلمين من البلقان، و إلى استيلاء واغتصاب ثروتهم و ممتلكاتهم.." انظر:

Rizaj, Skender, *Lidhja Shqiptare e Prizrenit*, 81.

وانظر أيضاً:

Poullton, Hough, *Muslim identity and the Balkan State*, 19-20

³³² Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 79.

و إن شئت أن تقف على الإحصائيات الدقيقة لعدد المهاجرين الذين تم توزيعهم وتفريقهم في العالم.. انظر :

McCarthy, Justin, *Death and Exile*, 88-91, 159161, 162, 163, 164

³³³ Rizaj, Skender, *Lidhja shqiptare e Prizrenit*, 80.

وتولت هي مهمة دفع أجور النقل لهؤلاء، وكانت قد خصصت لجاناً خاصة تتولى شؤون الهجرة والمهاجرين. و من أهم محطات المهاجرين في تركيا اشتهرت هذه المدن: أدرنة، اسطنبول، أزمير، سام سون Edirne, (Istanbul, Samsun, Izmir) ³³⁴.

وتذكر المصادر التاريخية أن كثيراً من المهاجرين ³³⁵ المسلمين من البلقان اتجه نحو الأناضول وسوريا (دمشق و حلب) وقبرص والجزيرة العربية وأضنا وديار بكر ومدينة سيلانيك اليونانية وغيرها من المدن ³³⁶ ، وأن عدد المهاجرين من ولاية كوسوفا فقط بلغ 200.000.00 (مائتي ألف مهاجر) ³³⁷.

³³⁴ المرجع السابق، ص 80-81، و انظر:

Poullton, Hough, *Muslim Identity and the Balkan State*, 146-148

³³⁵ قارن ظاهرة وعملية هجرة الألبان مع هجرة مسلمي البوسنة في:

Journal of Islamic Studies, 5:2, July 1994, Mufaku, Muhamed, *Islam and Muslims in Bosnia, Two Hijras and Two Fatwas*, 242-253 .

³³⁶ انظر :

McCarthy, Justin, *Death and Exile*, 36-37,65,89; *Muslim Identity and the Balkan States*, Yulian Konstantinov, *Strategies for sustainability a vulnerable identity – case of Bulgarian Pomaks*, 33-53.

³³⁷ هذا العدد المذكور قريب من عدد المهاجرين البوسنيين الذين بلغ عددهم: 150.000 (مائة وخمسون ألفاً) أثناء الحكم النمساوي المهنغاري سنة 1878-1918م. للتوسع انظر دراسة الأستاذ الدكتور:

Karcic, Fikret, *The Bosniaks and the challenges of modernity*, 53; *Journal of Islamic Studies*, 5:2, July 1994, Mufaku, Muhamed, *Two Hijras and Two Fatwas*, 242.

ونرى من الفائدة أن نذكر هنا تقرير أحد قادة الصرب و أحد حاملي لواء التهجير والطرده للمسلمين الألبان و ألد أعدائهم، يدعى واصا تشوبرلويتش (Vasa Cubriloviq) حين قال:

" إن عملية طرد الأتراك (الألبان والبوسنيون والأتراك والشراكسة) من قراهم ومدنهم، وتوطين تلك الأراضي بالسكان الجدد المتقدمين من صربيا والجبل الأسود³³⁸، تم في أسرع وقت مما كنا قد قدرنا وخططنا

³³⁸ وحسب إحصائيات أعوام 1905-1906، فإن المصادر التاريخية تشير إلى الأعداد الهائلة من المسلمين الذين كانوا يقطنون في الولايات المختلفة في الأراضي الألبانية قد هاجروا وخلوا أوطانهم و بيوتهم وقراهم..ولعل هذا الجدول يرينا الحق في هذه المسألة حسب احصائيات عام 1905-1906:

1. **The Sanjac of Prishtina:** 254,605 Albanians of Muslim religion; 110,310 Catholic and Orthodox Albanians, Serbs, Bulgarians and Romanies.
2. **The Sanjac of Peja:** 139,901 Muslim Albanians; 45,784 Catholic and Orthodox Albanians, and Serbs.
3. **The Sanjac of Novi-Pazar:** 27,980 Muslim Albanians and Turks; 19,795 Christian Albanians and Serbs.
4. **The Sanjac of Shkup:** 90,840 Muslim Albanians; 60,706 Catholic Albanians and Serbs.
5. **The Sanjac of Prizren** (including the districts of Tetova and Gostivar): 158,742 Muslim Albanians; 15,323 Catholic and Orthodox Albanians; 11,606 Serbs and 473 Romanies.
6. **The Sanjac of Manastir:** 457,994 Muslim Albanians and Turks; 264,008 Orthodox Albanians and Wallachs; 198,335 Bulgarians; 55,108 Greeks; 2,760 Romanies; 354 Catholic and Protestant Albanians.
7. **The Vilayet of Janina:** 227,484 Muslim Albanians; 213,281 Orthodox Albanians and Wallachs; 91,991 Greeks and 4,906 Jews...<http://www.ess.uwe.ac.uk/kosovo/chap1.htm>

له... الصربيون المضطهدون و الهاربون إلى المناطق الجبلية الوعرة، نزلوا إلى تلك القرى الخاوية. وبالتدرج وصل سكان الجبل الأسود إلى هذه القرى وهذه المدن، التي تطهرت وخلت من الألبان والمسلمين، وهكذا فإن القرى الصربية الجديدة بدأت تنبت من الأرض بعد أن لم تكن موجودة.. " 339 .

ومن الآثار السياسية والاجتماعية السلبية الناجمة عن إجبار الألبان والمسلمين على الهجرة، أن هذه الظاهرة أحدثت فجوة كبيرة بين الألبان المسلمين والصرب الأرثوذكس إلى يومنا هذا؛ حيث الحقد والكراهية و العداوة فيما بينهم³⁴⁰، و لن تسد هذه الفجوة في العصر الحاضر إلا باسترجاع الحقوق الألبانية المسلوبة، وعلى رأسها استقلال كوسوفا، و قد تم بحمد الله و توفيقه و فضله، ثم بفضل وجهود المخلصين و المنصفين من الألبان وفضل بعض الدول الغربية و على رأسها أمريكا استقلال كوسوفا يوم الأحد تاريخ 17 فبراير 2008، و كان ذلك أكبر نصر تاريخي للمسلمين الألبان على الصرب الظالمين الأرثوذكس، حيث ردت إلى المسلمين الألبان بعض حقهم المسلوب و المغتصب قبل مائة عام.

³³⁹ يقول المؤرخ الكوسوفي الكبير أ.د اسكندر ريزاي، معلقاً على كلام ذلك المجرم المذكور: " لا يثبت تاريخياً أن الألبان في ولاية كوسوفا الكبيرة قد أضروا بالصرب! هذا كذب وافتراء! و إنما الأمر كان على عكس ذلك تماماً، لأن الرابطة الألبانية المشكلة في بريزن أخذت على مسؤوليتها حماية الصرب أيضاً. وأيضاً هناك قضية أخرى مهمة ينبغي ذكرها، أنه في هذه المناطق لم يوجد صربي واحد من عرق سلافي خالص. إن صرب كوسوفا في الأصل كانوا ألبان أرثوذكس الذين كانوا يمارسون الشعائر الدينية على لغة الكنيسة السلافية، ومع الزمن انصهروا وضاعت هويتهم القومية الألبانية و أصبحوا صرباً .." للتوسع انظر:

Rizaj,Skender, *Lidhja shqipatre e Prizrenit*, 97-98;

³⁴⁰ المرجع السابق، ص 93

المبحث الثالث: موقف رجال الفكر والسياسة الصرب من القضية الألبانية المسلمة

أما فيما يخص الجذور التاريخية لهذه الفكرة والعقدة القومية الصربية لتشكيل صربيا الكبرى وكره وبغض غير العرق الصربي و تفضيل العرق السلافي على الأعراق الأخرى في الجزيرة البلقانية و لا سيما على المسلمين الألبان، فيرى المؤرخ الكوسوفي الكبير أ.د موسى غاشي Prof.Dr.Musa Gashi أن إذ يقول:

" رجال الفكر والمعرفة من الصرب منذ بدايات النصف الثاني من القرن العشرين غذوا شعوبهم بسموم الخرافات والأساطير والأكاذيب والوعود الخيالية على محاولاتهم لتشكيل صربيا الكبرى؛ غير مقهورة وذات قوة و سيادة و نفوذ كبير في البلقان. كما أنهم كانوا يعدون الشعب الصربي أنه بمجرد زوال الدولة العثمانية فإنه قد حان الوقت المناسب لإحياء مملكة صربيا الكبرى من جديد، و ذلك حتى تنتقم صربيا من الإسلام والمسلمين، وأن تتسلم هي زمام الأمور في الجزيرة البلقانية قاطبة. ومن رواد هذا الفكر المسموم والخبيث نذكر:

1-إليا غراشانين Ilija Grashanin،

2-جهان سويتش Johan Cvijic،

3- جوانوتش Jovanovic،

- 4- رادوانوتش Radovanovic،
- 5- جرجوتش Gjorgjevic،
- 6- دتش Ducic،
- 7- مولوتش Molevic،
- 8- دراجو مهايلوتش Drazho Mihajlovic،
- 9- واصا تشويرلوتش Vasa Cubrilovic، (العقل المدبر للتطهير العرقي ووزير الداخلية السابق)
- 10- سلوبودان ميلوشوتش Slobodan Miloshevic (الرئيس الصربي السابق هلك في زلزلة المحكمة الدولية في لاهاي - هولاندا أثناء محاكمته،
- 11- ويسلاف ششل Vojislav Sheshel (من اليمين المتطرف الصربي الحالي)،
- 12- وُق كراجتش Vuk Karaxhic، (من اليمين المتطرف الصربي ووزير الداخلية السابق)،
- 13- ستفان مليوتش Stefan Moljevic،
- 14- ميلوراد أكمتشش Milorad Ekmecic،
- 15- واسيليو كرستش Vasilijo Krestic،
- 16- مهايل ماركووتش Mihajl Markovic،
- 17- إيوو أندرتشش Ivo Andricic،
- 18- دوبرتسا تساستش Dobrica Casic،

- 19- بيتار غراتشانين Petar Gracanin،
- 20- راتكو ملادتش Ratko Mladic (من كبار المجرمين في حرب البوسنة و لا يزال في قائمة المطلوبين للمحاكمة إلى يومنا هذا)،
- 21- رادوان كراجج (Radovan Karaxhixh من كبار الضباط والمجرمين الصرب في حرب البوسنة، و الحمد لله فقد تم القبض عليه أخيراً و قدم إلى المحكمة الدولية...فهؤلاء هم الذين كانوا يقفون وراء الخرافات والأساطير بأن صربيا كانت ضحية حرب ومعركة كوسوفا المشهورة سنة 1389³⁴¹، حيث خسر الصرب فيها خساراً كبيراً، ولكن هذه الخسارة عند الصرب اعتبرت نصراً و فوزاً! و بناء على هذه الخرافة التاريخية فشعب الصربي حسب مزاعمهم شعب مضطهد ومظلوم!، شعب الله!، دمه مقدس!، تاريخه مقدس! أرضه مقدسة! حدوده مقدسة!..الخ، و بناء على تلك الخرافات فإنهم كانوا يجدون دعماً معنوياً ومادياً من الكنيسة الصربية الأرثوذكسية منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، وأن تلك الدول الغربية بتشجيعها وتحريضها أشعلت نيران الفتنة والحروب والنزاعات والكراهة والبغض بين الشعوب البلقانية المسلمة والشعوب السلافية الأرثوذكسية. بل لقد شهد الصرب أنفسهم

³⁴¹ معركة كوسوفا التي وقعت عام 1389م، هي معركة مشهورة وفاصلة في تاريخ الدولة العثمانية والألبانية، انتصر فيها المسلمون ضد القوى المتحالفة الصليبية الصربية وانتصاراً كبيراً، واستشهد في هذه الواقعة السلطان مراد رحمه الله تعالى. ورغم خسارة الصرب في هذه المعركة، إلا أن هؤلاء المفكرون أنفأً حولوا هذه الخسارة إلى الانتصار !!!؟؟ للمزيد انظر: الدولة العثمانية - عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص: 59-61

على أنهم كانوا السبب الرئيس و المباشر في إشعال نيران الحرب العالمية الأولى والثانية. يمثل هذه السياسة الخبيثة والمجردة من القيم والأخلاق الإنسانية، دفعوا بالشعوب البلقانية الإسلامية إلى مستنقع الحروب والمجازر في أوروبا في هذا القرن... " 342.

هذه هي بعض شهادات المؤرخين المعاصرين عن الدور السلبي الذي لعبه رجال الفكر والسياسة الصرب في العصر الحديث، و أيضاً هي شهادة عن الدور السلبي التي لعبته الكنيسة الصربية الأرثوذكسية قديماً وحديثاً. والأمر لا يخفى على أولي الأبواب أن مثل هذا النماذج من الشخصيات الدينية والسياسية و المعرفية إذا وجدت في هذا العصر، لا شك أن أمثال هؤلاء يعتبرون من العقبات الكنودة التي تحول دون تحقيق التعايش السلمي والتسامح الديني. فمع أمثال هؤلاء لا يستقيم أمر الحوار ولا يتحقق هدفه، ولن ينعم العباد و البلاد بالأمن والأمان، بل إن هؤلاء و أمثالهم و من نهم نهمهم اعتبروا و سيعتبرون من الجذور الرئيسية المغذية للإرهاب المحلي والدولي بأشكاله و ألوانه المختلفة في منطقة البلقان.

ومن الوثائق الصربية السرية الدالة على الحقد والتطرف الصربي والمنشورة لأول مرة سنة 1906، حيث صرح فيها وزير الداخلية للصربيا في ذلك الوقت Ilija Grashanin إليا غراشانين في بدايات القرن التاسع عشر 1844 م، وهو معروف بمواقفه اليمينية المتطرفة. لقد دعا في

³⁴² Gashi, Musa, *Some Facts About Kosova*, Logos-A, 1997, Shkup, 67-69; Bajrami, Hakif, *Politika dhe Lufta e Drejte Shqiptare Perball Neofashizmit Serb, 1989-1999*, 185-250

تلك الوثيقة إلى استعادة مملكة القيصر الصربي القديمة تسار دوشان Car Dushan والتي دمرتها الدولة العثمانية في القرن الرابع عشر الميلادي. فقد جاء فيها أيضاً أن دور الصرب في البلقان وجنوب شرق أوربا هو حماية وتوحيد نصارى الأرثوذكس السلافيين Serbian Pan Slavism، الموجودين في ظل الدولة العثمانية وهذا التوحيد لن يتم إلا باستعادة الملك والزعامة الصربية، وتوسيع نطاق حدود أراضيها على حساب الأراضي الألبانية، والإكثار من أعداد الصربيين المستوطنين، والذين في ذلك الوقت لم يكن يتجاوز عددهم 1.400.000 (مليون وأربعمائة ألف نسمة فقط).

ولتحقيق هذا المشروع الخبيث يشير المؤرخون إلى أن الفترة 1870-1880 من القرن التاسع عشر عرفت بفترة صياغة ووضع المناهج الدراسية التاريخية الصربية المزورة، مبنية على الخرافات والأساطير، و تم تجنيد رجال الفكر والمعرفة بقيام هذه المهمة العلمية الأثمة و بدؤوا بتغيير المعالم التاريخية، فأطلقوا على أرض الألبان في كوسوفا اسم -Stara Serbija Old Serbia (الصربيا القديمة). ومما يدل على خرافة هذا الاسم هو أنك لن تجد ذكراً لهذا الاسم في المصادر التاريخية الأوربية والتركية القديمة. و بناء على هذه الأسطورة التاريخية اضطر أمير صربيا ميلان أوبرنوتش Milan Obrenovic عام 1876م إلى إعلان حرب دفاعية عن نفسها ضد المسلمين الألبان، وذكر أن الشيء الذي عجزوا عن الوصول إليه عن طريق المال فسحصل عليه بالقوة... وشرع الإداريون الصرب في مقدونيا وبلغاريا والبوسنة والجلبل الأسود بتحريض الناس إلى القيام بأعمال

الشغب و التمرد والعصيان وإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية في 30 حزيران سنة 1876. و في 24 نيسان سنة 1877 أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية³⁴³.

أما عن دور المؤسسات التعليمية الصربية، فحدث ولا حرج، فهي الأخرى أيضاً لم تألو جهداً في إفساد العلاقة و زرع بذور الفتنة و الحقد والكراهية بين المسلمين (الألبان والبوسنيين) والشعب السلافي الصربي الأرثوذكسي. ذكر الباحث عبد الباقي خليفة في بحث له بعنوان: التأسيس لمركزية أوروبية متعالية وعدوانية - قراءة في كتب المستشرقين الصرب ونظرتهم للثقافة العربية والإسلامية، حيث يقول: " أخذت بلغراد لنفسها الحق في غضون نصف قرن تقريباً، منح درجة الماجستير والدكتوراه في مجال الاستشراق في يوغوسلافيا كلها. ولا شك أن عاصمة يوغوسلافيا السابقة وعاصمة صربيا حالياً بلغراد كانت تحاول بهذه الطريقة أن تؤثر حتماً وفعالاً في توجيه المستشرقين ايدولوجياً... وفقاً لحقيقة أن الاستشراق في بلغراد كان وما زال متجهاً اتجاهها شديداً نحو الأيديولوجيا، إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ولأن ذلك الاستشراق كان وما زال متمسكاً

³⁴³ This project presents the program of Serbian internal and foreign policy, that is why it has been preserved as a document of state secret till 1906, when it was published for the first time in "Delo", book 38, Belgrade; Dr Hakif Bajrami, *Ilija Garashanini dhe politika e tij shtetore 1844-1874*, Vjetar, XIV, AK, Prishtina, 1988, pp. 103-138.

بالمركزية الأوروبية. فقد وصل في اتجاهه إلى وضع يقوم فيه بالتحضير والتبرير بصورة ايدولوجية منظمة للإبادة الجماعية للآخر في شكله الثقافي بل والمادي، كالذي تم أثناء العدوان على البشانقة المسلمين في البوسنة والهرسك، من قبل صربيا والجبل الاسود وكرواتيا (1992 . 1995) وفي كوسوفا مؤخرا عام (1997-1999)-هذا فقط لكوهم مسلمين لا غير .

لقد تأسس قسم الاستشراق في كلية اللغات والآداب بجامعة بلغراد في سنة 1925 ويعود ذلك على يد نعيم بايراكتاروفيتش Naim Bajraktovic ... وبالرغم من أن بايراكتاروفيتش قد توفي منذ زمن بعيد، إلا أن نفوذه ما زال حيًا في أنشطة طلابه وأتباعه الذين يتمسكون في أيامنا هذه بالأهداف التي عينها أستاذهم... في الحقيقة يبذل ممثلو هذه المدرسة الاستشراقية أقصى جهودهم في تصوير الإسلام بالألوان الأشد قتامة، وبالمناهج اللاعلمية مهتمين كل الاهتمام بنشر البغض والكراهية إزاء الإسلام والمسلمين في البلقان... فلذلك . حسب رأيهم . لا بد أن يقدم الغرب لهم كل التأييد في سبيل إبادة المسلمين في البلقان لأن هذه الطريقة . في رأيهم . لدفاع الغرب... وفقا لهذا الاعتقاد فإنهم يطلبون من العالم أن يسمح لهم باستخدام كل الوسائل في سبيل إزالة هذا التهديد ولو كانت بين تلك الوسائل الإبادة الجماعية، وإزالة ثقافته بأكملها أيضا... وكان المستشرقون الصرب يلعبون دورًا قذرًا في تلك الدعاية... فقد أصدر تاناسكوفيتش Darko Tanaskovic مجموعة من النصوص بعنوان «الإسلام ونحن» وهذه المجموعة تضمنها كتابه الأخير .

إن المؤلف في كتابه هذا والذي يصر بعنوانه على التقسيم والاصطدام - يحاول أن يبرر بكل الوسائل الإبادة الجماعية للمسلمين، فيقول مثلاً أنه فوجئ بعدم التفهم والتأييد من جانب «المجتمع الدولي» بالنسبة للعدوان الصربي على البوسنة والهرسك. وبعدم الاقتناع بأن الصرب ينقذون الغرب كله من «الخطر الإسلامي» وذلك لأنهم يبيدون المسلمين في البوسنة... وهذا أحد أشهر المستشرقين الصرب يقول - «إن الصرب هم ضد الإسلام حقاً ولا بد أن يكونوا ضده». وبجانب تاناسكوفيتش هناك مستشرق صربي مشهور أيضاً يدعى ميرولوب يفيتش - Miroljub Jeftic وهو أستاذ ذو نفوذ في جامعة بلغراد والذي يكتب خلال سنوات عديدة نصوصاً مثقلة بالبغض إزاء الإسلام... و ذكر بأن هناك حقيقة معروفة وهي أن الإسلام لا يقبل التعايش مع الغير» ونظراً لأن هذا «الباحث» يكتب لاستثارة العواطف وبالمنهج اللاعلمي فهو يوضح إيضاحاً تفصيلياً، مثلاً، أن تقديم قرابين العيد في عيد الأضحى المبارك غايته فقط أن يتعود المسلمون في صغرهم على سفك الدماء وأن هذا الواجب الديني يعد المسلمين لذبح الناس!!! وانطلاقاً من هذه الاتهامات والتخرصات واجه شعباً أوروبياً صغيراً هو الشعب البوشناقي المسلم في أوروبا هجمة هائلة من جانب الجيش اليوغوسلافي القوي...»

³⁴⁴ خليفة، عبد الباقي، التأصيل لمركزية أوروبية متعالية وعدوانية - قراءة في كتب المستشرقين:

ونختم كلامنا حول جذور الإرهاب الصربي بكلام الباحث والمستشرق الأميركي المعروف والمنصف بدراساته عن الجزيرة البلقانية نورمان سيغار Norman Cigar، في كتابه المشهور بعنوان: The Role of Serbian Orientalists in Justification of Genocide Against Muslims of the Balkans (دور المستشرقين الصرب في تبرير مذابح ومجازر مسلمي البلقان)، حيث ذكر فيه أن الصرب بدلاً من القيام بعمليات التشجيع وتهيئة الأجواء الإنسانية للتعایش السلمي، هم كانوا يصبون الزيت على النار ويعمقون شعور البغض والكره بين المواطنين، حيث حاولوا عزل المجتمع الإسلامي والمسلمين، متهمين المسلمين المواطنين بالسلبية والانعزالية والعنف، وأن المسلمين ينتمون إلى طبقة ثانية أو طبقة دونية، متعمدين تشويه الإسلام وصورته، قائلين بأن الإسلام رجعي ومتخلف واللا أخلاقي، واللا إنساني. هذا الوصف المنهجي للمسلمين في يوغسلافيا من قبل المستشرقين الصرب بلغ ذروته في السنة 1980³⁴⁵.

إن على الصرب الاعتراف بجرائمهم التاريخية في الماضي والحاضر والحذر من إعادة أخطائهم مرة أخرى إذا ما أرادوا التعایش السلمي مع الألبان و العرقيات الأخرى الموجودة في أرض كوسوفا، ولن يستقر أمر الألبان دون الاستقلال التام لكوسوفا. أما و قد حصل الألبان على الاستقلال و تحقق حلم المسلمين الألبان بفضل الله عز وجل، ثم بفضل جهود ومساندة بعض

³⁴⁵ Cigar, Norman, *The Role of Serbian Orientalists in Justification of Genocide Against Muslims of the Balkans*, Logos-A, 1999, Shkup, 5-57

الدول الأوروبية المنصفة و على رأسها ولايات المتحدة الأمريكية يوم الأحد بتاريخ 17 فبراير 2008، و أصبحت دولة كوسوفا الآن دولة مستقلة ذات سيادة مستقلة، ولحد اليوم 14 فبراير 2008 تم الاعتراف باستقلال دولة كوسوفا من قبل 55 دولة، جلها من الدول الغربية و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا انجاز عظيم والله الحمد و المنة خلال عام واحد من تاريخ استقلاله. كما أننا ننتهز الفرصة الذهبية من هذا المنبر العظيم و خلال ورقة هذا المؤتمر العالمي الكبير باسم أبناء الشعب الألباني الكوسوفي المسلم وباسم معالي مفتي كوسوفا والمشیخة الإسلامية الشيخ نعيم ترناوا حفظه الله Mr. Naim Ternava، وباسم السيد الرئيس لدولة كوسوفا الدكتور فطمير سيديو Dr.Fatmir Sejdiu ، و سيد رئيس وزراء دولة كوسوفا السيد هاشم ثاتشي Mr.Hashim Thaqi أن نوجه دعوة خالصة ورجاء حاراً إلى حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود و سمو ولي عهده الأمين، الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود حفظهما الله، أن يشرفونا بقبول واعتراف استقلال دولة كوسوفا رسمياً في القريب العاجل إن شاء الله، وما ذلك على الله بعزيز، و شعب كوسوفا لجهود المملكة العربية السعودية الإنسانية الجبارة أثناء حرب كوسوفا وبعدها شاكرون ومقدرون.

إن على حكومة بلغراد في صربيا أن تقطع أطماعها وجهودها الفاشلة مع مجلس الأمن الدولي من فكرة استعادة كوسوفا مرة أخرى إلى حكمها وقبضتها، وأن عليها سرعة الاعتراف باستقلال كوسوفا و تقديم الاعتذار الرسمي للمسلمين الألبان و البوسنيين بسبب المذابح و المجازر التي ارتكبتها

في حق دينك الشعبين المسلمین باسم الحروب المقدسة المكذوبة مع دفع تعويضات مالية لأسر هؤلاء المقتولين ظلما علوا وفسادا. كفاها ظلماً وعدواناً على المسلمين الألبان عبر القرون، و غشاً وتزويراً للحقائق التاريخية على شعبها وأبنائها، و عليها أن تستفيد وتعتبر من تجربتها التاريخية المرة وأخطائها وخسارتها بخوضها في الحروب الجائرة التي خاضتها ضد المسلمين الألبان و البوسنيين. يتعين على عقلائهم فتح صفحة جديدة من تاريخ صربيا في تعاملها مع المسلمين الألبان، كما أن على وزارة التربية والتعليم الصربي القيام بتطوير مناهجها الدراسية والتاريخية وإزالة تلك الصورة المشوهة للشعب الألباني المسلم من بطون الكتب التاريخية والثقافية بل والدينية أيضا، حتى ينشأ جيل حضاري صربي واع ومتسامح. وما يلقاها إلا الذين صبروا و ما يلقاها إلا ذو حظ عظيم،

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات الصلاة والسلام على أشرف الخلق والمخلوقات رسول الهدى والبركات، سيدنا ونبينا محمد μ وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطيبات الطاهرات.. ولقد توصلنا بحمد الله و توفيقه إلى نهاية مطافنا في هذا الورقة المباركة. ولا يخفى على قارئ ومدقق هذه الورقة صعوبة وطبيعة الموضوع السياسية والتاريخية، والذي حاول الباحث أن يتناوله، من وجهة النظر النقدي التاريخي الوصفي، للوقوف على جذور الإرهاب الصربي و على أهم عقبات التعايش السلمي، والتي حالت دون تحقيق الوئام والسلام بين الشعوب البلقانية المسلمة والنصرانية، بين المسلمين الألبان و الصرب خاصة. هذه العقبات تمثلت والعراقيل بدت في تلك المواقف المخزية والمشينة، سواء من قبل الدول الأوربية الكبرى تجاه المسلمين في الجزيرة البلقانية، أو من قبل الصرب والروس والبلغار أنفسهم تجاه المواطنين المسلمين أو من قبل المفكرين و رجال الفكر و المعرفة والدين.

فحتى يتحقق التعايش السلمي المنشود فأمامنا خيار واحد لا ثاني له، ألا و هو: إقصاء وعزل تلك الشخصيات الفكرية والدينية والسياسية المتعصبة والمتطرفة من الساحة السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية، واستبدالهم بشخصيات معتدلة منصفة ومرنة، التي تتمتع بالجدية والوسطية والحيدة والموضوعية والروح الإنسانية الكريمة، التي تستشرف مستقبلاً كريماً

وحياة آمنة مطمئنة، يسودها السلام والوئام، والاحترام المتبادل بين الناس بغض النظر عن معتقداتهم.

إن قراءتنا للتاريخ بمهدف العبرة والعظة و ليس بمهدف التسلية و إضاعة الوقت تجعلنا أن ندرك يقيناً تاماً بأن أزمة المسلمين في الجزيرة البلقانية (البوسنة و كوسوفا وبلغاريا واليونان وأوروبا الشرقية والغربية) لن تحل أبداً و لن يرى العالم الغربي والشرقي النور والسلام والتعايش السلمي بين الطوائف الدينية المختلفة، بتلك المواقف المخزية التي كان عليها أجدادهم من الإنكليز والألمان والنمساويين والروس و الصرب...!! لا بد من الموضوعية، لا بد من الجدية، لا بد من النزاهة، و لا بد من إعطاء كل ذي حق حقه، أياً كان ذلك بغض النظر عن دينه، أو عرقه أو جنسه..بمعنى آخر لا بد من العدل والتسوية العادلة بين الطرفين المتنازعين (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) [المائدة:8]

والله أعلم ووصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله و أصحابه وسلم
و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المدينة النبوية 13/صفر/1430 هـ الموافق 2009/2/8م

وتمت مراجعة الدراسة مجددا قبل النشر يوم الجمعة 23 ذي القعدة 1437 هـ

الموافق 2016-08-23

بدوحة الخير والبركة - قطر

الإستخدام السيء لوسائل التواصل الاجتماعي
وآثاره السلبية على المجتمع القطري المسلم
- رؤية قرآنية -



من اعداد:

الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي) - مشرفا وباحثاً رئيساً

الطالبة: هنادي علي الأرضي - باحثة مساعدة

الطالبة: منى عبد الواحد حسين - باحثة مساعدة

كلية المجتمع بقطر

2015

بسم الله الرحمن الرحيم

INTRODUCTION

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن استن بسنته واقتفى بأثره إلى يوم الدين، أما بعد؛

فقد علم الله الإنسان كثيرا من العلوم والمعارف ما لم يكن يعلمها من قبل، وقد أكد الله عز وجل هذه المنة وهذه الحقيقة التاريخية في القرآن الكريم قائلا: [وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا] [البقرة: 31]، و قال تعالى: [الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ]، [الرحمن: 4]، وقال تعالى: [عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ]، [العلق 1-5]. وقال تعالى في هذا الصدد في معرض ذكر فضله ونعمه التي أنعم بها على الرسول صلى الله عليه وسلم: [وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا] [النساء: 113]. ومع هذا التفضل من رب العزة والجلال للإنسان فإنه تعالى بحكمته ولطفه أمر الإنسان أن يسأل الله المزيد من هذا العلم قائلا: [وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا] [طه: 114]. وبعد بيان هذه الحقيقة القرآنية فإنه تعالى أمر جنس الإنسان أن يعمل بمقتضى علمه وأن يتعد عن الجهل واتباع الهوى حتى لا يكون من الهالكين في الدنيا والحاسرين في الآخرة، فقال تعالى: [يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ

فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ] [ص: 26
 [، و قال تعالى: [فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا] [النساء: 135]. والذين
 يتبعون الهوى لا شك أنهم من متبعي الشيطان؛ والشيطان بطبيعة الحال لم
 بأمر ولن يأمر بالخير والفضيلة قط؛ بل تاريخه مذ أن خلقه الله عز وجل
 حافل بالشر والفحشاء والعداوة والبغضاء. من خلال استعراضنا لهذه
 الآيات تظهر لنا هذه الحقائق جلية كاشم في رابعة النهار. قال عز من
 قائل: [إِنَّمَا يُأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ]
 [البقرة: 169]، وقال تعالى: [الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ
 وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ]، [البقرة: 268]، و قال
 سبحانه: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] [النحل: 90]، و قال
 عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعِ
 خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ]، [النور: 21].

إذن؛ نخلص إلى القول بأن فضل الله للإنسان كان عظيما عندما
 علمه البيان، ونحن مطالبون بالعمل بمقتضى ذلك العلم الذي علمنا إياه
 جل وعلا وعدم السير وراء الهوى والشهوات والحذر عن طاعة الشيطان
 وأعدائه، لأن ذلك الملعون لا يأمر إلا بالشر والفحشاء والمنكر وكل ما فيه
 ضرر لبني الإنسان، والله عز وجل لا يريد ذلك ولا يأمر بالفحشاء، قال
 تعالى: [وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ
 اللَّهَ لَا يُأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ]، [الأعراف: 23].

غير أنه خلف من بعدهم خلف في هذا الزمان أضعوا الأمانة الإلهية في احترام العلم والعمل بمقتضاه واتبعوا الشهوات والأهواء ولقوا وسيلقون غيا وشرأ بسبب نشرهم للفاحشة والمنكرات وبذور الفتنة والخصومات من خلال سوء الاستخدام لبعض البرامج والتطبيقات المعاصرة التي ظهرت في الأجهزة الذكية في عصرنا المعاصر. وسبحان الله هذه المحاولات الشيطانية وجدت عبر التاريخ الإنساني إلى يومنا هذا. وقد حكى لنا القرآن الكريم نماذج من هؤلاء المطموسين فكراً وأخلاقياً وسلوكياً والمنتكسين عقدياً وفطرياً من أمثال قوم لوط وشعيب ومشركي مكة وقت نزول القرآن الكريم. قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] [النور: 19]. وهناك مسلمون ومسلمات من فئات وطبقات مختلفة في هذا الزمان الصعب والمعقد الذي نعيش فيه؛ من يعيد ويحيي أفعال وسنن هؤلاء الأقوام الذين أهلكهم الله وجعلهم عبرة للمعتبرين ولكن بطرق وأساليب معاصرة مختلفة من خلال نشر مقاطع مرئية ومسموعة مخلة بالمروءة والآداب الإسلامية عبر الشبكة العنكبوتية - الإنترنت. فهذه الشبكة العنكبوتية تحمل في بطنها الخير والشر، الخبيث والطيب، الحلو والمر، المفيد والضار، الإيجابي والسلبي، الحلال والحرام. غير مبالين بحجم الشر أو الضرر الذي تسببوا في إحداثه في المجتمعات المسلمة بشكل عام وفي المجتمع القطري المسلم بشكل خاص. لقد حان الوقت للتكاتف الجاد والتعاون المثمر مع أولي الأمر والسلطات والوزارات والمؤسسات العلمية المعنية بهذا الشأن للحد من انتشار هذه التعليقات والمراسلات والبرامج الهدامة، وإلا فمصيرنا معروف ومحتوم، قال

تعالى: [فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن
أَخَذْتُهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] [العنكبوت: 40].

وليس من الضروري أن تتكرر نفس جنس العقوبات التي حلت بالأمم
السابقة، وما يعلم جنود ربك إلا هو، فالمنطقة العربية والإسلامية اشتعلت
نارا بالحروب والويلات والنزاعات الطائفية والقبلية والقتل والتدمير والحرق
والإبادة...، يذيق بعضهم بأس بعض؛ بسبب ابتعاد المسلمين عن منهج
القرآن وهدى رب الأنام وسنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. فما نراه
اليوم من الويل والدمار والدماء والبكاء والتشريد والتقتيل ليس إلا جزاء
وفاقا لأعمالنا وسلوكنا وأخلاقياتنا. قال تعالى: [قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ
يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا
وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ]
[الأنعام: 65].

هذه الدراسة عبارة عن تشخيص الوضع الراهن في ضوء الآيات
القرآنية ومن ثم تقدم مقترحات وحلولا حول كيفية الخروج مما نحن فيه.
فهي عبارة عن رسائل تنبيهية وإنذارات لأولي النهى لعلهم يرشدون قبل أن
تتأخر عليهم الوقت، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



أهمية البحث – The importance of study

إن هذه الدراسة لها أهمية قصوى في حياة المسلمين عامة والشباب خاصة والمجتمع القطري المسلم على وجه التحديد، حيث إنها تمس قضية جوهرية في حياتهم اليومية، ألا وهو الاستعمال المفرط واللامنضبط لبعض البرامج والتطبيقات الموجودة في وسائل التواصل الاجتماعي في الهواتف والأجهزة الذكية المعاصرة، وما يتم تناوله فيها من موضوعات وقضايا دينية واجتماعية وفكرية وأخلاقية المنافية للإسلام وللمروءة الإنسانية غير مبالين بخطورتها. فالبحث الذي تم اختياره بعنوان " الاستخدام السيء لوسائل التواصل الاجتماعي وآثاره على المجتمع القطري المسلم - رؤية قرآنية " يختص ببيان الآثار السلبية الملموسة في استخدامنا لوسائل التواصل الاجتماعي واستغلالها لجانبها السلبي على وجه الخصوص. وهذا يعني بدهاءة أن هذه الوسائل للتواصل الاجتماعي يكمن فيها الجانب الإيجابي أيضا كما هو معلوم للقاصي والداني لمن أراد الاستفادة منها.



سبب اختياره - Reasons for choosing the study

ومن جملة الأسباب الدافعة للقيام بهذه الدراسة أننا لم نجد دراسة مستوفية أصّلت هذه الإشكالية في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع بيان آثارها السلبية على المجتمع القطري المسلم في المجال الأخلاقي والفكري والعقدي. فحتى نسد هذا الفراغ العلمي في المكتبات العربية والإسلامية وأوساط المجتمع القطري المسلم إرتأينا أن القيام بهذه الدراسة أمر لا يقبل التأجيل. كما أن الفرصة الذهبية المتاحة للتنافس العلمي في

رحاب كلية المجتمع بقطر للحصول على منحة بحثية من خلال مركز
Office of Scientific and Academic Research - OSAR ، الذي شجعنا
وشجع الطالبات للمشاركة مع الأساتذة حتى يكتسبن الخبرة و التجربة في
البحث العلمي والأكاديمي...، أقول كان هذا أيضا من جملة الأسباب التي
دفعت بنا إلى العكوف على هذه الدراسة.



● إشكالية البحث - **Problematic of study**

إن الإشكالية التي تكمن في هذه الدراسة هو أنه ليست هنالك
دراسات بينت الآثار السلبية الناجمة عن الاستخدام المفرط واللامنضبط
لهذه الوسائل في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية. فجاءت هذه
الدراسة مكملة للدراسات السابقة في هذه الجزئية المنسية أو مغطية
لهذه الحلقة المفرغة.



● أهداف البحث - **Objectives of study**

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف يمكن ذكرها

في الآتي:

✓ التعريف بوسائل التواصل الاجتماعي.

- ✓ التعرف على حقيقة مضامين تلك البرامج وتطبيقها وما يتم نشره في تلك الوسائل.
- ✓ الكشف عن أهم الآثار السلبية في المجال الأخلاقي والفكري والاجتماعي على المجتمع القطري المسلم.
- ✓ التحذير من خطورة هذه الآثار السلبية من الناحية عقديا وفكريا وأخلاقيا ووطنيا.
- ✓ اقتراح بعض الحلول التطبيقية لمعالجة هذه المشكلات السائدة في هذه الوسائل في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.



أسئلة البحث – Questions of study

- 1- ما أنواع وسائل التواصل الاجتماعي في عصرنا المعاصر؟
- 2- ما الموضوعات المنشورة في تلك الوسائل؟
- 3- ما الفئات المستخدمة لوسائل التواصل الاجتماعي؟
- 4- ما الأضرار العقدية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية الناجمة من سوء الاستخدام لوسائل التواصل الاجتماعي؟
- 5- ما الخطوات المتبعة لحل وعلاج هذا الاستخدام المفرط واللامنضبط لوسائل التواصل الاجتماعي؟
- 6- ما البديل لهذه التطبيقات المخالفة للإسلام والمنافية للآداب الدينية؟



Our methodology
drinking, social, academic, research

المنهجية المتبعة – The methodology of study

اتبع الباحثون في هذه الدراسة المنهج الوصفي - **Descriptive** القائم على بيان الوضع المشاهد في وسائل التواصل الاجتماعي، والتحليلي النقدي **Analytical & Critical** من خلال تسليط الضوء على أهم الآثار وخاصة السلبية منها، والمنهج الاستقرائي **Inductive** من خلال تتبع المقاطع المنشورة لمعرفة محتويات بعض المقاطع المنشورة وعرضها للتحليل والنقد في ميزان القرآن والسنة.



الدراسات السابقة – Previous studies

❖ الدراسة الأولى

مقال للكاتب حلم خضر ساري 2008 بعنوان: تأثير الاتصال عبر الإنترنت في العلاقات الاجتماعية،³⁴⁶ هذه الدراسة ذكرت تأثير الاتصال عبر الإنترنت في العلاقات الاجتماعية في المجتمع القطري. وقد تم اختيار 471 (أربعة مائة و واحد وسبعين) شخصا من دولة قطر وتم عمل استبيان لهم من خلال متغيرات مختلفة تخص الدراسة ألا وهي السن،

³⁴⁶<http://www.reefnet.gov.sy/booksproject/jame3a/2adab/1208/11internet.pdf>

المستوي الاجتماعي والثقافي والتعليمي، والحالة الاجتماعية، الجنس، عدد السنوات التي تم استخدام مواقع التواصل الاجتماعي فيها. وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: أن الإناث والذكور متساويين في استخدامهم اليومي للإنترنت وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي. تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الإناث كان أكبر من تأثيره على الذكور. مواقع التواصل الاجتماعي عملت على التأثير المباشر في علاقة الأفراد بأسرهم ووصلت النسبة إلى 45 % بينما أثرت مواقع التواصل الاجتماعي في علاقة الأصدقاء بعضهم ببعض ووصلت النسب حوالي 43 % ، وعملت هذه المواقع التواصل الاجتماعي على خلق حالات عاطفية وعلاقات عاطفية وصلت لحوالي 29 % وبالتالي انتشر الزواج عبر الإنترنت بشكل كبير. أدي إلى عدم وجود صلة رحم بين الشباب وعائلاتهم بسبب تضائل النشاطات الاجتماعية . وكما تبين لنا أن هذه الدراسة مهمة للغاية وقدمت لنا معلومات مهمة، غير أنها لم تقدم لنا نماذج من المواد العلمية المنشورة والمعتمة في هذه البرامج وآثارها السلبية على المجتمع القطري المسلم.

❖ الدراسة الثانية

بحث للكاتب محمد الخليلي 2002 وكان بعنوان (تأثير الإنترنت في المجتمع)³⁴⁷. وقد أجريت هذه الدراسة على حوالي 140 طالبا وطالبة في المرحلة الجامعية. وكان الهدف من الدراسة هو معرفة تأثير التواصل الاجتماعي الإيجابي والسلبي. وتوصلت الدراسة إلى أن مايقارب 92% من الشباب المتواجدين في الجامعة يقومون باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي بغرض تبادل الثقافات مع الآخرين والعمل على البحث عن أي معلومات تنقصهم سواء ثقافية أو إجتماعية أو سياسية أو ترفيهية. كما أن نتائج البحث جاءت أن شبكات التواصل الاجتماعي تعمل على التسبب في وجود مشكلات إجتماعية في المجتمع الإسلامي والعمل على الغزو الثقافي من المجتمعات الغربية التي تختلف عنا من حيث الدين والمبادئ والقيم والعادات والتقاليد. فهذه الدراسة لا شك أنها مهمة ومفيدة ويشكر الباحث على الجهود المبذولة، غير أنها لم تغط الجوانب أو المجالات التي نحن بصددنا في بحثنا هذا.

❖ الدراسة الثالثة

للكاتبة حنان بنت شعشوع الشهري 1434هـ ، وكانت بعنوان:
أثر التواصل الاجتماعي علي العلاقات الاجتماعية، التي أجريت على

³⁴⁷ الخليلي، محمد، تأثير الإنترنت في المجتمع: دراسة ميدانية، (عالم الكتب، المجلد22، العددان 5، 6)، 2002، ص469-502.

الشعب السعودي، وتمخضت عن الدراسة عدة نتائج منها؛ أن الشباب هم أكثر إقبالا على الاشتراك في مثل هذه المواقع الاجتماعية. ومنها أن الدافع الذي يدفعهم إلى الاشتراك هو الدافع الاجتماعي سواء بسبب التفكك الأسري والعمل على التواصل مع الغير لتحقيق اكتفاء نفسي أو أنهم يريدون أن يشاركوا أصدقائهم في جميع مشاعرهم وحياتهم، وأن طبيعة العلاقات المتواجدة علي هذه الشبكات هي علاقات اجتماعية جماعية تقوم على التعاون والمشاركة والتواصل الاجتماعي بين الأفراد.

❖ الدراسة الرابعة

للكاتبة عزة عثمان عام 2009 وكانت بعنوان: العوامل المؤثرة على استخدامات الفتيات السعوديات والمصريات لمواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت. كان الهدف من هذه الدراسة تحديد العوامل التي تؤثر على الفتيات السعوديات والمصريات من خلال استخدامهم للإنترنت. وتمخضت عن الدراسة أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي تعمل علي إخفاء شعور الفتيات بالقلق والتوتر والخوف، كانت نسبة الفتيات المصريات 12.6%، بينما السعوديات 12.5%، كما أن الآثار السلبية التي تتركها مواقع التواصل الاجتماعي تؤثر على الاثنين بشكل متساوي ولكن تختلف من حيث الآثار السلوكية والاجتماعية والفكرية. فكما رأيت حتى هذه الدراسة رغم كونها مهمة إلا أنها لم تكن في ضوء الآيات القرآنية.



دراسات وعناوين أخرى مهمة باللغة الإنكليزية والعربية

وللفائدة العلمية فقد تم البحث في الشبكة العنكبوتية على الدراسات الأخرى المتعلقة بهذا الموضوع باللغة الإنكليزية واللغة العربية. فنحن لم نتمكن من الحصول على جميع هذه الدراسات لكي تكون في متناول أيدينا والإطلاع عليها، غير أننا لم نبخل ولم نقصر في البحث على كل ما يتعلق بموضوعنا ولو جزئياً أو بطريقة غير مباشرة، و تم تثبيتها في قائمة المصادر الثانوية لكي يكون القارئ على بينة منها.



خطة البحث – The Outline

ينقسم البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث مباحث وخاتمة وملاحق وقائمة المراجع.

المبحث الأول: مفهوم وسائل التواصل الاجتماعي وأنواعه

والمبحث الثاني: نماذج من الاستخدام السيئ لوسائل التواصل

المبحث الثالث: الميزان القرآني لهذا الاستخدام السيء

المبحث الرابع: أهم الآثار السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي على المجتمع القطري.

المبحث الخامس: حلول مقترحة لبعض المشكلات .

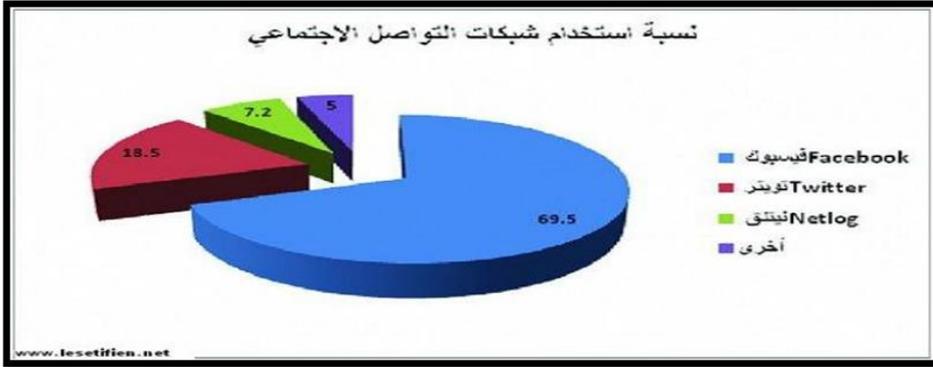
المبحث السادس: الإستبيان

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول: تعريف ومفهوم التواصل و أنواعه

المطلب الأول: تعريفه لغة واصطلاحاً

من المؤكد أن هناك إقبالا كبيرا من الناس على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في الشبكة العنكبوتية. وتشير الإحصائيات والدراسات أن: " تنامي استخدام وسائل التواصل الاجتماعية في المجتمعات العربية بشكل واسع. فوفقاً لموقع Go-Gulf.com أكثر من 40% من سكان المنطقة متصلون بشبكة الإنترنت و88% من هؤلاء يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعية المختلفة بشكل فعال...³⁴⁸



والتواصل لغة: الإقتران والاتصال والصلة والترابط والالتزام والجمع والإبلاغ والانتهاه والإعلام. أما في اللغة الأجنبية فكلمة (Communication) تعني إقامة علاقة وتواصل وترابط وإرسال

³⁴⁸ <http://www.du.ac/ar/personal/helpandsupport/mobile/besafe/using-social-media-safely/small-to-medium-enterprises>

وتبادل وإخبار وإعلام. وهذا يعني أن هناك تشابهاً في الدلالة والمعنى بين مفهوم التواصل العربي والتواصل الغربي.³⁴⁹

والتواصل اصطلاحاً: يدل التواصل في الاصطلاح على عملية نقل الأفكار والتجارب³⁵⁰ وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات والأفراد والجماعات، وقد يكون هذا التواصل ذاتياً شخصياً أو تواصلًا غيرياً³⁵¹، وقد يبني على الموافقة أو على المعارضة والاختلاف. ويفترض التواصل أيضاً - باعتباره نقلاً وإعلاماً- مرسلًا ورسالةً ومتقبلاً وشفرةً، يتفق في تسنيها كل من المتكلم والمستقبل (المستمع)، وسياقاً مرجعياً ومقصدياً الرسالة³⁵².

فالشبكات الاجتماعية هي مواقع تتشكل من خلال الإنترنت، تسمح للأفراد بتقديم لمحة عن حياتهم العامة وإتاحة الفرصة للاتصال بقائمة المسجلين، والتعبير عن وجهة نظر الأفراد في بيئته مجتمعي افتراضي يجمع بين أفرادها اهتمام مشترك أو شبه انتماء (بلد-مدرسة-جامعة-شركة). الخ يتم التواصل بينهم من خلال الرسائل أو الاطلاع على الملفات الشخصية ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض. مفهوم هاوارد رينجولد الذي وضع كتابه الرائد في هذا السياق بعنوان " **المجتمع الافتراضي** " (**virtual community**) والذي عرّف المجتمع الافتراضي بأنه تجمعات اجتماعية تشكلت من أفراد في أماكن متفرقة في أنحاء العالم.

³⁴⁹ <http://ibnhazm.forumactif.org/t1-topic>

³⁵⁰ انظر أيضاً : عمر موفق بشير العباسي، الإدمان والإنترنت، دار مجدلاوي للنشر - عمان-2007. ص14

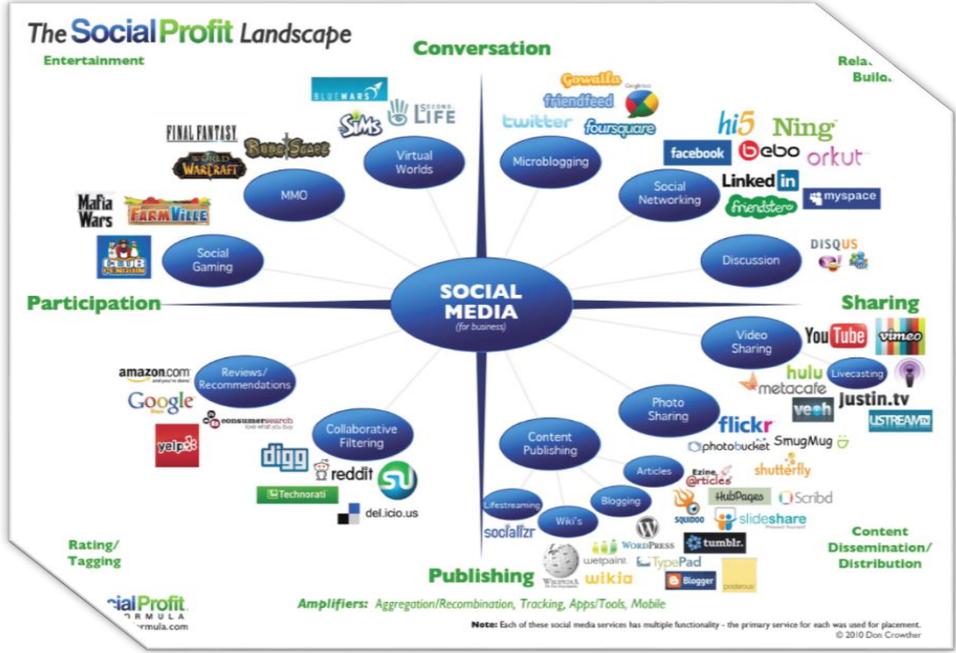
³⁵¹ وانظر: أديب، منير، مضاميات مواقع التواصل الاجتماعي - صدادع المراهقين، العدد (582)، 1435هـ.

³⁵² <http://ibnhazm.forumactif.org/t1-topic>

ووصل الأمر بالناس إلى بيان أهمية الانضمام إلى المجموعات - الغروبات للنساء المحجبات في وسائل التواصل الاجتماعي أن يرسموا رسومات كاركاتيرية. والصورة الآتية توضح المقصود.



المطلب الثاني: أنواع وسائل التواصل الاجتماعي



تتعدد وسائل التواصل الاجتماعي ويظهر العديد والمزيد في كل يوم ،
ولتسهيل التعرف عليها سوف نقوم بتصنيفها إلى ما يلي:
نشرت مؤسسة الأصيل المتكاملة لخدمات الإنترنت على موقعها في
الفييس بوك بتاريخ 18 مايو 2013 مقالا مهما ومفيدا للغاية، حيث تم
حصر جميع أنواع برامج وسائل التواصل الاجتماعي مع توضيح يسير
لوظائف تلك البرامج. أرى من المناسب والفائدة أن أنسخ المقالة بأكملها
نظرا لفائدتها الجليلة:

" أنواع مواقع التواصل الإجتماعي: يوجد العديد من أنواع مواقع التواصل الإجتماعي وفي كل يوم يظهر المزيد منها ولكن لتسهيل عملية الإستيعاب سوف أقوم بتصنيفه:

النوع الأول: يختص بالإتصالات وإيجاد وتبادل المعلومات، Communication & Information Sharing

من الأمثلة على هذا النوع الأول من التواصل الإجتماعي:
- المدونات:(Blogs) ، المدونات الجزئية:(Micro Blogs) ، خدمات تحديد المواقع الجغرافية:(Location Based Services)



- مواقع الترابط الشبكي الإجتماعي: Social Network

لعل من أشهر هذه المواقع هو موقع فيس بوك Facebook ولينكدإن LinkedIn وهي مواقع تمكن المستخدمين من التواصل المباشر ببعضهم

ومشاركة الإهتمامات والفعاليات، كما يمكن إستخدام تلك المواقع للبحث عن أصدقاء الدراسة أو البحث عن عمل جديد أو حتى التعرف على كل ما هو جديد في حياة من تعرف من دون الحاجة للسؤال المباشر، فهذه المواقع توفر العديد من الفوائد للمستخدمين. يقوم المستخدم بالإشتراك في إحداها وتقديم معلومات عن نفسه، كما يمكنه رفع صور أو مقاطع مرئية لمشاركتها مع أصدقائه في نفس الشبكة...يمكنك الإشتراك في العديد من مواقع الترابط الإجتماعي مثل:

A Small World, Bebo, Diaspora, Facebook, Hi5, LinkedIn, MySpace, Ning, Orkut, Plaxo, Tagged, XING, IRC, Yammer

- مواقع الفعاليات: (Events)



يمكنك الإشتراك وإستخدام العديد من مواقع الفعاليات مثل:

Tweetvite , Eventful, Meetup

- مواقع تجميع المعلومات: (Information Aggregators)

يمكنك إستخدام العديد من مواقع جمع المعلومات مثل:

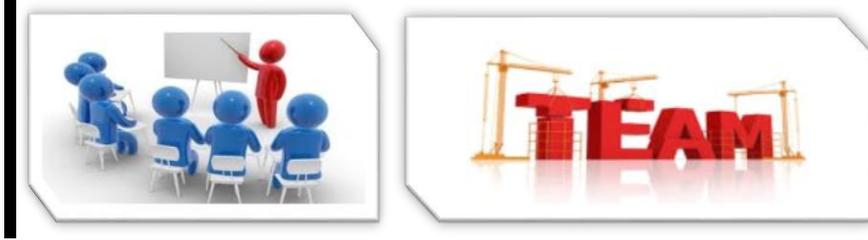
Netvibes, Evri Gdgt , GetGlue , GoodReads

- مواقع جمع التبرعات والقضايا المهمة

(Online Advocacy and Fundraising):



النوع الثاني: مواقع التواصل الإجتماعي للتعاون وبناء فرق العمل.



- الويكي: (Wiki)

يمكنك إنشاء الويكي الخاصة بك وبأصدقائك عن طريق إستخدام هذه المواقع:
PBworks, Wetpaint, Wikia, Wikimedia, Wiki spaces



-المرجعيات: (Social Bookmarking)

عند حفظك لموقع في برنامج تصفح الإنترنت الخاص بك لكن مع إضافة إمكانية مشاركة الآخرين، يمكنك الإشتراك في العديد من مواقع المرجعيات مثل:

CiteULike, Delicious, Diigo, Google Reader, StumbleUpon, folkd

- مواقع الأخبار الإجتماعية: (**Social News**) يمكنك الإشتراك في العديد من مواقع الأخبار الإجتماعية مثل:

Digg, Mixx, NowPublic, Reddit, Newsvine, Technorati

- الملاححة الإجتماعية: (**Social Navigation**)

يمكنك الإشتراك عن طريق البرامج التالية **Trapster, Waze** :

يمكنك إستخدام العديد من مواقع إدارة وتحرير النصوص مثل:

Google Docs, Syncplicity, Docs, Dropbox, Box

النوع الثالث: من مواقع التواصل الإجتماعي هي مواقع الوسائط المتعددة

- مواقع التصوير والفن: (**Photo Sharing**)

DeviantArt, Flickr, Photobucket, Picasa, SmugMug, Zoomr

- مواقع مشاركة الفيديو والبث المباشر:

(**Video Sharing & Streaming**)

يمكنك الإشتراك في العديد من مواقع تخزين وبث الفيديو مثل:

Sevenload, Viddler, Vimeo, YouTube, Justin.tv, Dailymotion, Metacafe, Openfilm Livestream, Stickam, Ustream, blip.tv

- مواقع مشاركة المقاطع الصوتية والموسيقى: (Music & Audio Sharing)



النوع الرابع: هي مواقع الرأي والإستعراض (Reviews & Opinions)

- إستعراضات السلع: (Product Reviews)

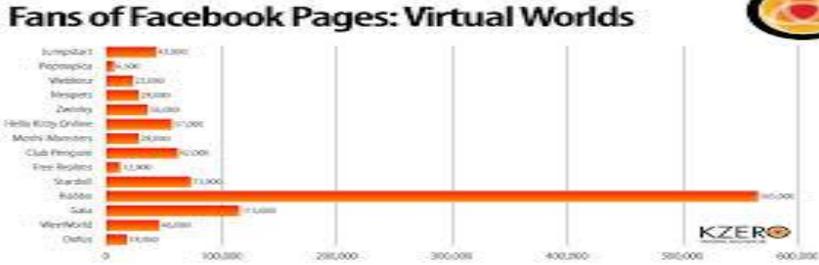
- الأسئلة والأجوبة الإجتماعية: (Community Q&A)

يمكنك الإشتراك وطرح أسئلتك أو متابعة موضوع أو سؤال بزيارة أحد هذه المواقع:

Askville, EHow, Stock Exchange, WikiAnswers,
Yahoo! Answers, Quora, www.ask.com

النوع الخامس: من مواقع التواصل الإجتماعي هي المواقع الترفيهية الإجتماعية

- مواقع العوالم الافتراضية Wirtual Worlds



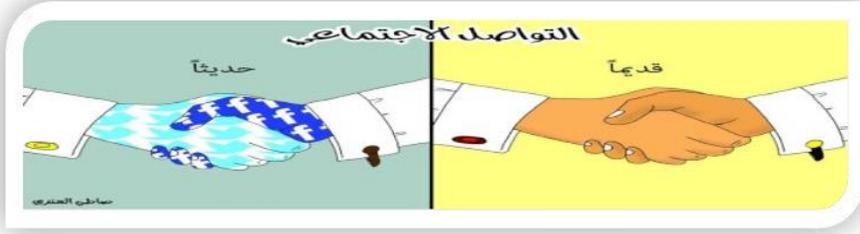
- مواقع مشاركة الألعاب الإجتماعية: (Game Sharing).... وأهم

المواقع والأكثر انتشاراً³⁵³ تويتر والفيسبوك.... " انتهى بتصرف³⁵⁴.

³⁵³ يقول المحامون إن "فايسبوك" و"تويتر" يشكلان خطراً كبيراً على الزواج خصوصاً مع تزايد دور وسائل التواصل الاجتماعي التي تعتبر عاملاً متزايداً لحالات الطلاق. ووجد باحثون من خلال دراسة نشر تفاصيلها موقع صحيفة "الدائلي ميل" Daily Mail البريطانية أن واحداً من بين سبعة رجال يلجأون إلى الطلاق بسبب نشر زوجاتهم أخباراً أو مواقف عبر "فايسبوك" أو مواقع التواصل الأخرى. فيما تؤكد نسبة مماثلة أنهم يبحثون على الانترنت عن أدلة تشير إلى خيانة شركائهم. وكان الباحثون قد استطلعوا إحصاءات شركة الحمامة "سلاتر وغوردون" للتوصل إلى نتائج دقيقة، فتبين تأكيد عدد من عملائها دور "فايسبوك" و"سكايب"، و"سناب شات"، و"تويتر"، "What'sApp" إضافة إلى مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى في طلاقه...

<http://www.annahar.com/article/23330>

³⁵⁴<https://arar.facebook.com/aseelintegrationestablishment/posts/379899935455979>



وكما رأيت أن هذا المقال رغم طوله إلا أنه في غاية الأهمية لمعرفة التفاصيل والحقائق حول هذه البرامج المتاحة للناس الذين يتواصلون فيما بينهم يومياً. والدراسة اللاحقة التي نشرت تؤكد أن برنامجي الفيس بوك و تويتر تحظى الأولوية على رأس القائمة.

وهناك دراسة أخرى نشرتها مجلة **Arabian Computer News** الصادرة في الإمارات العربية المتحدة تم فيها تصنيف أشهر وسائل التواصل الاجتماعي التي يتم استخدامها من قبل العرب - المسلمين وغير المسلمين -، وفقاً للترتيب الآتي - التنازلي - من 10 - 1:

10- أوركوت، تتم إدارة هذا الموقع بواسطة "غوغل"، وفكرته تعتمد على التشبيك بين الأصدقاء القدامى، والجدد وكذلك يتيح القدرة على البحث عن الأصدقاء الذين افتقدتهم الواحد وفقد كل وسائل التواصل بهم.



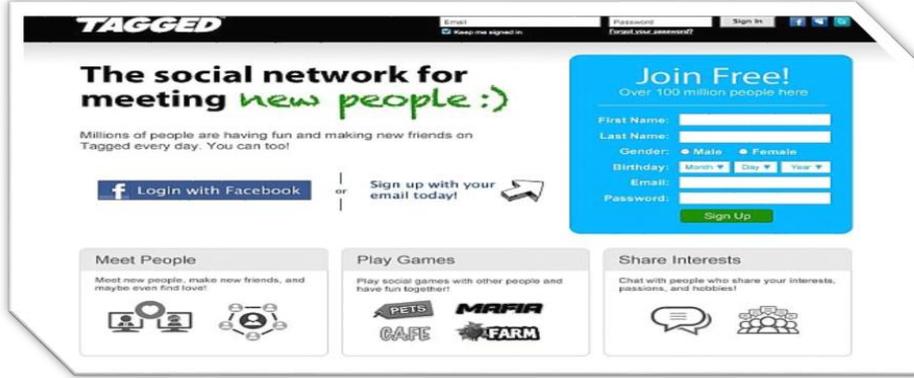
9- هاي 5، لو كنت من الجيل السابق على الـ Facebook، فلا بد أنك تعرف الطريقة التي بدأت بها مواقع التواصل الاجتماعي منذ فترة طويلة. تم تطوير الموقع وتغيير شكله وتقنياته، وهو لازال ذا شعبية مميزة وسط أوساط العديدين.



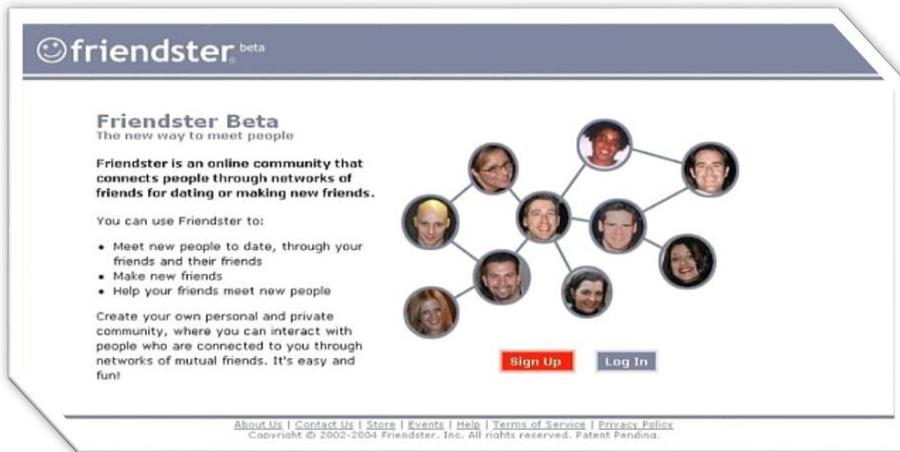
8- إنستجرام، وهو تطبيق مجاني طرحه في عام 2010، من قبل المطور التقني "كيفن سيتورم"، وكان موجهاً فقط لأجهزة الهواتف الذكية، ولكنه بدأ يصبح واحداً من مواقع التواصل الاجتماعي المهمة بالتصوير، والذي يمكن مشاركة الصور والتعليقات عليها عبره.



7- تاجيد، هو واحد من أهم مواقع التواصل، وذلك غالباً بسبب الدعاية المكثفة التي يقوم بها مسؤولو هذا الموقع، وهو يحاول دائماً التقدّم في المركز، لكن بلا جدوى، حيث يثبت في المركز الـ7.



6- فريندستر، إذا لم تكن قد زرت هذا الموقع مؤخراً، فربما عليك زيارته بعد التحديثات التي جرت عليه، وذلك ليصبح أكثر من مجرد متابعة لصفحات أصدقائك، وبالتالي سيكون لديك القدرة على إضافة التعليقات ورؤية الصور.



5- نينج، لا يتميّز هذا الموقع بالكثير عن معظم مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى في باقي الشبكات الاجتماعية، لكن الفارق الجوهرى فيه، هو الواجهة التي يقدمها لمستخدميه ونوع الخدمات ورعاية العملاء التي يوفّرها.



4- لينكد إن، معظم شبكات التواصل الاجتماعي، تعتمد على الأخبار والعلاقات الشخصية، وكذلك التواصل الاجتماعي بين الأفراد، لكن هنالك العديد من المواقع الناجحة التي تعتمد على نمط معيّن من التحديثات وغيرها، مثل هذا الموقع الذي يرتبط بعالم الأعمال والبيزنس، ويمكن من خلاله تكوين شبكات علاقات اجتماعية بين زملاء العمل



3- ماي سبايس، رغم إن الكثيرين يعتقدون أن هذا الموقع في طريقه للاختفاء، فإن هذا الاعتقاد غير صحيح، حيث مازال يعمل بكفاءة عالية، وله مستخدمون يفضلونه على كثير من مواقع التواصل الاجتماعي الأخرى. مشكلة الموقع الأساسية، هي أنه لم تتم فيه تغييرات واسعة النطاق منذ فترة طويلة، مما يقلل من قدرته على منافسة باقي المواقع.



2- تويتر، يعتمد هذا الموقع على كتابة تدوينات لا تتعدى الـ 140 حرفاً، ويحتل المركز الثاني بعد الـ Facebook، وهناك تكهنات متعددة بأنه سيكون قادراً على إزاحة الـ Facebook عن عرشه، بواسطة مجموعة من الخصائص الجديدة. أما عن تقييم الخدمة من الناحية التقنية، فهو يلي الـ Facebook.



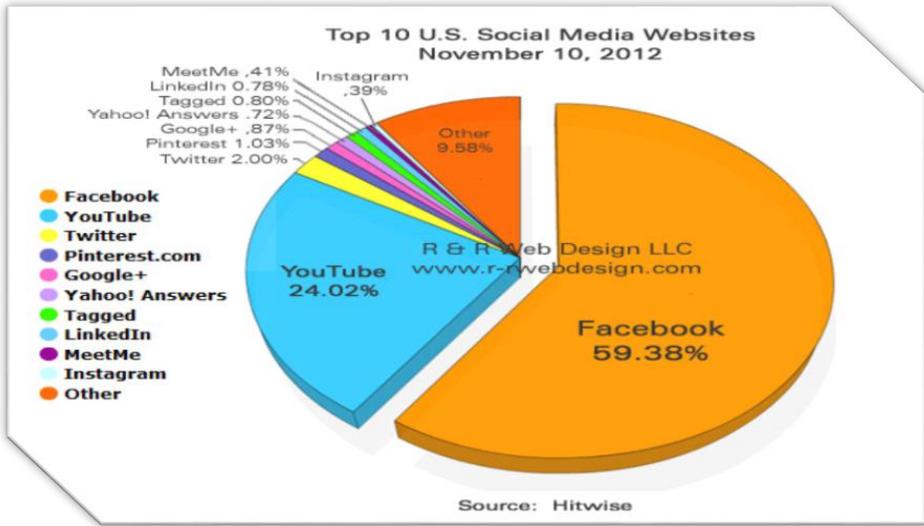
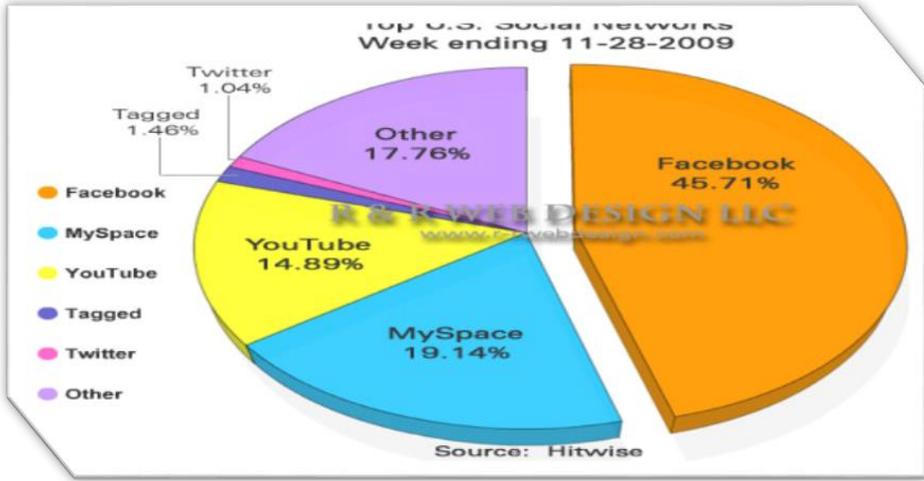
1- فيسبوك، أهم موقع تواصل اجتماعي في العالم، لا يوجد مستخدم للإنترنت تقريباً لا يمتلك حساباً عليه، ظهر أول مرة عام 2003 كموقع للتواصل بين طلبة جامعة هارفارد، والآن هو موقع يجمع العالم كله.



فهذا تقرير مهم جدا وهو الذي نميل إليه في الترجيح في هذه المسألة، والله أعلم.³⁵⁵

والذي يبدو لي من خلال البحث أن تويتر وفيسبوك لهما الصدارة في الاستخدام من قبل المستخدمين حتى في الولايات المتحدة الأمريكية حسب الإحصائيات المنشورة على الشبكة العنكبوتية لعام 2009 و عام 2012:

³⁵⁵ <http://www.itp.net/arabic/597449-10?tab=photos&img=10>



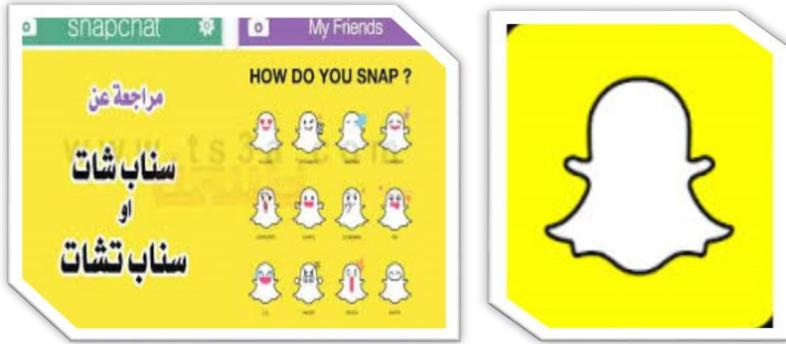
ونشر أحد الباحثين مقالا في الانترنت أن الصين³⁵⁶ اتخذت قرارات حازمة في مجال مراقبة النشاط السياسي على الانترنت ومنع كل ما هو مضر بالدولة. كما أنها اتخذت قرارات صارمة في منع التلميحات أو المراسلات المتعلقة بالجنس أو الإباحية أو ما أشبه ذلك... وهذه الخطوة

³⁵⁶ <http://mycomputer-now.com-instagram>

الجريئة من السلطات الصينية ينبغي أن تكتب بماء الذهب لكي تكون نبراسا و قدوة للعالم العربي و الإسلامي في مراقبة هذه الوسائل.³⁵⁷

وإضافة إلى ما تقدم يمكننا القول إن هناك برامج أخرى مثل :

1- (سناب شات Snapchat): يمكن للمستخدمين التقاط الصور، وتسجيل الفيديو، وإضافة نص ورسومات، وإرسالها إلى قائمة التحكم من المتلقين. ومن المعروف أن هذه الصور ومقاطع الفيديو المرسلة على أنها "لقطات" لعرض لقطاتهم من ثانية واحدة إلى 10 ثواني، وبعد ذلك سوف تكون مخفية من الجهاز المستلم وتحذف من الخوادم الخاصة بسناب³⁵⁸ شات أيضًا.



³⁵⁷ <http://sabq.org/MJ8gde>

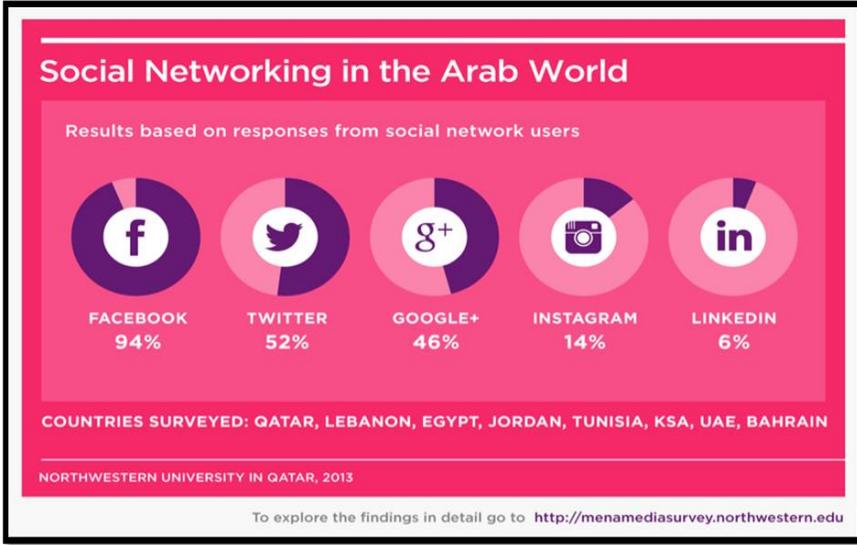
³⁵⁸ <http://ar.wikipedia.org/wiki/>

2- واير Viber والواتس أب Whatsapp وسكايب Skype



هذا فيما يتعلق بأنواع التواصل و أعتقد أنه فيه الكفاية - و ربما الإطالة والاستطرد - والسبب في هذه الإطالة هو التأصيل العلمي والبحثي على هذه الوسائل - وما أكثرها و قد أخذ منا جهدا كبيرا لتتبع و إحصاء هذه البرامج في الشبكة العنكبوتية. والحمد لله أن الله وفقنا إلى إحصاء وذكر هذه الوسائل المكتشفة إلى اليوم الموافق 15/6/6، والله أعلم ماذا ستحمل الأيام القادمة على بطونها، وكما خاطب الله تعالى الجليل القرآني الفريد - جيل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين - في معرض ذكر النعم التي أنعم الله عليهم في عصرهم في مجال المواصلات قائلا: [وَالْحَيْلِ وَالْبِعَالِ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾]، وفعلا لقد علم الله الإنسان ما لم يكن يعلمه من قبل وتم اكتشاف وسائل مواصلات جديدة معاصرة معلومة لدينا جميعا، والحمد لله أولا و آخرا نحن نستمتع بهذه النعم التي تفضل الله بها علينا، بينما جيل الصحابة لم يكن يعلم

بها³⁵⁹ . والحقيقة هي عينها بالنسبة لنا في اكتشاف الإنسان لهذه البرامج المتعددة في مجال التواصل الاجتماعي، والله أعلم لأخبار الأيام القادمة ما الذي ستحملة من حقائق و اكتشافات جديدة يراها أولادنا أو أحفادنا بعد موتنا. ففي هذه الآية الكريمة إعجاز قرآني وعلمي وغيبى كبير، و صدق الله القائل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. فيما يلي صورة أخرى تلخص علينا أشهر و أكثر الوسائل استخداما من قبل الناس في الوطن العربي وبعض دول الخليج، وهذا الاستبيان أجري في جامعة حمد بن خليفة - نورث وست يوني ورسيتي - قطر عام 2013



359 - مكايي حسن عماد، ليلي حسين، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الطبعة 3، مرجع سابق .

المبحث الثاني: نماذج من الاستخدام السيئ لبعض هذه البرامج - تشخيص الحالة



المطلب الأول: نماذج عقديّة وأخلاقية وسلوكية مخلة ومخالفة للإسلام
في هذا المطلب سنقوم بتشخيص الحالة وذلك من خلال إثبات وذكر نماذج من الاستخدام السيء لوسائل التواصل الاجتماعي، وهذه الخطوة تعتبر تمهيداً و تشخيصاً للحالة قبل معالجتها في ضوء الآيات القرآنية. وقبل عرض النماذج أحب أن أقتبس فقرات مهمة من إحدى الدراسات المتعلقة ببحثنا.

ذكرت الباحثة رهان حمد علي في دراستها عن التأثير السلبي للانترنت على الشباب و قيمهم الإسلامية أن علاقة الضوابط الدينية باستخدام شبكة المعلومات بصفة عامة وشبكات التواصل الاجتماعي بصفة خاصة تعتبر علاقة مقدسة، تستوجب تقدير الإنسان لها بوصفها أمانة، ولعظم دوره في حفظ هذه الأمانة، ومنها العلم، فقد حمل البعض هذه الأمانة وحفظها بإخلاص، وهداه الله عز وجل إلى تلك الضوابط الدينية التي

يهتدي بها في تعامله معها، أما البعض الآخر فقد خانوا الأمانة وظلموا أنفسهم واتبعوا الشيطان واتبعوا الهوى.³⁶⁰

وأضافت قائلة إن مساوئ مواقع التواصل الاجتماعي كبيرة جداً لأنها تعمل على تدني المستوى الأخلاقي والديني لدى الشباب إلى جانب أن الدين الإسلامي يحض على التوسط وعدم التشدد والدين الإسلامي دين وسط وبالتالي التشدد والتعصب بين الشباب في مواقع التواصل الاجتماعي يعمل على مخالفة الدين³⁶¹.

كما أن هناك نسبة كبيرة من الشباب تعمل على استخدام مواقع التواصل الاجتماعي فيما يغضب الله سبحانه وتعالى وعمل علاقات غير سوية ومشاهدة أمور غير أخلاقية ومن هذا المنطلق فإن شبكات التواصل الاجتماعي تقع هنا في أمر مخالف للدين والشريعة وتعمل أيضاً على انتشار الرذائل في المجتمع الإسلامي وبالتالي ذلك مخالف لعاداتنا وتقاليدينا وثقافتنا العربية وديننا الحنيف. فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابة العزيز، فيقول الله عز وجل: [قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] [الأعراف: ٣٣]

كما أن عدم وجود الرقابة يؤدي إلى استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في أمور قد تضر الهوية الدينية لدى بعض الأشخاص الذين

³⁶⁰ علي، رهان، التأثير السلبي للإنترنت على الشباب وقيمهم الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، (2006) وانظر أيضاً: عباس سبتي - التكنولوجيا وضعف العلاقات الاجتماعية في الأسرة - دراسة مكتبية - 2012 ص 145.

³⁶¹ انظر المراجع السابقة... بتصرف.

يكونون غير متمكنين من دينهم بشكل كبير وغير مطلع عليه فيأتي هنا دور مواقع التواصل السيء الذي يعمل على زحزحة الدين بشكل كبير من خلال نشر أمور خاطئة عن دين الشخص والتعرف على أشخاص ملحدين بدينهم وغير مؤمنون بوجود الله والعياذ بالله فيعمل ذلك على أن يقوموا بالابتعاد تدريجيا عن دينهم حتى يقوموا بالإلحاد بشكل واضح وصريح وتقوم وسائل التواصل الاجتماعي بدور كبير في مثل هذه الأمور.³⁶²



كما أن الفتيات والشباب قد يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي بشكل يخالف الدين من خلال تحميل الفتيات لصورهم لتلك المواقع الخاصة بهم وقيام الشباب بأخذ هذه الصور والعمل على الاحتفاظ بها واستنزاف الفتيات ماديا بشكل يناهز الدين والأخلاق وبالتالي يكون الشباب والفتيات قد تخلوا عن الثقافة الإسلامية والدينية وعملوا على إهدار الدين والأخلاق.³⁶³

وقد يقوم بعض الشباب أيضا بتحميل آيات قرآنية وأغاني على وسائل التواصل الاجتماعي وهذا الأمر يعتبر حرام وقد جاءت عدة فتاوي لتؤكد

³⁶² المرجع السابق ص 160.

³⁶³ وانظر: الهام العويضي، وسائل الاتصال الحديثة وتأثيرها على الأسرة، مجلة البيان العدد 13، 2012م.

حرمة هذا الشيء فأيات الله الكريمة لا يمكن الاستهانة بها وجعلها نعمة لموبايل³⁶⁴.

وفيما يلي نماذج آخر من الإستخدام السيء لوسائل التواصل الاجتماعي: والصورة الآتية للمقطع تؤكد هذه الحقيقة.



³⁶⁴عبدالعزیز عبدالحکیم العساکر-الاتصالات الذکية وتأثيرها على المجتمع- الرياض- 2012م

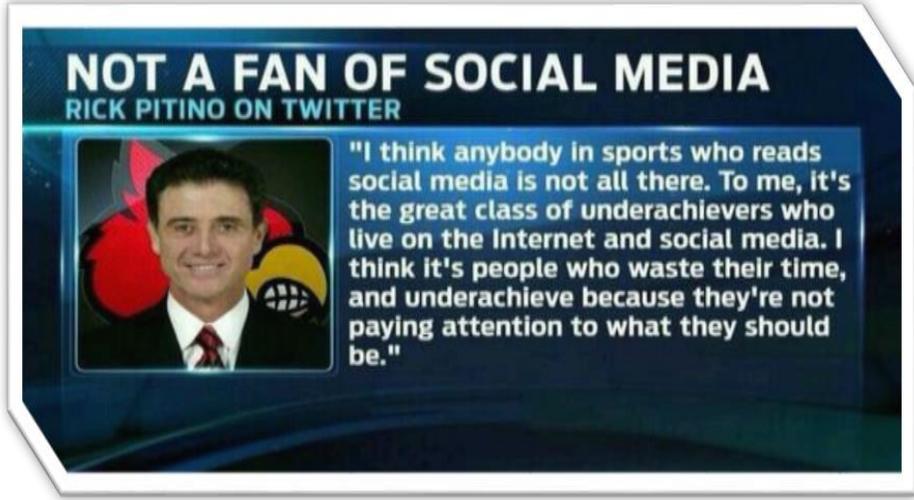


نماذج سلوكية سلبية في وسائل التواصل:



وفيما يلي نماذج أخرى للاستخدام السيء لوسائل التواصل الاجتماعي... حيث ترى في هذه التغريدات وغيرها من المنشورات أساليب حوارية غير لائقة و غير مهذبة لا تليق بعامة المسلمين فضلا عن المثقفين أو العلماء. ومما يؤسف له أن بعض المستخدمين هم من العلماء والخطباء

في الحرم المكّي!!، قد انزلت أقدامهم مع الجاهلين من الشباب في الشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل الاجتماعي. وقد أعجبني تعليق أحد الضيوف الأمريكيين في إحدى تغريداته على تويتر قائلاً إن هذه السلوكيات السلبية من المستخدمين والمضيعين لأوقاتهم هم أناس شبه فاشلين وغير قادرين على الإنجاز..³⁶⁵



³⁶⁵ وانظر: على محمد بن فتح، مواقع التواصل الاجتماعي وآثارها الأخلاقية والقيمية، ماجستير قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

غرد

ALI ALHAMMADI @iPhoney_ad
#العريفي_خلف_القضبان

إلى الكويتيين السنج المتعاطفين مع الدجال العريفي،
شاهدوا ماذا قال عن أمير الإنسانية
هل يرضيكم؟

@MohamadAlarefe

أقول لمن يُنكر ع الكويتيين الأحرار:
من خرج بسلاحه على إمام شرعي فيجب حواره
قبل قتاله..
فكيف بمن يطالب سلمياً ضد إمام غير جامع
لشروط الولاية

١٠:٣٦ ٢٠١٢/١٠/٢٢

الخطاف #شقيق_الملك
@AARRKKDD

@iPhoney_ad ما يستغرب عنكم مو امير الإنسانية
قال #خامنتي_مرشد_المنطقة ولاتكم معروف !!

٤:٤٧ - ٢٨ أكتوبر ١٤

Tweet

عادل الكلباني @abuabdelelah 23h
يحمد الله وصلنا سيئول في كوريا
يا حليل برد الرياض

هشام العابر @kmha77 8h
@abuabdelelah لا يهكم البرد يا شيخ وانتبه
لحالك !! ترى الكوريين مايوقرون الكلاب

عادل الكلباني @abuabdelelah

@kmha77 الله يعميهم عنك

٢٤ ٢٠١٤/١/١٥



تحت عنوان : الغاية تبرر الوسيلة | حملة عامة



إذا لم تستر نفسها ... نفضحها

أخي العزيز اختي العزيزة تبدأ حملتنا من أول رمضان المبارك
سنلتقط صور و فيديوهات لأي فتاة بملابس فاضحة و ننشرها في
جميع المواقع

إن لم تستر نفسها من سيسترها ؟؟
سنفضح كل فتاة ترتدي ملابس فاضحة

اللهم اننا بلاغنا

< التغريدة 🔍 📧

20 ساعة @abuabd... عادل الكلباني
تخليوا شكلي وأنا راكب بنتلي
#بنتلي_نخبة_العود وتحمست
@OudElite

7 ساعة @Azo... عبدالعزيز العسيلي
@OudElite @abuabdelelah
بدل البنتللي اركب حمار بنخبة العود
جرب وراح تدعيلي اياك الله

عادل الكلباني
@abuabdelelah

@Azoz221155 أراك مناسباً ، هلم
نجربك

٢٠١٤/٧/٢٥

STC ٣:٢٤ ص ٦٠

التغريدة

11 ساعة @0o__VIP__o0 @abuabdelelah @mrom_1223

عبدالعزیز

ماشاء الله يا شيخ عادل فتنت البنات وطاحو عندك
وانا احلى منك ما عطوني وجه .

عادل الكلباني
@abuabdelelah

@mrom_1223 @0o__VIP__o0
يبحثن عن الرجولة

٤:٣٥ ٢٠١٤/٩/٢٢

#لا
للشائعات
#No_Rumors

أخبار

مبارد أصغر مظاهر في تركيا
pic.twitter.com/n...

Hide photo Reply Retweet Favorite Buffer Mo

الإشاعة

الصورة المزيفة المنسوبة
لمظاهرات تركيا وتم استخدامها
سابقا في المظاهرات المصرية



Lukashenko backs Belarus crackdown after poll win

By Andrei Makhorovsky and Richard Bainton
@RUBRUS | View Story Nov 20, 2010 @ 12:04 PM GMT

الخبر الصحيح

مصدر الصورة من شبكة رويترز وهي
لشرطي مكافحة الشغب وهو يلاحق
أحد المحتجين من أنصار المعارضة
خلال مظاهرة تندد بنتائج الانتخابات
الرئاسية في روسيا البيضاء
في 19 ديسمبر 2010

(Reuters) - At least seven election candidates and hundreds of opposition demonstrators were being held on Monday after police cracked down on a protest against the re-election of Belarus President Alexander Lukashenko.

Related News
Unrepentant Lukashenko defies West over crackdown
Nov 21 2010
Crackdown in Belarus as Alexander Lukashenko heads for win
Nov 20 2010
Belarus leader says Russia deal good for the people
Sat, Dec 18 2010

هاشتاق السعودية @HashKSA

صورة ترند من: @Hala_Otb_ | أصغر مجرم في العالم ، قتل 25 شخص و سرقة قرابة نصف مليون دولار !
pic.twitter.com/GiFFAelmHE

View translation

Reply Retweet Favorite Buffer Pocket More



الإشاعة

للإشاعات
منذ 2012

BY MAIL MAIL REPLY/RTS
PUBLISHED: 20:52 GMT, 16 September 2012 | UPDATED: 15:59 GMT, 17 Sept.

Police and family services records have given a startling insight into the heartbreaking childhood of a 13-year-old boy accused of beating his two-year-old brother to death.

Cristian Fernandez reportedly suffered neglect at the hands of a teenage mother and a drug-abusing grandmother; sexual abuse by a cousin and physical assaults by a stepfather who went on to kill himself.

Fernandez, who was just 12 when he fatally smashed his brother's head against a book shelf, could become America's youngest ever 'lifer' after being charged as an adult over the murder.

But the case has ignited a fierce debate over whether the punishment is too strict for a child - particularly for one who was left to languish in a poisonous upbringing littered with abuse.



© Police Handout
Torment: Cristian Fernandez, who was 1 when he allegedly killed his brother, was born to a 12-year-old mother and abused throughout his upbringing

الخبر الصحيح

بعد الترجمة:
كريستيان فرنانديز يبلغ من العمر 13 سنة،
ويحاكم من 2012 بسبب قتله لاختيه الصغير
المصدر صحيفة daily mail

7 د @alshaikhmhmmd محمد آل الشيخ

أقول يا عامر .. إقرأ كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين)
للإمام ابن الجوزي رحمه الله، وتأمل في ما قال عن طول
اللحية !!

@ameralmalkie @HARB_BOY @89f_jbhh



3 د @ameralmalkie عامر المالكي-ابو سجي

@alshaikhmhmmd @HARB_BOY وقال ابن
عبد البر في التمهيد حلق اللحية لا يفعله الا المخنثين. (:)





تحقق وتأكد قبل النشر

للاسف اصبح تزيف الاخبار والصور سهل جدا ومنتشر بشكل مخيف، وقد امر الله تعالى بالتبين و التثبت قبل نشر الاخبار... قال تعالى: { يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين } ٦ الحجرات



مثال

الإشاعة



خبر حقيقي



قلت : ومن طريقه أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٤٤٤/١٢ - ٤٤٥) ، والطبراني أيضاً في «المعجم الكبير» (٧٣٨/٣٣٣/٢٣) من طرق أخرى عن عيسى به .

قلت : وهذا إسناد جيد ، ورجاله كلهم ثقات ، وفي السدي - وأسنده إسماعيل بن عبدالرحمن - كلام بسير لا يقصر ، وهو من رجال مسلم . وأما إعلال المعلق على «المسند» بقوله :

«رجاله ثقات إلا أنه - عندي - منقطع» ، فمما حدثت به رواية لإسماعيل بن عبد الرحمن عليه . والله أعلم !

في تابعي روى عن أنس بن علي ، وعبدالله بن علي ، إلى ذلك أن السدي مشهور بالحفاظ الأئمة ، الذي يشترط اللقاء في التصحيحات ، وبخاصة ما كان اللقاء !

الشيخ الأنصاري ، وقد ترجم له ، والحفاظ ، وقائه ، وقال إبراهيم بن إسحاق الصوري

يث عائشة الذي ذكره . وهو مخرج في «الإرواء» (٢٠/٢ - ٢٣) ، وصحيح داود (٧٥٢) .

والخلاصة : أن حديث الترجمة صحيح بلا ريب ! لحسن إسناد الدارقطني وبحسن ، كما سبق بيانه ، ولا يعلى برواية مسلم القروي ؛ لأنه من طريق بيان - وهو ابن بشر الأحمسي ، وهو ثقة ثبت - . ثم هو يرتقي إلى درجة الصحة ببعض الشواهد الخمسة التي تقدم ما يصلح للشهادة منها بما لا يصلح ، وأخيراً شهادة حديث أبي حميد وعائشة من حيث المعنى ، مع ملاحظة أن الغماظهم فيها من إنشائهم وتعايبرهم ، وهي وإن اختلفت لفظاً ، فهي متحدة معنى ، كما أشار إلى ذلك الحافظ رحمه الله . فاعتنمه تعقيباً قد لا تراه في مكان آخر . والله الموفق .

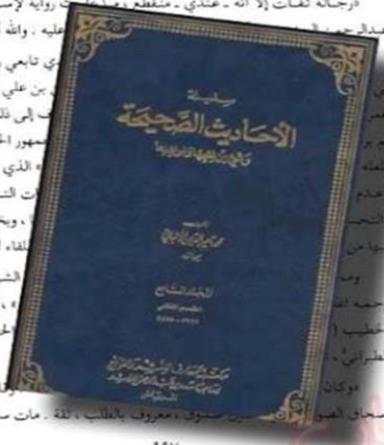
٣٣٣٢ - (كان يحب علياً) .

أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٨٢٨/٣٨٩/٦) ، و«المعجم الصغير» (١٩٩ - هندية) : حدثنا محمد بن الحسين أبو حُصَيْن القاسمي : قال : حدثنا عون ابن سلام قال : حدثنا عيسى بن عبدالرحمن السُّلَمي عن السُّلَمي عن أبي عبدالله الجَدلي قال :

قلت لي أم سلمة : **أبسط رسول الله ﷺ بينكم على المنابر؟** قلت : سبحان الله ! وأبسط رسول الله ﷺ قلت :

أبسط سبب علي بن أبي طالب ومن يحبه؟ وأشهد أن رسول الله ﷺ كان يحبه ! وقال الطبراني :

«لم يروه عن السدي إلا عيسى» .



٩٩٧

7:57 pm PHOTO

rteel222 + Follow

@AbuKhalid9UK 09/05/2014
@shugairi السلام عليكم هل هذا صحيح الذي
pic.twitter.com/ggtgewzoX4 ينسب اليكم

تنزوج فتاة لو تعرف ماضيها
وتترك فتاة ماضيها **كان** معك !!
أي غباء هذا
من أروع ما قال أحمد الشقيري :
إذا لم تنزوج حبيبك فكن علي يقين أنك تزوجت
حبيبة شخص آخر قدحن في زمن لو بخلو من الحب

أحمد الشقيري @shugairi

@AbuKhalid9UK لا . لم اقل هذه العبارة ابدأ . وشكرا على التثبيت

71 likes 34w

كل ما الفتو حكمة لصقتها فيه rteel222
#احمد_الشقيري #حب #زواج #حكمة #اشاعة
هو يتاحي ايش يعدل قيهم ولا ينتبه للأشاعات الله يعينه .
vaatler_ عليهم

Like Comment



المبحث الثالث: تحليل الإستخدامات السيئة والعلاج القرآني لتلك الأمراض الاجتماعية والفكرية والأخلاقية

في هذا المبحث سنعرض تلك القضايا الفكرية والأخلاقية والاجتماعية على ميزان القرآن الكريم لنكون على بينة من الأمر من صحة أو بطلان تلك المحتويات المنشورة في بعض وسائل التواصل الاجتماعي. وكما لا يخفى على أولي الألباب أن الواجب على جميع المسلمين الإحتكام إلى شهادة ومعيارالمركز - شهادة القرآن والسنة - **Criteria of Center** لمعرفة حكم تصرفاتنا ومدى صلاحيتها وقبولها عند الله تبارك وتعالى، والابتعاد عن اتباع الأهواء والشهوات في الحكم ، وكما قال الله عزو جل في كتابه الكريم: [وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ...] ﴿المائدة: ٤٩﴾ ، و قال تعالى: [فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ] [المائدة: 48]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الصريحة والواضحة في هذا الشأن.

وعند التحليل لتلك الاستخدامات السيئة لوسائل التواصل الاجتماعي نرى أن طبيعة القضايا المتداولة والمطروحة في محتويات وسائل التواصل الاجتماعي يمكن تقسيم الموضوعات إلى ما يلي:

- 1- فئة من الناس تنشر الشائعات والأكاذيب ولا تبالي بذلك!؟
- 2- شريحة من الناس تنشر ردود غير مهذبة أخلاقيا ولا دينيا!؟
- 3- مجموعة أخرى من الناس تنشر الفضائح والأمور الإباحية المحرمة!؟
- 4- وثلة من الناس تنشر أخبار من شأنها التحريض والتأجيج للحروب الطائفية والدينية والسياسية من شأنها تحدث فوضى وتفرقة في صفوف المسلمين.

وفيما يلي آيات قرآنية قاطعة وساطعة و صريحة في حكم هؤلاء صنفا صنفا.

أولا: حكم نشر الشائعات والأكاذيب:

1- وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦] ، و ما من شك أن الذين يشيعون الأنباء المكذوبة هم لا يتثبتون و لا يتبينون من مصداقية و حقيقة تلك الأنباء للأسف، وأما يقومون بترويجها ونشرها بين الناس، وكثير من هؤلاء يصيبهم الندم والألم بعد نشر الأكاذيب والشائعات ولات ساعة مندم، وكما قال الشاعر (نَدِمَ الْبُغَاةُ وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ *** وَالْبَغْيُ مَرْتَعٌ مُّبْتَغِيهِ وَخِيمٌ).

2- وقال تعالى: ﴿ لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا

قَلِيلًا ﴿ [الأحزاب: ٦٠]، والذين يقومون بنشر هذه الأكاذيب والمفتريات هم يعتبرون من المرجفين؛ أي من المنافقين الذين ينشرون الأخبار الكاذبة بين المؤمنين بغرض الفتنة. وقال بعض أهل التفسير: " والمرجفون في المدينة: هم الذين كانوا ينشرون أخبار السوء عن المؤمنين ويلقون الأكاذيب الضارة بهم ويذيعونها بين الناس. وأصل الإرجاف: التحريك الشديد للشيء، مأخوذ من الرجفة التي هي الزلزلة. ووصف به الأخبار الكاذبة، لكونها في ذاتها متزلزلة غير ثابتة، أو لإحداثها الاضطراب في قلوب الناس " 366

3- وقال عز وجل: ﴿ وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَاهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٣]، أي أن هؤلاء الكذابين سواء كانوا من المشركين أو غيرهم؛ فإن هؤلاء سيحملون أوزار وآثام كذبهم مع أوزار وآثام الذين كذبوا عليهم وصدوهم وأضلوهم عن سبيل الله.

4- وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦]، وهذا نهي صريح وجلي عن الخوض في الأمور التي يخوض فيها الناس عن جهل فيحللون الحرام ويحرمون الحلال و يفترون على الله الكذب.

366 الطنطاوي، سيد؛ التفسير الوسيط، سورة الأحزاب، الآية 61

5- و قال جل و علا: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، و هذه الآية في غاية الوضوح أن المفترين للأكاذيب هم من الناس الذين ضعف إيمانهم؛ بل ربما عدم إيمانهم بالله عز وجل. فليحذر الذين يخالفون أوامر الله عز وجل بهذه التصرفات.

6- و قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْنِهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]، فالله عز وجل اعتبر الذين نشروا الأكاذيب و الافتراءات والتهم في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ اعتبرهم القرآن من الكاذبين بسبب عدم فقدان الأدلة والبراهين. ألا فليحذر الذين يخالفون أمر الله و يتكلمون وينشرون غير مبالين.

أعتقد أن هذه الطائفة من الآيات القرآنية كافية لبيان خطورة و بشاعة نشر الشائعات والأكاذيب دون التثبت والتأكد و التبين. أوصي هؤلاء بالكف عن هذه السلوكيات قبل أن يأتيهم الموت.

ثانيا: حكم نشر ردود غير مهذبة أخلاقيا ولا دينيا

1- يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، هذه الآية القرآنية صالحة للزجر والردع عن نشر هذه الردود اللا

أخلاقية واللا إنسانية كما أنها صالحة لبيان عظمة وخطورة نشر الأكاذيب. فكل من يقف على منبر الأكاذيب ويؤم الناس في محراب الشائعات سيسأل عنها يوم القيامة و سيكون جزاؤه جهنم وبئس المصير.

2- وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠]، أين هؤلاء الشباب المسلمون من هذه الآية؟! وأين هؤلاء المشايخ والدعاة من هذه الآية؟! ألا يخافون رب العالمين عندما يفتحون جبهات كلامية قتالية و يتراشقون فيما بينهم بالألفاظ النابية، فيلى الله الشكوى.

3- وقال عز من قائل: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ

إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣]، أين هؤلاء المسلمون والدعاة والمشايخ والأئمة و الخطباء من هذه الآية ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾... أين القول الحسن؟!

4- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

[فصلت: ٣٤] أين الدفع بالتي هي أحسن؟! لا شك أن ما نراه في وسائل التواصل الاجتماعي هي الدفع بالتي هي أحسن كما ذلك فضيلة الشيخ الإمام الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله عز وجل و بارك لنا وله في عمره.

- 5- وقال جل و علا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، أين الحكمة في تلك الردود السابقة؟! أين القول الحسن؟! أين البحث عن الحق؟! أين الموعظة الحسنة؟!
- 6- وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فالله جل وعلا أمرنا بالقول الحسن حتى مع أهل الكتاب، و هو مع المسلمين ألزم وأقوم.
- 7- وقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، أين الإعراض عن اللغو والكلام الفارغ؟! أين التعالي من سفاسف الأمور؟! أين التعالي والسمو الروحي إلى الآداب والأخلاق النبوية والقرآنية؟!
- 8- وقال أيضا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، أين المرور الكرام مع أهل اللغو واللاغين والعابثين؟!
- 9- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، أين الإعراض عن اللغو؟! وأين الاهتمام بأنفسنا والبحث عن عيوبنا وتقصيرنا؟! إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.
- 10- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ

خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

[الحجرات: ١١]

أعتقد أن هذه الطائفة من الآيات القرآنية كافية لبيان الطريق الصحيح والمنهج السليم في الحوار والجدال والنقاش في القاعات والفصول والمنتديات النقاشية على الشبكة العنكبوتية.

ثالثا: حكم نشر الفضائح والأمور الإباحية المحرمة

ما من ريب ولا يختلف عليه عاقلان أن هذا العمل وهذا التصرف المشين يعتبر من الكبائر بموجبها يخلد صاحبها في النار إذا لم يستدرك نفسه بالتوبة النصوح والإقلاع عن الذنب والعزم على عدم العودة إليها مجددا. وأما إذا استحل صاحبها هذه المحرمات فلا شك أنه يعتبر خارج الملة الإسلامية وصاحبها يكفر كفرا بواحا واضحا غير محتمل للشك، لأنه أحل ما حرمه الله وانتهك أخص خصائص الألوهية؛ ألا وهو الحاكمية المطلقة لله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤]، و قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ [يوسف: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [يوسف: ٤٠]، فهو صاحب التشريع والتحليل والتحریم

والأمر والنهي. وما نراه في وسائل التواصل الاجتماعي من مقاطع مسجلة ثم تحميلها على الشبكة العنكبوتية لإرضاء الناس وإمتاعهم بهذا المعمل الحرام...، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى قيام الساعة. والآيات في تحريم هذا العمل البشع كثيرة جدا، منها:

1- قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ

شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ

نَنْزِلُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا

تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَعْتَلُونَ ﴿ [الأنعام: ١٥١] ، ففي هذه الآية نهي صريح وجلي

عن ارتكاب الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، ما خفي وما

جلي أو نشر، وما دق وما عظم، وما صغر أو كبر. فصاحب

الضمير الحي والمؤمن التقي والورع يتقبل خطاب الله كما نزل

ولا يرتكب هذه الحماقات والذنوب والمعاصي...والله الموفق

والهادي إلى سواء السبيل.

2- قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ

فَلَكُمْ رُءُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿ [البقرة: ٢٧٩

] ، فكما أعلن الله تعالى الحرب على آكلي الربا إذا لك يكفوا

عن عملهم..فكذلك ينبغي على ولاة الأمور وأهل الغيرة من

المؤمنين الصادقين والمخلصين في كل دولة مسلمة أن يعلنوا

الحرب على المفسدين والمنتهكين لحرمت الله...فعليهم وعلينا

جميعا تقع العاقبة السيئة لانتشار هذه المحرمات.

3- و قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: 57-58] وعمري ليس هنالك ذنب أكبر وأشنع وأقبح من نشر هذه المحرمات على الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي، وما أكثرها وما أكثر الناس الذين يشاهدون هذه المحرمات.. يصل عدد المشاهدين إلى الملايين...والله المستعان.

4- وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]...فنشر هذه الأمور لم تعد من الفواحش المخفية؛ بل أصبحت من الفواحش المعلنة عنها والمدعوة إلى مشاهدتها. وإن نظرنا نظرة فاحصة على نوعية الفتاوى والإستفسارات والإشارات والموضوعات التي يتم طرحها ومناقشتها في الفضائيات أو أسئلة يتم استقبالها من المسلمين والمسلمات عبر مواقع التواصل الاجتماعي أو الشبكة العنكبوتية...لكانت كافية لإثبات وتأكيد الأضرار و البلاوي لهذه المقاطع الإباحية المحرمة...من زنا علني و السدومية أو اللواط، الشذوذ الجنسي ، والزواج المثلي، والتحول الجنسي، والعلاقات المحرمة، والمعاكسات، والحب، ومشاهدة الأفلام الإباحية...الخ...الفتيات والشباب، الصغار والكبار، والعزاب والمتزوجون، الطلاب

والطالبات وربما بعض الملتزمين... أقول هؤلاء جميعا وقعوا
ضحية لهذه المقاطع المحرمة و المعروضة على وسائل التواصل
الاجتماعي!!؟؟

وأعتقد أن هذا القدر من الآيات القرآنية كافية لبيان حرمة تلك المنشورات
المحرمة عبر وسائل التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية...

رابعاً: حكم نشر أخبار من شأنها التحريض والتأجيج للحروب الطائفية

هذا التصرف الشنيع لا يقل خبثاً وجرماً من التصرفات السابقة في
المحرمة والتحريم. ومن يحايل زرع أو بث بذور الفتنة والفساد بين المسلمين،
أو يحاول إيقاظ الفتن وتأجيج النزاعات المذهبية أو الطائفية أو السياسية
بين المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منهم صرف
ولا عدل يوم القيامة. ومن يحاول الخروج على إمام المسلمين من غير
الأسباب الموجبة لذلك؛ كالكفر البواح والظلم المشاع والتحكيم إلى غير
شرع الله في أمور العباد والبلاد و القضايا الأسرية .. إلخ. كما أن هذه
الشائعات تؤدي إلى عصيان الله و رسوله والله عز وجل أمرنا بطاعته
وطاعة رسوله وأولي الأمر - أي الحكام والعلماء -، فلا يجوز للمسلمين
الالتفاف حول هذه القضايا والانشغال بها. والآيات القرآنية أيضاً في هذ
الصدد كثيرة، نذكر بعضها منها دون تعليق لأنها واضحة وضوح الشمس
بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

- 1- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]
- 2- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]
- 3- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]
- 4- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]
- 5- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]
- 6- ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]
- 7- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]
- 8- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتُّمَّ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]
- 9- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]

وأعتقد أن هذه الآيات المباركات كافية لبيان حرمة وقبح نشر مقاطع أو إشاعات من شأنها شق صفوف المسلمين أو تفريق قلوبهم أو تأجيج النعرات الطائفية أو المذهبية. فلا يجوز للمسلم أن يتورط إلى هذه الأمور حفاظا لدينه و مجتمعه، والله الموفق والهادي.

المبحث الرابع: كشف أهم الآثار السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي خاصة على المجتمع القطري المسلم.

مما مر ذكره سابقا، ومن خلال هذه الدراسة و التأصيل القرآني لها، تبين لنا ولغيرنا من الباحثين أن هناك جملة من الآثار السلبية قد نجمت من جراء الاستخدام لهذه الوسائل في التواصل الاجتماعي، نذكر بعضها منها:



الآثار السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي:

هناك سلبيات كثيرة ترتبط باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة يمكن ذكر أهمها فيما يلي:

- اكتساب عادات سيئة من الآخرين، اعتمادا على ضعف الشخصية.
- الإدمان على الإنترنت وآثارها الصحية والنفسية.
- ضياع الزمن وعدم التوازن في استخدام الإنترنت.
- سهولة تعلم الكذب والاعتیاد عليه.
- سهولة معاكسة النساء مما يزيد من معدل الانحرافات الأخلاقية.
- تفويت أوقات الصلوات.
- قدرة الشباب المراهقين على الإفلات من الرقابة الأسرية.
- اللجوء إلى لغة الاختصار "معرّب" يؤثر على ملكات التعبير باللغة العربية حيث يدعى الشباب أنه أسهل من التعبير العربي أو الإنجليزي.

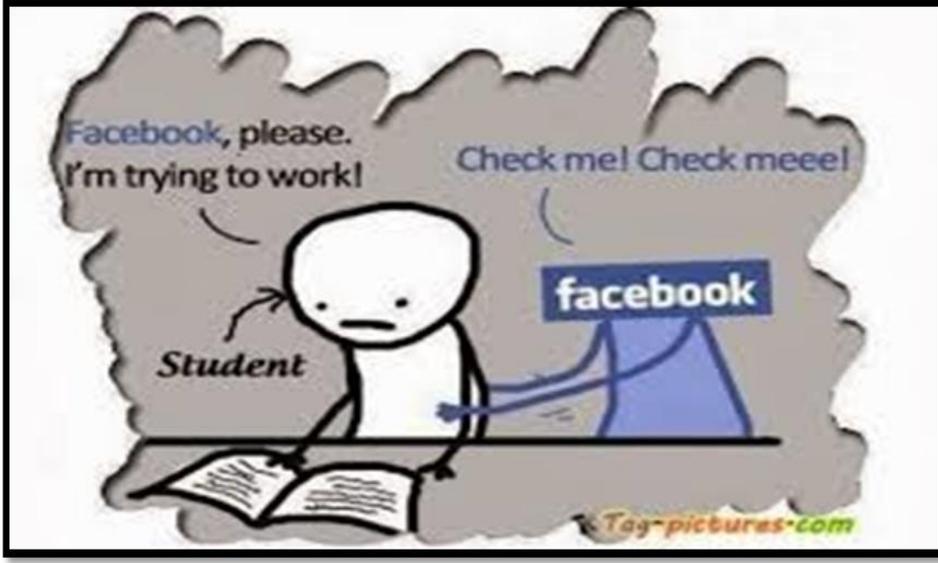
- شيوع الفضائح من خلال كشف أسرار الآخرين وما يترتب على ذلك



من هدم البيوت

- سهولة تعلم الجريمة، قد يراقب الوالدين التقليديين نوعية صحبة ابنهما ولكن كيف يفعلان ذلك مع الانترنت، إذ أن مراقبة المواقع وحدها لا تكفي.
- سهولة تفشي الغيبة والنميمة كأمراض اجتماعية.
- استخدام الإنترنت والتلفون للتواصل الجنسي يساعد في تفشي الرذيلة.
- الاغترار بوجود مودة وحميمية زائفة عبر الأثير قد يؤدي بالشخص إلى التضحية بالعلاقات الحقيقية مع الأشخاص من حوله، ويقود ذلك إلى خسارة الأصدقاء.
- زيادة قابلية التأثر بحالات الآخرين. فقد ينتقل الشعور بالوحدة في شكل عدوى عبر الأثير.
- المقارنة مع الآخرين قد يؤدي إلى زيادة الإحساس بالإخفاقات وتقليل الشعور بالنجاحات.





وهكذا، كما رأينا في هذه الدراسة أن معرفة حكم استخدام هذه الوسائل باتت من الأهمية بمكان لا يجادل عنها اثنان. إنها سلاح ذو حدين، فطوبى للمستخدمين للأغراض الإيجابية والدعوية والأخلاقية الإسلامية وللأغراض التربوية والمعرفية المفيدة، والموفق من وفقه الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Conclusion

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتحقق الخيرات وتنجز المشاريع المباركات. الحمد لله الذي وفقنا لهذا، ونود في هذه الخاتمة أن نشير إلى أهم النتائج التي تمخضت عن هذه الدراسة. أقول وبالله التوفيق والهداية:

1- أثبتت الدراسة كثرة أنواع وسائل التواصل الاجتماعي؛ إذ لا حصر لها كل يوم هو في شأن.

2- تمخضت عن الدراسة أن القاسم المشترك في هذه الوسائل والهدف الرئيسي لها جميعا هو التعارف مع الآخرو مشاركة الهموم مع الآخرين وإلغاء الحدود الجغرافية والفكرية والدينية والأخلاقية، وتمزيق حاجز الحياء والحشمة والكرامة والعفة والشرف ونشر الرذيلة والإباحية.

3- دلت الدراسة أن وسائل التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين وأن لها جوانب سلبية و لها جوانب إيجابية؛ فمن الناس من يستخدم الجانب السلبي ومن الناس من يستخدم الجانب الإيجابي، وأن المستخدمين للجانب السلبي أكثر، وأن إسلامنا لا يمنعنا من الاستفادة في كل ما يعود إلى المسلم أو المجتمع أو الدولة أو الأمة بالفائدة العلمية والصناعية والتكنولوجية والدينية والأخلاقية.

4- تبين لنا من الدراسة أن المسلمين في الوطن العربي والخليج لهم نصيب كبير من استخدام هذه البرامج ، وأن أشهر مواقع التواصل حسب الأحصائيات هو: الفيسبوك وتويتر، بل هذه الأحصائيات توافقت مع المستخدمين في الولايات المتحدة الأمريكية.

5- رأينا أصنافا من الناس ومن الشباب ورجال العلم والدعاة والمفكرين يستخدمون وسائل التواصل بالكثرة، ولهم حضور كبير غير أن بعضهم للأسف الشديد غير ملتزمين بالآداب الإسلامية في الحوار والنقاش، وقد أثبتنا ذلك بالصور من خلال التغريدات.

6- قدمت الآراء الاستطلاعية من الإستهيبان نتائج مذهلة عن الإستهيبان المفراط ذات الساعات الطوال للشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل الاجتماعي. وهذا خبر مقلق يجب التعامل معه بحذر وأخذ الاحتياطات والتدابير اللازمة لتفاديه.

7- أثبتت الدراسة أن الشركات الغربية والأمريكية لا يكفون عن صناعة وابتكار برامجيات التي تخدمهم وتخدم مصالحهم وأغراضهم السياسية والإقتصادية والإستعمارية. إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين ومخلصين من المسلمين والعلماء والمبدعين من محبي القرآن والسنة النبوية والمسلمين؛ للقيام بالبرامجيات المشابهة والمناهضة لها للحد والوقوف أمام هؤلاء المعرضين والمرجفين والمفسدين، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون الأوفياء لحماية المسلمين وأغراضهم وأموالهم ومصالحهم في الدنيا حتى ينالوا رضا الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.



توصية مهمة للغاية

يقترح الباحثون ويوصون بشدة، وبعد هذه الجولة وبعد هذا التحليل والدراسة لحقيقة وآثار التواصل الاجتماعي والاستخدام السيئ لها أن تتبنى الدولة سياسية الصين وروسيا وكوريا الشمالية في المراقبة وحجب المواقع الإباحية ومنع الناس بالقوة من الإستخدام السيئ لهذه الوسائل الإجتماعية وذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد، وأن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

2015/6/8

الدوحة - قطر

قاله وكتبه الفقير إلى عفو مولاه

خادم القرآن والمسلمين

خيرالدين خوجة الكوسوفي - دوحة الخير والبركة - قطر

مع الطالبتين من طالباتي كانتا باحثتين متعاونتين معي في هذا المشروع البحثي

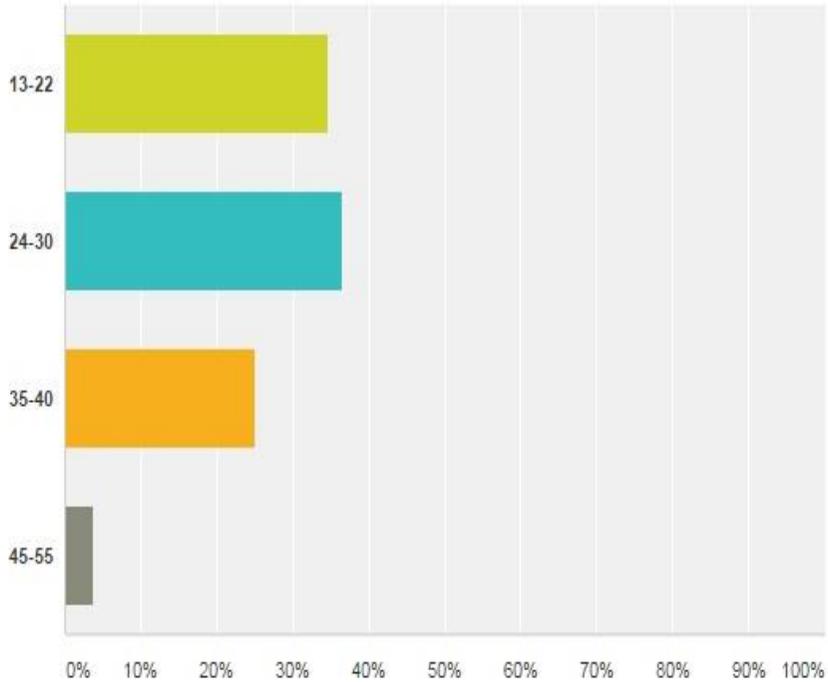
و تمت مراجعة الدراسة يوم الإثنين 20 من ذي الحجة 1437 هـ، والموافق 19 من

سبتمبر 2016

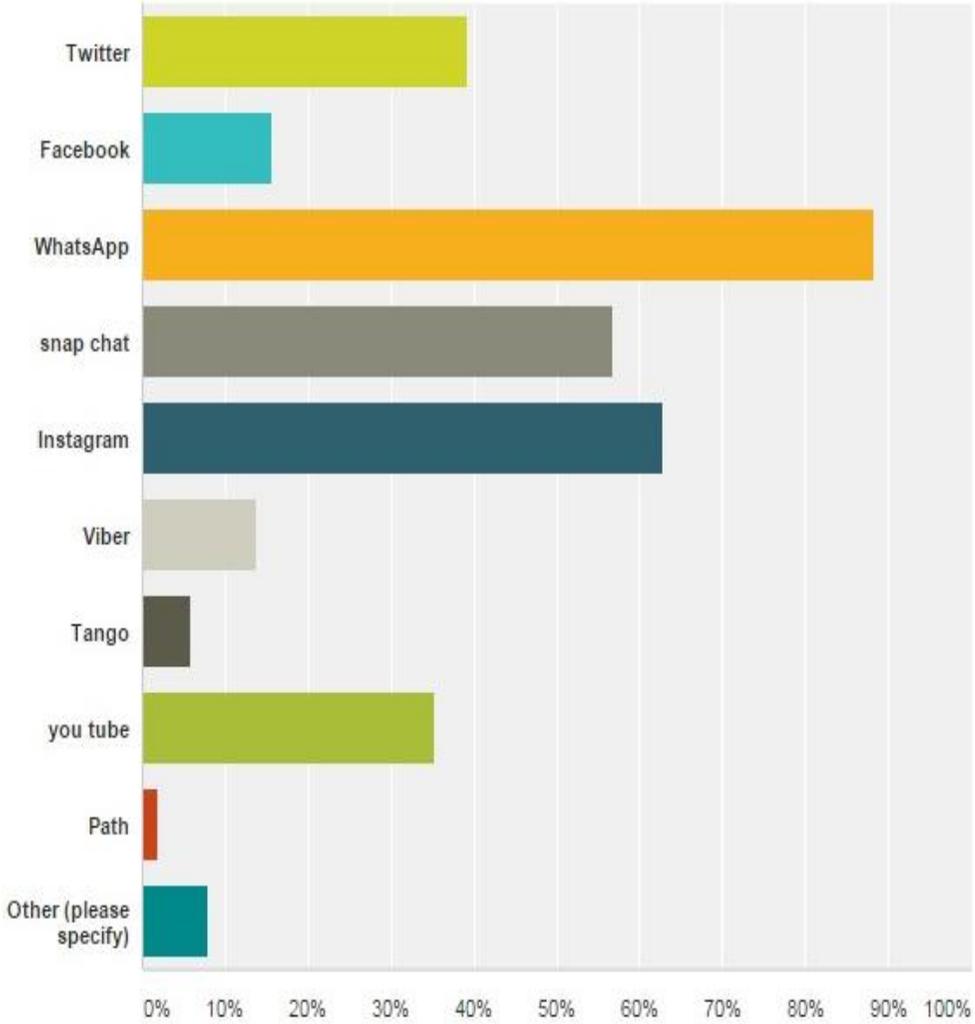
الإستبيان

العمر

Answered: 52 Skipped: 1



يبين لنا الرسم البياني أعلاه الأعمار المستخدمة للبرامج التواصل، وتبين لنا أن الفئة 30-24 كانت أكبر نسبة مستخدمة لهذه البرامج مقارنة بالفئات الأخرى .



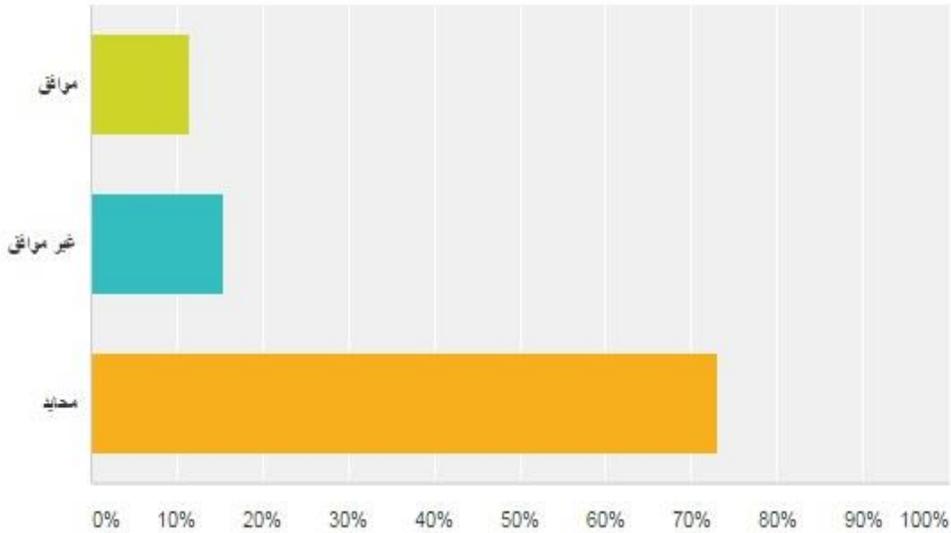
س1: من بين مختلف البرامج الاجتماعية التي ظهرت، من منهم تلجأ إلى استخدامه بشكل يومي؟

ونتيجة هذا السؤال كانت كالآتي:

تصدرت برامج المحادثات أو ما يسمى بالتشات مسنجر، ك"الواتس
أب" الاستخدام اليومي لدى مجيبي هذا الاستبيان، بنسبة 88%،
ويليها ال"سناب تشات" بنسبة 58%، ومن ثم بقية البرامج الأخرى.

هل تثق بالمعلومات التي تنشرها وسائل التواصل الاجتماعي

Answered: 52 Skipped: 1

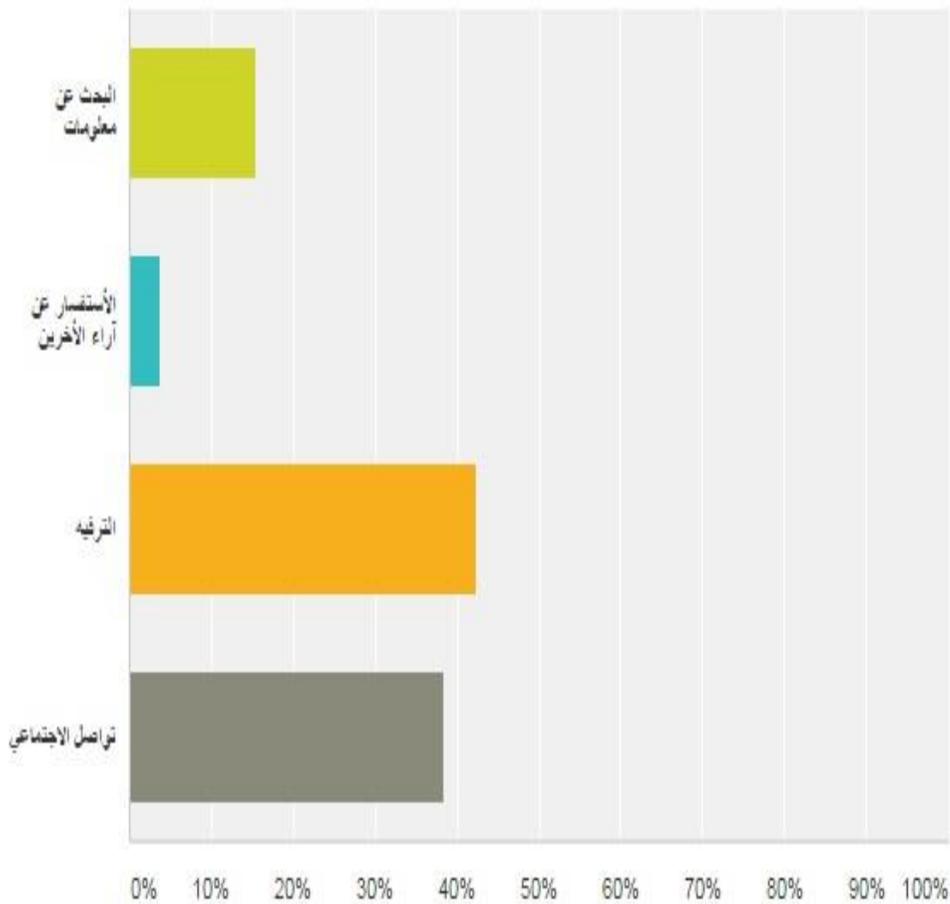


س2 : هل تثق بالمعلومات التي تنشرها وسائل التواصل الاجتماعي؟

من خلال الاجابات، تبين لنا أن الأغلبية لجأ إلى الإجابة بـ"محايد" أي بنسبة 73% وهذه النسبة ليست قليلة، مقارنة بمن أجابوا بـ"موافق".

أسباب استخدامك لوسائل التواصل الإجتماعي

Answered: 52 Skipped: 1

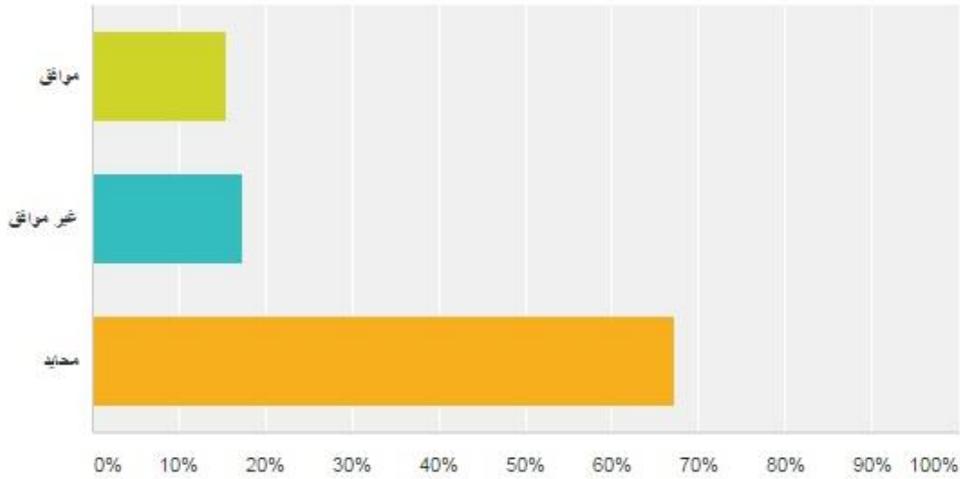


س3: ما هي أسباب استخدامك لبرامج التواصل الاجتماعي؟

وتضمنت خيارات الإجابة على هذا السؤال، أربعة خيارات، الأول:
للبحث عن معلومات، الثاني: معرفة آراء الآخرين، الثالث: للترفيه
والتنفيس، الرابع: تواصل اجتماعي لا أكثر. وأغلب الإجابة كانت
للترفيه، أي بنسبة 42%.

هل أنت راضٍ/ راضية بما ينشر و يتم تداوله في وسائل التواصل
الاجتماعي

Answered: 52 Skipped: 1

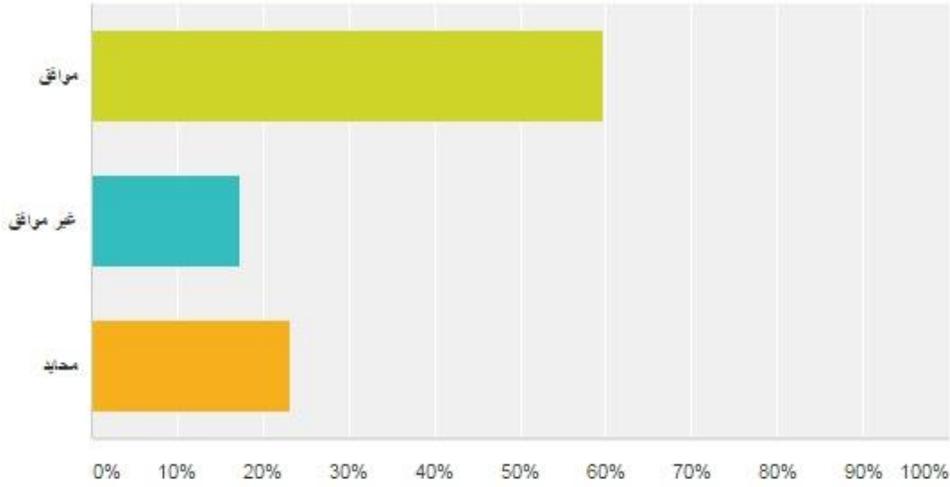


س4: هل أنت راضٍ بما ينشر ويتم تداوله في وسائل التواصل الاجتماعي؟

وتصدر الرأي المحايد لهذا السؤال بنسبة 67%.

هل من الممكن أن تضيع أخلاق المسلمين / المجتمعات من خلال وسائل التواصل الاجتماعي

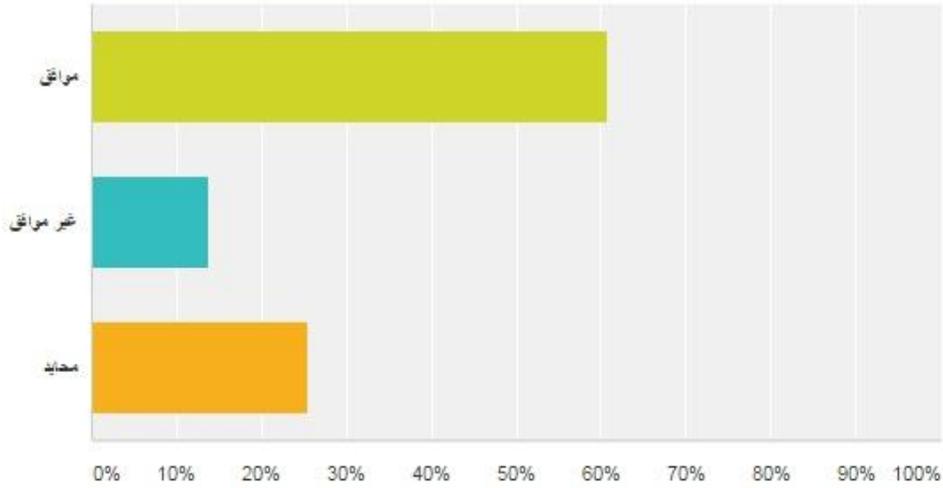
Answered: 52 Skipped: 1



س5: هل ترى/ ترى أنه من الممكن أن تضيع أخلاق وشيم وقيم المسلمين والمجتمعات من خلال وسائل التواصل الاجتماعي؟
كما هو مبين في الرسم البياني، أن نسبة الموافقة كانت 79%.

وسائل التواصل الاجتماعي تؤثر سلبا في التواصل العائلي والاجتماعي

Answered: 51 Skipped: 2

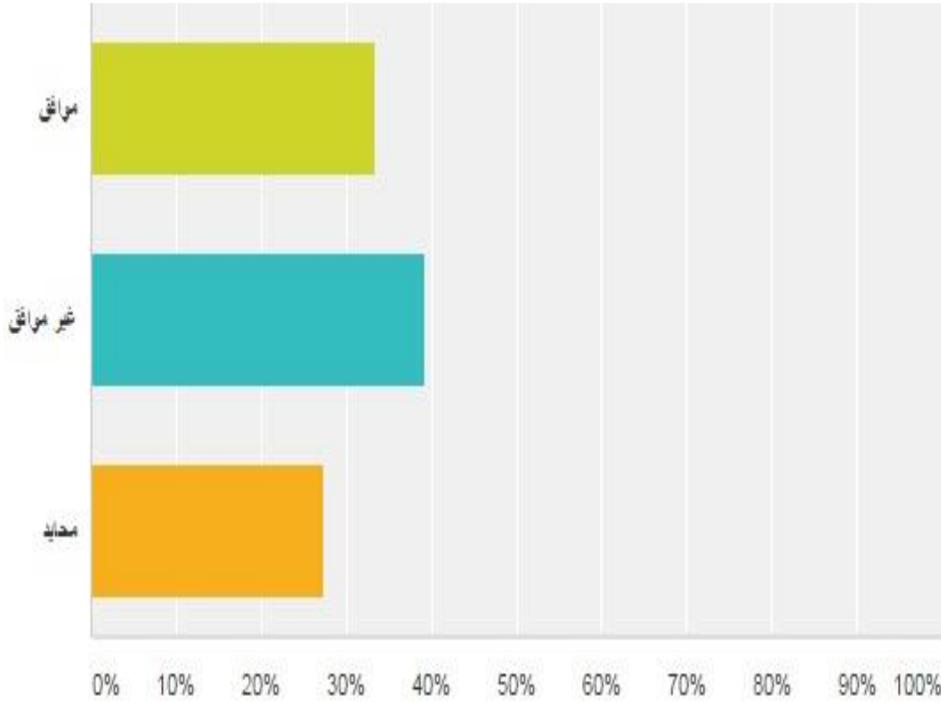


س6: هل ترى أن وسائل التواصل الاجتماعي من الممكن أن تؤثر سلبا في الترابط والتواصل الأسري والاجتماعي؟

ونسبة الموافقة كانت عالية جدا أي تحديدا بنسبة 62%.

هل أنت من المدمنين على وسائل التواصل الاجتماعي

Answered: 51 Skipped: 2

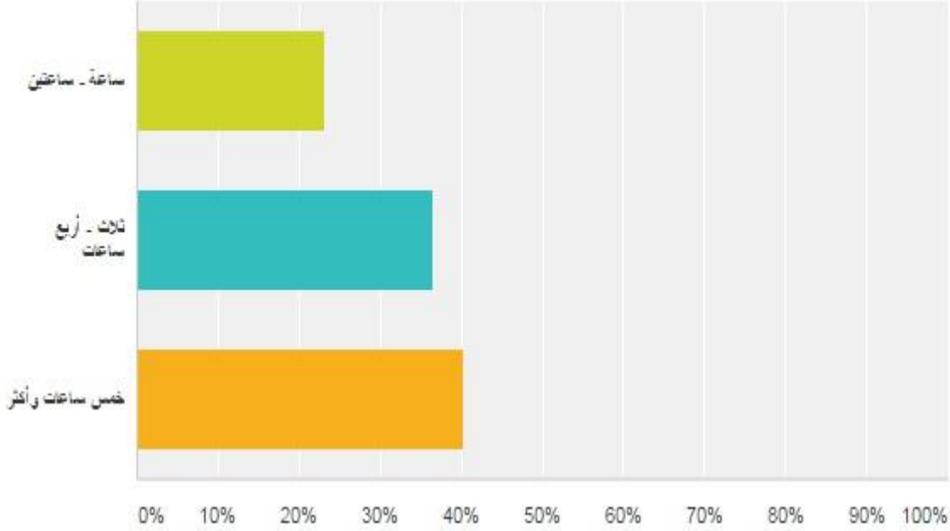


س7: هل أنت من المدمنين على وسائل التواصل الاجتماعي؟

وتفاوتت الإجابات على هذا السؤال فمنهم من أجاب بالإيجاب بنسبة 33%، في المقابل للذين أجابوا بـ "غير موافق" بلغت نسبة الإجابة 39%، وعدد لا بأس بهم قالوا "محايد" أي ما يقارب 26%.

عدد ساعات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي

Answered: 52 Skipped: 1



س8: كم هي عدد الساعات التي تقضيها أثناء استخدام مختلف وسائل التواصل الاجتماعي؟

والأجابات كانت كالآتي: منهم من قال أنهم يقضون فقط ما يقارب ساعتين لا أكثر في اليوم، تحديداً بنسبة 23%، ومنهم من زادها إلى ثلاث - أربع ساعات في اليوم، ونسبتهم كانت 37%، ومنهم من يقضي أكثر من خمس ساعات، وهذه النسبة لم تكن بقليلة، أي ما يقارب 40%.

التدخين والنجيلة وخطرهما على المجتمع القطري
(دراسة تفسيرية تحليلية ميدانية)

الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي) – مشرفاً وباحثاً رئيساً

الطالبة : موزه الكعبي – باحثة مساعدة

الطالبة : سارة العمادي – باحثة مساعدة

كلية المجتمع بقطر

2016

2016/2015م

تمهيد

الحمد لله الواحد المعبود، عم بحكمته الوجود، وشملت رحمته كل موجود، أحمده سبحانه وأشكره وهو بكل لسان محمود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الغفور الودود، وعدد من أطاعه بالعزة والخلود، وتوعد من عصاه بالنار ذات الوقود، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله صاحب المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود، صل الله عليه وعلى آله وأصحابه الركع السجود والتابعين لهم بإحسان من المؤمنين الشهود.

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم. الحمد لله على توفيقه سبحانه لإنجاز هذا البحث العلمي الثاني على التوالي والمدعوم من مكتب البحث العلمي والأكاديمي بكلية المجتمع. البحث العلمي الذي الأول لعام 2014 / 2015 كان بعنوان:

1- وسائل التواصل الإجتماعي وآثارها السلبية على المجتمع القطري.

وأما عنوان مشروعنا لهذا العام 2015 / 2016 فهو:

2- التدخين والنرجيلة وخطرها على المجتمع القطري - رؤية تفسيرية تحليلية

ميدانية.

لقد كان حرصنا دائما ولا يزال هو: البحث والإختيار عن المشاكل والقضايا الدينية والسلوكية والاجتماعية التي تعم المجتمع المسلم عامة والمجتمع القطري خاصة. كان اهتمامنا الأول هو القيام بتشخيص الحالة ومن ثم تقديم العلاج القرآني والحلول العلمية الأخرى التي ذكرها بعض أهل العلم من الباحثين المعاصرين أو القدامى.

ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العطر الوفير إلى الإدارة العليا بكلية المجتمع على حرصها وتشجيعها ودعمها للبحث العلمي المنشود، ولا أنسى الطالبتين العزيزتين والأختين الكريمتين؛ الأخت الفاضلة موزة الكعبي والأخت الفاضلة سارة العمادي حفظهما الباحثتين المتعاونتين معي، واللتان عملتا معي وتحت إشرافي المباشر، لقد بذلتا مجهودا مباركا ومشكورا في حدود طاقتهما العلمية والفكرية رغم إشغالهما بالأعباء الأكاديمية والأسرية. فجزاهما الله خير الجزاء إنه تعالى سميع قريب مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مع التحية والتقدير:

الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد الذي أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، والحمد لله الذي قال في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الأطهار الذين أكلوا من الطيبات واجتنبوا من الخبائث، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فمن المتفق عليه بين عقلاء المسلمين وغير المسلمين أن أمر وخطورة التدخين والترجييلة بات من الأمور التي لا يجادل عنها إثنان. لقد عمت هذه الظاهرة في البلاد وطمت في أرجاء المعمورة. وبالرغم من الإحصائيات الخطيرة لحالات الوفيات المختلفة وشيوع أنواع السرطانات المختلفة فإن الناس لا يرتدعون من تعاطيهما، بل تشير الإحصائيات والدراسات بأن هنالك إقبالا كبيرة من الناس عليهما إلى درجة الإدمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لقد انتشرت هذه الظاهرة في المدن والقرى، بين الصغار والكبار، الرجال والنساء، الكاسيات والعاريات، المنتقبات والمتحجبات، بل والأطفال أيضا.

لقد تم نشر الدراسات والتقارير والأفلام الوثائقية تبين خطورة تعاطي التدخين والترجييلة، ومع ذلك فإن الناس لا يفقهون ولا يعقلون.

لقد لجأت بعض الدول والحكومات إلى سلطة القانون وتفعيله وتغريمه كل من يشيش ويدخن في الأماكن الأمانة مثل المطارات والمطاعم، ولكن الأمر لا يزال قيد النظرية ولم يخرج إلى حيز التطبيق 100%، كما هو الحال في بعض المقاهي و المطاعم حيث دخان التدخين يلمح من بعيد و ريحة الشيشة تكاد تخنق المارين غير المدخنين.

تأتي هذه الدراسة إضافة إلى ما سبقتها من الدراسات والتقارير ولكنها في حلة ورؤية جديدة، ألا وهي: الرؤية القرآنية التفسيرية للآيات التي تناولت موضوع الأكل من الطيبات والحلال والتحریم للخبائث بكافة أنواعها، وعدم الإلقاء إلى التهلكة والقتل بأدينا، ومن خلال إجراء بعض المقابلات الشخصية مع المسؤولين في مستشفى حمد الحكومي بالدوحة، رافق ذلك نشر استبيان إلكتروني مهم لاستطلاع آراء الناس من مختلف الطبقات.

أيها القراء الكرام حفظكم الله!

لا أخفيكم سرا، لقد عانيت مع طالبتي في إنجاز هذا المشروع معاناة لا يعلمها إلا الله تعالى، من حيث عدم التعاون الكافي مع بعض الجهات المعنية بهذا الشأن في الكلية وخارجها، والحمد لله في النهاية وفقنا الله إلى إنجاز هذه الدراسة، والحمد لله أولا وآخرا.

ولقد قمنا بتقسيم البحث إلى ستة مباحث على هذا النحو:-

- المبحث الأول: تعريف التدخين والنجيلة وأهم أنواعهما.
- المبحث الثاني: أسباب تعاطي التدخين والنجيلة.
- المبحث الثالث: الآثار المترتبة على التدخين والنجيلة.
- المبحث الرابع: آراء بعض المفسرين القدامى والمعاصرين حول الآيات المتعلقة بالموضوع.
- المبحث الخامس: بيان الحكم الشرعي في التدخين
- المبحث السادس: مقترحات وحلول قابلة للتطبيق لمشكلة التدخين والنجيلة مع الإستهيان

وفي نهاية البحث كانت الخاتمة وأهم نتائج البحث، ثم المراجع والمصادر المتعلقة بالبحث والتي تم الإعتماد عليها من أجل إنجاز البحث بهذه الصورة، راجين من الله عز وجل أن نكون قد وفقنا لإنجازه على قدر جهدنا والله المستعان.

دوافع القيام بالبحث:-

وأما الدوافع التي دفعت بنا للقيام بمثل هذه الدراسة هو ما يلي:

1- انتشار ظاهرة التدخين والنجيلة في المجتمع القطري بشكل كبير مما دفعنا إلى الوقوف على أهم الأسباب والعوامل التي شجعت على انتشار هذه الظاهرة.

2- التعرف على الرأي الصائب للإسلام في ضوء الآيات القرآنية وفتاوى كبار العلماء المشهود لهم بالعلم والفضل حيال هذه المشكلة.

أهمية البحث:-

للبحث أهمية كبيرة يمكن تجليتها من خلال هذه النقاط:-

1- بيان خطورة التدخين والنجيلة على صحة الفرد والمجتمع ولها العديد من الآثار الضارة.

2- بيان الأسباب التي تؤدي إلى انتشار التدخين والنجيلة.

3- معرفة رأي الدن في مسألة التدخين والنجيلة في ضوء رأي المفسرين المعاصرين والمتقدمين.

4- تقديم العديد من الحلول والمقترحات من اجل الحد من هذه الظاهرة.

5- عموم الفائدة على الشباب والشيوخ.

6- تلبية الحاجة الملحة للمكتبة من أجل المزيد من الدراسات المختلفة عن ظاهرة التدخين.

أهداف البحث:-

وفيما يتعلق بالأهداف الرامية من وراء هذا البحث فيتضح من خلال الآتي:



- 1- تجميع العديد من المعلومات عن التدخين وأنواعه والنجيلة وأنواعها
- 2- تحليل المعلومات والإستبيانات.
- 3- الوقوف على آراء بعض المفسرين القدامى والمعاصرين.
- 4- توضيح حجم مشكلة التدخين والتدخين في المجتمع القطري.
- 5-

أسئلة البحث:-



- ما التدخين والنجيلة، وما هي أهم أنواعهما؟
- 1- ما الدوافع التي تؤدي إلى التدخين والنجيلة؟
 - 2- ما الآثار الناجمة عن تعاطي التدخين والنجيلة؟
 - 3- ذكر حكم الإسلام في ظاهرة التدخين والنجيلة؟
 - 4- ما المقترحات للحد من مشكلة التدخين؟

الدراسات السابقة:-

فيما يلي من هذه الدراسة نذكر جهود لبعض الفضلاء الذين قاموا ببعض الدراسات المتعلقة بموضوعنا، وقد أشار إلى هذه الدراسات بعض الباحثين، فنقتبس منها ما تيسر:

1- (محمود الزهار³⁶⁷)

هذه الدراسة بعنوان (التدخين بقطاع غزة)، وقامت هذه الدراسة على ثلاثة مناطق، ولم تقم الدراسة على عينة واحدة فقط بل قامت الدراسة على عديد من العينات من أصحاب الحرف المختلفة والطلاب، وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج:

1- يمثل عينة المدخنين حوالي 48094 من إجمالي العينات التي قامت بها الدراسة.

2- يمثل نصيب الفرد من الإستهلاك اليومي للسيجارة حوالي 19.12.

3- التأكيد على ظاهرة التدخين منذ سن مبكرة (حوالي 14) سنة.

4- نسبة الطلاب المدخنين من إجمالي العينة حوالي 33.63%.

2- (مجدي حبيب³⁶⁸)

³⁶⁷ الزهار ، محمود ، التدخين بقطاع غزة، العلاقات العامة الجامعة الإسلامية، 1985، ص 24-68.

هذه الدراسة بعنوان (سلوك وطرق الإقلاع عن التدخين والارتداد إليه)، قام الباحث بالدراسة على عينة من طلاب جامعة القاهرة وجامعة عين شمس من أجل الوقوف على أهم مميزات الشخصية التي تنجذب إلى التدخين، والتعرف على انسب مناخ مهياً لجذب الطلاب إلى التدخين وتوصل الباحث إلى النتائج التالية:

- 1- وجود حالة من القلق الدائم وقلّة الثقة بالنفس لدى الطلاب الذين يعانون من الإفراط في التدخين.
- 2- توصل الباحث إلى الوقوف على العديد من الأسباب والعوامل البيئية التي تدفع الطلاب إلى التدخين.
- 3- تؤثر شخصية الطالب بصورة أساسية على الإقدام أو الابتعاد عن التدخين.

3- (دراسة حسن أبو طويلة :³⁶⁹)

هذه الدراسة تحمل عنوان (التدخين)، وقام الباحث بإجراء البحث على عينة من المدخنين في قطاع غزة، وتوصل إلى أهم النتائج المترتبة على التدخين وقام بتقديم العديد من المقترحات الهامة من أجل الإقلاع عن التدخين: وتوصل الباحث إلى النتائج الآتية:

² حبيب، مجدي، سلوك التدخين وطرق الإقلاع ، دراسات تربوية، رابطة التربية الحديثة، العدد 51، 1993، 118-143.

³ -أبو طويلة، حسن، التدخين، حماية الإنسان الفلسطيني من خطر التدخين، وقائع اليوم الدراسي المنعقد في غزة، غزة، مايو 1997، ص 22.

- 1- نسبة المدخنين من إجمالي عينة الدراسة حوالي 48.28%.
- 2- استهلاك الفرد من السجائر يوميا يتراوح حوالي 30.38 سيجارة للذكور، أما الإناث فحوالي 15 سيجارة في اليوم.
- 3- ينفق الفرد من العينة على السجائر حوالي 38.06 % سنويا.
- 4- وجود علاقة عكسية ما بين التدخين وارتفاع مستوى التعليم، فكلما أرتفع مستوى التعليم كلما قلت أنتشار ظاهرة التدخين والعكس صحيح .

5- عبد العال⁽³⁷⁰⁾

هذه الدراسة تحت عنوان (أسباب ودوافع تدخين السجائر)، قام الباحث بالدراسة على عينة عشوائية من مدخني السجائر بأعمار مختلفة في مدينة القاهرة، من أجل الوقوف على الأسباب الأساسية للاستهلاك الزائد لمختلف أنواع السجائر، ومعرفة العديد من المتغيرات المحددة لاستهلاك نوع معين من السجائر، كما هدفت الدراسة إلى التوصل للأسباب الدافعة لاستهلاك السجائر، والوقوف على الموانع التي تعيق الأفراد الذين لديهم العديد من المحاولات من أجل الإقلاع عن التدخين بشكل عام. وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

370 - عبد العال ، محمد ، أسهل طريق إلى الإقلاع عن التدخين ، الجمعية العلمية الطبية ، القاهرة، 1989 ،

1- حوالي 13.6% من إجمالي حجم عينة البحث بدؤوا التدخين في سن مبكرة من حوالي (7-12) سنة، وإن نسبة 4.2% بدؤوا التدخين في سن (13-18) سنة.

2- يعتبر حب الاستطلاع من أهم الدوافع الأولية التي تجذب اغلب الشباب إلى التدخين لأول مرة، حيث كانت النسبة الأولية 49% من إجمالي العينة قاموا بالتدخين من أجل التجربة لأول مرة.

3- هناك العديد من الأشخاص الذين يجهلون الأسباب الحقيقية التي تجعلهم يقبلون على التدخين، ومثلت هذه الفئة نسبة حوالي 12.4% من إجمالي العينة.

4- بلغت نسبة المدخنين الذين يعرفون جيدا الأضرار الناجمة عن التدخين حوالي 89% من إجمالي عينة البحث.

5- (دراسة بريطانية: 371)

هذه الدراسة تحت عنوان (الأسباب المؤدية إلى التدخين عند الذكور والإناث)، هدفت الدراسة إلى الوقوف على أهم الأسباب التي تدفع الشباب إلى التدخين، وقام الباحث بالدراسة على عينة تتكون من حوالي 25 رجل و35 امرأة، من أعمار مختلفة، وقام الباحث بالمتابعة الدقيقة لعينات البحث لمدة 48 ساعة متواصلة، مع القياس المستمر

371- - Ralf Dolfeeno (2002) : " **Reasons of smoking among males and females smokers** "University of California

للضغط وتسجيل معدل الانفعال لدى عينات البحث، ومن أهم النتائج المترتبة على هذه الدراسة التالي:

- 1- الرجال أكثر إقداما على التدخين عن النساء في حالات التوتر والقلق.
- 2- اندفاع النساء نحو التدخين في حالات السعادة على عكس الرجال.
- 3- التوتر والغضب والانفعال من أهم الأسباب الدافعة للتدخين عند كلا من الجنسين.
- 4- استخدام العديد من الأساليب الفاعلة والمهادفة من أجل الحد من التدخين من خلال نشر الوعي الصحي بكيفية السيطرة على المشاعر السلبية لدى الأفراد من كلا الجنسين مما يقلل من الاندفاع نحو التدخين.

المبحث الأول: تعريف التدخين وأهم أنواعه

التدخين ظهر لأول مرة في أمريكا منذ أكثر من ألف عام، ثم انتشر بعد ذلك وانتقل إلى شمال أمريكا حتى تداوله الهنود الحمر، ولقد ذكر كريستوفر كولمبوس، أن الهنود القاطنين لجزر الكاريبي يدخنون التبغ، وقام السفير الفرنسي بإطلاق اسم النيوكتين عليه.³⁷² وانتشر التدخين بشكل كبير في بداية الستينات، وازداد الإقبال عليه من قبل جميع شرائح المجتمع صغارا وكبارا نساء ورجالا.

المطلب الأول: مفهوم التدخين:

تعريف التدخين في اللغة³⁷³: التدخين يأتي من الفعل دخن، دخونا، والدخان إذا سطع وتوهج. المعنى الاصطلاحي للتدخين:³⁷⁴ هو القيام بإشعال أي شخص ما للسيجارة أو لأي مادة أخرى مثل



372 -عبد الهادي، أحمد، أسباب ودوافع تدخين السجائر، مكتبة الجامعة، القاهرة، 1990، ص 14.

373 -منظور، ابن، لسان العرب، ج2، دار المعارف، ص 1344.

374 - البعلبكي، منير، 1992، المنجد في اللغة والإعلام، الطبعة الثالثة، لبنان، بيروت، دار المشرق، ص

الغليون أو عملية امتصاص الدخان الناتج عن القيام باشتعال هذه السيجارة، ثم القيام بإخراجه سواء عن طريق الفم أو عن طريق الأنف.

التبغ: يعرف التبغ على أنه الدخان ويعتبر التبغ نوع من أنواع النباتات التي تنتشر في أمريكا، ويتكون التبغ من مادة سامة، وتشتق كلمة التبغ من كلمة تاباغو، وهذه الكلمة تعني جزيرة مشهورة في الخليج المكسيكي، واختلف المؤرخون على أصل كلمة التبغ فمنهم من يرى أنها تخص الهنود الحمر ومنهم من يرى أنه نوع من أنواع الفصيلة البازنجانية السامة.



المطلب الثاني: مكونات دخان السجائر³⁷⁵:

تتكون السيجارة من العديد من المكونات المختلفة هي كالتالي:

1- نسبة 1-2.5% غاز أول أكسيد الكربون وهذا الغاز من الغازات السامة التي تتصاعد عند إشعال السيجارة.



2- نسبة 5-15% غاز ثاني أكسيد الكربون.

3- العديد من الأحماض الطيارة مثل حمض الليمونيك وحمض الفينول (Phenol)

³⁷⁵ -عبد الحميد، علي حسن، 1984، حكم الدين في التدخين، الأردن، عمان، المكتبة الإسلامية، ص

(وحمض الاكسالك والخليك والبنزويك.

4- نسبة 2 مجم من مادة الغول في كل سيجارة وهي من المواد شديدة التهيج.

5- مادة البنزوبيرين وتعتبر هذه المادة من المسببات الاساسى لجميع أمراض السرطانات.

6- نسبة 8% من إجمالي وزن التبغ في السيجارة مادة Nicotine

7- نسبة 11- 17% من الوزن الإجمالي للتبغ مادة القطران (Tar)

8- نسبة 75% من إجمالي حجم التبغ غاز النيتروجين.

9- نسبة حوالي 0.04% كبريتيد الهيدروجين وهذا الغاز ينتج من خلال احتراق المواد الزلالية المكونة للسيجارة والتي تحتوي على مادة الكبريت السامة.

10- غاز سيانيد الهيدروجين وهو من اشد الغازات السامة.

11- وجود بخار الماء نتيجة للرطوبة الموجودة في مادة التبغ وتكون موجودة عند منطقة الجمره عند إشعال السيجارة.

12- مادة البولونيوم التي تنتج نتيجة لاحتراق السيجارة.



الترجيلة:- الترجيلة هي نوع من أنواع التدخين وتسمى الشيشة أو الأرجيلة، والمكونات الأساسية للترجيلة هي المدبس ثم العجمي وأخيرا نوع من أنواع المعسل الذي أصبح بالعديد من النكهات في الآونة الأخيرة وهذا المعسل يتكون من حوالي 0.5% من مادة التبغ الذي يحتوي على حوالي 0.5% من النيكوتين بالإضافة إلى أول أكسيد الكربون السام، ويضاف إلى الترجيلة المعسل من اجل تخفيف الطعم المر للتبغ، وفي الآونة الأخيرة أصبح يضاف للمعسل مادة الجليسرين، وكذلك العديد من المكسبات الطعم،بالإضافة إلى مكون أساسي في المعسل وهو القطران،الذي يسبب العديد من الأمراض السرطانية الخطيرة التي تؤدي إلى الوفاة.

المطلب الثالث: مشاعر الناس مع بيان أنواع التدخين الترجيلة³⁷⁶:-

من خلال ملاحظتنا لشرائح مختلفة من الناس في كيفية تناولهم لهذه الظاهرة الأسباب الخفية وراء تعاطيها وكيفية تفسيرهم لهذه العملية تبين لنا جملة من الآراء والإنطباعات نذكر منها ما يلي:

376 - ربيع، عطا الله وغيره، 1997. الصحة العامة وحكاية البيئة، الأردن، عمان، جامعة القدس المفتوحة.



1- التدخين الإجتماعي النفسي: من أجل إظهار المظاهر الأولية للرجولة وتحمل المسؤولية أمام الأصدقاء.

2- التدخين الإحساسي: وهذا النوع من

التدخين يشعر خلاله المدخن بنشوة وسعادة كبيرة نتيجة قيامه بعملية التدخين.

3- التدخين الاسترخائي: وهذا النوع من التدخين من أكثر أنواع التدخين شيوعا حيث أن المدخن يشعر بلذة عند القيام بالتدخين في فترات الاسترخاء.

4- التدخين المسكن، وهذا النوع يلجأ إليه الكثير من الأشخاص من أجل التخلص من الضغوط النفسية التي يقع تحتها.

5- التدخين المنشط: وهو التدخين الذي يعتقد بعض الأشخاص أن قيامهم بالتدخين أثناء العمل يزيد من التركيز وسرعة القيام بالأعمال المختلفة.

6- التدخين الآلي الأوتوماتيكي: ويعرف هذا النوع من التدخين بأسم التدخين المتسلسل أو سلسلة التدخين، حيث يقوم المدخن بإشعال السيجارة الثانية قبل الانتهاء من السيجارة الأولى، وهذا النوع من وجهة الطب النفسي يأتي نتيجة لفعل منعكس أو يمكننا القول إنه إدمان إلى درجة استحالة الإستغناء عنه. ونماذج من هؤلاء المدخنين

نجدهم في شهر رمضان المبارك عندما يفطرون على إشعال السيجارة
بدل الماء أو التمر أو الطعام!!؟

فكما رأينا أنفا هي انطباعات وتفسيرات بعض الناس لعملية التدخين.
وفي المبحث الذي يلي هذا سنرى الأسباب المؤدية إلى تعاطي التدخين
والشيشة.

المبحث الثاني: أسباب تعاطي التدخين



وأما بالنسبة للأسباب المؤدية إلى التدخين فيمكن أجمالها فيما يلي:

1- (أسباب شخصية) 377

- يعتبر التقليد من أهم الأسباب التي تدفع كثيرا من المراهقين إلى الإقدام على التدخين، فالمرهق في هذه الفترة يكون لديه العديد من المشاعر السلبية التي يحاول تعويضها بأن يشعر نفسه بأنه رجل كبير وليس طفلا صغيرا، لذا يلجأ إلى تقليد الآباء، وكذلك يتخذ من معلميه في المدرسة قدوة له في التدخين ثم يقوم بنقلها إلى أصدقائه في المدرسة.
- بعض المعتقدات الخاطئة لدى كثير من الشباب تدفعه إلى الإعتقاد أن التدخين يزيد من قدرة الشاب على القيام بالأنشطة المختلفة والعمل الجاد.

³⁷⁷ البار، محمد علي، 1980، التدخين وأثره علي الصحة، السعودية، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

2-(أسباب نفسية)

- بعض المشاعر السلبية التي تسيطر على العديد من الأفراد نتيجة للعديد من الضغوط وعدم قدرتهم على مواجهة مشاكلهم قد يلجأون إلى التدخين كوسيلة من وسائل الهروب.
- الفشل من أهم الدوافع التي تدفع الشباب إلى التدخين وعدم وجود حافز للعمل وتحقيق الذات فيصبح الشاب سلبيا مسلوب الإرادة عبدا للسيجارة.

- عدم وجود الوازع الديني لدى شريحة كبيرة من الشباب مما يؤدي بهم إلى دخولهم في مرحلة خطيرة من مراحل الإدمان.



- ولا ننسى أن التدخين والنجيلة لدى بعض هؤلاء الشباب وغيرهم

هو استمرار لعملية وظاهرة الطفولة لديهم من حيث مص الدخان، فهؤلاء عندما يمتصون الدخان يعودون بذاكرتهم إلى أيام الطفولة عندما كانوا يمتصون يدي أمهاتهم و هم لا يزالون رُضّع. هذه العملية نجدها عند الأولاد الصغار في الصفوف الأولى من الدراسة عندما يمتصون رؤوس الأقلام الرصاصية. وفي المراحل الأولى من أعمارهم 3-4 سنوات يمتصون أصابعهم.. وهكذا.

3- (أسباب إجتماعيه)

- تأثر العديد من الشباب بالتربية والقيم الأسرية البعيدة عن القيم الإسلامية، والتي تزرع فيهم عمليا تعاطي هذه العادة الخبيثة. فإذا كان الأب مدخنا أو الأم مدخنة سنجد أن الأطفال سيتأثرون بسلوكيات الأسرة بشكل كبير.
 - الظروف الإجتماعية والاقتصادية السيئة التي يعاني منها قطاعات كبيرة من المجتمع مما يلجأ هؤلاء الشباب إلى التدخين كوسيلة للترويح عن النفس.
 - الصحبة السيئة ورفقاء السوء من أهم الأسباب التي تؤدي إلى انتشار ظاهرة التدخين والشيشة بشكل كبير في المجتمع القطري.
 - كما لا ننسى أن الفراغ القاتل والترف المالي لدى هؤلاء وعدم تحمل أي مسؤولية مالية أو دنيوية تجاه أسرهم تدفعهم إلى قضاء أوقاتهم وصرف أموالهم دون أدنى مبالاة.
- ولا ننسى دور المقاهي للتدخين والشيشة السلبي الذي يدفع هؤلاء الشباب إلى التجمع في مثل هذه الأوكار المتعفنة من رجة التدخين والشيشة القاتلة، ربما إبليس الملعون يعجز عن مقاومتها أو الدخول إليها ومشاركتهم فيها. فينبغي على المسؤولين والمعنيين اتخاذ قرارات صارمة وتدابير لازمة لمنعها. لقد لوثوا البيئة التي نعيش فيها، ولوثوا الهواء النقي الطلق الصافي. فإذا كان من حقهم التدخين وتعاطي النرجيلة كما يزعمون! فإن من حقي أيضا شم

الهواء الطلق النقي الصافي الخالي من هذه السموم والروائح الكريهة، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا؟!!

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على التدخين



أما الآثار السلبية المترتبة على التدخين فيكمن إجمالها فيما يأتي:

1- الآثار الاقتصادية³⁷⁸:

● الخسائر المادية الطائلة نتيجة استنزاف كثير من المال اللازم لشراء

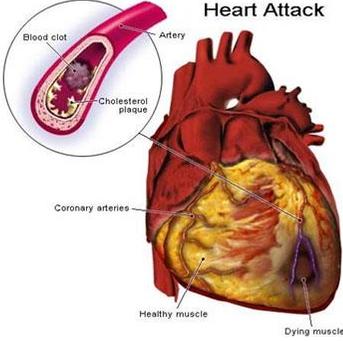


التدخين، حيث يلجأ كثير من الناس المتعاطين للتدخين والترجييلة وكثير من الشباب إلى إهمال دراسته وإنفاق جميع أمواله على التدخين.

● خسائر مادية كبيرة للمؤسسات الصحية والدولة نتيجة الإنفاق على علاج الأمراض الناتجة عن التدخين والرجلية، فهذا الأمر دفع بالدولة إلى تخصيص جزء كبير من الميزانية العامة من أجل علاج المرضى.

378 - السيارة، عائشة، أخطار التدخين، مطبعة بنك دبي الإسلامي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٨ ، ص

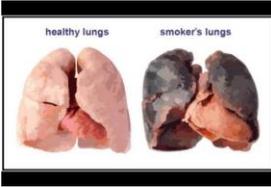
- ضعف إنتاجية العامل المدخن والمشيش وفقدانه للإخلاص في العمل نتيجة لتدهور الحالة الصحية له.



2- الآثار الصحية:

أثبتت الدراسات وتقارير منظمة الصحة العالمية، ودراسات الباحثين من مختلف البلاد وبمختلف اللغات أن السجارة و نحن نضيف النرجيلة أيضا أن فيها حوالي أربعة آلاف مادة ضارة بصحة الإنسان فوجدوا أن التدخين يؤدي إلى:

- الإصابة بأمراض القلب وتكرر الجلطات الدموية في القلب مما يؤدي إلى الوفاة.



- الإصابة بالعديد من أنواع السرطانات الخاصة بالرئتين نتيجة وجود العديد من المواد السامة.



- الإصابة بسرطان المعدة وسرطان المثانة وسرطان الفم والأسنان والحنجرة³⁷⁹.

- الإخلال الشامل بحاسة البصر حيث يعمل التدخين على التقليل من حدة الإبصار وفقدان التمييز بين مختلف الألوان، وتقلص رهيب

379 - محفوظ ، محمد جمال الدين ، التربية الإسلامية للطفل والمراهق ، دار الاعتصام ، بيروت ، ص ٢٠

في الشرايين المغذية للأعصاب في العين، فلا تستطيع هذه الأعصاب



القيام بوظيفتها.

● الضعف العام للصحة وفقدان

اللياقة البدنية للمدخين.

● الشيخوخة المبكرة للرجل أو المرأة.

4- أثر التدخين والرجيلة على المستوى الأخلاقي للمدخين



إن تعاطي التدخين والرجيلة يدفعان الشباب إلى الإدمان وتعاطي المخدرات ومختلف أنواع المسكرات.³⁸⁰ حيث تعتبر الجلسات الأولى

للتدخين أو الرجيلة جلسات سهر وفرح ومرح و تبادل أطراف الحديث للقضايا المختلفة لها علاقة بحياتنا الفردية والزوجية والأسرية والإجتماعية. حيث يسمع المدخن قصصا مرهبة ومرعبة للمشاكل الأسرية والعنف الأسري وكيفية التخلص منها، فسرعان ما يحظر على بال الحاضرين أن الملجأ والمنجى هو اللجوء إلى عالم المخدرات للحصول على السكن النفسي والروحي. فمن هنا تبدأ الرحلة إلى المخدرات.

380 - حمدان، عبد الله، التدخين أخطر آفات القرن العشرين (مجلة ربحانة، القدس)، 1994، ص22 .

- إن الوقوع في شباك التدخين والنجيلة يجر صاحبه أو صاحبها إلى الإسترسال في الحديث والغزل و المعاكسات للنساء والبنات في تلك المجالس حيث تعج نلك المقاهي باللغو واللهو، والله المستعان وإلى الله الشكوى.

4-أثر التدخين على المستوى التحصيلي للمدخنين:



- التدخين مشوش للتفكير نتيجة وجود العديد من المواد السامة والمخدرة به مما يؤدي إلى تخدير المخ³⁸¹، غير أن هذه المسألة ربما

تحتاج منا بحثا ودراسة أخرى للتأكد من هذه الحقيقة، لأن ما هو مشاع عند المدخنين هو خلاف ذلك، بحجة أنك لو تقدمت بأي سؤال لأي مدخن سيقول بأن التركيز الفكري يزداد أكثر عندما تكون السجارة فمي! و البعض الآخر يذهب إلى أبعد من ذلك قائلًا إنه لا يعرف التفكير إلا في الأجواء الضبابية من الدخان!

381 عاصي ، حسن ، كيف تبطل التدخين ، ط ٥ دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢



ب- آثار التدخين على غير المدخنين:

1- يعرف هذا الأثر بـ: التدخين بالإكراه أو ما يسمى بالتدخين السلبي، نظرا لانتقال الدخان الناتج عن احتراق السيجارة إلى المحيطين بالمدخن.



2- تزداد الخطورة على المحيطين بالمدخن في الأماكن المغلقة وفي وسائل النقل العام، نتيجة لامتناس غير المدخنين أكثر من 40% من الغازات السامة الخارجة من دخان السيجارة المتمثل في النيكوتين.

3- إصابة أبناء المدخنين الصغار بالعديد من الأمراض مثل النزلة الشعبية والتهاب الحلق واللوزتين، وقد يؤدي في حالات الرضع إلى الإصابة بالالتهاب الرئوي.

5- حالات عديدة من الإجهاض لزوجات المدخنين أو النساء المدخنين

أنفسهم نتيجة لتسرب النيوكوتين إلى دم الجنين مما

يسبب له العديد من التشوهات.



ج- آثار التدخين على البيئة العامة³⁸²:

كما لا يسلم الحجر ولا الشجر من شر التدخين فضلا عن الإنسان، فقد أشارت الدراسات وأثبتت أن الدخان الناتج عن السجائر:



1- يعتبر من أهم مسببات تلوث الهواء وتلوث البيئة.

2- خروج نسبة عالية من غاز أول أكسيد الكربون عند احتراق السيجارة وهو من الغازات السامة، وهذه النسبة أكبر من المنبعثة من عوادم السيارات.

3- التأثير الضار على الموارد الطبيعية نتيجة قطع العديد من الأشجار وحرقتها من اجل القيام بمعالجة التبغ.



382 - حسني ، حسن ، رحلة مع السيجارة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٧

المبحث الرابع: التأسيس القرآني ورأي المفسرين المعاصرين والمتقدمين

في هذا المبحث سيتم مناقشة مسألة وضرر التدخين والنجيلة من الرؤية القرآنية، أي استقراء الآيات التي تنص على تناول وأكل الطيب أو الطيبات من المأكولات والمشروبات واجتناب الخبيث أو الخبائث من المطعومات والمشروبات مع رؤية تفسيرية لتلك الآيات. هذه الرؤية ستكون مبنية ومؤصلة على آراء وجهود المفسرين القدامى أولاً ثم آراء وجهود المفسرين المعاصرين ثانياً لمعرفة حكم التدخين والنجيلة من خلال استنباط الأحكام المتعلقة بالتدخين والنجيلة.

إن الغالب على الظن بطبيعة الحال فإن المفسرين المتقدمين لا يتوقع منهم بيان حكم الدخان والنجيلة صراحة! لأنهما لم يكتشفا إلا في آخر القرن العاشر الهجري ولم تكن هذه النبتة قد اكتشفت في أزمانهم كما تشير بعض الدراسات والبحوث. وإنما الذي نتوقعه من المفسرين القدامى هو التعميم للقواعد الشرعية والتأصيل لها من عموم النصوص القرآنية التي تحرم الضرر بالنفس والعقل والمال والدين وكيفية وبيان حقيقة المطعومات والمشروبات الخبيثة والمضرة. هذا هو المتبادر والمنتظر من المفسرين القدامى الذين عاشوا قبل ظهور هذه النبتة، أي نبتة " التتن أو التبغ أو الدخان وملحقاتهما مثل النجيلة بكافة أنواعها.

وأما بالنسبة المفسرين المعاصرين فإن المأمول والمنتظر منهم هو ربط وبيان حكم الدخان والنجيلة وفق ما تم التوصل إليه من النتائج العلمية القطعية والثابتة في عالم الطب والبحوث والإكتشافات لأضرار ومخاطر الدخان والنجيلة في كافة المجالات؛ سواء الصحية منها أو الإقتصادية أو الإجتماعية. فالمتوقع من المفسرين المعاصرين هو ربط تلك الآيات أو النصوص القرآنية العامة والتي تحرم قتل النفس أو إهلاكها أو تبذير المال وإسرافه في الأوجه التي لا ترضي الله رب العالمين؛ أي ربطها بمسألة التدخين والنجيلة ثم القيام بعملية القياس والمقارنة لأضرار هذه النبتة أو التتن أو الدخان بتلك الآيات المباركة.

وحتى لا نستبق الآوان فإننا أولاً نقوم بعرض واستقراء تلك الآيات القرآنية التي فيها إشارة إلى بيان الحلال أو الطيبات من المأكولات واجتناب الحرام أو الخبيث وغير الطيب من المأكولات، ثم ننظر الآن إلى آراء هؤلاء المفسرين رحمهم الله تعالى.

المطلب الأول: النصوص القرآنية المتعلقة بهذا الشأن

قال الله تبارك وتعالى:

- ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ [المؤمنون: ٥١]
- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴿٤﴾ [المائدة: ٤]

- ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾. [المائدة: ٥]
- ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾... [الأعراف: ١٥٧]
- ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]
- ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]
- ﴿...وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]
- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ...﴾ [الإسراء: ٣٣]
- ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ...﴾ [البقرة: ١٩٥]

فكما هو المتبادر والواضح من النصوص القرآنية السابقة أن تلك الآيات لم تشر لامن قريب ولا من بعيد إلى بيان حكم التدخين أو النرجيلة

المطلب الثاني: رؤية المفسرين القدامى

وأما بالنسبة للمفسرين وكيفية تناولهم بالشرح والتفسير تلك الآيات المتعلقة بالمأكولات والمشروبات، فقد رأيناهم قد ذهبوا مذاهب شتى في تفاسيرهم، سواء المتقدمون منهم أو المعاصرون. آثرت الشروع بالمتقدمين

تمشياً مع المنهجية الموضوعية والعلمية، ثم عقبته بالمتأخرين عسى لعل الله يهدينا إلى معرفة وجه الحق في هذه المسألة.

● قال الإمام بن كثير (المتوفى 774 هـ) رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾... [الأعراف: ١٥٧]

ما نصه:

" ... وقوله ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ أي يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر والسوائب والوصائل والحام - أنواع من الأنعام والبهائم - ونحو ذلك مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم، ويحرم عليهم الخبائث، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: كل لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المأكول التي حرمها الله تعالى. قال بعض العلماء فكل ما أحل الله تعالى من المأكول فهو طيب نافع في البدن والدين وكل ما حرمه فهو خبيث ضار في البدن والدين ...، إلا أن المرجع في حل المأكول التي لم ينص على تحليلها ولا تحريمها إلى ما استطابته العرب في حال رفايتها وكذا في جانب التحريم إلى ما استخبثته وفيه كلام طويل ... " 383

فكما هو ملاحظ وواضح من كلام الإمام ابن كثير رحمه الله أن الآية الكريمة تبين حال العرب المشركين واليهود والنصارى من بني إسرائيل الذين

تلاعبوا بأحكام شرع الله المنزل على موسى وعيسى عليهما السلام في التحليل والتحریم من المأكولات والمشروبات وأحكام المعاملات مثل الربا وغيره، فأراد الله عز وجل أن يبين للناس أجمعين العرب وأهل الكتاب خاصة أن أحكام الشريعة المحمدية والإسلامية فيما يتعلق بالمأكولات والمشروبات هي ذاتها التي تنزلت في الشريعة الموسوية والعيسوية في التوراة والإنجيل؛ ولكن بنو إسرائيل غيروا و بدلوا ذلك.

وأیضا لا ننسى أن الإمام بن كثير أشار إلى مسألة مهمة جدا في تفسيره ألا وهي: التقيد بالعرف وما تعارف عليه الناس في تحديد الطيب والحبيث، وأن المعول والمرجع في حل الأكل والمشرب في حال عدم التصييص على حلها أو حرمتها هو: ما استطابته العرب في حال رفاهيتها والتحریم هو ما استخبثته العرب. فكلام الإمام ابن كثير رحمه الله في غاية الأهمية فتأمل رحمك الله، فكأنه أراد أن يقول لنا حتى أن التدخين وأخوات التدخين مثل النرجيلة والمخدرات والخمور بمختلف أنواعها وأسمائها فإن المعول فيها هو ما تسطيه العقول والفطر السليمة من العقلاء، فما طاب منها جاز وما خبث لا يجوز.

- وقال الإمام أبو حيان (المتوفى 745 هـ) رحمه الله في تفسيره البحر المحيط لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَّهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾... [الأعراف: 157]:

قال أبو حيان:

"... وقال الزمخشريّ: ما حرّم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب في الشريعة، واللحم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت انتهى. - يعني كلام الإمام الزمخشري - وقيل: ما كانت العرب تحرمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، واستبعد أبو عبد الله الرازي قول من قال: إنها المحللات لتقديره ويحلّ لهم المحللات. قال وهذا محض التكذيب، ولخروج الكلام عن الفائدة لأننا لا ندرى ما أحلّ لنا وكف هو قال: بل الواجب أن يراد المستطابة بحسب الطبع لأن تناولها يفيد اللذة والأصل في المنافع الحلّ فدلّت الآية على أن كل ما تستطيه النفس ويستلذه الطبع حلال إلا ما خرج بدليل منفصل. ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ قيل: المحرمات، وقيل: ما تستخبثه العرب كالعقرب والحية والحشرات، وقيل: الدم والميتة ولحم الخنزير... " 384.

فكما هو ملاحظ أيضا من كلام الإمام ابن حيان رحمه وهو يستدل بكلام الإمام الزمخشري أنه ذهب تقريبا إلى نفس ما ذهب إليه ابن كثير، مركزا على قضية واحدة مشتركة بينهما ألا وهو: أن ما تستطيه العرب وما تستخبثه في المأكولات والمشروبات فهو المعتمد وهو المرجع، وهذا القيد يفيد كما نفهمه أن العرف السائد والذي لا يتعارض من الشرع والمنصوص عليه؛ فهو أمر معتبر.

وأما عن قوله تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾ [البقرة: ١٩٥]: قال الإمام أبو حيان رحمه الله:

" وقيل: التهلكة: ما أمكن التحرز منه، والهلاك: ما لا يمكن التحرز منه، وقيل: التهلكة: الشيء المهلك، والهلاك حدوث التلف، وقيل: التهلكة كل ما تصير غايته إلى الهلاك ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذا أمر بالإنفاق في طريق الإسلام، فلكل ما كان سبيلاً لله وشرعاً له كان مأموراً بالإنفاق فيه؛ وقيل: معناه الأمر بالإنفاق في أثمان آلة الحرب، وقيل: على المقلين من المجاهدين، قاله ابن عباس، قال: نزلت في أناس من الأعراب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: بماذا نتجهز؟ فوالله ما لنا زاد. وقيل: في الجهاد على نفسه وعلى غيره، وقيل: المعنى: إبدلوا أنفسكم في المجاهدة في سبيل الله....، والأظهر القول الأول، وهو: الأمر بصرف المال في وجوه البرّ من حج، أو عمرة، أو جهاد بالنفس، أو بتجهيز غيره، أو صلة رحم، أو صدقة، أو على عيال، أو في زكاة، أو كفارة، أو عمارة سبيل، أو غير ذلك...، (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) قال عكرمة: نزلت في الأنصار، أمسكوا عن النفقة في سبيل الله، وقال النعمان بن بشير: كان الرجل يذنب الذنب فيقول: لا يغفر الله لي، فنزلت. وفي حديث طويل تضمن أن رجلاً من المسلمين حمل على صف الروم، ودخل فيهم وخرج، فقال الناس: ألقى بنفسه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الانصاري: تأولتم الآية على غير تأويلها، وما أنزلت هذه الآية إلّا فينا معشر الأنصار، لما أعز الله دينه قلنا: لو أقمنا نصلح ما ضاع من أموالنا، فنزلت.

وفي تفسير التهلكة أقوال. أحدها: ترك الجهاد والإخلاق إلى
الراحة وإصلاح الأموال، قاله أبو أيوب. الثاني: ترك النفقة في سبيل
الله خوف العيلة ، قاله حذيفة ، وابن عباس، والحسن، وعطاء ، وعكرمة
وابن جبير. الثالث: التقحم في العدو بلا نكاية قاله أبو القاسم البلخي.
الرابع: التصدق بالخبيث، قاله عكرمة . الخامس: الإسراف بإنفاق كل
المال.. " 385

وعند تأملنا في معاني: التهلكة التي أشار إليها الإمام أبو حيان في
تفسيره نجد أن من معاني: (التهلكة) هو: ما أمكن التحرز منه، وهذا
المعنى هو ينسجم مع المراد الذي نحن بصدد بحثنا عنه. وعليه فإن أمر
التدخين والترجيلة أمر مما يمكن التحرز منه و الإبتعاد عنه، لأن الأمر في يد
المدخن والمشيش، فبإمكانه التخلي عنه متى ما وجدت الإرادة والعزيمة.

كما أنه من الجدير الإشارة إلى المعنى الآخر الذي ذكره المفسر أبو
حيان: " وقيل: التهلكة كل ما تصير غايته إلى الهلاك..."، وعليه أيضا
فإن أمر التدخين والترجيلة والإستمرار في تعاطيهما يصير أمرهما وغايتهما
إلى الهلاك والموت والأمراض المختلفة القاتلة مما لا يخفى ذلك على القاصي
والداني.

كما أننا عند تأملنا في معنى الشطر الأول للآية وهو الإنفاق في سبيل
الله نجد أن من المعاني هـ و الإنفاق في وجوه الخير والبر...، قال العلماء في

معنى الآية: " والأظهر القول الأول - وهو الإنفاق في طريق الإسلام - وهو: الأمر بصرف المال في وجوه البرّ من حج، أو عمرة ، أو جهاد بالنفس، أو بتجهيز غيره، أو صلة رحم، أو صدقة ، أو على عيال، أو في زكاة ، أو كفارة ، أو عمارة سبيل، أو غير ذلك..".

نفهم من ذلك أن الإنفاق لشراء التدخان أو النرجيلة ليس في طريق الإسلام وليس من أوجه البر التي ترضي الله رب العالمين، ويفهم بطريق المفهوم المخالفة أن التدخين والنرجيلة محرمان تحريماً قطعياً لا يختلف في تحريمهما عاقلان اثنان.

ويبدو لنا من السياقات والروايات المختلفة في كلام المفسرين المقدامي أن أمر تفسير الآية في موضوع الأكل من الطيبات والإجتنب عن الخبائث وعدم الإلقاء إلى التهلكة أو الهلاك تفسير متقارب يستنتج منها موقفهم في تحريم كل ما هو خبيث وضار، وإباحة كل ما هو طيب وحلال، ومعيار الخبيث والضار والطيب والحلال أو المباح هو ما تستطيه وتستخبثه عقلاء هذا الزمان وأهل الفطر السليمة من المسلمين وغير المسلمين. أما من شذ عن هذا المعيار فلا عبرة بقوله كائناً من كان، والله أعلم.

المطلب الثالث: المفسرون المعاصرون

وأما في دراستنا لكلام بعض المفسرين المعاصرين فإننا نجد بوضوح أنهم قد تفاوتوا في بيان معنى الخبيث أو الطيب والمباح من المأكولات والمشروبات.

وقال الإمام محمد الطاهر بن عاشور (المتوفى 1393 هـ / 1973 م) في التحرير والتنوير في تفسيره لهذه الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾... [الأعراف: 157]:

" والطيّبات : جمع طيبة، وقد روعي في التأنيث معنى الأكلة، أو معنى الطعمة، تنبيهاً على أن المراد الطيبات من المأكولات، كما دل عليه قوله في نظائرها نحو: ﴿يَأْيِهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طيباً﴾ في البقرة [168]، وقوله ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطيبات﴾ [المائدة: 4]، وليس المراد الأفعال الحسنة؛ لأن الأفعال عُرِّفت بوصف المعروف والمنكر. والمأكولات لا تدخل في المعروف والمنكر، إذ ليس للعقل حظ في التمييز بين مقبولها ومرفوضها، وإنما تمتلك الناس فيها عوائدهم.

ولما كان الإسلام دينَ الفطرة ولا اعتداد بالعوائد فيه، ناط حال المأكولات بالطيب وحرمتها بالخبيث، فالطيب ما لا ضر فيه ولا وخامة ولا قذارة، والخبيث ما أضر، أو كان وخيم العاقبة، أو كان مستقذراً لا

يقبله العقلاء، كالتجاسة، وهذا ملاك المباح والمحرم من المآكل، فلا تدخل العادات إلا في اختيار أهلها ما شاءوا من المباح، فقد كانت قريش لا تأكل الضب، وقد وُضع على مائدة رسول الله فكره أن يأكل منه، وقال: ما هو بحرام ولكنه لم يكن من طعام قومي فأجدني أعافه ولهذا فالوجه: إن كل ما لا ضرر فيه ولا فساد ولا قذارة فهو مباح، وقد يكون مكروهاً اعتباراً بمضرة خفيفة، فلذلك ورد النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع، ومحملة عند مالك في أشهر الروايات عنه، على الكراهة، وهو الذي لا ينبغي التردد فيه، وأي ضرر في أكل لحم الأسد، وكذلك إباحة أكل الخشاش والحشرات والزواحف البرية والبحرية، لاختلاف عوائد الناس في أكلها وعدمه، فقد كانت جرّم لا يأكلون الدجاج، وفتحس يأكلون الكلب، فلا يحجر على قوم لأجل كراهية غيرهم مما كرهه ذوقه أو عادة قومه، وقد تقدم شيء من هذا في آية سورة المائدة، فعلى الفقيه أن يقصر النظر على طبائع المأكولات وصفاتها..."
386

فكما هو ملاحظ أيضاً من كلام الإمام محمد الطاهر بن عاشور أن المراد من الطيبات هو المأكولات من الأطعمة، ثم ذكر رحمه الله المعيار والضابط لكل ما هو طيب أو خبيث فقال: "فالطيب ما لا ضرر فيه ولا وخامة ولا قذارة، والخبيث ما أضر، أو كان وخيم العاقبة، أو كان مستقذراً لا يقبله العقلاء، كالتجاسة، وهذا ملاك المباح والمحرم من

المأكل.. " فحتى كلام الإمام محمد الطاهر بن عاشور فيه التركيز على عرف العقلاء، ثم إنه عقب قائلاً:

" إن كل ما لا ضر فيه ولا فساد ولا قذارة فهو مباح .."، وفي هذه المسألة كما أشار إليه رحمه الله أنه ربما تتفات بعض الأعراف والعادات في المطاعم مع بعض الأعراف والعادات الأخرى لأقوام آخرين، فلا يصح حمل قوم تعارفوا على أكل لحم حيوان ما على قوم آخر لم يتعارفوا على أكله.

● وقد فصل القول حول هذه المسألة في تفسيره لآية المائدة ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطيبات﴾ [المائدة: ٤] حيث قال رحمه الله:

" والذي يظهر لي : أنّ الله قد ناط إباحة الأطعمة بوصف الطيب فلا جرم أن يكون ذلك منظوراً فيه إلى ذات الطعام ، وهو أن يكون غير ضارّ ولا مستقذر ولا مناف للدين ، وأمانة اجتماع هذه الأوصاف أن لا يحرّمه الدين ، وأن يكون مقبولاً عند جمهور المعتدلين من البشر ، من كلّ ما يعدّه البشر طعاماً غير مستقذر ، بقطع النظر عن العوائد والمألوفات وعن الطبائع المنحرفات ، ونحن نجد أصناف البشر يتناول بعضهم بعض المأكولات من حيوان ونبات ، ويترك بعضهم ذلك البعض.

فمن العرب من يأكل الضبّ واليربوع والقنفاذ ، ومنهم من لا يأكلها. ومن الأمم من يأكل الضفادع والسلاحف والزواحف ومنهم من يتقدّر ذلك.

وأهل مدينة تونس يأبون أكل لحم أنثى الضأن ولحم المعز ، وأهل جزيرة شريك يستجيدون لحم المعز ، وفي أهل الصحاري تُستجاد لحوم الإبل وألبانها ، وفي أهل الحضر من يكره ذلك ، وكذلك دواب البحر وسلاحفه وحيّاته. والشريعة من ذلك كلّه فلا يقضي فيها طبع فريق على فريق. **والمحرّمات** فيها من الطعوم ما يضرّ تناوله بالبدن أو العقل كالسموم والخمور والمخدّرات كالأفيون والحشيشة المخدّرة ، وما هو نجس الذات بحكم الشرع ، وما هو مستقذر كالنخامة وذرَق الطيور وأرواث النعام ، وما عدا ذلك لا تجد فيه ضابطاً للتحريم إلاّ المحرّمات بأعيانها وما عداها فهو في قسم الحلال لمن شاء تناوله.

والقول بأنّ بعضها حلال دون بعض بدون نصّ ولا قياس هو من القول على الله بما لا يعلمه القائل ، فما الذي سوّغ الظبي وحرم الأرنب ، وما الذي سوّغ السمكة وحرم حيّة البحر ، وما الذي سوّغ الجمل وحرم الفرس ، وما الذي سوّغ الضبّ والقنفذ وحرم السلحفاة ، وما الذي أحلّ الجراد وحرم الحزون ، إلاّ أن يكون له نصّ صحيح ، أو نظر رَجِيح ، وما سوى ذلك فهو رِيح.

وغرضنا من هذا تنوير البصائر إذا اعترى التردّد لأهل النظر في إناطة حظر أو إباحة بما لا نصّ فيه أو في مواقع المتشابهات... " 387.

وأما في تفسيره الآية التهلكة فقد قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ...﴾ [البقرة: ١٩٥] ما نصه:

" .. ومعنى النهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة النهي عن التسبب في إتلاف النفس...، .روى الترمذي عن أسلم أبي عمران قال : كنا بمدينة الروم (القسطنطينية) أخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم فحمل رجل من المسلمين على صف للروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا : سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة ، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال : يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما أنزلت فينا معاشر الأنصار لما أعزّ الله الإسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله : إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله على نبيه يرد علينا ما قلنا : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ فكانت التهلكة: الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزوة، والآية تتحمل جميع المعاني المقبولة. ووقع فعل ﴿ تَلْقُوا ﴾ في سياق النهي يقتضي عموم كل إلقاء باليد للتهلكة أي كل تسبب في الهلاك عن عمد فيكون منهيّاً عنه محرماً ما لم يوجد مقتض لإزالة ذلك التحريم وهو ما يكون حفظه مقدماً على حفظ النفس مع تحقق حصول

حفظه بسبب الإلقاء بالنفس إلى الهلاك أو حفظ بعضه بسبب ذلك...» 388

فكلام الإمام الطاهر بن عاشور في غاية الدقة والبيان، فقد ذكر أن المعنى المراد من الآية قائلًا: " .. ومعنى النهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة النهي عن التسبب في إتلاف النفس، والإنسان عندما يدخن أو يشيش فهو لا شك أنه يلقي بنفسه إلى التهلكة والهلاك والقتل والخراب والمرض والضرر... إلخ.

وقال الشيخ الإمام محمد أحمد مصطفى أبو زهرة (المتوفى 1974 م) رحمه الله، صاحب زهرة التفاسير في تفسير الآية السابقة ما نصه:

" ... وصدق الله تعالى: ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ وقد ذكر الله تعالى ما يقوم به الرسول النبي الأمي، دال: ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾. هذا أحد أمور أربعة خص الله تعالى رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - بها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصف عام للشريعة الإسلامية، فكل أمر تأمر به من الحلال، وتكلف الناس أن يقوموا به هو من الأمور التي تقرها العقول، وتعرفها، إذ المعروف الأمر الذي ترضاه العقول، وتراه صالحا مصلحا للناس، تقره وتعرفه بفطرتها، ودين الفطرة يأمر بكل ما يستقيم مع الفطرة، فالعبادات كلها، ومنها الزكاة تقرها الفطرة، والعقل المستقيم، والوفاء بالعهود، وجهاد الأشرار لحماية الفضيلة، وإقامة الحدود، والقصاص من المعتدين تقره الفطرة ويؤيده

العقل. وكل أمر نهي عنه الإسلام هو من الأمور التي لا تقرها العقول، وتنجافاه، فالزنا والسُّكر، وقذف الأَطهار، والاعتداء على الأنفس والمال، ومحاربة العدل، ونصرة الظالمين والرضا بظلمهم أمور تنكرها العقول السليمة وتجافئها. وقد سئل أعرابي أسلم: لماذا آمنت بمحمد؟ قال: ما رأيت محمدا يقول في أمر افعل والعقل يقول لا تفعل، وما رأيت محمدا يقول في أمر لا تفعل والعقل يقول افعل.

والأمر الثاني الذي ذكره القرآن مما يفعله النبي - صلى الله عليه وسلم - ودعا إليه في رسالته ما ذكره الله تعالى بقوله: **وَجِلُّ هُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُ عَلَيْهُمُ الْحَبَائِثُ**، والطيبات هي الأمور المستحسنة في ذاتها، من أطعمة طيبة مريئة، هنيئة، لا تفسد الأجسام ولا تضر العقول، ولباس حسن من غير إسراف ولا مخيلة، ولذات طيبة في حدود الخلق والمروءة، وتصرفات طيبة لا اعتداء فيها، ولا نكث وخيانة، وغير ذلك مما هو طيب في ذاته، وحصل عليه بطريق طيب أحله الله تعالى ولا اعتداء فيه ولا اغتصاب. **﴿وَيُحْرِمُ عَلَيْهُمُ الْحَبَائِثُ﴾** وهي الأشياء الخبيثة في ذاتها التي تضر الأجسام، كالخنزير والميتة والدم المسفوح أو تضر العقول كالخمر، أو تلقي بالعداوة بين الناس كالميسر والبغضاء أو الاعتداء على حق غيره بالسرقة والاعتصاب أو القتل، فكل هذه خبائث تدخل في باب

الفحشاء والمنكر والبغي، وكذلك أكل أموال الناس بالباطل كالربا ونحوه... " 389.

فكما هو ملاحظ من كلام الشيخ محمد أحمد مصطفى أبي زهرة رحمه الله أنه قد فصل هذه الأمور بدقة مما لا يحتاج إلى تعليق أو توضيح. فالقاعدة والمعيار عنده كما سبقه غيره من المفسرين في أن كل شيء هو ضار بالأبدان والعقول فهو من الخبائث، وكل ما هو نافع وطيب فهو من الطيبات. ولا يختلف عليه عاقلان اثنان والله أعلم.

الأستاذ سيد قطب (المتوفى سنة 1966م) رحمه الله في تفسير آية البقرة ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ...﴾ [البقرة: ١٩٥] ما نصه:

" ولقد كان المجاهد المسلم يجهز نفسه بعدة القتال، ومركب القتال، وزاد القتال...، لم تكن هناك رواتب يتناولها القادة والجنود. إنما كان هناك تطوع بالنفس وتطوع بالمال. وهذا ما تصنعه العقيدة حين تقوم عليها النظم. إنما لا تحتاج حينئذ أن تنفق لتحمي نفسها من أهلها أو من أعدائها، إنما يتقدم الجنود ويتقدم القادة متطوعين ينفقون هم عليها! ولكن كثيرا من فقراء المسلمين الراغبين في الجهاد، والذود عن منهج الله وراية العقيدة، لم يكونوا يجدون ما يزودون به أنفسهم، ولا ما يتجهزون به من عدة الحرب ومركب الحرب...، الإنفاق لتجهيز الغزاة. وصاحبت الدعوة

إلى الجهاد دعوة إلى الإنفاق في معظم المواضع ... وهنا يعد عدم الإنفاق تهلكة ينهى عنها المسلمون) : وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وأحسنوا إن الله يحب المحسني. .. والإمساك عن الإنفاق في سبيل الله تهلكة للنفس بالشح ، وتهلكة للجماعة بالعجز والضعف...³⁹⁰

فكما لاحظنا من كلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله في بيان معنى التهلكة بأنه : الإمساك عن الإنفاق في سبيل الله هو عين التهلكة والهلاك للنفس بالشح وتهلكة للجماعة بالعجز والضعف. فتفسيره له بعد تربوي وديني واجتماعي.

وقال الأستاذ سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١] :

" إنه نداء للرسول ليمارسوا طبيعتهم البشرية التي ينكرها عليهم الغافلون : ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، فالأكل من مقتضيات البشرية عامة، أما الأكل من الطيبات خاصة فهو الذي يرفع هذه البشرية ويزكيها ويصلها بالملا الأعلى. ونداء لهم ليصلحوا في هذه الأرض : (واعملوا صالحا) .. فالعمل هو من مقتضيات البشرية كذلك. أما العمل الصالح فهو الذي يميز الصالحين المختارين؛ فيجعل لعملهم ضابطا وهدفا، وغاية موصولة

³⁹⁰ انظر الموسوعة القرآنية والتفسيرية <http://mosshaf.com/main>

بالملا الأعلى. وليس المطلوب من الرسول أن يتجرد من بشريته. إنما المطلوب أن يرتقي بهذه البشرية فيه إلى أفقها الكريم الوضيء. الذي أراد الله لها، وجعل الأنبياء روادا لهذا الأفق ومثلا أعلى " 391

وهكذا كما رأينا في رحلتنا مع المفسرين المعاصرين والقدامى أنهم مطبقون ومتفقون على تحريم ما هو خبيث ومضر، ومتفقون على كل ما هه طيب ومباح. يستفاد من تلك الآراء أن التدخين والنجيلة داخلان في زمرة الخبائث باتفاق أهل العقول والفطر السليمة، والله أعلم.

وبعد أن عرفنا جملة من أقوال المفسرين وكيفية تفسيرهم لتلك الآيات المتعلقة بموضوعنا عن التدخين والنجيلة، أن الآن الوقت للوقوف على آراء الأئمة للمذاهب الأربعة السنية ومن جاء بعدهم من العلماء المعاصرين لمعرفة الفتاوى التي صدرت منهم بخصوص الدخان أو النجيلة وكيف أصلوا هذه المسألة من وجهة نظرهم واجتهادهم رحمهم الله.

المبحث الخامس: فتاوى العلماء في حكم التدخين والنجيلة في الإسلام

المطلب الأول: : رأى فضيلة الإمام الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن نُهج
نُهجه،

أما بعد فقد ظهر هذا النبات المعروف الذي يطلق عليه اسم
"الدخان" أو "التبغ" أو "التمباك" أو "التتن"، في آخر القرن العاشر
المهجري، وبدأ استعماله يشيع بين الناس، مما أوجب على علماء ذلك
العصر أن يتكلموا في بيان حكمه الشرعي. ونظرا لحدائته وعدم وجود حكم
سابق فيه للفقهاء المجتهدين، ولا من لحقهم من أهل التخريج والترجيح في
المذاهب، وعدم تصورهم لحقيقته ونتائجه تصورا كاملا ، مبنيا على دراسة
علمية صحيحة، اختلفوا فيه اختلافا بينا فمنهم من ذهب إلى حرمة ،
ومنهم من أفتى بکراهته ، ومنهم من قال بإباحته ، ومنهم من توقف فيه
وسكت عن البحث عنه، وكل أهل مذهب من المذاهب الأربعة- السنية-
فيهم من حرمه، وفيهم من كرهه، وفيهم من أباحه. ولهذا لانستطيع أن
ننسب إلى مذهب القول بإباحة أو تحريم أو كراهة.

ويبدو لي أن الخلاف بين علماء المذاهب عند ظهور الدخان،
وشيوع تعاطيه، واختلافهم في إصدار حكم شرعي في استعماله، ليس
منشؤه في الغالب اختلاف الأدلة، بل الاختلاف في تحقيق المناط. فمنهم
من أثبت للتدخين عدة منافع في زعمه. ومنهم من أثبت له مضار قليلة

تقابلها منافع موازية لها. ومنهم من لم يثبت له أية منافع، ولكن نفى عنه الضرر وهكذا. ومعنى هذا أنهم لو تأكدوا من وجود الضرر في هذا الشيء لحرّموه بلا جدال.

وهنا نقول: إن إثبات الضرر البدني أو نفيه في "الدخان" ومثله مما يتعاطى ليس من شأن علماء الفقه؛ بل من شأن علماء الطب والتحليل. فهم الذين يسألون هنا، لأنهم أهل العلم والخبرة. قال تعالى: ﴿فَأَسْأَلُ بِهِ حَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ حَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

أما علماء الطب والتحليل فقد قالوا كلمتهم في بيان آثار التدخين الضارة على البدن بوجه عام، وعلى الرئتين والجهاز التنفسي بوجه خاص، وما يؤدي إليه من الإصابة بسرطان الرئة مما جعل العالم كله في السنوات الأخيرة يتنادى بوجوب التحذير من التدخين. وفي عصرنا ينبغي أن يتفق العلماء على الحكم وذلك أن حكم الفقيه هنا يبنى على رأي الطبيب، فإذا قالت الطبيب إن هذه الافة- التدخين- ضارة بالإنسان فلا بد أن يقول الفقيه هذه حرام، لأن كل ما يضر بصحة الإنسان يجب أن يحرم شرعا.

على أن من أضرار التدخين ما لا يحتاج إثباته إلى طبيب اختصاصي ولا إلى

محلل كيميائي، حيث يتساوى في معرفته عموم الناس، من مثقفين وأميين.

علة التحريم:

أما ما يقوله بعض الناس: كيف تحرمون هذا النبات بلا نص؟ فالجواب أنه ليس من الضروري أن ينص الشارع على كل فرد من المحرمات، وإنما هو

يضع ضوابط أو قواعد تندرج تحتها جزئيات نخشى، وأفراد كثيرة. فإن القواعد يمكن حصرها. أما الأمور المفردة فلا يمكن حصرها. ويكفي أن يحرم الشارع الخبيث أو الضار، ليدخل تحته ما لا يحصى من المطعومات والمشروبات الخبيثة أو الضارة، ولهذا أجمع العلماء على تحريم الحشيشة ونحوها من المخدرات، مع عدم وجود نص معين بتحريمها على الخصوص.

وهذا الإمام أبو محمد بن حزم الظاهري، نراه متمسكا بحرفية النصوص وظواهرها، ومع هذا يقرر تحريم ما يستضر بأكله، أخذا من عموم النصوص. قال: ((وأما كل ما أضر فهو حرام لقول النبي صلي الله عليه وسلم: إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فمن أضر بنفسه أو بغيره فلم يحسن، ومن لم يحسن فقد خالف كتاب (أي كتابة) الله الإحسان على كل شيء.)).

ويمكن أن يستدل لهذا الحكم أيضاً بقوله صلي الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار". كما يمكن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

ومن أجود العبارات الفقيهية في تحريم تناول المضرات عبارة الإمام النووي في روضته قال: "كل ما أضر أكله، كالزجاج والحجر والسم، يحرم أكله. وكل طاهر لا ضرر في أكله يحل أكله، إلا المستقذرات الطاهرات، كالمني والمخاط. فإنها حرام على الصحيح... ويجوز شرب دواء فيه قليل سم إذا كان الغالب السلامة، واحتيج إليه".

الضرر المالي:

لا يجوز للإنسان أن ينفق ماله فيما لا ينفعه لا في الدنيا ولا في الدن، لأن الإنسان مؤتمن على ماله مستخلف فيه. وكذلك فإن الصحة والمال وديعتان من الله ولذا لا يجوز للإنسان أن يضر صحته أو يضيع ماله. ولذلك نهى النبي صلي الله عليه وسلم عن إضاعة المال. والمدخن يشتري ضرر نفسه بحر ماله. وهذا أمر لا يجوز شرعا.

قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] ولا يخفى أن إنفاق المال في التدخين إضاعة له. فكيف إذا كان مع الإتلاف للمال ضرر متحقق يقينا أو ظنا. أي أنه اجتمع عليه إتلاف المال وإتلاف البدن معا.

ضرر الإستعباد:

وهناك ضرر آخر، يغفل عنه عادة الكاتبون في هذا الموضوع وهو الضرر النفسي، وأقصد به، أن الاعتياد على التدخين وأمثاله، يستعبد إرادة الإنسان، ويجعلها أسيرة لهذه العادة السخيفة، بحيث لا يستطيع أن يتخلص منها بسهولة إذا رغب في ذلك يوما لسبب ما، كظهور ضررها على بدنه، أو سوء أثرها في تربية ولده، أو حاجته إلى ما ينفق فيها لصرفه في وجوه أخرى أنفع وألزم، أو نحو ذلك من الأسباب.

ونظرا لهذا الاستعباد النفسي، نرى بعض المدخنين، يجور على قوت أولاده، والضروري من نفقة أسرته، من أجل إرضاء مزاجه هذا، لأنه لم

يعد قادرا على التحرر منه. وإذا عجز مثل هذا يوما عن التدخين، لمانع داخلي أو خارجي، فإن حياته تضطرب، وميزانه يختل، وحاله تسوء، وفكره يتشوش، وأعصابه تثور لسبب أو لغير سبب. ولا ريب أن مثل هذا الضرر جدير بالاعتبار في إصدار حكم على التدخين.

التدخين محرم شرعا: وليس للقول بحل التدخين أي وجه في عصرنا بعد أن أفاضت الهيئات العلمية الطبية في بيان أضراره، وسيء آثاره، وعلم بها الخاص والعام، وأيدتها لغة الأرقام. وإذا سقط القول بالإباحة المطلقة، لم يبق إلا القول بالكراهة أو القول بالتحريم. وقد اتضح لنا مما سبق أن القول بالتحريم أوجه وأقوى حجة. وهذا هو رأينا. وذلك لتحقق الضرر البدني والمالي والنفسي باعتياد التدخين. لأن كل ما يضر بصحة الإنسان يجب أن يحرم شرعا.

والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ويقول جل جلاله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، ﴿وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٦]، فهناك ضرر بدني ثابت وهناك ضرر مالي ثابت كذلك، فتناول كل ما يضر الإنسان يحرم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾. من أجل هذا يجب أن نفتي بحرمه هذا التدخين في عصرنا.

والواقع الذي لا شك فيه هو ان الأطباء يجمعون على أن في التدخين ضررا مؤكدا. صحيح أن ضرره ليس فوريا ، ولكنه ضرر تدريجي. والضرر

التدريجي كالضرر الفوري في التحريم، فالسم البطيء كالسم السريع كلاهما يحرم تناوله على الإنسان. والانتحار محرم بنوعيه السريع والبطيء، والمدخن ينتحر انتحارا بطيئا. والإنسان لا يجوز أن يضر أو يقتل نفسه، ولا أن يضر غيره. ولهذا قال النبي صلي الله عليه وسلم: " لا ضرر ولا ضرار " أي لا تضر نفسك ولا تضر غيرك، فهذا ضرر مؤكد على نفس الإنسان بإجماع أطباء العالم، لهذا أوجبت دول العالم على كل شركة تعلن عن التدخين أن تقول إنه ضار بالصحة بعد أن استيقن ضرره للجميع، لهذا لا يصح أن يختلف الفقهاء في تحريمه.

والضرورات الخمس التي ذكرها الأصوليون وفقهاء الدن، وأوجبوا الحرص على المحافظة عليها وعدم الإضرار بها هي الدن والنفس والعقل والنسل والمال. وكلها تتأثر بهذه الآفة. فدين الإنسان يتأثر، فمن الناس من لا يصوم رمضان لأنه لا يستطيع أن يمتنع عن التدخين. والنسل يتضرر بالتدخين، سواء كان المدخن أحد الأبوين أو كلاهما، بل إن الجنين يتضرر من تدخين أمه، بما يعني أن المدخن لا يضر نفسه فقط وإنما يضر غيره، وهناك ما يسمى الآن التدخين القسري، أو التدخين بالإكراه، فيدخن الإنسان رغم أنفه وهو لا يتناول السجارة وإنما يتناولها قهرا عندما يجلس بجوار إنسان مدخن أو في بيئة فيها التدخين. فأنت أيها المدخن تضر نفسك وتضر غيرك رغم إرادته وأنفه، فمن أجل هذا الضرر وغيره يجب أن يحرم التدخين وأن يجمع العلماء على تحريمه. وقد أدار بعض العلماء معظم الحكم في التدخين على المقدرة المائلة وحدها، أو عدمها، فيحرم في حالة عجز المدخن عن مصاريف التدخين، ويكره للقدار عليه. وهذا رأي غير

سديد ولا مستوعب. فإن الضرر البدني والنفسي الذي أجمع العلماء والأطباء في العالم على تحقيقه له اعتباره الكبير، بجوار الضرر المالى. ثم إن الغني ليس من حقه أن يضح ماله، ويبعثره فيما يشاء. لأنه مال الله أولاً، ومال الجماعة ثانياً .

وينبغي للإنسان المسلم العاقل أن يمتنع عن هذه الآفة الضارة الخبيثة،

فالتبغ

لاشك من الحبائث، وليس من الطيبات، إذ ليس فيه أي نفع دنيوي أو نفع ديني. ونصيحتي للشباب خاصة، أن ينزهوا أنفسهم عن الوقوع في هذه الآفة، التي تفسد علمهم صحتهم، وتضعف من قوتهم ونضرتهم، ولا يسقطوا فريسة للوهم الذي يخيل إليهم أن التدخين من علامات الرجولة، أو استقلال الشخصية. ومن تورط منهم في ارتكابها يستطيع التحرر منها، والتغلب عليها وهو في أول الطريق، قبل أن تتمكن هي منه، وتغلب عليه، ويعسر عليه فيما بعد النجاة من براثنها، إلا من رحم ربك.

وعلى أجهزة الإعلام أن تشن حملة منظمة بكل الأساليب على

التدخين، وتبين مساوئه.

وعلى مؤلفي ومخرجي ومنتجي الأفلام والتمثيلات والمسلسلات، أن يكفوا عن الدعاية للتدخين، بواسطة ظهور السجارة بمناسبة وغير مناسبة في كل المواقف.

وعلى الدولة أن تتكاتف لمقاومة هذه الآفة، وتحرير الأمة من شرورها،

وإن خسرت خزانة الدولة الملايين فإن صحة الأمة وأبنائها، الجسمية

والنفسية، أهم وأعلى من الملايين. والواقع أن الدولة هي الخاسرة مآلها عندما تسمح بالتدخين، لأن ماتننفته في رعاية المرضى الذين يصيبهم التدخين بأمراض عديدة وخطيرة تبلغ أضعاف ما تجنيه من ضرائب تفرضها على التبغ، بالإضافة إلى ما تخسره من نقص الإنتاج بسبب زيادة تغيب المدخنين عن العمل نتيجة ما يعانونه من أمراض.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائرنا، وأن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعا بما علمنا، إنه سميع قريب. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.³⁹²

المطلب الثاني: فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في التدخين:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، أما بعد؛

فقد سألتني بعض الإخوان عن حكم شرب الدخان، وإمامة من يتجاهر بشره، وذكر أن البلوى قد عمت بهذا الصنف من الناس. قد دلت الأدلة الشرعية على أن شرب الدخان من الأمور المحرمة شرعاً، وذلك لما اشتمل عليه من الخبث والأضرار الكثيرة. والله سبحانه لم ييح لعباده من المطاعم والمشارب إلا ما كان طيباً نافعاً، أما ما كان ضاراً لهم في دينهم أو دنياهم أو مغيراً لعقولهم، فإن الله سبحانه قد حرمه عليهم، وهو عز وجل أرحم بهم

<http://www.aljazeera.net/programs/religionandlife/2004/6/3>, ³⁹²

وانظر : <http://www.qaradawi.net/new/Categories-217>

من أنفسهم، وهو الحكيم العليم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره؛ فلا يحرم شيئاً عبثاً، ولا يخلق شيئاً باطلاً، ولا يأمر بشيء ليس للعباد فيه فائدة؛ لأنه سبحانه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، وهو العالم بما يصلح العباد، وينفعهم في العاجل والآجل، كما قال سبحانه إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وقال عز وجل: إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا. ﴿كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]

والآيات في هذا المعنى كثيرة، ومن الدلائل القرآنية على تحريم شرب الدخان قوله سبحانه وتعالى في سورة المائدة: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾، وقال في سورة الأعراف في وصف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [4] الآية.

فأوضح سبحانه في هاتين الآيتين الكريمتين، أنه سبحانه لم يحل لعباده إلا الطيبات؛ وهي الأطعمة والأشربة النافعة، أما الأطعمة والأشربة الضارة؛ كالمسكرات والمخدرات، وسائر الأطعمة والأشربة الضارة في الدين أو البدن أو العقل، فهي من الخبائث المحرمة، وقد أجمع الأطباء وغيرهم من العارفين بالدخان وأضراره، أن الدخان من المشارب الضارة ضرراً كبيراً، وذكروا أنه سبب لكثير من الأمراض؛ كالسرطان وموت السكتة، وغير ذلك.

ما كان بهذه المثابة فلا شك في تحريمه، ووجوب الحذر منه، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يشربه، فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المبين: وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ لِيُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا

الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ [5]، وقال عز وجل: ﴿أَمْ نَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [6].

أما إمامة شارب الدخان وغيره من العصاة في الصلاة فلا ينبغي أن يتخذ مثله إماماً، بل المشروع أن يختار للإمامة الأختيار من المسلمين، المعروفين بالدين والاستقامة؛ لأن الإمامة شأنها عظيم؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمَهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ هِجْرَةَ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمَهُمْ سَلَمًا)) [7] الحديث رواه مسلم في صحيحه، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمالك بن الحويرث وأصحابه: ((إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةَ، فَلْيُؤْذِنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، وَلْيُؤْمِكُمْ أَكْبَرَكُمْ)) [8].

لكن اختلف العلماء رحمهم الله هل تصح إمامة الفاسق والصلاة خلفه؟ فقال بعضهم: لا تصح الصلاة خلفه؛ لضعف دينه، ونقص إيمانه، وقال آخرون من أهل العلم: تصح إمامته والصلاة خلفه؛ لأنه مسلم قد صحت صلاته في نفسه؛ فتصح صلاة من خلفه، ولأن كثيراً من الصحابة صلوا خلف بعض الأمراء المعروفين بالظلم والفسق، ومنهم ابن عمر رضي الله عنهما قد صلى خلف الحجاج، وهو من أظلم الناس.

وهذا هو القول الراجح، وهو صحة إمامته والصلاة خلفه، لكن لا ينبغي أن يتخذ إماماً مع القدرة على إمامة غيره من أهل الخير والصلاح. وهذا جواب مختصر، أردنا منه التنبيه على أصل الحكم في هاتين المسألتين، وبيان بعض الأدلة على ذلك، وقد أوضح العلماء حكم هاتين المسألتين،

فمن أراد بسط ذلك وجده. والله المسئول، أن يصلح أحوال المسلمين، ويوفقهم جميعاً للاستقامة على دينه، والحذر مما يخالف شرعه؛ إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء³⁹³

المطلب الثالث: فتاوى العلماء في دول الخليج³⁹⁴

حكم التدخين عن طريق " الأرجيلة " - الشيشة - وبيان مضار ذلك هل الشيشة حرام؟ وماذا لو أن الشخص لم يستخدم أي نوع من أنواع التبغ، وإنما يستخدم ماء الورد، فهل ما تزال حراماً كذلك؟
تم النشر بتاريخ: 26-05-2009

الجواب: الحمد لله،

أولاً: مما لا شك فيه أن " الدخان " من أخطر السموم التي تكالب كثير من الناس على تناوله، غير عابئين بما يسببه من الأمراض، والتي تؤدي إلى موت كثيرين منهم، وقد ذكرت " منظمة الصحة العالمية " في تقريرها لعام 2008 م: أن تعاطي " التبغ " يقتل بالفعل 5.4 مليون نسمة سنوياً!، أي: بمعدل 14.000 شخصاً تقريباً كل يوم!، وأنه ما لم تتخذ

³⁹³ <http://www.binbaz.org.sa/fatawa/3206>

³⁹⁴ <https://islamqa.info/ar/127312>

إجراءات عاجلة : فإن التبغ سيقتل 10 مليون شخص سنوياً بحلول عام 2020 م !

وفي جواب السؤالين : (7432) و (10922) بيان تحريم زراعة ، وتجارة ، وتناول هذه النبتة الخبيثة .
ثانياً: "التبغ" - ومثله " الجراك " و " المعسّل " - الذي يدخن عن طريق " الشيشة " - الأرجيلة - لا يختلف عن تبغ السجائر العادية الملفوفة بالورق ، بل فيه من السوء ما ليس في السجائر . جاء في موقع " جمعية مكافحة التدخين " في البحرين ما نصه :

مكونات الشيشة :

لا تختلف هذه المكونات عن مكونات تبغ السجائر ، ودخانها ، حيث إن بها ما لا يقل عن 4000 مادة سامة ، أهمها : النيكوتين ، وغاز أول أكسيد الكربون ، والقطران ، والمعادن الثقيلة ، والمواد المشعة ، والمسرطنة ، والمواد الكيميائية الزراعية ، ومبيدات الحشرات وغيرها الكثير من المواد السامة .

تدعي بعض شركات إنتاج التبغ إزالة كل أو معظم مادة القطران من تبغ الشيشة ، كما أنه يضاف إلى تبغ الشيشة العديد من المواد المنكهة مجهولة التركيب ، ونجهل مقدار ضررها .

ما يقال عن التدخين عن طريق الشيشة - أو النارجيلة - باستخدام التبغ ، أو الجراك ، أو المعسّل بأنه خالي من الخطر : غير صحيح البتة ، فقد

أثبتت إحدى الدراسات على مدى أربع سنوات في المملكة العربية السعودية بأن المعسل هو عبارة عن تبغ خالص ، مع كميات كبيرة من الأصباغ ، والألوان ، والنكهات التي تخلط من غير أي رقابة صحية ، وثبت أنها تسبب مختلف الأمراض والسرطانات . ويحتوي " الجراك " على 15 % من التبغ الذي يخلط ببعض العسل ، والفواكه ، والمضافات الكيميائية التي تطبخ ، وتخمّر . انتهى

ثالثاً: يعتقد بعض السدّج من الناس أن تناول هذه النبتة عن طريق " الأرجيلة " - الشيشة - حلال ! لأن الدخان يمرّ عبر ماء الأرجيلة ! وهذا بعيد جداً عن الصواب ، وأما أهل الخبرة فيقولون :

1. تدخين رأس واحد للأرجيلة يعادل تدخين عشرة سجائر على الأقل .
2. الاحتراق الجزئي للمعسل يزيد من المواد السامة في الأرجيلة .
3. استعمال الأرجيلة من قبل أشخاص متعددين يزيد من انتقال الأمراض المعدية بينهم .
4. الماء لا يُفلتر المواد السامة والمسرطنة التي يحتويها تبغ الأرجيلة .

وجاء في موقع " جمعية مكافحة التدخين " في البحرين ما نصه :
هناك اعتقاد لدى الكثيرين بأن تدخين " الشيشة " أقل ضرراً من السجارة ، وذلك بسبب الاعتقاد السائد بأن مرور الدخان من خلال الماء الموجود في الشيشة يعمل على ترشيح الدخان من المواد الضارة وبالتالي تقليل الضرر الناجم عن تدخين الشيشة ، وقد تبين خطأ هذا الاعتقاد من

خلال تحليل الدخان الخارج من فم مدخن الشيشة على أنه يحتوي على نفس المواد الضارة ، والمسرطنة الموجودة في دخان " السجائر " ، كما أثبتت الدراسات أن التدخين بالشيشة :

1. يسبب الإدمان .
2. يقلل من كفاءة أداء الرئتين لوظائفهما ، ويسبب انتفاخ الرئة " الإنفزيما " ، والالتهاب الشعبي المزمن ، وهذا المرض يحد من قدرة الإنسان على بذل أي مجهود كلما تفاقم .
3. يؤدي إلى حدوث سرطانات الرئة ، والفم ، والمرئ ، والمعدة .
4. يؤدي إلى ارتفاع تركيز غاز أول أكسيد الكربون في الدم .
5. يؤدي إلى تناقص الخصوبة عند الذكور ، والإناث .
6. يساعد على ازدياد نسبة انتشار " التدرن الرئوي " عند مستخدمي الشيشة .
7. عند النساء المدخنات للشيشة أثناء الحمل يؤدي إلى تناقص وزن الجنين ، كما يعرض الأجنة إلى أمراض تنفسية مستقبلاً ، أو إلى حدوث الموت السريري المفاجئ بعد الولادة .
8. انبعاث الروائح الكريهة مع النفس ، ومن الثياب ، كذلك من التأثيرات الأخرى ، كَبَحَّة الصوت ، واحتقان العينين ، وظهور تجاعيد الجلد والوجه خصوصاً في وقت مبكر .
9. هذا علاوة على كون تدخين الشيشة يعتبر أحد أهم ملوثات الهواء في غرف المنازل ، وقريباً من المقاهي حيث يوجد عدد كبير من المدخنين .

ولذا كان تحريم استعمال التدخين عن طريق الأرجيلة - الشيشة - هو المتعيّن .

سئل الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - :

عن الفرق بين شرب الدخان بورقه الملفوف ، وشرب الجراك في الشيشة ... إلخ؟ فأجاب الشيخ رحمه الله بتقرير تحريم التدخين ، ثم قال : إذا ثبت هذا : فلا فرق بين شربه في أوراقه المعدة له ، وفي غيرها ، كالشيشة الخبيثة ، وسواء كان ورق الدخان المشروب خالصاً ، أو مخلوطاً بغيره كالجراك : فإنه مخلوط بالدخان الخبيث ، والأسماء لا تغير الحقائق ، وإذا خلط الشيء المحرم بغيره : فتحريمه باق بحاله ، وفي الحديث : (يأتي في آخر الزمان أناس يشربون الخمر ويسمونّها بغير اسمها) - رواه أحمد ، وصححه الألباني في " الصحيحة " (414) - .

" فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم " (12 / 90) .

وقال علماء اللجنة الدائمة :

الشيشة ، والنجيلة ، والدخان : من الخبائث ، وهي محرمة ؛ لما فيها من الأضرار على البدن ، والمال ، قال الله تعالى في وصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [أعراف: ٣١] ، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا ضرر ولا ضرار) ، فلا يجوز استعمال هذه الأمور ، ولا بيعها ، ولا ترويجها .

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ، الشيخ عبد الله بن غديان ،
الشيخ صالح الفوزان، الشيخ بكر أبو زيد .

" فتاوى اللجنة الدائمة " (26 / 351) .

رابعاً: أما سؤالك عن استعمال الشيشة من غير وضع " تبغ " بل " ماء
ورد " فقط : فهو ما لا نعرفه ، ولا نتخيل وجوده ، فما هي المادة المحترقة ؟
وماذا ستستنشق ؟ والحكم على الشيء فرع عن تصوره ، فنرجو توضيح
الأمر في مرة قادمة . والله أعلم

المطلب الرابع: حكمه عند المذاهب الأربعة³⁹⁵

وقد تبين لنا مما مضى ضرر التدخين البالغ في كل واحدة من هذه الضروريات؛ ولذلك صرح العلماء المحققون من المذاهب الأربعة وغيرهم بتحريمه:

أ - فمّن الحنفية: الإمام محمد بدر الدين العيني، وله رسالة في تحريمه، ومنهم الشيخ محمد الخواجه، وعيسى الشهاوي الحنفي، ومكي بن فروج، وعمر بن أحمد المصري الحنفي، فقد قال ما نصّه: الآثار النقلية الصحيحة، والدلائل العقلية الصريحة، تُعلن بتحريم الدُّخان... إلخ.

ب - ومن المالكية: كنون وأبو زيد عبدالرحمن الفاسي وغيرهم، قال الفاسي في حكم الدُّخان: إن الذي ينبغي اعتماده، ويرجع إليه في صلاح الدن والدنيا، مع وجوب الإعلان والإعلام والإشادة في جميع بلاد الإسلام؛ أنّ الدُّخان المذكور حرام الاستعمال؛ لاعتراف كثيرين ممن له تمييز وتجربة بأنه يُحدث تفتير أو تخدير... إلخ.

ج - الشافعية: ومنهم ابن علان شارح رياض الصالحين، وله رسالتان في تحريم الدُّخان، ومنهم الشيخ عبدالرحمن الغزي، وإبراهيم بن جمعان، وتلميذه أبو بكر الأهدل، وغيرهم، قال ابن علان في رسالته إعلام الإخوان بتحريم الدُّخان: وقد اتفق العلماء على حفظ العقول وصونها من المفترقات

³⁹⁵ انظر: الحق، جاد وآخرون، الحكم الشرعي في التدخين، ص 1

والمخدرات، إلى قوله: لأنَّ كلَّ ما غيَّرَ العقل بوجهٍ من الوجوه، أو أثر فيه بطريقة تناوله، فهو حرام.

د - الحنابلة: وقد اتَّفَق علماء الحنابلة على تحريمه . إلاَّ من شدَّ مَن لا يُعْتَد به .، ومن صرَّح بتحريمه علماء الدعوة من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذتهم رَحِمَ اللهُ الجميع، منهم:

الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قال ما نصُّه: وبما ذكرنا من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكلام أهل العلم يتبيَّن لك تحريم التتن . أي: الدخان . الذي كَثُرَ في هذا الزمان استعماله، وصحَّ بالتواتر عندنا والمشاهدة إسكاره في بعض الأوقات، خصوصًا إذا أكثَرَ منه أو قام يومًا أو يومين لا يشربه، ثم شرب منه، فإنه يُسْكَر ويُزِيلُ العَقْل³⁹⁶.

المطلب الخامس: بعض مقترحات وحلول لمشكلة التدخين والنجيلة

1- غرس العديد من القيم الدنية التي تحث على المحافظة على الصحة.

2- إقامة العديد من الحملات الوطنية التي توضح مخاطر التدخين على المدخن والمحيطين به.

3- شغل أوقات الفراغ لدى الشباب من خلال إقامة العديد من المشروعات المختلفة التي تقوم الشباب.

4- إقامة العديد من المؤسسات المهنية والتربوية التي تجابه التدخين.

5- رفع شعار لا للتدخين من خلال العديد من وسائل الإعلام من اجل نشر الوعي القومي.

6- تأسيس الشباب على القيم الصالحة م خلال زرع القيم المثالية.

7- الآباء هم قدوة للأبناء لذا يجب إقلاع الآباء عن التدخين.

8- تبني الدولة والعديد من المؤسسات حملة ضد مكافحة التدخين.

9- وجود سلسلة من التعاون بين مختلف المؤسسات خاصة المدرسة والأسرة للحد من هذه الظاهرة.

10- زرع العديد من الاتجاهات السلبية نحو التدخين عند افراد المجتمع.

11- وجود وتفعيل العديد من البرامج التثقيفية المدرسية للحد من هذه الظاهرة.

12- وجود العديد من الأخصائيين النفسيين في المدارس والجامعات لمساعدة الشباب في الإقلاع عن التدخين.

13- وجود الأسرة بشكل قوي في العلاقات الاجتماعية لأبنائهم وضرورة معرفة أصدقاء أبنائهم.

14- وضع العديد من القوانين التي تمنع الاتجار بالتدخين وفرض العديد من العقوبات الصارمة على المدخنين

15- اعلان يوم عالمي لمكافحة التدخين ومحاربتة.

وصلى الله على سيدنا و نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و تتحقق الأهداف النبيلة والغايات. الحمد لله على توفيقه لنا لإنجاز هذا العمل في ظل هذه الظروف الأكاديمية الشاغلة قبيل الإختبارات النهائية للعام 2015/ 2016 . لقد توصلنا إلى ختام هذه الدراسة بجهد جهيد

وقد تمخضت من هذا البحث العديد من النتائج والتي يمكن إجمالها على النحو التالي:-

1. عرفنا أضرار التخين والشيشة الجسدية والمالية والأسباب المؤدية لذلك.
2. أكد لنا المفسرون القدامى والمعاصرون في تفسيرهم للآيات القرآنية التي تتحدث عن الطيبات والخبائث بأن التدخين والشيشة أو النرجيلة من الخبائث، وعليه فإن تعاطيهما محرم شرعا وبنص الآيات القرآنية.
3. التدخين والشيشة مرفوضة من العلماء والفقهاء المسلمين واثبتوا بالأدلة الشريعة تحريمه.
4. وجود العديد من الأسباب التي تدفع المدخن على إدمان التدخين والشيشة.
5. وجود العديد من الآثار الضارة على الفرد والمجتمع والمحيطين به.
6. الإسلام له منهج خاص في معالجة أي ظاهرة التدخين والشيشة حيث يشخص المرض ويبدأ بعلاجه.

7. الأسرة لها دور هام في إبعاد أبناءها عن التدخين.
8. التضامن الوطني والحكومي بات ضروريا لمحاربة التدخين والشيشة.

المبحث السادس: استبيان التدخين والشيشة

تجدون مرفقا الإستبيان الذي أجريناه مع المدخنين و غير المدخنين، فكانت النتائج مخيفة، والله المستعان.

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربية والإجتماعية المعاصرة

كل الصفحات

Share

Tweet

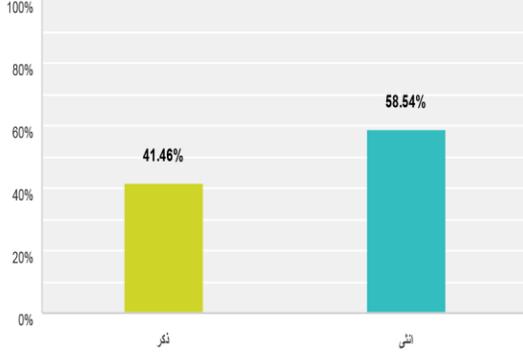
G+ Share

Share

سؤال 1

الجنس

تمت الإجابة: 123 تم التخطي: 16



اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
نكر	41.46%	51
نثى	58.54%	72
الإجمالي		123

الردود 139

أيام (3/15/2016) - الآن 75

عروض 2

هل تحتاج إلى أفكار متبصرة؟

العشرات من قوالب الاستبيانات SurveyMonkey يضم المصممة بطرق خيرة

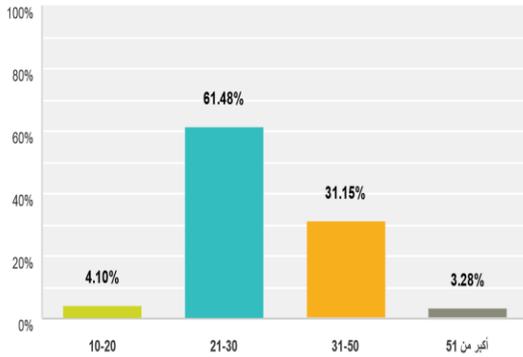
أو تعرف على المزيد

سجل مجاناً

سؤال 2

العمر

تمت الإجابة: 122 تم التخطي: 17



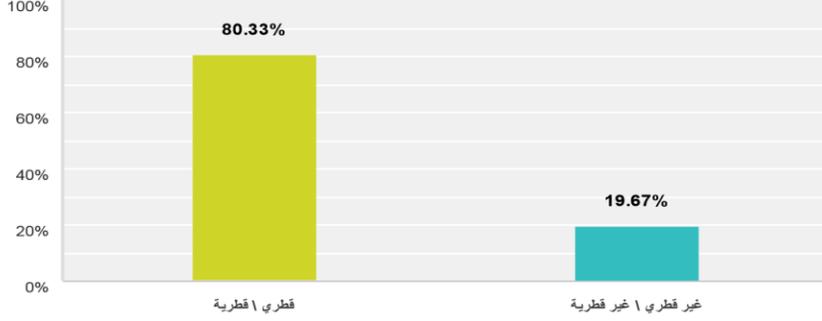
اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
10-20	4.10%	5
21-30	61.48%	75
31-50	31.15%	38
أكثر من 51	3.28%	4
الإجمالي		122

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

سؤال 3

الجنسية

تمت الإجابة: 122 تم التخطي: 17

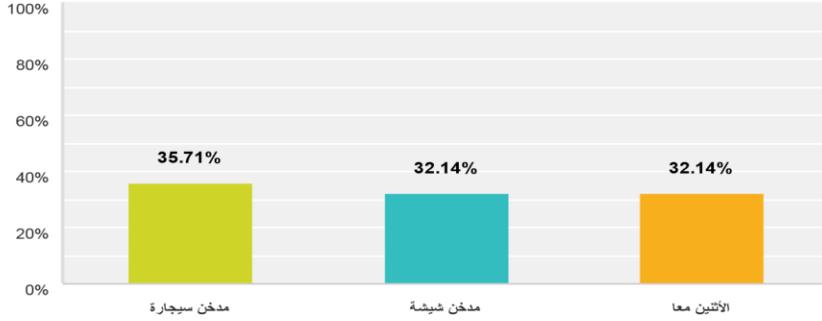


اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
قطري قطرية	98	80.33%
غير قطري غير قطرية	24	19.67%
الإجمالي	122	

سؤال 4

هل أنت؟

تمت الإجابة: 56 تم التخطي: 83



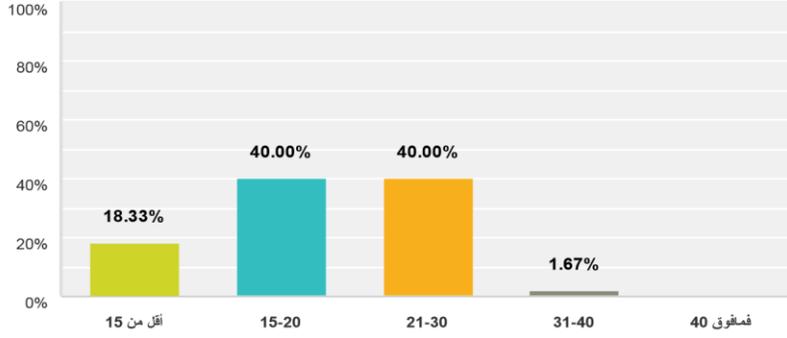
اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
مدخن سيجارة	20	35.71%
مدخن شيشة	18	32.14%
الأثنين معا	18	32.14%
الإجمالي	56	

سؤال 5

في أي مرحلة عمرية بدأت التدخين؟

تمت الإجابة: 60 تم التخطي: 79

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

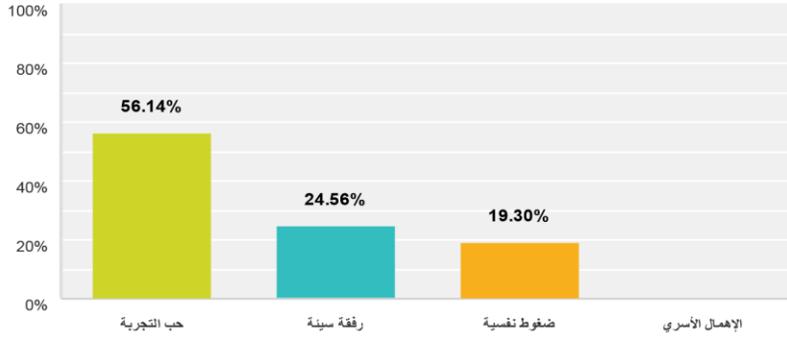


اختيارات الإجابة	الردود	الدرود
أقل من 15	18.33%	11
15-20	40.00%	24
21-30	40.00%	24
31-40	1.67%	1
فمافوق 40	0.00%	0
الإجمالي		60

سؤال 6

ما الذي ساعدك وشجعك على التدخين ؟

تمت الإجابة: 57 تم التخطيطي: 82



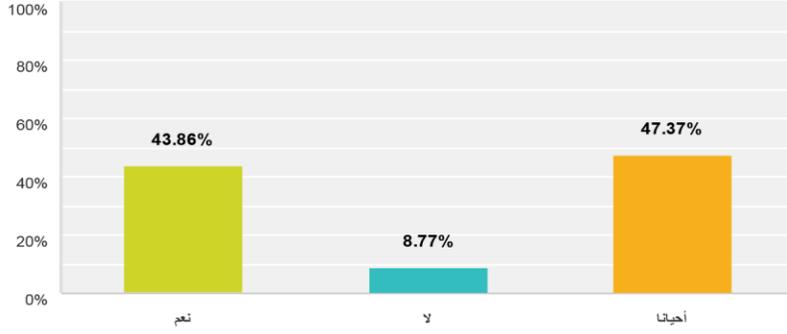
اختيارات الإجابة	الردود	الدرود
حب التجربة	56.14%	32
رفقة سينة	24.56%	14
ضغوط نفسية	19.30%	11
الإهمال الأسري	0.00%	0
الإجمالي		57

سؤال 7

هل تشعر بمتعة أثناء التدخين ؟

تمت الإجابة: 57 تم التخطيطي: 82

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

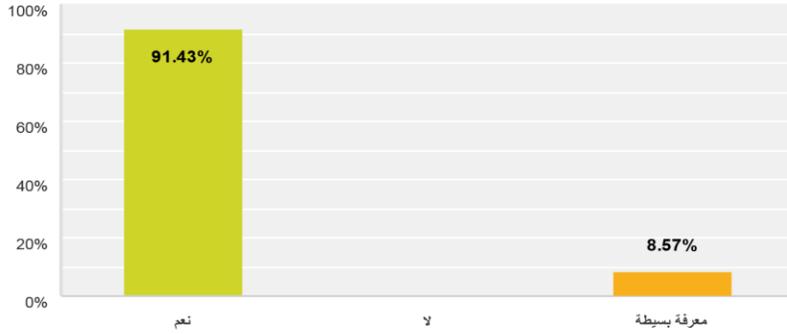


اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
نعم	43.86%	25
لا	8.77%	5
أحيانا	47.37%	27
الإجمالي		57

سؤال 8

هل لديك خلفية عن الأمراض التي قد تنتج عن التدخين ؟

تمت الإجابة: 70 تم التخطي: 69



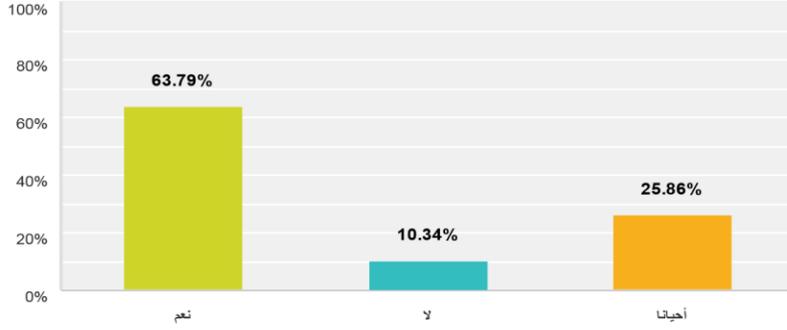
اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
نعم	91.43%	64
لا	0.00%	0
معرفة بسيطة	8.57%	6
الإجمالي		70

سؤال 9

هل لديك رغبة في ترك التدخين ؟

تمت الإجابة: 58 تم التخطي: 81

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

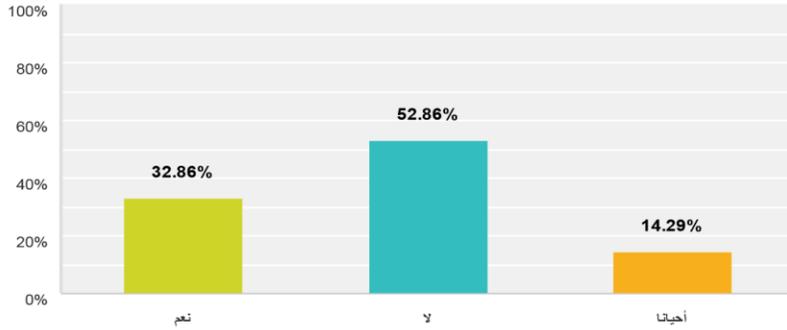


اختيارات الإجابة	الردود	العدد
نعم	63.79%	37
لا	10.34%	6
أحيانا	25.86%	15
الإجمالي		58

سؤال 10

هل تعتقد أن التدخين له تأثيرات إيجابية؟

تمت الإجابة: 70 تم التخطي: 69



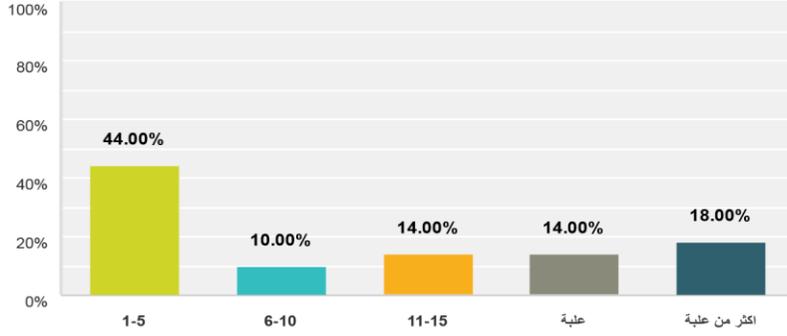
اختيارات الإجابة	الردود	العدد
نعم	32.86%	23
لا	52.86%	37
أحيانا	14.29%	10
الإجمالي		70

سؤال 11

كم سيجارة تدخن يوميا؟

تمت الإجابة: 50 تم التخطي: 89

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

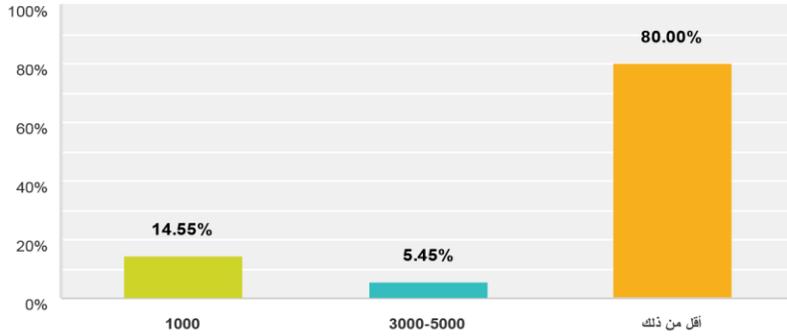


اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
1-5	44.00%	22
6-10	10.00%	5
11-15	14.00%	7
عتبة	14.00%	7
اكتر من عتبة	18.00%	9
الإجمالي		50

سؤال 12

كم ريالاً تنفق شهرياً على التدخين تقريباً؟

تمت الإجابة: 55 تم التخطيط: 84



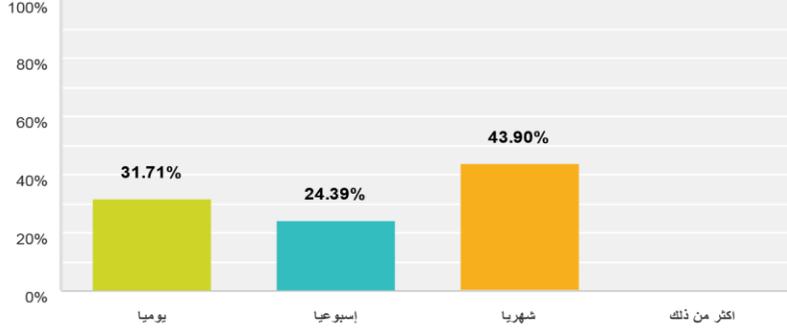
اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
1000	14.55%	8
3000-5000	5.45%	3
أقل من ذلك	80.00%	44
الإجمالي		55

سؤال 13

كم عدد المرات التي تشيش بها؟

تمت الإجابة: 41 تم التخطيط: 98

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

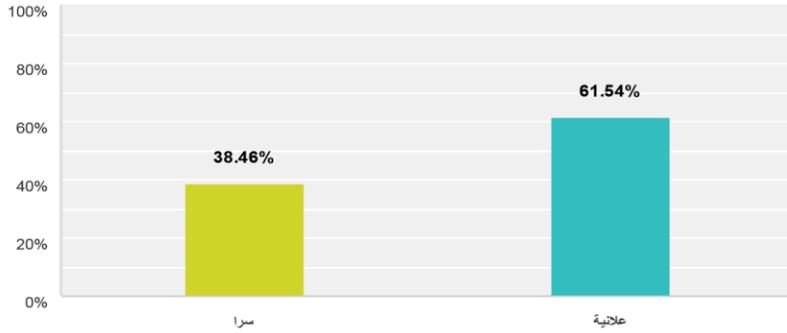


اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
يوميا	13	31.71%
إسبوعيا	10	24.39%
شهريا	18	43.90%
اكثر من ذلك	0	0.00%
الإجمالي	41	

سؤال 14

هل تدخن | تشيش ؟

تمت الإجابة: 52 تم التخطي: 87



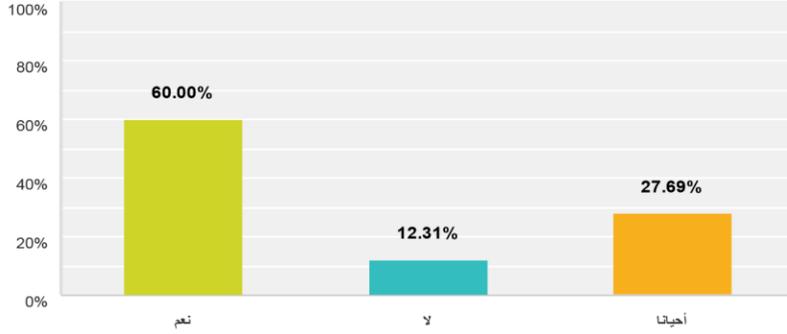
اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
سرا	20	38.46%
علانية	32	61.54%
الإجمالي	52	

سؤال 15

أعتقد أن الظروف الحياتية تؤثر على عدد استهلاك السجائر يوميا ؟

تمت الإجابة: 65 تم التخطي: 74

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

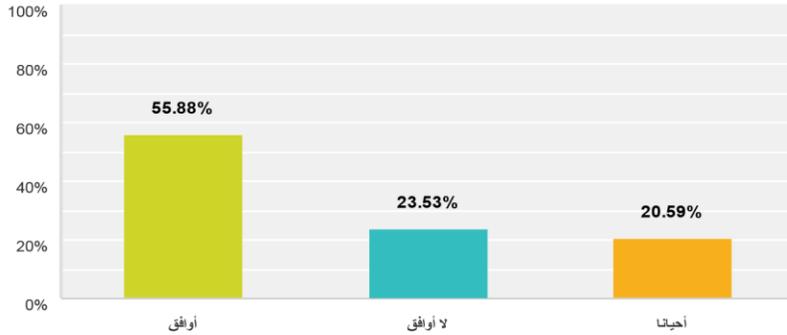


اختيارات الإجابة	الردود	عدد
نعم	60.00%	39
لا	12.31%	8
أحيانا	27.69%	18
الإجمالي		65

سؤال 16

أعتقد أن القيمة المادية لا تشكل أهمية و لا تؤثر على عدد المدخنين ؟

تمت الإجابة: 68 تم التخطي: 71



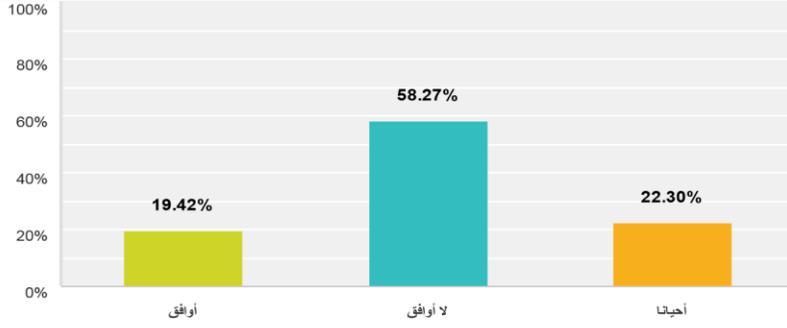
اختيارات الإجابة	الردود	عدد
أوافق	55.88%	38
لا أوافق	23.53%	16
أحيانا	20.59%	14
الإجمالي		68

سؤال 17

أعتقد أن التدخين يقلل من الضغوط النفسية؟

تمت الإجابة: 139 تم التخطي: 0

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

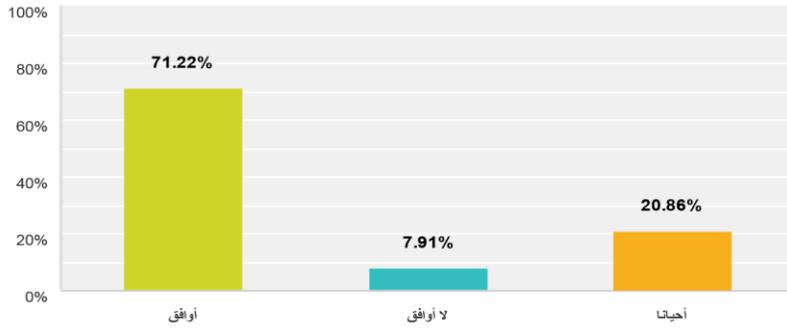


اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
أوافق	27	19.42%
لا أوافق	81	58.27%
أحيانا	31	22.30%
الإجمالي	139	

سؤال 18

برأيك أن للفراغ دورا في اقبال المراهقين على التدخين ؟

تمت الإجابة: 139 تم التخطي: 0



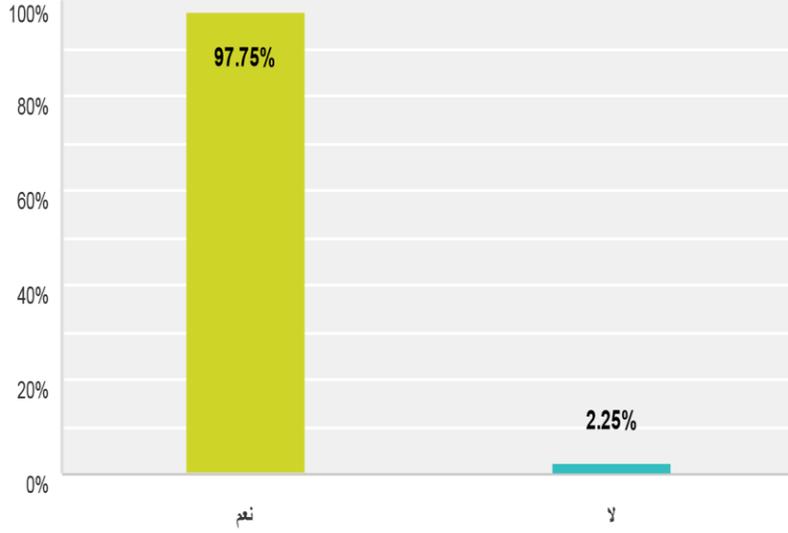
اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
أوافق	99	71.22%
لا أوافق	11	7.91%
أحيانا	29	20.86%
الإجمالي	139	

سؤال 19

هل تنصح الناس بالإقلاع ؟

تمت الإجابة: 89 تم التخطي: 50

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

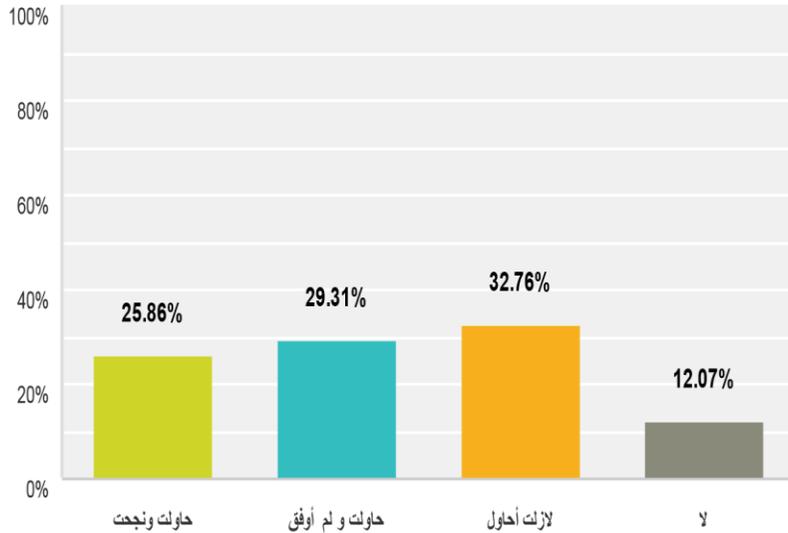


اختيارات الإجابة	الردود	النسبة المئوية
نعم	97.75%	87
لا	2.25%	2
الإجمالي		89

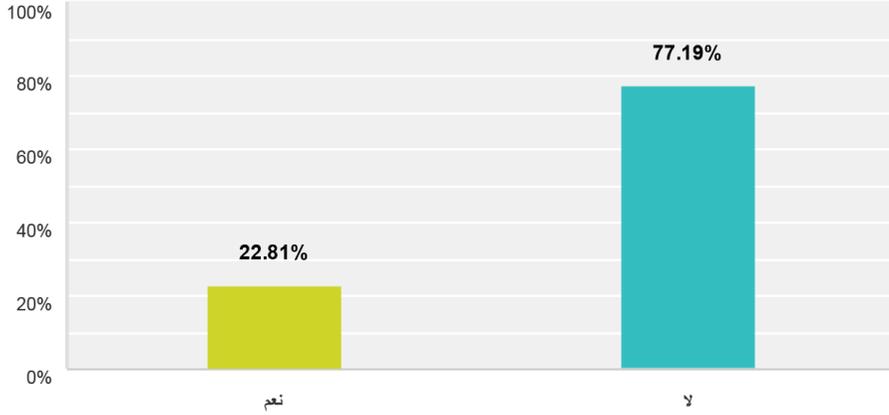
سؤال 20

هل حاولت الإقلاع؟

تمت الإجابة: 58 تم التخطي: 81



حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

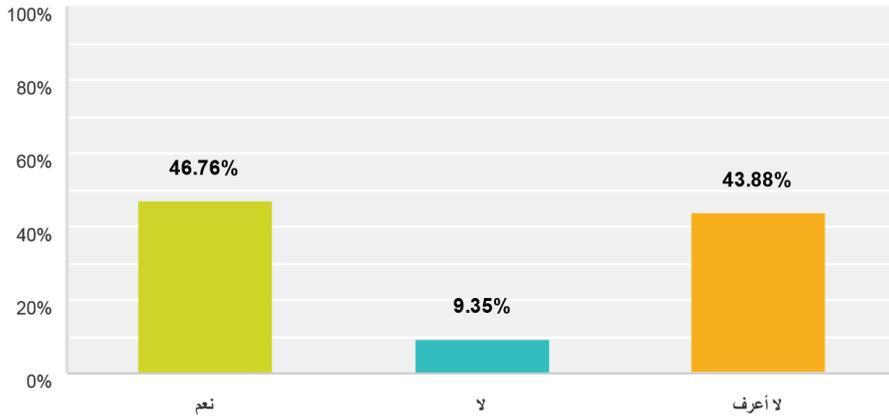


اختيارات الإجابة	الردود	
نعم	22.81%	13
لا	77.19%	44
الإجمالي		57

سؤال 22

هل الحكومة وفرت عيادات متخصصة لهذا الغرض ؟

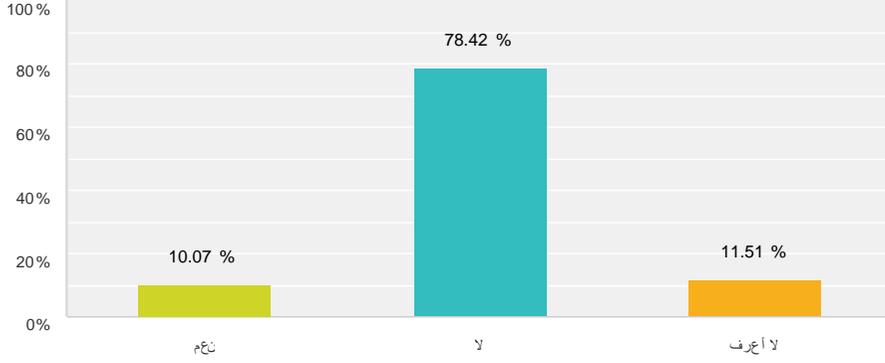
تمت الإجابة: 139 تم التخطي: 0



اختيارات الإجابة	الردود	
نعم	46.76%	65
لا	9.35%	13
لا أعرف	43.88%	61
الإجمالي		139

سؤال 23

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة



اختيارات الإجابة	لردود	
نعم	10.07 %	14
لا	78.42 %	109
لا أعرف	11.51 %	16
الإجمالي		139

سؤال

هل لديك أي تعقيب؟ يرجى نشرها هنا

تحت الإجابة: 27 تم التخطيط: 112

الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية المشارك

Assoc.Prof.Dr.Hfz.Hajredin Hoxha

خيرالدين بن بافتي خوجة الكوسوفي - نسبة إلى كوسوفا - من مواليد مدينة بريزن Prizren، عام 1967/10/1 جمهورية كوسوفا Kosova، أنهى المرحلة الإعدادية والثانوية الشرعية بمعهد الفرقان بدمشق، سوريا 1983-1989. واصل تعليمه الجامعي بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1990-1994. تخصص في الإقراء بعد التخرج وحصل على الإجازة في الإقراء بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ في تلاوة القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم. عمل إماما وخطيبا في مسقط رأسه ومدرسا لمادة التلاوة في فرع الثانوية الشرعية (علاء الدين) بمدينة بريزن. حصل على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية - الجامعة الإسلامية العالمية بكوالالمبور - ماليزيا 2000-2003، عنوان الرسالة: " منهج الأستاذ الشهيد سيد قطب في فهم آيات الدعوة - دراسة تحليلية نقدية في تفسير في ظلال القرآن - سورة الأنعام نموذجاً ". دكتوراه في التفسير والدراسات القرآنية من كلية معارف الوحي و العلوم الإنسانية - الجامعة الإسلامية العالمية بكوالالمبور - ماليزيا، عنوان الأطروحة: " الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في العصر الحديث - القرن 19 و 20 ". دّرس في نفس

الجامعة التي تخرج منها وبكلية المجتمع بجامعة طيبة بالمدينة المنورة وكلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، و حاليا يعمل بكلية المجتمع بقطر. له عشرات المؤلفات والترجمات باللغة العربية والألبانية والإنكليزية. وبجانب اختصاصه في التفسير وعلوم القرآن له اهتمام خاص بطرق التربية والتعليم وإصلاح المناهج التعليمية والتربوية في المدارس والجامعات، مع التركيز على تعلم اللغات الأجنبية والاستفادة من التكنولوجيا المعاصرة وتوظيفها في تدريس علوم الشريعة. يجيد خمس لغات. له فكر معتدل ميسر مبني على المنهجية القرآنية وهدى السنة النبوية الصحيحة ومنهج السلف الصالح في معالجة المشاكل الدينية والفكرية والاجتماعية، بعيدا عن التطرف وإقصاء الآخر، وحريص على بناء جسور الحوار والتفاهم وتضييق دائرة الخلاف مع المخالفين دون الخوض في القضايا السياسية. حضر عشرات الدورات والندوات والورش العلمية والمهنية والتكنولوجية بلغات مختلفة، كما أنه شارك وقدم أبحاثا علمية في عشرات المؤتمرات العالمية في الوطن العربي والإسلامي واليابان باللغة الإنكليزية والعربية. له عدة عضويات علمية واستشارية في العالم الإسلامي والعربي، وقام بتحكيم عدد كبير من البحوث العلمية باللغة العربية والإنكليزية وأشرف وناقش عددا من بحوث التخرج ورسائل الماجستير والدكتوراه. له حضور مميز من خلال نشر مقالات عديدة في وسائل الإعلام المحلية في كوسوفا وفي الخليج. أب لأربعة أولاد ومقيم في دولة قطر. تفاصيل أوفى

حصاد دراساتي الفكرية والثقافية والتربوية والإجتماعية المعاصرة

تجدون في موقعه الشخصي على الإنترنت:

www.drhafezi.net

